

إعجاز القرآن

للجافلاني
أبي بكر محمد بن الطيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المُنعم على عباده بما هداهم إليه من الإيمان ، والمُتمم إحسانه بما أقام لهم من جليّ البرهان ، الذي حمّد نفسه بما^(١) أنزل من القرآن ، ليُكونَ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وهادياً إلى ما ارتضى لهم من دينه ، وسلطاناً أوضح وجه تبيينه^(٢) ، ودليلاً على وحدانيته ، ومُرشداً إلى معرفة عزّته وجبروته ، ومُفصّحاً عن صفات جلاله ، وعلو شأنه وعظيم^(٣) سلطانه ، وحُجّةً لرسوله الذي أرسله به ، وعلماً على صدقه ، وبيّنةً على أنه أمينه على وحيه ، وصادعٌ بأمره .

فما أشرقه من كتاب يتضمّنُ صدقَ متحمّله ، ورسالةً تشتمل على قولٍ موثّقها . بيّن فيه سبحانه أن حُجّته كافية هادية ، لا يُحتاجُ مع وضوحها إلى بيّنة تغدوها ، أو^(٤) حُجّة تتلوها ، وأنّ الذهابَ عنها كالذهاب عن الضروريّات ، والتشكُّك في المشاهدات . ولذلك قال عزّ ذكره : ﴿ وَكُوِّنَ لَنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ / لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾^(٥) . وقال عز وجل : ﴿ وَكُوِّنَ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ . لَقَالُوا : إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا ، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾^(٦) .

فله الشكر على جزيل إحسانه ، وعظيم منّيه . والصلاة على محمد المصطفى وآله ، وسلم .

ومن أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه ، وأولى ما يلزم بحثه ؛

(٢) م : « بيته »

(٤) م : « ولا »

(١) ١ : « فيما »

(٣) م : « وعظم »

(٥) سورة الأنعام : ٧

(٦) سورة الحجر : ١٥ . يعرجون : يصلون . سكّرت : صارت سكرى ، أى غشيم ما غطى

أبصارهم ، كما غشى السكران ما غطى عقله ، القرطبي ١٠ / ٨ - ٩

ما كان لأصل دينهم قواماً ، ولقاعدة توحيدهم عماداً^(١) ونظاماً وعلى صدق نبيهم ، صلى الله عليه وسلم ، بُرهاناً ، ولعجزته ثبناً وحُجَّةً^(٢) ولا سيما أن الجهل ممدودُ الرواق ، شديدُ النفاق^(٣) ، مستولٍ على الآفاق ، والعلم إلى عفاءٍ ودُّروس ، وعلى خفاءٍ وطُموس ، وأهله في جفوة الزمن البهيم^(٤) ، يقيسون من عبوسه لقاء الأسد الشميم^(٥) حتى صار ما يكابدونه قاطعاً عن الواجب من سلوك مناهجه ، والأخذ في سبله .

٥ / فالناس بين رجلين : ذاهبٍ عن الحق ، ذاهلٍ عن الرشد ، وآخر مضدودٍ عن نصرته ، مكذودٍ في صنعته .

فقد أدى ذلك إلى خوض الملحددين ، في أصول الدين ، وتشكيكهم أهل الضعف في كل يقين .

وقد قلَّ أنصاره ، واشتغل عنه أعوانه ، وأسلمه أهله . فصار عُرْضةً لمن شاء أن يتعرض فيه ، حتى عاد مثل الأمر الأوَّل على ما خاضوا فيه عند ظهور أمره . فمن قائل قال : إنه سحر^(٦) ، وقائل يقول : إنه شعر^(٧) ، وآخر يقول : إنه أساطيرُ الأولين^(٨) ، وقالوا : لو نشاء لقلنا مثل هذا^(٩) . إلى الوجوه التي حكى الله عز وجل عنهم أنهم قالوا فيه ، وتكلموا به ، فصرفوه إليه .

وذكر لي عن بعض جهَّالهم أنه جعل يعدُّه ببعض الأشعار ، ويوازن

(١) م : « عصاماً أو »

(٢) ا : « حجة وتبيناً » ، م : « وحجة لمعجزته وتبيناً »

(٣) الرواق : الفسطاط . النفاق : الرواج (٤) البهيم : الأسود

(٥) في اللسان ٢١١/١٥ : « أسد شميم : عابس »

(٦) قال تعالى في سورة سبأ ٤٣ : (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم : إن هذا إلا سحر مبين)

(٧) قال تعالى في سورة الأنبياء ٥ : (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر) ،

وقال في سورة الصافات ٣٦ : (ويقولون : أننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون)

(٨) قال تعالى في سورة الفرقان ٥ : (وقالوا أساطير الأولين اكتبتها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا)

(٩) قال تعالى في سورة الأنفال ٢١ : (وإذا تملى عليهم آياتنا قالوا قد שמعنا ، لو نشاء لقلنا

مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين)

بينه وبين غيره من الكلام ، ولا يرضى بذلك حتى يُفضله عليه !

وليس هذا ببديع من مُلحده هذا العصر ، وقد سبقهم إلى عظيم^(١) / ما يقولونه إخراجهم من ملحده قریش وغيرهم . إلا أن أكثر من كان طعن فيه في أول أمره استبان رُشدَه ، وأبصر قصده ، فتاب وأناب ، وعرف من^(٢) نفسه الحق بغيرزة طبعه ، وقوة إتقائه ، لا لتصرف لسانه ، بل لهداية^(٣) ربه وحسن توفيقه . والجهل في هذا الوقت أغلب ، والمُلحدون^(٤) فيه عن الرشد أبعد ، وعن الواجب أذهب .

وقد كان يجوز أن يقع ممن عمل الكتب النافعة في معاني القرآن ، وتكلم في فوائده من أهل صنعة العربية وغيرهم من أهل صناعة الكلام ، أن يَبْسُطُوا القول في الإبانة عن وجه معجزته ، والدلالة على مكانه . فهو أحقُّ بكثير مما صنّفوا فيه من القول في الجزء [والطرفة]^(٥) ، ودقيق الكلام في الأعراض ، وكثير من بديع الإعراب وغامض النحو . فالحاجة إلى هذا أمس ، والاشتغال به أوجب .

وقد قصّر بعضهم في هذه المسألة ، حتى أدّى ذلك إلى تحول قوم منهم إلى مذاهب البراهمة فيها ، ورأوا أن عجز أصحابهم عن نصره هذه المعجزة يوجب أن لا مُسْتَنْصِر^(٦) فيها ، ولا وجه لها ، حين رأوهم قد برعوا في لطيف ما أبدعوا ، وانتهوا إلى الغاية فيما أحدثوا / ووضّعوا . ثم رأوا ما صنّفوه في هذا المعنى غير كامل في بابهِ ، ولا مستوفى في وجهه ، قد أُخِلَّ بتهذيب طرقه ، وأُهْمِلَ ترتيبُ بيانه .

وقد يُعذّر بعضهم في تفريط. يقع منه فيه ، وذهاب عنه ؛ لأن هذا الباب مما لا يمكن إحكامه إلا بعد^(٧) التقدّم في أمور شريفة المحل ، عظيمة المقدار ، دقيقة المسلك لطيفة المآخذ .

(٢) ك : « على »
(٤) ك : « والملحد »
(٦) س : « أن لا يستنصر »

(١) م : « أعظم »
(٣) ا : « هداية »
(٥) الزيادة من ا ، م
(٧) س ، ك : « مما يمكن إحكامه بعد »

وإذا انتهينا إلى تفصيل القول فيها ، استبان ما قلناه من الحاجة إلى هذه المقدمات ، حتى يمكن بعدها إحكام القول في هذا الشأن .
وقد صنّف « الجاحظ » في نظم القرآن كتاباً ، لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى .

* * *

وسألنا سائلٌ أن نذكر جملةً من القول جامعةً ، تسقطُ الشبهات ، وتريل الشكوك التي تعرض للجّهال ، وتنتهى إلى ما يخطر لهم ، ويعرض لأفهامهم ، من الطعن في وجه المعجزة .
فأجبناه إلى ذلك ، متقربين إلى الله عزّ وجل ، ومتوكلين عليه وعلى حسن توفيقه ومعونته .

ونحن نُبَيِّنُ ما سبق فيه البيان من غيرنا ، ونشير إليه ولا نبسط القول ؛ لئلاً يكون ما ألفناه مكرراً ومقولاً ، بل يكون مستفاداً من جهة هذا الكتاب خاصة .

٨ / ونصّفُ ما يجب وصفه من القول في تنزيل مُتَصَرِّفَاتِ الخطاب ، وترتيب وجوه الكلام ، وما تختلف فيه طرق البلاغة ، وتتفاوت من جهته سُبُلُ البراعة ، وما يشبهه له ظاهر الفصاحة ، ويختلف فيه المختلفون من أهل صناعة العربية ، والمعرفة بلسان العرب في أصل الوضع .

ثم ما اختلفت به مذاهبُ مستعمليه في فنون ما ينقسم إليه الكلام ، من شعر ورسائل وخطب ، وغير ذلك من مجارى الخطاب . وإن كانت هذه الوجوه الثلاثة أصول ما يبين فيه التفاضح ، وتُقصدُ فيه البلاغة ؛ لأن هذه أمور يُتَعَمَّلُ لها في الأغلب ، ولا يُتَجَوَّزُ فيها .

ثم من بعد هذا^(١) الكلام الدائر في محاوراتهم . والتفاوت فيه أكثر؛

(١) ب : « ثم من بعدما »

لأنَّ العمل فيه أقل ، إلا من غزارة طبع ، أو فطانة تصنع وتكلف .

ونشير إلى ما يجب في كل واحد من هذه الطرق ، ليُعرف عظيمُ محلِّ القرآن ، وليُعلم ارتفاعه عن مواقع هذه الوجوه ، وتجاوزه الحدَّ الذي يصحُّ أو يجوز أن يوازن بينه وبينها ، أو يشتبه ذلك على متأمل .

ولسنا نزعم أنه يمكننا أن نبين ما رُمنا ببيانه ، وأردنا شرحه وتفصيله ، لمن كان عن معرفة الأدب ذاهباً^(١) وعن وجه اللسان غافلاً ؛ لأنَّ ذلك

٩ / مما لا سبيل إليه ، إلا أن يكون الناظر فيما نعرض عليه مما قصدنا إليه من أهل صناعة العربية ، قد وقَّف على جُمَل من محاسن الكلام ومُتَصَرِّفاته ومذاهبه ، وعرف جملةً من طرق المتكلمين ، ونظر في شيء من أصول الدين .

وإنما ضَمَّن الله عز وجل فيه البيانَ لمثل من وصفناه ، فقال : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾^(٢) . وقال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٣) .

(١) م : « ذاهلاً »

(٢) سورة فصلت : ٣

(٣) سورة الزخرف : ٣

في أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها القرآن

الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن ، أن نبوة نبينا عليه السلام بُنِيَتْ^(١) على هذه المعجزة ، وإن كان قد أُيدَ بعد ذلك بمعجزات كثيرة . إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات خاصة ، وأحوال خاصة ، وعلى أشخاص خاصة . ونقل بعضها نقلًا متواترًا يقع به العلم وجودًا . وبعضها مما نقل نقلًا خاصًا ، إلا أنه حُكِيَ بمشهد من الجمع العظيم وأنهم شاهدوه ، فلو كان الأمر على خلاف ما حُكِيَ لأنكروه ، أو لأنكره بعضهم ، فحلَّ محلَّ المعنى الأول ، وإن لم يتواتر أصل النقل فيه . وبعضها مما نقل من جهة الآحاد ، وكان وقوعه بين يدي الآحاد .

فأما دلالة القرآن فهي عن معجزة عامة ، عَمَّتِ الثَّقَلَيْنِ ، وبقيت بقاء العَصْرَيْنِ . ولزومُ الحجّة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حدٍّ واحد ، وإن كان قد يُعلم بعجز أهل العصر الأول عن الإتيان / ١١
بمثله - وجهُ دلالاته ، فيغني ذلك عن نظر مجددٍ في عجز أهل هذا العصر عن الإتيان^(٢) بمثله . وكذلك قد يغني عجز أهل هذا العصر عن الإتيان بمثله ، عن النظر في حال أهل العصر الأول .

وإنما ذكرنا هذا الفصل ، لما حُكِيَ عن « بعضهم » أنه زعم أنه وإن كان قد عجز عنه أهل العصر الأول فليس أهل هذا العصر بعاجزين عنه ، ويكفي عجز أهل العصر الأول في الدلالة ؛ لأنهم خصوا بالتحدّي دون غيرهم^(٣) .

(١) م : « أثبتت » (٢) س : « أول العصر عن مثله »

(٣) ليس القرآن معجزة باقية على الزمن ؛ فالتحدّي باق معها على الزمن ، فهو تحد لأهل كل عصر كما كان لأهل العصر الأول ، وقد حبا الله هذا الرسول العربي الكريم بالرسالة « مؤيداً بدلالة على الأيام باقية ، وعلى الدهور والأزمان ثابتة ، وعلى مر الشهور والسنين دائمة . يزداد ضياؤها على كره الدهور إشراقاً ، وعلى مر الليالي والأيام انبثاقاً » كما قال الطبري في مقدمة تفسيره ٣/١ . فالإعجاز فيها واقع في كل عصر . والتحدّي بها لازم لأهل كل زمان

ونحن نسين خطأً هذا القول في موضعه ، إن شاء الله :

فأما الذى يبين ما ذكرناه من أن الله تعالى حين ابتعثه جعل معجزته القرآن ، وبنى أمر نبوته عليه - فسور كثيرة وآيات نذكر بعضها ، ونسبه بالمدكور على غيره ، فليس يخفى بعد التشبيه على طريقه .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿الرَّ . كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١) فأخبر أنه أنزله ليقع الاهتداء به ، ولا يكون كذلك إلا وهو حجة ، ولا يكون حجة إن لم يكن معجزة .

١٢ / وقال عز وجل : ﴿وإن أَحَدٌ منَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (٢) فلولا أن سماعه إياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه . ولا يكون حجة إلا وهو معجزة .

وقال عز وجل : ﴿وإنه لتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . وَهَذَا بَيِّنٌ جَدًّا فِيمَا قُلْنَا ، مِنْ أَنَّهُ جَعَلَهُ سَبَبًا لِكُونِهِ مُنذِرًا . ثُمَّ أَوْضَحَ ذَلِكَ بِأَنَّ قَالَ : ﴿يَلْسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (٣) . فلولا أن كونه بهذا اللسان حجة ، لم يُعَقَّبَ كَلَامَهُ الْأَوَّلُ بِهِ .

وإما من سورة افتتحت بذكر الحروف المقطعة إلا وقد أشيع فيها بيان ما قناه . ونحن نذكر بعضها لتستدل بذلك على ما بعده .
وكثير من هذه السور إذا تأملته فهو من أوله إلى آخره مبنى على لزوم حجة القرآن ، والتشبيه على وجه معجزته .

فمن ذلك سورة المؤمن (٤) . قوله عز وجل : ﴿حَمِّ . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ . ثم وصف نفسه بما هو أهله من قوله تعالى : ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ ، وَقَابِلِ التَّوْبِ ، شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِلَهٌ الْمَصِيرِ . مَا يَجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي

(٢) سورة التوبة : ٦

(٤) هى سورة غافر

(١) سورة إبراهيم : ١

(٣) سورة الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥

البلاد ﴿ فدل على أن الجدل في تنزيهه كفرٌ وإلحاد .

ثم أخبر بما وقع^(١) من تكذيب الأمم برسولهم ، بقوله عز وجل : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ، وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُبْدِئُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ فتوعدهم بأنه آخذهم في الدنيا بذنبيهم في تكذيب الأنبياء .

وردَّ براهينهم فقال تعالى : ﴿ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ .

ثم توعدهم بالنار ، فقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ .

ثم عظم شأن المؤمنين بهذه الحجة ، بما أخبر من استغفار الملائكة لهم ، وما وعدهم عليه من المغفرة ، فقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا : رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ، فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ . فلولا أنه برهان قاهر لم يذم الكفار على العدول عنه ، ولم يحمد المؤمنين على المصير إليه .

ثم ذكر تمام الآيات في دعاء الملائكة للمؤمنين ، ثم عطف على وعيد الكافرين ، فذكر آيات ، ثم قال : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾ . فأمر بالنظر في آياته وبراهينه ، إلى أن قال : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ، يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ / فجعل القرآن والوحي به كالروح ؛ لأنه يؤدي إلى حياة الأبد ، ولأنه لا فائدة للجسد من دون الروح . فجعل هذا الروح سبباً^(٢) للإنذار ، وعلماً عليه ، وطريقاً إليه . ولولا أن ذلك برهان بنفسه لم يصح أن يقع به الإنذار والإخبار عما يقع عند مخالفته ، ولم يكن الخبر عن الواقع في الآخرة عند ردهم دلالة^(٣) من الوعيد - حجة ولا معلوماً صدقه ، فكان لا يلزمهم قبوله .

فلما خلاص من الآيات في ذكر الوعيد على ترك القبول ، ضرب لهم

(١) : « ما وقع » م : « عما وقع » (٢) م : « سيلا » (٣) م : « دلالة »

المثل بمن خالف الآيات ، وجحد الدلالات والمعجزات ، فقال : ﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَانُوا هُمْ أَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ ، فَاخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ .

ثم بين أن عاقبتهم صارت إلى السوآى ، بأن رُسُلهم كانت تأتيهم بالبينات ، وكانوا لا يقبلونها منهم . فعلم أن ما قدّم ذكره في السورة بيّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر قصة موسى ويوسف عليهما السلام ، ومجيئهما بالبينات ، ومخالفتهم حكمها ، إلى أن قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مُقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ / عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ ﴾ . فأخبر أن جدّالهم في هذه الآيات لا يقع بحجة ، وإنما يقع عن جهل ، وأن الله يطبع على قلوبهم ، ويصرفهم عن تفهّم وجه البرهان . لبحودهم وعنادهم واستكبارهم .

ثم ذكر كثيراً من الاحتجاج على التوحيد ، ثم قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ﴾ .

ثم بين هذه الجملة ، وأن من آياته الكتاب ، فقال : ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أُرْسِلْنَا بِهِ رُسُلْنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ . إلى أن قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .

فدل على أن الآيات على ضربين : أحدهما كالمعجزات التي هي أدلة^(١) في دار التكليف . والثاني الآيات التي ينقطع عندها العذر ، ويقع عندها العلم الضروري ، وأنها إذا جاءت ارتفع التكليف ، ووجب الإهلاك . إلى أن قال تعالى : ﴿ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعِهِمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ . فأعلمنا أنه قادر على هذه الآيات ، ولكنه إذا أقامها زال التكليف ، وحقّت العقوبة على الجاحدين .

وكذلك ذكر في ﴿حَم﴾ السجدة^(١) على هذا المنهاج الذي شرحنا ، فقال عز وجل : ﴿حَم . تنزيلٌ من الرحمن الرحيم . كتابٌ فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً﴾ فلولا أنه جعله / برهاناً لم يكن بشيراً ولا نذيراً ، ولم يَخْتَلِفْ بآن يكون عربياً مفصلاً أو بخلاف^(٢) ذلك . ثم أخبر عن جحودهم وقلة قبولهم ، بقوله تعالى : ﴿فَاعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهَمٌ لَا يَسْمَعُونَ﴾ . ولولا أنه حجة لم يضرهم الإعراض عنه .

وليس لقائل أن يقول : قد يكون حجة^(٣) ولكن يحتاج في كونه حجة إلى دلالة أخرى ، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم حجة ، ولكنه يحتاج إلى دلالة على صدقه ، وصحة نبوته .

وذلك : أنه إنما احتج عليهم بنفس هذا التنزيل ، ولم يذكر حجة غيره :

ويبين ذلك : أنه قال عقيب هذا : ﴿قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إلي﴾ . فأخبر أنه مثلهم لولا الوحي .

ثم عطف عليه بحمد المؤمنين به المصدقين له ، فقال : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ . ومعناه : الذين آمنوا بهذا الوحي والتنزيل ، وعرفوا هذه الحجة .

ثم تصرف في الاحتجاج على الوجدانية والقدرة ، إلى أن قال : ﴿فإن أعرضوا فقل : أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود﴾ . فتوعدهم بما أصاب من قبلهم من المكذبين بآيات الله من قوم عاد / وثمود في الدنيا . ثم توعدهم بآمر الآخرة ، فقال : ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون﴾ ، إلى انتهاء ما ذكره فيه .

ثم رجع إلى ذكر القرآن ، فقال : ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ .

(٢) ، ا ، م : « خلاف »

(١) هي سورة : فصلت

(٣) س : « ويحتاج »

ثم أثنى بعد ذلك على من تلقاه بالقبول ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا ﴾ .
ثم قال : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

وهذا ينبه على أن النبي صلى الله عليه وسلم يعرف إعجاز القرآن ، وأنه دلالة له على جهة الاستدلال ؛ لأن الضروريات لا يقع فيها نزغ الشيطان . ونحن نبين ما يتعلق بهذا الفصل في موضعه .

ثم قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ ، إلى أن قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ، وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ . وهذا وإن كان متأولاً على أنه لا يوجد فيه غير الحق مما يتضمنه من أقاصيص الأولين وأخبار المرسلين ، وكذلك لا يوجد خلف فيما يتضمنه^(١) من الأخبار عن الغيوب وعن الحوادث التي أنبأ أنها تقع في الآتي - فلا يخرج عن أن يكون متأولاً على ما يقتضيه نظام الخطاب ، من أنه لا يأتيه ما يبطله من شبهة سابقة / تقدح في معجزته أو تعارضه في طريقه . وكذلك لا يأتيه من بعده قطُّ أمرٍ يشكك في وجه دلالته [وإعجازه] . وهذا أشبهُ بسياق الكلام ونظامه .

ثم قال : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا : لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ، أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾^(٢) فأخبر أنه لو كان أعجمياً لكانوا يحتجون في رده : إمَّا بأن ذلك خارج عن عرف خطابهم ، أو كانوا يعتذرون بذهابهم عن معرفة معناه ، وبيانهم لا يبين^(٣) لهم وجه الإعجاز فيه . لأنه ليس من شأنهم ولا من لسانهم ، أو بغير ذلك من الأمور ، وأنه إذا تحدّاهم إلى ما هو من لسانهم وشأنهم فَعَجَزُوا عَنْهُ - وجبت الحجة عليهم به ، على ما نبينه في وجه هذا الفصل . إلى أن قال : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ، مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ .

والذى ذكرناه من نظم هاتين السورتين ينبه على غيرهما من السور ،
فكرهنا سرّد القول فيها . فليتأمل المتأمل ما دللناه عليه يعجده كذلك .

ثم مما يدل على هذا قوله عز وجل : ﴿ وقالوا : لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل إنما الآيات عند الله ، وإنما أنا نذير مبين . أولم يكفهم أننا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾^(١) فأخبر أن الكتاب آية من / آياته ،
وعلم من أعلامه ، وأن ذلك يكفي في الدلالة ، ويقوم مقام معجزات غيره
وآيات سواه من الأنبياء ، صلوات الله عليهم .

ويدل عليه قوله عز وجل : ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، الذى له ملك السموات والأرض ﴾^(٢) .

ويدل عليه قوله : ﴿ أم يقولون أفترى على الله كذباً ، فإن يشاء الله يختم على قلبك ، ويمحور الله الباطل ويحق الحق بكلماته ﴾^(٣) .

فدل على أنه جعل قلبه مستودعاً لوحيه ، ومستنزلاً لكتابه ، وأنه لو شاء صرف ذلك [عنه] إلى غيره . وكان له حكم دلالة على تحقيق الحق ، وإبطال الباطل مع صرفه عنه . ولذلك أشباه كثيرة تدل على نحو الدلالة التى وصفناها .

فبان بهذا وبنظائره^(٤) ما قلناه ، من أن بناء نبوته صلى الله عليه وسلم على دلالة القرآن ومعجزته ، وصار له من الحكم فى دلالة على نفسه وصدقه أنه يمكن أن يعلم أنه كلام الله تعالى ، وفارق حكمه حكم غيره من الكتب المنزلة على الأنبياء ؛ لأنها لا تدل على أنفسها إلا بأمر زائد عليها ، ووصف منضاف^(٥) إليها ؛ لأن نظمها ليس معجزاً^(٦) ، وإن / كان ما تتضمنه^(٧) من الإخبار عن الغيوب^(٨) معجزاً .

وليس كذلك القرآن ؛ لأنه يشاركها فى هذه الدلالة ، ويزيد عليها

(٢) سورة الفرقان : ١ و ٢

(٤) ١ : « بها وبنظائرها »

(٦) م : « بمعجز »

(٨) م : « عن الغائبات والغيوب »

(١) سورة النكبات : ٥٠ و ٥١

(٣) سورة الشورى : ٢٤

(٥) س : « منضاف »

(٧) س : « يتضمنه »

في أن نظمه معجز، فيمكن أن يستدل به عليه ، وحلّ في هذا من وجه محلّ سماع الكلام من القديم سبحانه وتعالى ؛ لأن موسى عليه السلام لما سمع كلامه علم أنه في الحقيقة كلامه .

وكذلك من يسمع القرآن يعلم أنه كلام الله ، وإن اختلف الحال في ذلك من بعض الوجوه ؛ لأن موسى عليه السلام سمعه من الله عز وجل ، وأسمعه نفسه متكلماً ، وليس كذلك الواحد منّا . وكذلك قد يختلفان في غير هذا الوجه ، وليس ذلك قَصْدنا بالكلام في هذا الفصل .

والذي نرومه الآن ما بيناه من اتّفاقهما في المعنى الذي وصفناه ، وهو : أنه عليه السلام يعلم أن ما يسمعه كلامُ الله من جهة الاستدلال ، وكذلك نحن نعلم ما نقرؤه^(١) من هذا على جهة الاستدلال .

/ فصل

في [بيان وجه] الدلالة على أن القرآن معجز

قد ثبت بما بينا في الفصل الأوَّل أن نبوة نبيِّنا صلى الله عليه وسلم مبنية على دلالة معجزة القرآن فيجب أن نبين وجه الدلالة من ذلك :

قد ذكر العلماء أن الأصل في هذا هو : أن يُعلم أن القرآن ، الذي هو متلوٌّ محفوظ مرسومٌ في المصاحف ، هو الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه هو الذي تلاه على من في عصره ثلاثاً وعشرين سنة .

والطريق إلى معرفة ذلك هو النقل المتواتر ، الذي يقع عنده العلم الضروري به .

وذلك أنه قام به في الواقف ، وكتب به إلى البلاد ، وتحمله عنه إليها من تابعه ، وأورده على غيره ممن لم يتابعه . حتى ظهر فيهم الظهور الذي لا يشتبه على أحد ، ولا يخيل أنه قد خرج من أتى بقرآن يتلوه ، ويأخذه على غيره ، ويأخذه غيره على الناس ، حتى انتشر ذلك في أرض العرب كلها ، وتعدى إلى الملوك المصاقبة لهم ، كملك الروم والعجم والقبط والحبش ، وغيرهم من ملوك الأطراف .

ولما ورد ذلك مضاداً لأديان أهل ذلك العصر كلهم ، ومخالفاً لوجوه اعتقاداتهم المختلفة في الكفر - وقَف جميع أهل المخلاف على جملته ، ووقف جميع أهل دينه الذين أكرمهم الله بالإيمان على جملته / وتفاصيله ، وتظاهر بينهم ، حتى حفظه الرجال ، وتنفقت به الرِّحال ، وتعلَّمه الكبير والصغير ؛ إذ كان عمدة دينهم ، وعلماً عليه ، والمفروض تلاوته في صلواتهم ، والواجب استعماله في أحكامهم .

ثم تناقله خلف عن سلفهم^(١) مثلهم في كثرتهم وتوفر دواعيهم على نقله ، حتى انتهى إلينا ، على ما وصفناه من حاله .
فلن يتشكك أحدٌ ، ولا يجوز أن يتشكك ، مع وجود هذه الأسباب ، في أنه أتى بهذا القرآن من عند الله تعالى . فهذا أصلٌ .

وإذا ثبت هذا الأصل وجوداً ، فإننا نقول : إنه تحداهم إلى^(٢) أن يأتوا بمثله ، وقرعهم على ترك الإتيان به ، طول السنين التي وصفناها ، فلم يأتوا بذلك . [وهذا أصلٌ ثانٍ] .

والذي يدل على هذا الأصل : أننا قد علمنا أن ذلك مذكور في القرآن في المواضع الكثيرة ، كقوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾^(٣) .

وكقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِمِثْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ، وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ، وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٤) .
فجعل عجزهم عن الإتيان بمثله دليلاً على أنه منه ، ودليلاً على وحدانيته . وذلك يدل عندنا على بطلان قول من زعم أنه لا يمكن أن تعلم بالقرآن الوجدانية ، وزعم أن ذلك مما لا سبيل إليه إلا من جهة العقل ؛ لأن القرآن كلام الله عز وجل ، ولا يصح أن يُعلم الكلام حتى يُعلم المتكلم أولاً .

فقلنا : إذا ثبت بما نبينه إعجازه ، وأن الخلق لا يقدر علىه - ثبت أن الذي أتى به غيرهم ، وأنه إنما يختص بالقدرة عليه من يختص بالقدرة عليهم ، وأنه صدق . وإذا كان كذلك كان ما يتضمنه صدقاً ، وليس إذا أمكن معرفته من جهة العقل امتنع أن يُعرف من [طريق القرآن ، بل

(٢) : ١ : « على »

(٤) سورة هود : ١٣ و ١٤

(١) : ١ : « عن سلفهم »

(٣) سورة البقرة : ٢٣ و ٢٤

يمكن عندنا أن يُعرف من [الوجهين .

وليس الغرض تحقيق القول في هذا الفصل ؛ لأنه خارج عن مقصود كلامنا ، ولكننا ذكرناه من جهة دلالة الآية عليه .

ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ قُلْ لئن اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بِمِثْلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بِمِثْلِهِ ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾^(١) وقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ، بَل لا يُؤْمِنُونَ . فليأتوا بِحَدِيثٍ / مِثْلِهِ إِنْ كانوا صادقين ﴾^(٢) فقد ثبت بما بيننا أنه تحداهم إليه ، ولم يأتوا بمثله .

٢٤

وفي هذا أمران : أحدهما التحدى إليه . والآخر أنهم لم يأتوا له بمثل^(٣) . والذي يدل على ذلك النقل المتواتر الذى يقع به العلم الضرورى ، فلا يمكن جحود واحد من هذين الأمرين .

وإن قال قائل : لعله لم يقرأ عليهم الآيات التى فيها ذكر التحدى ، وإنما قرأ عليهم ما سوى ذلك من القرآن - : كان ذلك قولاً باطلاً ، يُعلم بطلانه بمثل^(٤) ما يُعلم به بطلان قول [من زعم] أن القرآن أضعافُ هذا! وهو يبلغ جَمَلُ جَمَلٍ ! وأنه كُتِبَ ، وسيُظهِره [المهدى] !!!

أو يدعى أن هذا القرآن ليس هو الذى جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو شئٌ وضعه عمرُ أو عثمانُ ، رضى الله عنهما ، حيث وُضِعَ^(٥) المصحفُ .

أو يدعى فيه زيادة أو نقصانا .

وقد ضمّن الله حفظَ كتابه أن يأتية الباطل من بين يديه أو من خلفه ، ووَعَدَهُ الحق .

وحكاية قول من قال ذلك يغنى عن الردِّ عليه . لأنَّ العَدَدَ الذين / أخذوا القرآن فى الأمصار وفى البوادي ، وفى الأسفار والحضر ، وضبطوه حفظاً ،

٢٥

(٢) سورة الطور : ٣٣ و ٣٤

(٤) س : « مثل »

(١) سورة الإسراء : ٨٨

(٣) م ، ا : « يأتوا بمثله »

(٥) م ، ا : « وضعا »

من بين صغيرٍ وكبيرٍ ، وعرفوه حتى صار لا يشتبهُ على أحد منهم حرف -
لا يجوز عليهم السهو والنسيانُ ، ولا التخليطُ فيه والكتْمَانُ .

ولو زادوا أو نقصوا أو غيروا لَظَهَرَ . وقد علمت أن شعر امرئ القيس
وغيره - على أنه لا يجوز أن يظهر ظهور القرآن ، ولا أن يُحفظ كحفظه ،
ولا أن يُضبط . كضبطه ، ولا أن تَمَسَّ الحاجةُ إليه إِمساسها^(١) إلى القرآن -
لو زيدَ فيه بيتٌ ، أو نُقص منه بيت ، لا ، بل لو غُيِّر فيه لفظ - لتبرَّأَ
منه أصحابه ، وأنكره أربابه .

فإذا كان ذلك مما لا يمكن [أن يكون] في شعر امرئ القيس ونظرائه ،
مع أن الحاجةُ إليه تقع احفظ العربية ، فكيف يجوز أو يمكن ما ذكره
في القرآن ، مع شدة الحاجةُ إليه في [الصلاة التي هي] أصل الدين ، ثم
في الأحكام والشرائع ، واشتغال الهمم المختلفة على ضبطه :

فمنهم من يضبطه لإحكام قراءته ومعرفة وجوهها ، وصحة أدائها .
ومنهم من يحفظه للشرائع والفقهِ .

ومنهم من يضبطه ليُعرف تفسيره ومعانيه .

ومنهم من يقصد بحفظه الفصاحة والبلاغة .

/ ومن الملاحدين من يُحصِّله لينظر في عجيب شأنه .

٢٦

وكيف يجوز على أهل هذه الهمم المختلفة والآراء المتباينة - على كثرة
أعدادهم ، واختلاف بلادهم ، وتفاوت أغراضهم - أن يجتمعوا على التغيير
والتبديل والكتْمَانُ ؟ !

وبين ذلك : أنك إذا تأملت ما ذُكر في أكثر السور مما بيننا ،
ومن نظائره في رد قومه عليه ورد غيرهم ، وقولهم : ﴿ لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾^(٢)
[وقول بعضهم : إن ذلك سحر] ، وقول بعضهم : ﴿ ماسِعِنَا بهذا في المِلَّةِ
الآخرة ، إن هذا إلا آخِتْلَاق ﴾^(٣) إلى الوجوه التي يصرف إليها قولهم في
الطعن عليه .

فمنهم من يستهين بها^(١) ويجعل ذلك سبباً لتركه الإتيان بمثله .
ومنهم من يزعم أنه مُفْتَرَى ، فلذلك لا يأتي بمثله
ومنهم من يزعم أنه دَارَس ، وأنه أساطير الأولين .
وكرهنا أن نذكر كل آية تدل على تحديه ، لثلا يقع التطويل .

ولو جاز أن يكون بعضه مكتوماً لجاز على كله . ولو جاز أن يكون بعضه
موضوعاً لجاز ذلك في كله .

فثبت بما بيناه أنه تحداهم به ، وأنهم لم يأتوا بمثله^(٢) . وهذا الفصل
قد بينا أن الجميع قد ذكروه وبنوا عليه .

/ فإذا ثبت هذا وجب أن يُعلم بعده أن تركهم الإتيان بمثله كان لعجزهم عنه .
والذى يدل على أنهم كانوا عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن : أنه
تحداهم إليه حتى طال التحدى ، وجعله دلالةً على صدقه ونبوته ، وضمن^(٣)
أحكامه استباحةً دمائهم وأموالهم وسبى ذريتهم ، فلو كانوا يقدرون على
تكذيبه لفعلوا ، وتوصلوا إلى تخليص أنفسهم وأهليهم وأموالهم من حكمه ،
بأمر قريب ، هو عادتهم في لسانهم ، ومألوف من خطابهم ، وكان ذلك
يغنيهم عن تكلف القتال ، وإكثار المراء والجدال ، وعن الجلاء عن الأوطان ،
وعن تسليم الأهل والذرية للسي .

فلما لم تحصل هناك معارضةً منهم ، عُلم أنهم عاجزون عنها .
يُبين ذلك أن العدو يقصد لدفع قول^(٤) عدوه بكل ما قدر عليه من
المكايد ، لاسيما مع استعظامه ما بدَّه بالمجىء من^(٥) خلع آلهته ، وتسفيه
رأيه في ديانته ، وتضليل آبائه ، والتغريب عليه بما جاء به ، وإظهار أمر
يوجب الانقياد لطاعته ، والتصرف على حكم إرادته ، والعدول عن إلفه
وعادته ، والانخراط في سلك الأتباع بعد أن كان متبوعاً ، والتشيع بعد

(٢) س : « تحدى إليه . . . له بمثل »

(٤) ا : « لقول »

(١) ا ، م : « به »

(٣) س : « وتضمن »

(٥) ا : « مع »

أن كان مشيِّعاً ، وتحكيم الغير في ماله ، وتسليطه إياه على جملة أحواله ،
والدخول تحت تكاليف شاقة ، / وعبادات مُتَعَبَةٍ ، بقوله ، وقد علم أن بعض
٢٨ هذه الأحوال مما يدعو إلى سلب النفوس دونه .

هذا ، والحمية حميتهم ، والهمم الكبيرة همهم ، وقد بذلوا له السيف
فأخطروا^(١) بنفوسهم وأموالهم . فكيف يجوز أن لا يتوصلوا إلى الرد عليه
وإلى تكذيبه بأهون سعيهم ومألوف أمرهم ، وما يمكن تناوله من غير أن
يعرق فيه^(٢) جبين ، [أو ينقطع دونه وتين] ، أو يشتمل به خاطر ، وهو
لسانهم الذى يتخاطبون به ، مع بلوغهم فى الفصاحة النهاية التى ليس
وراءها مُتَطَّلِع ، والرتبة التى ليس فوقها^(٣) منزع ؟ !

ومعلوم أنهم لو عارضوه بما تحداهم إليه لكان فيه توهين أمره ، وتكذيب
قوله ، وتفريق جمعه ، وتشتيت أسبابه ، وكان من صدق به يرجع على
آعقابه ، ويعود فى مذهب أصحابه .

فلما لم يفعلوا شيئاً من ذلك ، مع طول المدة ، ووقوع الفسحة ،
وكان أمره يتزايد حالاً فحالاً ، ويعلو شيئاً فشيئاً ، وهم على العجز عن
القدح فى آيته ، والظعن [عما يؤثر] فى دلالاته - عليم مما^(٤) بينا أنهم
كانوا لا يقدرّون على معارضته ، ولا على توهين حججه .

٢٩ / وقد أخبر الله تعالى عنهم : أنهم ﴿ قوم خصمون ﴾^(٥) وقال : ﴿ وتنادر
به قوماً لداً ﴾^(٦) ، وقال : ﴿ خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾^(٧) .
وعلم أيضاً ما كانوا^(٨) يقولونه من وجوه اعتراضهم على القرآن ، مما
حكى الله عز وجل عنهم من قولهم : ﴿ لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا
إلا أساطير الأولين ﴾^(٩) وقولهم : ﴿ ما هذا إلا سحر مُفْتَرى ، وما سمعنا

(٢) ا ، م : « له »

(٤) ا ، م : « بما »

(٦) سورة مريم : ٩٧

(٨) س : « أن ما كانوا »

(١) س : « وأخطروا »

(٣) س : « مطلع . . . وراءها »

(٥) سورة الزخرف : ٥٨

(٧) سورة النحل : ٤

(٩) سورة الأنفال : ٣١

بهذا في آياتنا الأولين) (١) وقالوا : ﴿ يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ (٢) وقالوا : ﴿ أفأتأتون السحر وأنتم تبصرون ﴾ (٣) وقالوا : ﴿ أينألتاركوآ آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ وقال الذين كفروا : إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ؛ فقد جاءوا ظلماً وزوراً ، وقالوا : أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة / وأصيلاً ﴾ (٥) ، ﴿ وقال الظالمون : إن نتبعون إلا رجلاً مسحوراً ﴾ (٦) ، وقوله : ﴿ الذين جعلوا القرآن عصين ﴾ (٧) .

٣٠

إلى آيات كثيرة في نحو هذا ، تدل على أنهم كانوا متحيرين في أمرهم ، متعجبين من عجزهم ، يفزعون إلى نحو هذه الأمور : من تعليل وتعذير ، ومدافعة بما وقع التحدى إليه ، ووجد (٨) الحث عليه .

وقد علم منهم أنهم ناصبوه الحرب ، وجاهدوه (٩) ونابذوه ، وقطعوا الأرحام ، وأخطروا بأنفسهم ، وطالبوه بالآيات والإتيان [بالملائكة] وغير ذلك من المعجزات ، يريدون تعجيزه ليظهروا عليه بوجه من الوجوه .

فكيف يجوز أن يقدرُوا على معارضته القريبة السهلة عليهم - وذلك يدحض حجته ، ويفسد دلالاته ، ويبطل أمره - فيعدلون عن ذلك إلى سائر ما صاروا إليه من الأمور التي ليس عليها مزيد في المنابذة والمعاداة ، ويتركون الأمر الخفيف !؟

هذا مما يمتنع وقوعه في العادات ، ولا يجوز اتفاقه (١٠) من العقلاء .

وإلى هذا [الموضوع] قد استقصى أهل العلم الكلام ، وأكثرُوا في هذا المعنى وأحكموه .

ويمكن أن يقال : إنهم لو كانوا قادرين على معارضته والإتيان بمثل ما أتى به ، لم يجوز أن يتفق منهم ترك المعارضة ، وهم على ما هم عليه من

٣١

(٢) سورة الحجر : ٦

(٤) سورة الصافات : ٣٦

(٦) سورة الفرقان : ٨

(٨) س ، « وعرف »

(١٠) س : « إتقانه »

(١) سورة القصص : ٣٦

(٣) سورة الأنبياء : ٣

(٥) سورة الفرقان : ٤ و ٥

(٧) سورة الحجر : ٩١

(٩) س : « وجاهروه »

الذَّرابَةِ والسَّلَاقَةِ^(١) ، والمعرفة بوجوه الفصاحة ؛ وهو يستطيل عليهم بأنهم عاجزون عن مباراته ، وأنهم يَضْعُفُونَ عن مجاراته . ويكرر^(٢) فيما جاء به ذكرَ عجزهم عن مثل ما يأتي به ، ويقرعهم ويؤنبهم عليه ، ويُدْرِكُ آماله فيهم ، وينجح ما سعى له في تركهم^(٣) المعارضة .

وهو يذكر فيما يتلوه تعظيم شأنه ، وتفخيم أمره ، حتى يتلو قوله تعالى : ﴿ قُلْ لئن اجتمعتِ الإنسُ والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾^(٤) ، وقوله : ﴿ يُنزلُ الملائكةَ بالروحِ مِنْ أمرِهِ على مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ ولقد آتيناكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي وَالقرآنَ العَظيمِ ﴾^(٦) ، وقوله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذِّكْرَ وإنا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٧) ، وقوله : ﴿ وإِنَّهُ لَدِكرٌ لكَ وَلِقَوْمِكَ وَسوف تُسْئَلُونَ ﴾^(٨) وقوله : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(٩) ، وقوله : ﴿ اللهُ نزلَ أحسنَ الحَدِيثِ كِتاباً مُتَشَابِهاً مَثانِي تَقشَعِرُّ مِنْهُ جلودُ الَّذِينَ يَخشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلِينُ جلودُهُمْ وَقلوبُهُمْ إلى ذِكرِ اللهِ ﴾^(١٠) .

إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن تعظيم شأن القرآن . فمنها ما يتكرر في السورة في مواضع منها ، ومنها ما ينفرد فيها . وذلك مما يدعوهم إلى المباراة ، ويحضهم على المعارضة ، وإن لم يكن متحدياً إليه .
ألا ترى أنهم قد ينافر شعراؤهم بعضهم بعضاً ؟ ولهم في ذلك مواقف معروفة ، وأخبار مشهورة ، وآثار منقولة مذكورة^(١١) . وكانوا يتنافسون على الفصاحة والخطابة والذَّلَاقَةِ ، ويتبجحون بذلك ، ويتفاخرون بينهم .

(١) في اللسان ١٢ / ٢٥ : « وعلقه بلسانه يسلفه سلقاً : أسمه ما يكرر فأكثر ، وعلقه بالكلام سلقاً : إذا آذاه ، وهو شدة القول باللسان ، وفي التنزيل : (سلقوكم بالسنة حداد) أي بالنوا فيكم بالكلام وخاصموكم في الغنيمة أشد مخاصمة وأبلغها »

(٢) س : « ما يسعى له يتركهم »

(٢) م ، ا « وتكرر »

(٥) سورة النحل : ٢

(٤) سورة الإسراء : ٨٨

(٧) سورة الحجر : ٩

(٦) سورة الحجر : ٨٧

(٩) سورة البقرة : ٢

(٨) سورة الزخرف : ٤٤

(١١) س : « وأيام منقولة وكانوا »

(١٠) سورة الزمر : ٢٣

فلن يجوز - والمحال هذه - أن يتغافلوا عن معارضته لو كانوا قادرين عليها ،
تحداهم أو لم يتحداهم إليها .

ولو كان هذا القبيل مما يقدر عليه البشر ، لوجب في ذلك أمر آخر ،
وهو : أنه لو كان مقدوراً للعباد لكان قد اتفق إلى وقت مبعثه من هذا
لقبيل ما كان يمكنهم أن يعارضوه به ، وكانوا لا يفتقرون إلى تكلف
وضعه ، وتعمل نظمه في الحال .

333 / فلما لم نرهم احتجوا عليه بكلام سابق ، وخطبة متقدمة ، ورسالة سائلة ،
ونظم بديع ، ولا عارضوه به فقالوا : هذا أفصح مما جئت به وأعرب منه أو هو
مثله - علم أنه لم يكن إلى ذلك سبيل ، وأنه لم يوجد له نظير .

ولو كان وجد له مثل لكان يُنقل إلينا ، ولعرفناه ، كما نُقل إلينا أشعارُ
أهل الجاهلية ، وكلامُ الفصحاء والحكماء من العرب ، وأدبنا كلامُ الكهان
وأهل الرجز والسجع والقصيد ، وغير ذلك من أنواع بلاغاتهم ، وصنوف فصاحتهم .
فإن قيل : الذي بُني عليه الأمر في تثبيت معجزة القرآن : أنه وقع التحديّ
إلى الإتيان بمثله ، وأنهم عجزوا عنه بعد التحديّ إليه . فإذا نظر الناظر وعرف
وجه النقل المتواتر في هذا الباب - وجب له العلم بأنهم كانوا عاجزين عنه .
وما ذكرتم يوجب سقوط تأثير التحديّ ، وأن ما أتى به قد عُرِف العجزُ عنه بكل حال .
قيل : إنما احتيج إلى التحديّ لإقامة الحجّة ، وإظهار وجه البرهان [على الكافة] .

34 لأن المعجزة إذا ظهرت فإنما تكون حجةً بأن يدعيها . من ظهرت عليه ، ولا تظهر
على مدّعيها إلا وهي معلومة أنها من عند الله . فإذا كان يظهر وجه الإعجاز فيها
للكافة بالتحديّ وجب فيها التحديّ . لأنه تزول بذلك الشبهة عن الكل ،
وينكشف للجميع أن العجز واقع عن المعارضة . وإلا كان (١) مقتضى ما قدمناه
من الفصل أن من كان يعرف وجوه الخطاب ، ويفتتن في مصارف (٢) الكلام ،
وكان كاملاً في فصاحته ، جامعاً للمعرفة بوجوه الصناعة - لو أنه احتج عليه
بالقرآن ، وقيل له : إن الدلالة على النبوة والآية للرسالة ما تلوته (٣) عليك منه ،

(٢) س : « ويتقن مصارف » .

(١) س : « وإلا فإن » .

(٣) س : « على الرسالة ما أتوه » .

لكان ذلك بالغاً^(١) في إيجاب الحجّة [عليه] ، وتاماً في إلزامه فرضَ المصير إليه .

وما يؤكد هذا : أن النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا الآحاد إلى الإسلام ، محتجاً عليهم بالقرآن ، لأننا نعلم [ضرورة] أنه لم يُلزمهم تصديقه تقليداً ، ونعلم أن السابقين الأولين إلى الإسلام لم يقلدوه ، إنما دخلوا على بصيرة . ولم نعلمه قال لهم : ارجعوا إلى جميع الفصحاء ، فإن عجزوا عن الإتيان بمثله فقد ثنتُ حجتى .

بل لما رآهم يعلمون إعجازه ، ألزمهم حكمه فقبلوه ، وتابعوا الحق ، وبادروا إليه مستسلمين ، ولم يشكوا في صدقه ، ولم يرتابوا في وجه دلالته .

فمن كانت بصيرته أقوى ، ومعرفته أبلغ ، كان إلى القبول منه / أسبق . ٣٥
ومن اشتبه عليه وجه الإعجاز ، أو خفي^(٢) عليه بعض شروط المعجزات وأدلة النبوات — كان أبطأ إلى القبول ، حتى تكاملت أسبابه ، واجتمعت له بصيرته وترادفت عليه موادّه .

وهذا فصل يجب أن يتمم القول فيه [من] بعد ، فليس هذا بموضع له .
ويبين ماقلناه : أن هذه الآية علمٌ يلزم الكلّ قبوله والانقياد له ؛ وقد علمنا تفاوت الناس في إدراكه ، ومعرفة وجه دلالته ؛ لأن الأعجمي لا يعلم أنه معجز إلا بأن يعلم عجزَ العرب عنه . وهو يحتاج في معرفة ذلك إلى أمور لا يحتاج إليها من كان من أهل صنعة الفصاحة . فإذا عرف عجز أهل الصنعة حلّ محلهم ، وجرى مجراهم في^(٣) توجه الحجّة عليه .

وكذلك لا يعرف المتوسط من أهل اللسان ، من هذا الشأن ، ما يعرفه العالی في هذه الصنعة . فربما حل في ذلك محل الأعجمي ، في أن لا تتوجه عليه الحجّة حتى يعرف عجز المتناهي في الصنعة عنه .

وكذلك لا يعرف المتناهي في معرفة الشعر وحده ، أو الغاية في معرفة الخطب أو الرسائل وحدهما — [من] غَوْرَ هذا الشأن — ما يعرف من استكمل معرفة

(٢) س : « واشتبهه » .

(١) س : « بلاغاً » .

(٣) ١ : « من » .

٣٦ جميع تصارييف الخطاب ووجوه / الكلام وطرق البراعة . فلا تكونُ الحجةُ قائمةً على المختصّ ببعض هذه العلوم بانفرادها دون تحقّقه لعجز^(١) البارِع في هذه العلوم كلها عنه .

فأما مَنْ كان متناهيّاً في معرفة وجوه الخطاب وطرق البلاغة والفنون التي يمكن فيها إظهار الفصاحة ، فهو متّسى سمع القرآن عرف إعجازه . وإن لم نقل ذلك أدّى هذا القول إلى أن يقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف إعجاز القرآن حين أوحى إليه ، حتى سبر الحال بعجز أهل اللسان عنه ! وهذا خطأ من القول .

فصح من هذا الوجه أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أوحى إليه القرآن عرف كونه معجزاً ، أو عرف - بأن^(٢) قيل له : إنه دلالة وعلم على نبوتك . - أنه كذلك ، من قبل أن يقرأه على غيره أو يتحدّى إليه سواه .

ولذلك قلنا : إن المتناهي في النصيحة والعلم بالأساليب التي يقع فيها التفاسيح ، متى سمع القرآن عرف أنه معجز ؛ لأنه يعرف من حال نفسه أنه لا يقدر عليه ، وهو يعرف من حال غيره مثل ما يعرف من حال نفسه ، فيعلم أن عجز غيره كعجزه هو . وإن كان يحتاج بعد هذا إلى / استدلال آخر على أنه علم على نبوته ، ودلالة على رسالته^(٣) بأن يقال له : إن هذه آية لنبيّ ، وإنها^(٤) ظهرت عليه ، وادّعاها معجزةً له ، وبرهاناً على صدقه .

٣٧ فإن قيل : فإن من الفصحاء من يعلم عجز نفسه عن قول الشعر ، ولا يعلم مع ذلك عجز غيره عنه . فكذلك البليغ ، وإن علم عجز نفسه عن مثل القرآن ، فهو يخفي عليه عجز غيره .

قيل : هو مع مستقرّ العادة ، وإن عجز عن قول الشعر ، وعلم أنه مفحم ، فإنه يعلم أن الناس لا ينفكون من وجود الشعراء فيهم .

ومتى علم البليغ المتناهي في صنوف البلاغات عجزه عن القرآن ، علم عجز غيره عنه ، وأنه كهو ، لأنه^(٥) يعلم أن حاله وحال غيره في هذا الباب سواء .

(١) س : « يعجز » . (٢) س : « معجزاً ، وبأن قيل » .

(٣) س : « على نبوة . . . على رسالة » . (٤) س : « لنبية وإماما » .

(٥) س : « غيره لأنه كهو لأنه »

إذ ليس في العادة مثل للقرآن يجوز أن^(١) يعلم قدرة أحد من البلغاء عليه . فإذا لم يكن لذلك مثل في العادة - وعرف هذا الناظر جميع أساليب الكلام ، وأنواع الخطاب ، ووجد القرآن مبايناً لها - علم خروجه عن العادة ، وجرى مجرى ما يعلم أن إخراج اليد البيضاء من الجيب خارج عن العادات ، فهو لا يجوز من نفسه ، وكذلك لا يجوز وقوعه من غيره ، إلا على وجه نقض العادة ، بل يرى وقوعه / موقع المعجزة . وهذا وإن كان يفارق فلق البحر ، وإخراج اليد البيضاء ونحو ذلك من وجه ، فهو^(٢) أنه يستوي الناس في معرفة عجزهم عنه ، بكونه^(٣) ناقصاً للعادة ، من غير تأمل شديد ، ولا نظر بعيد . فإن النظر في معرفة إعجاز القرآن يحتاج إلى تأمل ، ويفتقر إلى مراعاة مقدمات ، والكشف عن أمور نحن ذاكرها بعد هذا الموضوع . فكل واحد منهما^(٤) يؤول إلى مثل حكم صاحبه ، في الجمع الذي قدمناه .. وما يبين ما قلناه - : من أن البليغ المتناهي في وجوه الفصاحة يعرف إعجاز القرآن ، وتكون معرفته حجة عليه ، إذا تحدى إليه وعجز عن مثله ، وإن لم ينتظر وقوع التحدي في غيره ، وما الذي يصنع ذلك بالغير . - فهو ماروي في الحديث أن جببير بن مطعم ورد على النبي صلى الله عليه وسلم في معننى حليف له ، أراد أن يفاديه ، فدخل والنبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة ﴿ والطور وكتاب مسطور ﴾ في صلاة الفجر ، قال : فاما انتهى إلى قوله : ﴿ إن عذاب ربك لواقع ﴾ ، ماله من دافع ﴾ ، قال : خشيت أن يدركني العذاب . فأسلم^(٥) . وفي حديث آخر : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع سورة ﴿ طه ﴾ فأسلم^(٦) .

٣٨ / وقد روى أن قوله عز وجل في أول ﴿ حم ﴾ السجدة إلى قوله : ﴿ فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴾^(٧) نزلت في شيبه وعتبة ابني ربيعة ، وأبي سفيان بن حرب ، وأبي جهل . وذكر أنهم بعثوا هم وغيرهم من وجوه قريش ، بعتبة بن ربيعة

(١) س : « للقرآن يجوز أو » . (٢) س : « وهو أنه » .
(٣) س : « فكونه » . (٤) س : « منها » .
(٥) راجع البخارى ٢٤٩/٧ (من الفتح) والإصابة ١/٢٣٥ - ٢٣٦ .
(٦) راجع الإصابة : ٤/٢٨٠ .
(٧) سورة فصلت : ٤ .

إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليكلمه ، وكان حسن الحديث ، عجيب البيان (١) ، بليغ الكلام ؛ وأرادوا أن يأتيهم بما عنده ، فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة ﴿حَم﴾ السجدة ، من أولها حتى انتهى إلى قوله : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقْتُلْ أَنْذَرْتُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثَمُودَ﴾ ، فوثب مخافة العذاب ، فاستحكه ما سمع فذكر أنه لم يفهم (٢) منه كلمة واحدة ، ولا اهتدى لجوابه . ولو كان ذلك من جنس كلامهم لم يخف عليه وجه الاحتجاج والرد . فقال له عثمان بن مظعون : لتعلموا أنه من عند الله ، إذ لم يهتد لجوابه (٣) .

وَأَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ، حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ، ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ (٤) فجعل سماعه حجة عليه بنفسه ، فدل على أن يفهم من يكون سماعه إياه حجة عليه .

فإن قيل : لو كان [كذلك] على ما قلتم ، لوجب أن يكون حال / الفصحاء الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، على طريقة واحدة في إسلامهم عند سماعه . قيل له : لا يجب ذلك ؛ لأن صَوَارِفَهُمْ كانت كثيرة ، منها أنهم كانوا يشكّون : ففيهم (٥) من يشك في إثبات الصانع ، وفيهم من يشك في التوحيد ، وفيهم من يشك في النبوة . ألا ترى أن أباسفيان بن حرب ، لما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم عام الفتح ، قال له النبي عليه السلام : أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله؟ قال : بلى . فشهد ، قال : أما آن لك أن تشهد أني رسول الله؟ قال : أما هذه فني النفس منها شيء ؟ !

فكانت وجوه شكوكهم مختلفة ، وطرق شبههم متباينة : فمنهم من قلّت شبهه ، وتأمل الحجة حق تأملها ولم يستكبر ، فأسلم . ومنهم من كثرت شبهه ، أو أعرض (٦) عن تأمل الحجة حق تأملها ، أو لم يكن في البلاغة على حدود النهاية ، فتناول عليه الزمان إلى أن نظر واستبصر ، وراعى واعتبر ، واحتاج إلى أن يتأمل (٧) عجزاً غيره عن الإتيان بمثله ، فلذلك وقف أمره .

(٢) س : « لم يسمع »

(١) س : « عجيب الشأن »

(٣) راجع تفسير القرطبي ١ / ٣٣٨ .

(٥) س : « يشكون منهم »

(٤) سورة التوبة : ٦

(٧) م : « إلى تأمل »

(٦) م ، س : « وأعرض »

ولو كانوا فى الفصاحة على مرتبة واحدة ، وكانت صوارفهم وأسبابهم متفقة -
لتوافوا إلى القبول جملة واحدة .

٤١ / فإن قيل : فكيف يعرف البليغ الذى وصفتموه إعجاز القرآن ؟ وما الوجه الذى يتطرق به إليه ، والمنهاج الذى يسلكه ، حتى يقف به على جلية الأمر فيه ؟
قيل : هذا سبيله أن يفرد له فصل .

* * *

فإن قيل : فلم زعمتم أن البلغاء عاجزون عن الإتيان بمثله مع قدرتهم على صنوف
البلاغات ، وتصرفهم فى أجناس الفصاحات ؟ وهلاً قلم : إن من قدر على جميع
هذه الوجوه البديعة بوجه^(١) من هذه الطرق الغريبة - كان على مثل نظم القرآن قادراً ،
وإنما يصرفه الله عنه ضرباً من الصرف ، أو يمنعه من الإتيان بمثله ضرباً من المنع ،
أو تقصر دواعيه [إليه] دونه ، مع قدرته عليه . ليتكامل ما أراه الله من الدلالة ،
ويحصل ما قصده من إيجاب الحجة ؛ لأن من قدر على نظم كلمتين بديعتين ،
لم يعجز عن نظم مثلها ، وإذا قدر على ذلك قدر على ضم الثانية إلى الأولى ،
وكذلك الثالثة ، حتى يتكامل قدر الآية والسورة ؟

فالجواب : أنه لو صح ذلك لصح لكل من أمكنه نظم ريع بيت ، أو مصراع
من بيت - أن ينظم القصائد ويقول الأشعار ، وصح لكل ناطق - قد يتفق فى
كلامه الكلمة البديعة - نظم الخطب البليغة والرسائل العجيبة ! ومعلوم أن ذلك
غير سائغ ولا ممكن .

٤٢ على أن ذلك لو لم يكن معجزاً على ما وصفناه من جهة نظمه / الممتنع ، لكان
مهما حظ من رتبة البلاغة فيه ، ومنع^(٢) من مقدار الفصاحة فى نظمه ، [كان]
أبلغ فى الأعجوبة^(٣) ، إذا صرفوا عن الإتيان بمثله ، ومنعوا من^(٤) معارضته ،
وعدلت دواعيهم عنه ، فكان يستغنى عن إنزاله على النظم البديع ، وإخراجه فى^(٥)
المعرض الفصيح العجيب .

(٢) س : « ووضع »

(١) س : « وتوجه »

(٤) س : « عن »

(٣) م : « فى العجوبة »

(٥) م : « على »

على أنه لو كانوا صُرفوا على ما ادعاه ، لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجيب الرصف . لأنهم لم يتحدوا إليه ، ولم تلزمهم حجته .
فلمّا لم يوجد في كلام من قبله مثله ، علم أن ما ادعاه القائل « بالصرفة » ظاهر البطلان .

وفيه معنى آخر ، وهو : أن أهل الصنعة في هذا الشأن إذا سمعوا كلاماً مطمئناً لم يخفَ عليهم ، ولم يشبهه لديهم .
ومن كان متناهيّاً في فصاحته لم يجز أن يطمع في مثل هذا القرآن بحال .
فإن قال صاحب السؤال : إنه قد يطمع في ذلك .

قيل له : أنت تزيد على هذا فتزعم أن كلام الأدي قد يضارع القرآن ، وقد يزيد / عليه في الفصاحة ولا يتحاشاه ، ويحسب أن ما ألفه^(١) في الجزء والطفرة هو أبداع وأعرب من القرآن لفظاً ومعنى ! ولكن ليس الكلام على ما يقدره مقدر في نفسه ، ويحسبه ظاناً من أمره . والمرجوع في هذا إلى جملة الفصحاء دون الآحاد . ونحن نبين بعد هذا وجه امتناعه عن الفصيح البليغ ، ونميزه في ذلك عن سائر أجناس الخطاب ، ليعلم أن ما يقدره من مساواة كلام الناس به تقدير ظاهر الخطأ بيّن الغلط ، وأن هذا التتمديد من جنس من حكى الله تعالى قوله في محكم كتابه : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ، فَتَمَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾^(٢) فهم يعبرون عن دعوهم : أنهم يمكنهم أن يقولوا مثله ، وأن^(٣) ذلك من قول البشر ؛ لأن لها كان من قولهم فليس يقع فيه التفاضل إلى الحد الذي يتجاوز إمكان معارضته .

وما يبطل ما ذكروا من القول « بالصرفة » أنه لو كانت المعارضة ممكنة — وإنما ممتنع منها « بالصرفة » — لم يكن الكلام معجزاً ، وإنما يكون المنع هو المعجز^(٤) ، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه .

(٢) سورة المدثر: ١٨ - ٢٥

(٤) س : « النع معجزاً »

(١) م : « أن ما قد ألفه »

(٣) س : « بأن »

٤٤ / وليس هذا بأعجب مما ذهب إليه فريق منهم : أن الكل قادرون على الإتيان بمثله ، وإنما يتأخرون عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا إليه به .
ولا بأعجب من قول فريق منهم : إنه لافرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى في هذا الباب ، وإنه يصح من كل واحد منهما الإعجاز على حد واحد .

فإن قيل : فهل تقولون بأن غير القرآن من كلام الله عز وجل معجز ، كالتوراة والإنجيل والصحف ؟

قيل : ليس شيء من ذلك بمعجز^(١) في النظم والتأليف ، وإن كان معجزاً كالقرآن فيما يتضمن من الإخبار عن الغيوب^(٢) .

وإنما لم يكن معجزاً لأن الله تعالى لم يصفه بما وصف به القرآن ، ولأننا قد علمنا أنه لم يقع التحدي إليه كما وقع التحدي إلى القرآن .

ولغنى آخر ، وهو أن ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ، ما يقع به التفاضل الذي ينتهي إلى حد الإعجاز ، ولكنه يتقارب . وقد رأيت أصحابنا يذكرون هذا في سائر الألسنة ، ويقولون : ليس / يقع فيها من التفاوت ما يتضمن التقديم العجيب . ويمكن بيان ذلك بأننا^(٣) لانجد في القدر الذي نعرفه من الألسنة للشيء الواحد ، من الأسماء مانعرف من اللغة ، وكذلك لانعرف فيها الكلمة الواحدة تتناول المعاني الكثيرة على ما تتناوله العربية ، وكذلك التصرف في الاستعارات والإشارات ، ووجوه الاستعمالات البديعة ، التي يجيء تفصيلها بعد هذا .

ويشهد لذلك من القرآن : أن الله تعالى وصفه بأنه : ﴿ بلسان عربي مبين ﴾^(٤) وكرر ذلك في مواضع كثيرة ، وبيّن أنه رفعه عن أن يجعله أعجمياً .

فلو كان يمكن في لسان العجم إيراد مثل فصاحته ، لم يكن ليرفعه عن هذه المنزلة . وأنه وإن كان يمكن أن يكون من فائدة قوله : إنه عربي مبين ، أنه مما يفهمونه ولا يفتقرون فيه إلى الرجوع إلى غيرهم ، ولا يحتاجون في تفسيره إلى سواهم^(٥) ، فلا يمتنع أن يفيد ما قلناه أيضاً ، كما أفاد بظاهره ما قدّمناه .

وبيّن ذلك أن كثيراً من المسلمين قد عرفوا تلك الألسنة ، وهم من أهل

(٢) س : « الإخبار بالغيوب »

(٤) سورة الشعراء : ١٩٥

(١) م : « معجز »

(٣) م : « فإنا »

(٥) س : « إلى من »

٤٦ البراعة فيها ، وفي العربية ، فقد وقفوا على أنه ليس فيها / من التفاضل والفصاحة ، ما يقع في العربية . ومعنى آخر ، وهو أنا لم نجد أهل التوراة والإنجيل ادّعوا الإعجاز لكتابهم ، ولا ادّعى لهم المسلمون . فعلم أن الإعجاز مما يختص به القرآن .
ويبين هذا أن الشعر لا يتأق في تلك الألسنة ، على ما قد اتفق في العربية . وإن كان قد يتفق منها صنف أو أصناف ضيقة ، لم يتفق فيها من البديع ما يمكن ويستأق في العربية . وكذلك لا يتأق في الفارسية جميع الوجوه التي تبين فيها الفصاحة ، على ما يتأق في العربية .

فإن قيل : فإن المجوس تزعم أن كتاب زرادشت ، وكتاب ماني معجزان ؟
قيل : الذي يتضمنه كتاب ماني ، من طرق النيرنجات^(١) ، وضروب من الشعوذة ، ليس يقع فيها إعجاز . ويزعمون أن في الكتاب الحكيم ، وهي حكم منقولة ، متداولة على الألسن^(٢) ، لا تختص بها أمة دون أمة ، وإن كان بعضهم أكثر اهتماماً بها ، وتحصيلاً لها ، وجمعاً لأبوابها .

٤٧ وقد ادّعى قوم أن « ابن المقفع » عارض القرآن ، وإنما فزعوا إلى « الدرّة » و « التليمية » . وهما كتابان : أحدهما يتضمن حكماً منقولة ، توجد عند / حكماء كل أمة مذكورة بالفضل . فليس فيها^(٣) شيء بديع من لفظ ولا معنى .
والآخر في شيء من الديانات ، وقد تهوَّس فيه بما لا يخفى على متأمل .
وكتابه الذي بيناه في الحكيم ، منسوخ من كتاب بزرجمهر في الحكمة .
فأى صنع له في ذلك ؟ وأي فضيلة حازها فيما جاء به ؟

وبعد ، فليس يوجد له كتاب يدّعى مدع أنه عارض فيه القرآن ، بل يزعمون أنه اشتغل بذلك مدة ، ثم مزق ما جمع ، واستحيا لنفسه من إظهاره . فإن كان كذلك ، فقد أصاب وأبصر القصد ، ولا يمتنع أن يشبهه عليه الحال في الابتداء ثم يلوح له رشده ، ويتبين له أمره ، وينكشف له عجزه . ولو كان بقي على اشتباه الحال عليه ، لم يخف علينا موضع غفلته ، ولم يشبهه لدينا وجه شبهته .
ومتى أمكن أن تدعى الفرس في شيء من كتبها أنه معجز في حسن تأليفه ، وعجيب نظمه ؟

(١) النيرنجات : ضروب من السحر وليست به ، إنما هي تخيل وتليس . كما في تاج العروس

١٠٥/٢ (٢) م : « الألسن التي » . (٣) م : « فليس في هذا منها شيء »

في جملة وجوه إعجاز القرآن

ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز :
 أحدها : يتضمن الإخبار عن الغيوب ، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ،
 ولا سبيل لهم إليه . فمن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه ، عليه السلام ، أنه سيظهر دينه
 على الأديان ، بقوله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ،
 لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾^(١) ، ففعل ذلك .
 وكان أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم
 الله ، من إظهار دينه . ليثقوا بالنصر ، ويستيقنوا بالنجح .

وكان عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، يفعل كذلك في أيامه ، حتى وقّف
 أصحابُ جيوشه عليه ، فكان سعد بن أبي وقاص ، رحمه الله ، وغيره من أمراء
 الجيوش ، من جهته ، يذكر ذلك لأصحابه ، ويحرضهم / به ، ويوثق لهم ؛ وكانوا
 يُلَقِّقُونَ الظفر في مُتَوَجِّهَاتِهِمْ^(٢) ، حتى فُتِّحَ إلى آخر أيام عمر ، رضى الله
 عنه ، إلى بلخ ، وبلاد الهند ، وفتح في أيامه مرو الشاهجان ، ومرو الروذ ،
 ومنعهم من العبور إلى جيحون^(٣) ، وكذلك فتح في أيامه فارس إلى إصطخر^(٤) ،
 وكرمان ، ومكران ، وسجستان ، وجميع ما كان من مملكة كسرى ، وكل ما كان
 يملكه ملوك فارس ، بين البحرين من الفرات إلى جيحون ، وأزال ملك ملوك الفرس ،
 فلم يعد إلى اليوم ، ولا يعود أبداً ، إن شاء الله تعالى ، ثم إلى حدود إرمينية ،
 وإلى باب الأبواب . وفتح أيضاً ناحية الشام ، والأردن ، وفلسطين ، وفسطاط
 مصر ، وأزال ملك قيصر عنها ، وذلك من الفرات إلى بحر مصر ، وهو ملك
 قيصر . وغزت الخيول في أيامه إلى عمّورية ، فأخذ الضواحي كلها ، ولم يبق

(٢) س : « في موجاتهم »

(٤) ا : « إلى الإصطخر »

(١) سورة التوبة : ٣٣

(٣) س : « بمجيحون »

منها^(١) إلا ما حَجَّزَ دونهُ بَحر ، أو حال عنه جبل منيع ، أو أرض خشنة ، أو بادية غير مسلوكة .

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُّغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾^(٢) ، فصدق فيه .

/ وقال في أهل بدر : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾^(٣) .
ووفى لهم بما وعد .

وجميع الآيات التي يتضمنها القرآن ، من الإخبار عن الغيوب ، يكثر جداً ، وإنما أردنا أن ننبه بالبعض على الكل .

* * *

والوجه الثاني : أنه كان معلوماً من حال النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه كان أميناً لا يكتب ، ولا يحسن أن يقرأ .

وكذلك كان معروفاً من حاله أنه لم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين ، وأقاصيصهم وأنبأئهم وسيرهم . ثم أتى بحمل ما وقع وحدث من عظيماات الأمور ، ومهمات السير ، من حين خلق الله آدم عليه السلام ، إلى حين مبعثه ، فذكر في الكتاب ، الذي جاء به معجزة له : قصة آدم عليه السلام ، وابتداء خلقه . وما صار أمره إليه من الخروج من الجنة . ثم جملاً من أمر ولده وأحواله وتوبته ؛ ثم ذكر قصة نوح عليه السلام ، وما كان بينه وبين قومه ، وما انتهى إليه أمرهم^(٤) . وكذلك أمر إبراهيم عليه السلام ، إلى ذكر سائر الأنبياء المذكورين في القرآن ، والملوك والفراعنة الذين كانوا في أيام الأنبياء ، صلوات الله عليهم .

/ ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه ، إلا عن تعلم ؛ وإذ كان معروفاً أنه لم يكن ملائساً لأهل الآثار وحملة الأخبار ، ولا متردداً إلى التعلم منهم ، ولا كان ممن يقرأ ، فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه — علم أنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي . ولذلك قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَا رَتَابَ الْمُبْتَلُونَ ﴾^(٥) وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾^(٦) . وقد بينا أن من

(٢) سورة آل عمران : ١٢

(٤) س ، م : « إني أمره »

(٦) سورة الأنعام : ١٠٥

(١) س : « دونها »

(٣) سورة الأنفال : ٧

(٥) سورة العنكبوت : ٤٨

كان يختلف إلى تعلم علم ، ويشغل بملاسة أهل صنعة ، لم يخف على الناس أمره ، ولم يشبهه ^(١) عندهم مذهبه ، وقد كان يعرف فيهم من يحسن هذا العلم ، وإن كان نادراً ، وكذلك كان يعرف من يختلف إليه للتعليم ، وليس يخفى في العرف عالم كل صنعة ومتعلمها ، فلو كان منهم لم يخف أمره .

والوجه الثالث : أنه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يُعلم عجز الخلق عنه .

والذي أطلقه العلماء هو على هذه الجملة ، ونحن نفصل ذلك بعض التفصيل ، ونكشف الجملة التي أطلقوها .

فالذي يشتمل عليه بديع نظمه ، المتضمن للإعجاز وجوه :

- ٥٢ منها : ما يرجع إلى الجملة ، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه ، / وتباين ^(٢) مذاهبه - خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد . وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم ، تنقسم إلى أعاريض الشعر ، على اختلاف أنواعه ، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى ، ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع ، ثم إلى معدل موزون غير مسجع ، ثم إلى ما يرسل إرسالاً ، فتطلب فيه الإصابة والإفادة ، وإفهام المعاني المعترضة على وجه بديع ، ترتيب لطيف ، وإن لم يكن معتدلاً في وزنه ، وذلك شبيه ^(٣) بجملة الكلام الذي لا يتعمل [فيه] ، ولا يتصنع له . وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه ، ومباين لهذه الطرق . ويبقى علينا أن نبين أنه ليس من باب السجع ، ولا فيه شيء منه ، وكذلك ليس من قبيل الشعر ؛ لأن من الناس من زعم أنه كلام مسجع ، ومنهم من يدعى ^(٤) فيه شعراً كثيراً . والكلام عليهم يذكر بعد هذا الموضع . فهذا إذا تأمله المتأمل تبين - بخروجه عن أصناف كلامهم ، وأساليب خطابهم - أنه خارج عن العادة ، وأنه معجز . وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن ، وتتميز حاصل في جميعه .

* * *

(٢) س : « واختلاف »

(٤) س : « أن فيه »

(١) س : « ولم يختلف »

(٣) م : « يشبهه »

/ ومنها أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة ، والتصريف البديع ، والمعاني اللطيفة ، والفوائد الغزيرة ، والحكم الكثيرة ، والتناسب في البلاغة . والتشابه في البراعة ، على هذا الطول ، وعلى هذا القدر . وإنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة ، وإلى شاعرهم ^(١) قصائد محصورة ، يقع فيها ما يبينه بعد هذا من الاختلال ، ويعترضها ما تكشفه من الاختلاف ، ويشملها ^(٢) ما يبيده من التعمل والتكلف ، والتجوز والتعسف . وقد حصل القرآن على كثرته وطوله متناسباً في الفصاحة ، على ما وصفه الله تعالى به ، فقال عزَّ من قائل : ﴿ اللهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ، مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ﴾ ^(٣) وقوله : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ^(٤) فأخبر سبحانه أن كلام الآدمي إن امتد وقع فيه التفاوت ، وبأن عليه الاختلال .

وهذا المعنى هو غير المعنى الأول الذي بدأنا بذكره ، فتأمله تعرف الفصل ^(٥) .

* * *

/ وفي ذلك معنى ثالث : وهو أن عجيب نظمه ، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين ، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها : من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج ، وحكم وأحكام ، وإعذار وإنذار ، ووعد ووعيد ، وتبشير وتخويف ، وأوصاف ، وتعليم أخلاق كريمة ، وشيم رفيعة ، وسير مأثورة . وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها . ونجد كلام البليغ الكامل ، والشاعر المفلح ، والخطيب المصقع — يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور .

فن الشعراء من وجود في المدح دون الهجو .

ومهم من يبرز في الهجو دون المدح .

ومهم من يسبق في التقرير دون التأبين .

ومهم من يوجد في التأبين دون التقرير .

(٢) س : « ويقع فيها »

(٤) سورة النساء : ٨٢

(١) م : « شاعر »

(٣) سورة الزمر : ٢٣

(٥) س : « الفضل »

ومنهم من يغرب في وصف الإبل أو الخيل ، أو سير الليل ، أو وصف الحرب ، أو وصف الروض | ، أو وصف الخمر ، أو الغزل ، أو غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتناوله^(١) الكلام ، ولذلك ضرب المشكل بامرئ القيس إذا ركب ، والنابعة إذا رهب ، وبزهير إذا رغب . ومثل ذلك يختلف في الخطب والرسائل وسائر أجناس الكلام .

ومتي تأملت شعر الشاعر البليغ ، رأيت التفاوت في شعره على حسب الأحوال التي يتصرف فيها ، فيأتي بالغاية في البراعة في معنى ، / فإذا جاء إلى غيره قصر عنه ، ووقف دونه ، وبان الاختلاف على شعره ؛ ولذلك ضرب المثل بالذين سميتهم ؛ لأنه لا خلاف في تقدمهم^(٢) في صنعة الشعر ؛ ولا شك في تبريزهم في مذهب النظم . فإذا كان الاختلال يتأتى في شعرهم ، لاختلاف ما يتصرفون فيه ، ستغنيا عن ذكر من هو دونهم . وكذلك يستغنى به عن تفصيل نحو هذا في الخطب والرسائل ونحوها . ثم نجد من الشعراء من يجود في الرجز ، ولا يمكنه نظم القصيد أصلا . ومنهم من ينظم القصيد ، ولكن يقصر [تقصيرا عجيبا^(٣)] ، ويقع ذلك من رجزه موقعا بعيدا . ومنهم من يبلغ في القصيدة الرتبة العالية ، ولا ينظم الرجز ، أو يقصر [فيه مهما تكلفه أو تعمله^(٤)] .

ومن الناس من يجود في الكلام المرسل ، فإذا أتى بالموزون قصر ونقص نقصانا بيئنا^(٥) . ومنهم من يوجد بضد ذلك .

وقد تأملنا نظم القرآن ، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قد منا ذكرها ، على حد واحد ، في حسن النظم ، وبديع التأليف والرصف ، لا تفاوت^(٦) فيه ، ولا انحطاط عن المنزلة العليا ، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا . وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب ، من الآيات الطويلة والقصيرة ، فرأينا الإعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف . وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة [تفاوتاً بيناً ، ويختلف اختلافاً كبيراً . ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة] فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت

(٢) م : « في تقدمهم »

(٤) س : « عمله »

(٦) م : « لا يتفاوت »

(١) س : « ويتناوله »

(٣) س : « بينا »

(٥) س : « عجيبا »

بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة . فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر ، لأن الذى يقدر على ذلك قد بيننا فيه التفاوت الكثير ، عند التكرار وعند تباين الوجوه ، واختلاف الأسباب التى يتضمن .

* * *

ومعنى رابع : وهو أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بيّناً فى الفصل والوصل ، والعلو والنزول ، والتقريب والتبجيل ، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم ، ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع .

ألا ترى أن كثيراً من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى إلى غيره ، والخروج من باب إلى سواه . حتى إن أهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير البحرى ، مع جودة نظمه ، وحسن وصفه - فى الخروج من النسيب إلى المديح . وأطبقوا على أنه لا يحسنه ، ولا يأتى فيه بشيء ، وإنما اتفق له - فى (١) مواضع معدودة - خروج يرتضى ، وتنقل يستحسن .

وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شيء إلى شيء ، والتخول من باب إلى باب . ونحن نفصل بعد هذا ، ونفسر هذه الجملة ، ونبين (٢) أن القرآن - على اختلاف [فنونه و] ما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة - يجعل المختلف كالمؤتلف ، والمتباين كالمتناسب ، والمتنافر فى الأفراد إلى حد الآحاد . وهذا أمر عجيب ، تبين به الفصاحة ، وتظهر به البلاغة ، ويخرج معه الكلام عن حد العادة ، ويتجاوز العرف .

* * *

ومعنى خامس : وهو أن نظم القرآن وقع موقعاً فى البلاغة يخرج عن عادة كلام (٣) [الجن ، كما يخرج عن عادة كلام الإنس] . فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا ، ويقصرون دونه كقصورنا ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ (٤) .

(٢) س : « على أن »

(١) م : « فى قوله مواضع »

(٤) سورة الإسراء : ٨٨

(٣) س : « كلام الإنس والجن . فهم يعجزون »

فإن قيل : هذه دعوى منكم ، وذلك أنه لا سبيل لنا إلى أن نعلم عجز الجن عن [الإتيان] بمثله ، وقد يجوز أن يكونوا قادرين على الإتيان بمثله ، وإن كنا عاجزين ، كما أنهم قد يقدرون على أمور لطيفة ، / وأسباب غامضة دقيقة ، ٥٨ لا نقدر نحن عليها ، ولا سبيل لنا - للطفها - إليها . وإذا كان كذلك ، لم يكن إلى علم ما ادعيتهم سبيل .

قيل : قد يمكن أن نعرف ذلك بخبر الله عز وجل . وقد يمكن أن يقال : إن هذا الكلام خرج على ما كانت العرب تعتقده من مخاطبة الجن ، وما يروون لهم من الشعر ، ويحكون عنهم من الكلام ، وقد علمنا أن ذلك محفوظ عندهم منقول عنهم . والقدر الذي نقلوه [من ذلك] قد تأملناه ، فهو في الفصاحة لا يتجاوز حد فصاحة الإنس ، ولعله يقصر عنها . ولا يمتنع أن يسمع كلامهم ، ويقع بينهم وبينهم محاورات في عهد الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، وذلك الزمان مما لا يمتنع فيه وجود ما ينقض العادات . على أن القوم إلى الآن يعتقدون مخاطبة الغيلان ، ولهم أشعار محفوظة مدونة^(١) في دواوينهم . قال تأبط شرًّا^(٢) :

وأدهمَ قد جُبَّتْ جِلْبَابُهُ كما اجتابت الكاعبُ الخَيْعَلَا^(٣)
إلى أن حدا الصبحُ أَثْنَاءَهُ ومَزَّقَ جِلْبَابَهُ الأَيْلَا^(٤)
/ على شَيْمٍ نارٍ تَنَوَّرَتْهَا فبِتُّ لَهَا مُدْبِرًا مُقْبِلَا^(٥)
فَأَصْبَحَتْ وَالغَوْلُ لِي جَارَةٌ فِيا جَارَتَا أَنْتِ مَا أَهْوَلَا
وظالبتها بضعها ، فالتوت بوجه تهلّ واستغولا^(٦)
فمن سال أين ثوت جارتى فإن لها باللوى منزلا
وكنت إذا ما هممت اعتزمه ت وأحرّ إذا قلت أن أفعلا

(١) س : « مروية »

(٢) ترجمته في الشعر والشعراء ٢٧١/١ ، والأبيات في حماسة ابن الشجري ص ٤٧

(٣) الأدهم هنا : الليل . اجتابت : لبست . الخيعل : ثوب تبذله المرأة . والبيت في اللسان

٢٢٣/١٣ . وقد نسب ابن بري لحاجز السروي

(٤) حدا : ساق . أثناء الليل : أوقاته وقطعه . الأليل : الشديد الظلمة

(٥) الشيم : النظر إلى النار ، وفي حماسة ابن الشجري : « على ضوء » . تنورتها : تبصرتها

(٦) البضع : الفرج ، تهل : صار هولة ، من الهول : أي كرهه المنظر يفزع منه . واستغول : تلون

وقال آخر^(١) :

عَشَمُوا نَارِي فَقُلْتُ : مَنْوُنْ أَنْتُمْ ؟
فقلت إلى الطعام فقال منهم
ويذكرون لامرئ القيس قصيدة مع
نقلها^(٣) لطلوها . وقال عبيد بن أيوب :
/ فلله در الغول أئى رقيقة
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت
وقال ذو الرمة^(٦) بعد قوله :

قد أعسف النازح المجهول معسفه
للجن بالليل في حافاتها زجل
دوية ودجى ليل كأنهما
وقال أيضاً :

وكم عرست بعد السرى من معرس
به من كلام الجن أصوات سامر^(١٠)

(١) هوشمير بن الحارث الضبي كما في نوادر أبي زيد ص ١٢٣ . راجع خزنة الأدب ٣/٣
والحيوان ٤/٤٨٢ ، ١٩٧/٦ ، ومعنى عشا نارى : وأوها ليلا على بعد فقصدوها مستضيئين بها . وفي نوادر
أبي زيد : أتوا نارى فقلت منون قالوا سراة الجن . . .

(٢) س : « فقت إلى » (٣) س : « ذكرها »

(٤) م : « متقفر » . وفي الحيوان ٦/١٦٥ « متقتر » ، وفي منتهى الطلب « يتقتر » .

(٥) أرنت : صوت . وفي منتهى الطلب : « تعنت » ، وفي س والحيوان ٤/٤٨٢ ، ١٢٣/٥ :

(٦) ديوانه ص ٥٧٤ والحيوان ٦/١٧٥ « تبوخ وتزهر »

(٧) أعسف : أسير على غير هداية . النازح : البعيد . والأخضر هنا : الأسود ، والمراد به الليل .

وفي الديوان : « أغصف » أى أسود ، والهام : ذكر البوم ، وأثناء الصدى .

(٨) حافاتها : جوانبها . زجل : صوت . عيشوم : من ضروب النبت يتشخشش إذا هبت عليه الريح

(٩) م : « في حافاتها » . والدوية : الفلاة ، واليم : البحر . الدجى : الليل . والرطانة :

كلام العمم والروم وما ليس بعربي من اللغات . حافاته : جوانبه . شبه البرية وما تراكم عليها من سواد
الليل بالبحر وأمواجه .

(١٠) ديوانه ص ٢٩٢ والحيوان ٦/١٧٦ والتعريس : النزول آخر الليل للنوم والاستراحة .

سامر : الذين يتحدثون بالليل .

ورملٌ عَزِيفُ الجَنِّ في عَقَبَاتِهِ هَزِيرٌ كَتَضْرَابِ الْمُغْنِينِ بِالطَّبْلِ^(١)
 وإذا كان القوم يعتقدون كلام الجن ومخاطباتهم ، ويحكون عنهم ، وذلك القدر
 المحكى لا يزيد أمره على فصاحة العرب - صح ما وصف عندهم من عجزهم عنه
 كعجز الإنس .

ويبين ذلك من القرآن : أن الله تعالى حكى عن الجن ما تفاوضوا فيه من القرآن
 فقال : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا
 أَنْصِتُوا ، فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾^(٢) إلى آخر ما حكى عنهم فيما يتلوه .
 فإذا ثبت أنه وصف كلامهم ، ووافق ما يعتقدونه من نقل خطابهم ، صح
 أن يوصف الشيء المؤلف بأنه ينحط عن درجة القرآن في الفصاحة .

وهذان الجوابان أسدٌ عندى من جواب «بعض المتكلمين» عنه ، بأن عجز
 الإنس^(٣) عن القرآن يثبت له حكم الإعجاز ، فلا يعتبر غيره . / ألا ترى أنه لو عرفنا
 من طريق المشاهدة عجز الجن عنه ، فقال لنا قائل : فدُلُّوا على أن الملائكة تعجز
 عن الإتيان بمثله ، لم يكن لنا في الجواب غير هذه الطريقة التي قد بينها .
 وإنما ضعفنا هذا الجواب ، لأن الذى حُكِيَ وذكر عجزُ الجن والإنس^(٤)
 عن الإتيان بمثله - فيجب أن نعلم عجز الجن عنه ، كما علمنا عجز الإنس عنه .
 ولو كان وصف عجز الملائكة عنه ، لوجب أن نعرف ذلك أيضًا بطريقه .
 فإن قيل : أنتم^(٥) قد انتهيتُم إلى ذكر الإعجاز في التفاصيل ، وهذا الفصل
 إنما يدل على الإعجاز في الجملة ؟

قيل : هذا كما أنه يدل على الجملة ، فإنه يدل على التفصيل أيضًا ، فصح^(٦)
 أن يلحق هذا القليل . كما كان يصح أن يُلْحَق بباب الحمل .

(١) ديوانه ص ٤٨٨ والحيوان ١٧٦/٦ . وفى الديوان : « فى عقباته هدوؤا » . وعزيف الجن :
 صوت يسمع بين الرمال . وعقدات الرمل : ما انمقد منه . هدوؤا : أى بعد ساعة من الليل . هزير :
 صوت ، يعنى صوت الرحي وما أشبهها
 (٢) سورة الأحقاف : ٢٩
 (٣) م : « الإنسان »
 (٤) م : « والإنس أنهم عجزوا عن »
 (٥) م : « إنه قد »
 (٦) م : « فيصح »

ومعنى سادس : وهو أن الذى ينقسم عليه الخطاب ، من البسط والاختصار ، والجمع والتفريق ، والاستعارة والتصريح ، والتجوز والتحقيق ، ونحو ذلك من الوجوه التى توجد فى كلامهم - موجودة فى القرآن . وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم ، فى الفصاحة / والإبداع والبلاغة . وقد ضمننا بيان ذلك [من] بعد ؛ لأن الوجه هنا ذكر المقدمات ، دون البسيط والتفصيل .

* * *

ومعنى سابع : وهو أن المعانى التى تضمنها^(١) فى أصل وضع الشريعة والأحكام ، والاحتجاجات فى أصل الدين ، والرد على الملحدين ، على تلك الألفاظ البديعة ، وموافقة بعضها بعضاً فى اللطف والبراعة ، مما يتعذر على البشر ويمتنع ؛ وذلك^(٢) أنه قد علم أن تخير الألفاظ للمعانى المتداولة المألوفة ، والأسباب الدائرة بين الناس ، أسهل وأقرب من تخير الألفاظ لمعان مبتكرة ، وأسباب مؤسسة مستحدثة . فإذا برع اللفظ فى المعنى البارع ، كان اللطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع فى المعنى المتداول المتكرر ، والأمر المتقرر المتصور ، ثم انضاف إلى ذلك التصرف البديع فى الوجوه التى تتضمن تأييد ما يبتدأ تأسيسه ، ويراد تحقيقه - بان التفاضل فى البراعة والفصاحة ، ثم إذا وجدت الألفاظ وفق المعنى ، والمعانى وفقها ، لا يفضل أحدهما على الآخر - فالبراعة أظهر ، والفصاحة أتم .

* * *

ومعنى ثامن : وهو أن الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته ،/ بأن تذكر منه الكلمة فى تضاعيف كلام ، أو تقذف ما بين شعر ، فتأخذها^(٣) الأسباع ، وتشوّف إليها النفوس ، ويرى وجه رونقها بادياً غامراً سائر ما تُقرَن^(٣) به ، كالدرّة التى ترى فى سلك من خرز ، وكالياقوتة فى واسطة العقد .

وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها فى تضاعيف كلام كثير ، وهى غرة جميعه ، وواسطة عقده ، والمنادى على نفسه بتميزه وتخصصه ، برنقه وجماله ،

(١) س : « تتضمن » (٢) س : « ويمتنع ذلك »

(٣) س : « فتأخذه . . . إليه النفوس . . . وجه رونقه . . . ما يقرن »

واعتراضه في حسنه^(١) ومائه ، وهذا الفصل أيضاً مما يحتاج فيه إلى تفصيل وشرح ونص ؛ ليتحقق ما أَدْعِيَاهُ منه .

ولولا هذه الوجوه التي بينها ، لم يتحير فيه أهل الفصاحة ، ولكانوا يفرغون إلى العمل للمقابلة ، والتصنع للمعارضة ، وكانوا ينظرون في أمرهم ، ويراجعون أنفسهم ، أو كان يراجع بعضهم بعضاً في معارضته ويتوقفون لها .

فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك ، علم أن أهل المعرفة منهم بالصنعة إنما عدلوا عن هذه الأمور ؛ لعلمهم بعجزهم عنه ، وقصور فصاحتهم دونه .

ولا يمتنع أن يلتبس — على من لم يكن بارعاً فيهم ، ولا متقدماً في الفصاحة منهم — هذا الحال ؛ حتى لا يعلم إلا بعد نظر وتأمل ، وحتى / يعرف حال عجز غيره . ٦٥
إلا أنا رأينا صنائديهم وأعيانهم ووجوههم سلموا ولم يشتغلوا بذلك ، تحقّقاً بظهور العجز وتبيناً له . وأما قوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾^(٢) فقد يمكن أن يكونوا كاذبين فيما أخبروا به عن أنفسهم [وقد يمكن أن يكون قاله منهم أهل الضعف في هذه الصناعة دون المتقدمين فيها] ، وقد يمكن أن يكون هذا الكلام إنما خرج منهم ، وهو يدل على عجزهم . ولذلك أورده الله مورد تقريرهم ؛ لأنه لو كانوا على ما وصفوا به أنفسهم لكانوا يتجاوزون الوعد إلى الإنجاز ، والضمنان إلى الوفاء ؛ فلما لم يفعلوا^(٣) ذلك — مع استمرار التحدّي وتطاول زمان الفسحة في إقامة الحجة عليهم بعجزهم عنه — علم عجزهم ؛ إذ لو كانوا قادرين على ذلك لم يقتصروا على الدعوى فقط .

ومعلوم من حالهم وحميتهم أن الواحد منهم يقول في الحشرات والهوام والحيات ، وفي وصف الأزمنة والأنساع ، والأمور التي لا يؤبه لها ، ولا يحتاج إليها ، ويتنافسون في ذلك أشد التنافس ، ويتبجحون به أشد التبجح . فكيف يجوز أن تمكنهم معارضته في هذه المعاني الفسيحة ، والعبارات الفصيحة ، مع تضمن المعارضة لتكذيبه ، والذب عن أديانهم القديمة ، وإخراجهم أنفسهم من تسفيهه رأيهم ، وتضليله إياهم . والتخلص من منازعته ، ثم من محاربتة ومقارعتة .

ثم لا يفعلون شيئاً من ذلك ،/ وإنما يُحيلون أنفسهم على التعاليل ، ويعلّلونها بالأباطيل . [هذا محال] .

* * *

ومعنى تاسع ، وهو : أن الحروف التي بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفاً . وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة . وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة ، وهو أربعة عشر حرفاً . ليدل بالمذكور على غيره ، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم .

والذي تنقسم إليه هذه الحروف على ما قسمه أهل العربية وبَسَّوْا عليها وجوهها - أقسام ، نحن ذاكروها :

فمن ذلك أنهم قسموها إلى حروف مهموسة ، وأخرى مجهورة .
فالمهموسة منها عشرة : وهى الحاء ، والهاء ، والحاء ، والكاف ، والشين ، والطاء والفاء . والطاء ، والصاد ، والسين .

وما سوى ذلك من الحروف فهى مجهورة .
وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة المذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور .

وكذلك نصف الحروف المجهورة على السواء ، لا زيادة ولا نقصان .
« والمجهور » معناه : أنه حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع أن يجرى معه [النفس] حتى ينقضى لاعتماد ، ويجرى الصوت .

/ « والمهموس » كل حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس .
وذلك مما يحتاج إلى معرفته لتبني^(١) عليه أصول العربية .

وكذلك مما يقسمون إليه الحروف ، يقولون : إنها على ضربين : أحدهما حروف الخلق ، وهى ستة أحرف : العين ، والحاء ، والهمزة ، والهاء ، والحاء ، والغين .

والنصف [الآخر] من هذه الحروف المذكور في جملة الحروف التي تشتمل

عليها الحروف المثبتة^(١) في أوائل السور ، وكذلك النصف من الحروف التي ليست بحروف الحلق .

وكذلك تنقسم هذه الحروف إلى قسمين آخرين : أحدهما حروف غير شديدة ، وإلى الحروف الشديدة ، وهي التي تمنع الصوت أن يجرى فيه ، وهي الهمزة ، والقاف ، والكاف ، والجيم ، والظاء^(٢) ، والذال ، والطاء ، والياء^(٢) .

وقد علمنا أن نصف هذه الحروف أيضاً هي مذكورة في جملة تلك الحروف التي بنى عليها تلك السور .

ومن ذلك الحروف المُطَبَّقَة ، وهي أربعة أحرف ، وما سواها منفتحة . فالمطبقة : الطاء ، والظاء ، والصاد ، والضاد .

٦٨ / وقد علمنا أن نصف هذه [الحروف] في جملة الحروف المبدوء بها في أوائل السور .

وإذا كان القوم — الذين قسموا في الحروف هذه الأقسام لأغراض لهم في ترتيب العربية ، وتنزيلها بعد الزمان الطويل من عهد النبي صلى الله عليه وسلم — رأوا مباني اللسان على هذه الجهة ، وقد نبه بما ذكر في أوائل السور على ما لم يذكر ، على حد التنصيف الذي وصفنا — دل على أن وقوعها الموقع الذي يقع التواضع عليه — بعد العهد الطويل — لا يجوز أن يقع إلا من الله عز وجل ؛ لأن ذلك يجرى مجرى علم الغيوب .

وإن كان إنما تنبهوا على ما بنى عليه اللسان في أصله ، ولم يكن لهم في التقسيم^(٣) شيء ، وإنما التأثير لمن وضع أصل اللسان . فذلك أيضاً من البديع الذي يدل على أن أصل وضعه وقع موقع الحكمة التي يقصر عنها اللسان .

فإن كان أصل اللغة توقيفاً فالأمر في ذلك أبين . وإن كان على سبيل التواضع فهو عجيب أيضاً ؛ لأنه لا يصح أن تجتمع همهمم المختلفة على نحو هذا إلا بأمر من عند الله تعالى . وكل ذلك يوجب إثبات الحكمة في ذكر هذه الحروف على حد يتعلق به الإعجاز من وجه .

(١) س : « المبينة »

(٢) م : « والياء »

(٣) م : « فلم . . . في الذي قسم شيء »

وقد يمكن أن تعاد فاتحة كل سورة لفائدة^(١) تخصصها في النظم ، إذا كانت حروفاً ، كتحو (الْم) لأن الألف المبدوء بها هي أقصاها / مَطْلَعًا ، واللام متوسطة ، والميم متطرفة ؛ لأنها تأخذ في الشفة . فنبه بذكرها على غيرها من الحروف ، وبين أنه إنما أتاهم بكلام منظوم مما يتعارفون من الحروف التي تتردد بين هذين الطرفين .

ويشبه أن يكون التنصيف وقع في هذه الحروف دون الألف ، لأن الألف قد تلغى ، وقد تقع الهمزة وهي موقعاً واحداً .

* * *

ومعنى عاشرٌ ، وهو : أنه سهل سبيله ؛ فهو خارج عن الوحشى المستكره ، والغريب المستنكر ، وعن الصنعة المتكلفه . وجعله قريباً إلى الأفهام ، يبادرُ معناه لفظه إلى القلب ، ويسابق المغزى منه عبارته إلى النفس . وهو مع ذلك ممتنع المطلب ، عسير المتناول ، غير مطمئع مع قربه في نفسه ، ولا موهم مع دنوه في موقعه أن يُقدَّر عليه ، أو يُظفر به .

فأما الانحطاط عن هذه الرتبة إلى رتبة الكلام مبتذل ، والقول المسفسف ؛ فليس يصح أن تقع فيه فصاحة أو بلاغة ، فيطلب فيه الممتنع^(٢) ، أو يوضع فيه الإعجاز .

ولكن لو وضع في وحشى مستكره ، أو غمُر بوجوه الصنعة ، وأطبق بأبواب التعسف والتكلف — لكان لقاتل أن يقول فيه ويعتذر ، أو يعيب ويقرع . ولكنه أوضح مناره ، وقرب منهاجته ، وسهل سبيله ، وجعله في ذلك متشابهاً مماثلاً ، وبين مع ذلك إعجازهم فيه .

/ وقد علمت أن كلام فصحاءهم ، وشعر بلغائهم لا ينفك من تصرف في غريب مستنكر ، أو وحشى مستكره ، ومعان مستبعدة . ثم عدوهم إلى كلام مبتذل وضيق لا يوجد دنوه في الرتبة ، ثم تحوّلهم إلى كلام معتدل بين الأمرين ، متصرف بين المنزلتين .

فن شاء أن يتحقق هذا نظر في قصيدة امرئ القيس :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

ونحن نذكر بعد هذا على التفصيل ما تصرف إليه هذه القصيدة ونظائرها ومنزلتها من البلاغة ، ونذكر وجه فوت نظم القرآن محلها ، على وجه يُؤخذ باليد ، ويتناول من كَشَب ، ويَتَصَوَّر في النفس كتصور الأشكال ؛ ليتبين ما ادعيناه من الفصاحة العجيبة للقرآن .

واعلم أن من قال من أصحابنا : إن الأحكام معللة بعلم موافقة لمقتضى العقل - جعل هذا وجهاً من وجوه الإعجاز ، وجعل هذه الطريقة دلالة فيه ، كنعو ما يعللون به الصلاة ، ومعظم المروض وأصولها . ولهم في كثير من تلك العجل طرق قريبة ، ووجوه تستحسن .

وأصحابنا من أهل «خراسان» يولعون بذلك ، ولكن الأصل الذي بينون عليه عندنا غير مستقيم . وفي ذلك كلام يأتي في «كتابنا في الأصول» .

وقد يمكن في تفاصيل ما أوردنا من المعاني الزيادة والإفراد ؛ فإننا جمعنا بين أمور ، وذكرنا المزية المتعلقة بها . وكل واحد من تلك / الأمور مما قد يمكن اعتماده ٧١ في إظهار الإعجاز فيه .

فإن قيل : فهل تزعمون أنه معجز ؛ لأنه حكاية لكلام القديم سبحانه ، أو لأنه عبارة عنه ، أو لأنه قديم في نفسه ؟

قيل : لسنا نقول بأن الحروف قديمة ، فكيف يصح التركيب على الفاسد ؟ ولا نقول أيضاً : إن وجه الإعجاز في نظم القرآن [من أجل] أنه حكاية عن كلام الله^(١) ، لأنه لو كان كذلك لكانت التوراة الإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل معجزات في النظم والتأليف . وقد بينّا أن إعجازها في غير ذلك .

وكذلك كان يجب أن تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها ومنفرداً ، وقد ثبت خلاف ذلك .

في شرح ما بيننا من وجوه إعجاز القرآن

فأما الفصل الذي بدأنا بذكره من الإخبار عن الغيوب ، والصدق والإصابة في ذلك كله - فهو كقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ (١) فأغزاهم أبو بكر، وعمر، رضى الله عنهما ، إلى قتال العرب والفرس والروم .

وكقوله : ﴿ آلم . غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ (٢) . وراهن أبو بكر الصديق رضى الله عنه في ذلك ، وصدق الله وعده .

وكقوله في قصة أهل بدر : ﴿ وَإِذْ يَبْعُدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ (٣) [

وكقوله] : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونِ الدُّبُرَ ﴾ (٤)

وكقوله : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ : لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ . لَا تَخَافُونَ ﴾ (٥) .

/ وكقوله : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (٦) . وصدق الله تعالى وعده في ذلك كله وقال في قصة المُخَلَّفِينَ عَنْهُ فِي غَزْوَتِهِ : ﴿ إِنْ تَخَرَجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ (٧) . فحق ذلك كله وصدق ، ولم يخرج من المنافقين (٨) الذين خوطبوا بذلك معه - أحد .

(٢) سورة الروم : ١ - ٤

(٤) سورة القمر : ٤٥

(٦) سورة النور : ٥٥

(٨) س : « المخالفين »

(١) سورة الفتح : ١٦

(٣) سورة الأنفال : ٧

(٥) سورة الفتح : ٤٥

(٧) سورة التوبة : ٨٣

وكقوله : ﴿ لِيُظْهَرَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ (١)
 وكقوله : ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا
 وَأَنْفُسَكُمْ ، ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢) .
 فامتنعوا من المَبَاهِلَةِ ، ولو أجابوا إليها اضطرت عليهم الأودية ناراً ،
 على ما ذُكِرَ في الخبر (٣) .

وكقوله : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ
 النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ ﴾ (٤)
 ولو تمنَّوه لوقع بهم . فهذا وما أشبهه فصل .

٧٤ / وأما الوجه الثاني الذي ذكرناه ، من إخباره عن قصص الأولين ، وسير المتقدمين
 فمن العجيب الممتنع على من لم يقف على الأخبار ، ولم يشتغل بدراس الآثار (٥) .
 وقد حكى في القرآن تلك الأمور حكاية من شهدها وحضرها .

ولذلك قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخِطُّهُ
 بِيَمِينِكَ ، إِذَا لَارْتَابِ الْمُبْطِلِينَ ﴾ (٦) .

وقال : ﴿ وَمَا كُنْتَ بَجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ
 مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٧) .

وقال : ﴿ وَمَا كُنْتَ بَجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ، وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ،
 لِنُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ (٨) . فبيِّن وجه دلالاته من إخباره
 بهذه الأمور الغائبة السالفة .

(١) سورة التوبة: ٢٣ (٢) سورة آل عمران: ٦٠ (٣) راجع أسباب نزول القرآن للواحدى ٩٩
 (٤) سورة البقرة: ٩٤ - ٩٥ (٥) قال المؤلف في كتاب « التمهيد » : ص ١٣٠ « والوجه
 الآخر : ما انطوى عليه القرآن من قصص الأولين وسير الماضين ، وأحاديث المتقدمين ، وذكر ما شجر
 بينهم وكان في أعصارهم ، مما لا يجوز حصول علمه إلا لمن كثر لقاءه لأهل السير ، ودرسه لها وعنايته
 بها ، ومجالسته لأهلها ، وكان من يتلو الكتب ويستخرجها ، مع العلم بأن النبي ، صلى الله عليه ، لم
 يكن يتلو كتاباً ولا يحطه بيمينه ، وأنه لم يكن ممن يعرف بدراسة الكتب ومجالسة أهل السير والأخذ عنهم ،
 ولا تلقى إلا من لقوه ، ولا عرف إلا من عرفوه ، وأنهم يعرفون دأبه ودينه ، ومنشأه وتصرفه ، في حال
 إقامته بينهم وطمعته عنهم ؛ فدل ذلك على أن المنبر له عن هذه الأمور هو الله سبحانه علام الغيوب »

(٦) سورة العنكبوت: ٤٨ (٧) سورة القصص: ٤٤ (٨) سورة القصص: ٤٦

/وقال : ﴿ تلك من أنباء الغيب نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، ما كنت تعلمُهَا أنتَ
ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر ، إن العاقبة للمتقين ﴾ (١) .

* * *

فأما الكلام في الوجه الثالث ، وهو الذي بيناه من الإعجاز الواقع في النظم
والتأليف والرّصْف ، فقد ذكّرنا من هذا الوجه وجوهًا :

مِنْهَا : أَنَّا قلنا : إنه نظم خارجٌ عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم ،
ومباينٌ "لأساليب خطابهم" .

ومن ادّعى ذلك لم يكن له بدٌّ من أن يصحح أنه ليس من قبيل الشعر ،
ولا السجع ، ولا الكلام الموزون غير المقفّص ؛ لأن قومًا من كفار قريش ادّعوا
أنه شعر .

ومن الملمحة من يزعم أن فيه شعرًا .

ومن أهل الملة من يقول : إنه كلام مسجّع ، إلا أنه أفصح مما قد اعتادوه
من أسجاعهم .

ومنهم من يدّعى أنه كلام موزون .

فلا يخرج بذلك عن أصناف ما يتعارفونه من الخطاب .

في نَفْسِي الشعر من القرآن

قد علمنا أن الله تعالى نَفَسَ الشعر عن القرآن وعن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ﴿ وما عَلَّمْنَاهُ الشَّعْرَ وما يَنْبَغِي لَهُ ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ (١) . وقال في ذم الشعراء : ﴿ والشُعراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ (٢) إلى آخر ما وصفهم به في هذه الآيات . وقال : ﴿ وما هو بقول شاعر ﴾ (٣) .

وهذا يدل على أن ما حكاه عن الكفار - من قولهم : إنه شاعر ، وإن هذا شعر - لا بد من أن يكون محمولاً على أنهم نسبوه [إلى أنه يشعر بما لا يشعر به غيره من الصنعة اللطيفة في نظم الكلام ، لا أنهم نسبوه] في القرآن إلى أن الذي أتاهم به هو من قبيل الشعر الذي يتعارفونه على الأعراب المحصورة المألوفة . أو يكون محمولاً على ما كان يطلق الفلاسفة على حكمائهم وأهل الفطنة منهم في وصفهم إياهم بالشعر ؛ لدقة نظرهم في وجوه الكلام وطرق لهم في المنطق . وإن كان ذلك الباب خارجاً عما هو عند العرب شعرٌ على الحقيقة .

٧٧ / أو يكون محمولاً على أنه أطلقه (٤) بعض الضعفاء منهم في معرفة أوزان الشعر . وهذا أبعد الاحتمالات .

فإن حمل على الوجهين الأولين كان ما أطلقوه صحيحاً ؛ وذلك أن الشاعر يفتن لما لا يفتن له غيره ، وإذا قدر على صنعة الشعر كان على ما دونه - في رأيهم وعندهم - أقدر ، فنسبوه إلى ذلك لهذا السبب .

فإن زعم زاعم أنه قد وجد في القرآن شعراً كثيراً ، فن ذلك ما يزعمون أنه بيت تام أو أبيات تامة ، ومنه ما يزعمون أنه مصراع ، كقول القائل :

قد قلت لما حاولوا سلوqi ﴿ هيهات هيهات لما توعدون ﴾ (٥)

ومما يزعمون أنه بيت ، قوله : ﴿ وَجِفَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ (٦)

قالوا : هو من الرَّمَلِ ، من البحر الذي قيل فيه :

(٢) سورة الشعراء : ٢٢٤ - ٢٢٥

(٤) س : « أطلق عن بعض »

(٦) سورة سبأ : ١٣

(١) سورة يس : ٦٩

(٣) سورة الحاقة : ٤١

(٥) سورة المؤمنون : ٣٦

ساكنُ الريح نَطُوفُ الـ مُزْنٍ مُنَحَلٌّ العَزَالِي (١) / وقوله : ﴿ من تزكَّى فإنما يتزكَّى لنفسه ﴾ (٢) . كقول الشاعر من بحر الخفيف :

٧٨

كل يوم بشمسه وغدٌ مثل أمسه
وكقوله عز وجل : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ (٣) قالوا : هو من المتقارب .
وكقوله : ﴿ ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً ﴾ (٤) . ويشعون حركة النيم ، فيزعمون أنه من الرجز .
وذكر عن أبي نواس أنه ضمن ذلك شعراً ، وهو قوله (٥) :

وفتية في مجلس وجوههم ريحانهم قد عدوا التثقيلا
﴿ دانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً ﴾
وقوله عز وجل : ﴿ ويؤخرهم وينصرهم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾ (٦) . زعموا أنه من الوافر ، كقول الشاعر (٧) :

لنا غنم نسوقها غزاراً كأن قرون جلَّتْها عصى (٨)
/ وكقوله عز وجل : ﴿ أرايت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدعُ اليتيم ﴾ (٩) ضمنه أبو نواس في شعره ففصل ، وقال : « فذاك الذي » ، وشعره :

٧٩

وقرأ معلنا ليصدع قلبي والهوى يصدع الفؤاد السقيماً (١٠)
أرايت الذي يكذب بالدي ن فذاك الذي يدعُ اليتيماً

(١) يصف يوماً مطيراً . والنطوف : القطور ، ولبلة نطوف : قاطرة تمطر حتى الصباح .
المزن : السحاب . والعزالي ، بكسر اللام : جمع عزلاء ، وهي مصب الماء من الراوية والقربة في أسفلها حيث يستفرغ ما فيها من الماء . يقال للسحابة إذا انهمرت بالمطر : قد حلت عزاليها ، على تشبيه اتساع المطر واندفاقه بالذي يخرج من فم المزايدة .

(٢) سورة فاطر : ١٨

(٣) سورة الإنسان : ١٤

(٤) سورة التوبة : ١٤

(٥) أخبار أبي نواس ٥٣/٢

(٦) امرؤ القيس كما في اللسان ١٢ - ٣٢ والديوان ١٩٢

(٧) نسوقها : نسوقها . غزار : كثيرة . جلَّتْها : جمع جليل ، وهي الغنم الكبيرة المسنة .

(٨) سورة الماعون : ١٤

(٩) أخبار أبي نواس ٥٣/٢ وقد ذكرها المؤلف في كتاب التمهيد ص ١٢٨ ولم ينسبها .

وهذا من الخفيف . كقول الشاعر :

وفؤادى كمهده بسليمى بهوى لم يحل ولم يتغير^(١)
وكما ضمنه فى شعره من قوله :

سبحان من سخر هذا لنا (حقاً) وما كنا له مقرنين^(٢)
فزاد فيه حتى انتظم له الشعر .

وكما يقولونه فى قوله عز وجل : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾^(٣)
ونحو ذلك فى القرآن كثير ، كقوله : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا . فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا .
فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴾^(٤) . وهو عندهم شعر من بحر البسيط .
والجواب عن هذه الدعوى التى ادعواها ، من وجوه :

٨٠ / أولها : أن الفصحاء منهم حين أورد عليهم القرآن ، لو كانوا يعتقدونه شعراً ،
ولم يروه خارجاً عن أساليب كلامهم — لبادروا إلى معارضته ؛ لأن الشعر مسخر
لهم مسهل عليهم ، ولهم فيه ما علمت من التصرف العجيب ، والافتقار اللطيف .
فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك ، ولا عولوا عليه — : علم أنهم لم يعتقدوا فيه شيئاً
مما يقدره الضعفاء فى الصنعة ، والمُرمِدون فى هذا الشأن . وإن استدراك من
يجيء الآن على فصحاء قريش وشعراء العرب قاطبة فى ذلك الزمان وبلغائهم
وخطبائهم ، وزعمه أنه قد ظفر بشعر فى القرآن [وقد] ذهب أولئك النفر عنه
وخفى عليهم مع شدة حاجتهم^(٥) [عندهم] إلى الطعن فى القرآن والغض منه
والتوصل إلى تكذيبه بكل ما قدروا عليه — فلن يجوز أن يخفى على أولئك ، وأن
يجهلوه ، ويعرفه من جاء الآن ، وهو بالجهل حقيق !

إذا كان كذلك ، علم أن الذى أجاب به العلماء عن هذا السؤال شديد ،
وهو أنهم قالوا : إن البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعراً ، وأقل الشعر

(١) فى المقدم الفرید ٤٩١/٥ « لم يزل » .

(٢) أخبار أبى نواس ٥٥/٢ وفى ١ : « لنا هذا » . قال تعالى فى سورة الزخرف ١٣ : « سبحان

الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين »

(٤) سورة الذاريات ١ - ٣

(٣) سورة العاديات : ١ - ٢

(٥) ب : « حاجته عندهم »

بيتان فصاعداً . وإلى ذلك ذهب أكثر أهل صناعة العربية من أهل الإسلام .
وقالوا أيضاً : إن ما كان على وزن بيتين ، إلا أنه يختلف وزنهما أو قافيتهما (١)
— فليس بشعر .

٨١ / ثم منهم من قال : إن الرجز ليس بشعر أصلاً ، لا سيما إذا كان مشطوراً
أو منهوكاً . وكذلك ما كان يقاربه (٢) في قلة الأجزاء . وعلى هذا يسقط السؤال .
ثم يقولون : إن الشعر إنما يطلق ، متى قصّد القاصد إليه — على
الطريق الذي يتعمد ويسلك ، ولا يصح أن يتفق مثله إلا من الشعراء ، دون
ما يستوى فيه العامى والجاهل ، والعالم بالشعر واللسان وتصرفه وما يتفق من كل واحد ،
فليس يكتسب اسم الشعر ولا صاحبه اسم شاعر ؛ لأنه لو صح أن يسمّى كل
من اعترض في كلامه ألفاظ تتّزن بوزن الشعر ، أو تنتظم انتظام بعض الأعاريض ،
كان الناس كلهم شعراء ؛ لأن كل متكلم لا ينفك من أن يعرّض في جملة
كلام كثير يقوله ، ما قد يتّزن بوزن الشعر وينتظم انتظامه .

الأ تَرَى أن العامى قد يقول لصاحبه : « أغلق الباب وائتنى بالطعام » .
ويقول الرجل لأصحابه « أكرموا من لقيتم من تميم » ؟ ومتى تتبع الإنسان هذا
[النحو] عرف أنه يكثر في تضاعيف الكلام مثله وأكثر منه (٣) .

٨٢ / وهذا القدر الذي يصح فيه التوارد ، ليس يعدّه أهل الصناعة سرقة ، إذا لم
تعلم فيه حقيقة الأخذ . كقول امرئ القيس :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمّل (٤)

(١) س : « يختلف روهمًا وقافيتهما » (٢) س : « يقارنه »

(٣) قال الجاحظ في البيان والتبيين ١ - ٢٨٨ :

« ويدخل على من طعن في قوله : (تبت يدا أبي لهب) وزعم أنه شعر لأنه في تقدير مستغلق مغاعلن ...
فيقال له : اعلم أنك لو اعترضت الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستغلق مستغلق كثيراً ، ومستغلق
مغاعلن . وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً . ولو أن رجلاً من الباعة صاح : من يشتري
باذنجان ؟ لقد كان تكلم بكلام في وزن مستغلق مفعولات ! وكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصد إلى
الشعر ؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتبهاً في جميع الكلام . وإذا جاء المقدار الذي يعلم أنه من نتاج
الشعر والمعرفة بالأوزان والقصود إليها ، كان ذلك شعراً . وصحت غلاماً لصديق لي ، وكان قد سبق بطنه ،
وهو يقول لغلمان مولاه : اذهبوا إلى الطبيب وقولوا : قد اكنوى . وهذا الكلام يخرج وزنه على خروج
فاعلاتن مغاعلن . فاعلاتن مغاعلن . مرتين . وقد علمت أن هذا الغلام لم يخطر على باله قط أن يقول بيت
شعر أبداً . ومثل هذا كثير ، ولو تتبعته في كلام حاشيتك وغلمانك لوجدته » .

(٤) ديوانه ص ١٢٥ .

وكقول طرفة :

وقوفاً بها صبحي على مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجلد^(١)
ومثل هذا كثير .

فإذا صح مثل ذلك في بعض البيت ولم يمتنع التوارد فيه ، فكذلك لا يمتنع وقوعه في الكلام المنشور اتفاقاً غير مقصود إليه ، فإذا اتفق لم يكن ذلك شعراً . وكذلك يمتنع التوارد على بيتين ، وكذلك يمتنع في الكلام المنشور وقوع البيتين ونحوهما .

ثبت بهذا أن ما وقع هذا الموقع لم يُعدَّ شعراً ، وإنما يُعدُّ شعراً ما إذا قصده صاحبه : تَأْتَى له ، ولم يمتنع عليه .

٨٣ / فإذا كان هو مع قصده لا يَتَأْتَى له ، وإنما يَعْرُضُ في كلامه عن غير قصد إليه - لم يصحَّ أن يقال : إنه شعر ، ولا إن صاحبه شاعر ، ولا يصح أن يقال : إن هذا يوجب أن مثل هذا لو اتفق من شاعر فيجب أن يكون شعراً ؛ لأنه لو قصده لكان يَتَأْتَى له^(٢) .

وإنما لم يصح ذلك ، لأن ما ليس بشعر فلا يجوز أن يكون شعراً من أحد ، وما كان شعراً من أحد من الناس كان شعراً من كل أحد^(٣) . ألا ترى أن السوقي^(٤) قد يقول : « استقنى الماء يا غلامُ سريعاً » ، وقد يتفق ذلك من الساهي ومن لا يقصد النظم .

فأما الشعر^(٥) إذا بلغ الحدَّ الذي يَبَيِّنُ ، فلا يصح أن يقع إلا من قاصد إليه .

وأما الرجز فإنه يعرض في كلام العوام كثيراً ، فإذا كان بيتاً واحداً فليس ذلك بشعر .

وقد قيل : إن أقل ما يكون منه شعراً أربعة أبيات ، بعد أن تتفق قوافيها ، ولم يتفق ذلك في القرآن بحال . فأما دون أربعة أبيات منه أو ما يجري مجراه في قلة الكلمات ، فليس بشعر .

(١) ديوانه ص ٢١

(٢) س : « منه »

(٤) م : « أن المغم إن أخذ السوقة »

(٣) م : « من واحد . . . كل أحد من الناس »

(٥) م : « فأما النظم »

وما اتفق في ذلك من القرآن مختلف الروي، ويقولون : إنه/ متى اختلف الروي خرج عن أن يكون شعراً :

وهذه الطرق التي سلكوها في الجواب ، معتمدة أو أكثرها .
ولو كان ذلك شعراً لكانت النفوس تشوّف إلى معارضته ؛ لأن طريق الشعر غير مستصعب على أهل الزمان الواحد ، وأهله يتقاربون فيه ، أو يتضربون فيه بسهم .

* * *

فإن قيل : في القرآن كلام موزون كوزن الشعر ، وإن كان غير مقفى ، بل هو مزأوج متساوي الضروب ، وذلك أحد^(١) أقسام كلام العرب .
قيل : من سبيل الموزون من الكلام أن تتساوى أجزأؤه في الطول والقصر ، والسواكن والحركات . فإن خرج عن ذلك لم يكن موزوناً ، كقوله :

رَبَّ أَخٍ كُنْتُ بِهِ مَغْتَبِطًا أَشَدُّ كَمْيَ بَعْرًا صَحْبِيهِ
تَمَسَّكَأَ مِنِّي بِالوَدِّ وَلَا أَحْسِبُهُ يَزْهَدُ فِي ذِي أَمَلٍ^(٢)
تَمَسَّكَأَ مِنِّي بِالوَدِّ وَلَا أَحْسِبُهُ يَغْيِرُ الْعَهْدَ وَلَا
يَحُولُ عَنْهُ أَبَدًا فَخَابَ فِيهِ أَمَلِي

وقد علمنا أن القرآن ليس من هذا القبيل ، بل هذا قبيل غير ممدوح ، / ولا مقصود من جملة الفصيح ، وربما كان عندهم مستنكراً ، بل أكثره على ذلك .
وكذلك^(٣) ليس في القرآن من الموزون الذي وصفناه أولاً وهو الذي شرطنا فيه التبادل والتساوي في الأجزاء ، غير الاختلاف الواقع في التقفية . ويبيّن^(٤) ذلك أن القرآن خارج عن الوزن الذي بيننا ، ويتم فائدته بالخروج منه . وأما الكلام الموزون فإن فائدته تم بوزنه .

(٢) م ، ا ، : « أحسبني أزهد » .

(٤) م : « وبين » .

(١) س : « وذلك آخر » .

(٣) م : « وليس » .

فصل

٨٦

في نَفْيِ السَّجْعِ مِنَ الْقُرْآنِ

ذهب أصحابنا كلهم إلى نفي السجع من القرآن ، وذكره [الشيخ] أبو الحسن الأشعري [رضی الله عنه] في غير موضع من كتبه .

وذهب كثير ممن يخالفهم إلى إثبات السجع في القرآن . وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام ، وأنه من الأجناس التي يقع فيها التفاضل في البيان والفصاحة ، كالتجنيس والالتفات ، وما أشبه ذلك من الوجوه التي تُعرف بها الفصاحة .

وأقوى ما يستدلون به عليه : اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هرون عليهما السلام ، ولمكان (١) السجع قيل في موضع ﴿ هرون وموسى ﴾ (٢) . ولمّا كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون ، قيل : ﴿ موسى وهرون ﴾ (٣) .

قالوا : وهذا يفارق أمر الشعر ؛ لأنه لا يجوز أن يقع في الخطاب إلا مقصوداً إليه ، وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القدر الذي نسميه (٤) شعراً ، وذلك القدر ما يتفق وجوده من المُفْحَم ، كما يتفق وجوده من الشاعر . وأما ما في القرآن من السجع فهو كثير ، لا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه .

٨٧ وبينون الأمر في ذلك على تحديد معنى « السجع » . قال أهل اللغة : هو موالاة الكلام على وزن واحد . وقال ابن دريد : « سجعت الحمامة » معناه : رددت صوتها . وأنشد :

طربت فأيكنتك الحمامُ السواجعُ تَمِيلُ بِهَا ضَحْوًا غصونٌ نوائعُ
النواع : الموائل ، من قولهم : جائع نائع ، أي ممايل ضعفاً (٥) .

وهذا الذي يزعمونه غير صحيح ، ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز .

(٢) سورة طه : ٧٠

(١) م : « ولمكان »

(٤) س : « يسمى »

(٣) سورة الاعراف : ١٢٢

والبيت غير منسوب في اللسان ٢٠٩/١٩ وفيه : « طربت وهاجتك ... يوانع »

(٥) نقل المؤلف هذا النص من كتاب الجمهرة لابن دريد ٢ - ٩٣ .

ولو جاز أن يقولوا : هو سجع معجز ، لحاز لهم أن يقولوا : شعر معجز .
وكيف والسجع مما كان يألفه الكهّان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدرُ
بأن يكون حجةً من نفي الشعر ؛ لأن الكهانة تنافي النبوات ، وليس كذلك الشعر .
وقد رُوِيَ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للذين جاءوه وكلموه في شأن الجنين :
كيف ندي من لا شرب ولا أكمل^(١) ، ولا صاح فاستهل ، أليس دمّه قد
يُطلّ ؟ فقال : « أسجاعةٌ كسجاعة الجاهلية ؟ » ، وفي بعضها : « أسجعاً
كسجع الكهّان » ؟ فرأى^(٢) ذلك مذموماً لم يصح أن يكون في دلالته .

٨٨

والذي يقدرونه^(٣) أنه سجع فهو وهم ؛ لأنه قد يكون الكلام على مثال
السجع وإن لم يكن سجعاً ، لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه
دون بعض ؛ لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع .
وليس كذلك ما انفق مما هو في تقدير السجع من القرآن ، لأن اللفظ يقع فيه تابعاً
للمعنى . وفصل بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود
فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ . ومتى ارتبط المعنى بالسجع ، كانت
إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى انتظم^(٤) المعنى بنفسه دون السجع ، كان
مستجلباً لتحسين^(٥) الكلام دون تصحيح المعنى .

فإن قيل : فقد يتفق في القرآن ما يكون من القبيلين جميعاً ، فيجب أن
تُسَمَّوا أحدهما سجعاً .

قيل : الكلام في تفصيل هذا خارجٌ عن غرض كتابنا ، وإلا كنا نأتى
على فصلٍ فصلٍ من أوّل القرآن إلى آخره ، ونبين في الموضع الذي يدعون
الاستغناء عن السجع من الفوائد ما لا يخفى ، ولكنه/خارج عن غرض كتابنا .
وهذا القدر يحقق الفرق بين الموضوعين .

٨٩

ثم إن سلّم لهم مُسَلِّمٌ موضعاً أو مواضع معدودة ، وزعم أن وقوع ذلك
موقع^(٦) الاستراحة في الخطاب إلى الفواصل لتحسين الكلام بها ، وهي الطريقة

(١) في الأصول : « من لا أكل ولا شرب » راجع البيان والتبيين ١/٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢) م : « فرأى أن ذلك » (٣) م : « تقرر منه »

(٤) س : « متى ارتبط » (٥) س : « مستجلباً لتحسين »

(٦) م : « وقوع »

التي يباين القرآن بها سائر الكلام ، وزعم أن الوجه في ذلك أنه من الفواصل ، أو زعم أن ذلك وقع غير مقصود إليه - فإن^(١) ذلك إذا اعترض في الخطاب لم يُعَدَّ سجعاً ، على ما قد بينا في القليل من الشعر ، كالبيت الواحد ، والمصرع ، والبيتين من الرجز ، ونحو ذلك يعرض فيه ، فلا يقال إنه شعر ؛ لأنه لا يقع مقصوداً إليه ، وإنما يقع مغموراً في الخطاب ، وكذلك حال السجع الذي يزعمونه ويقدرونه .

ويقال لهم : لو كان الذي في القرآن على ما تقدرونه سجعاً : لكان مذموماً مردولاً ؛ لأنَّ السجع إذا تفاوتت أوزانه ، واختلفت طرقه ، كان قبيحاً من الكلام . وللسجع منهج مرتب محفوظ ، وطريق مضبوط^(٢) ، متى أدخل به المتكلم وقع^(٣) الخلل في كلامه ، ونُسب إلى الخروج عن الفصاحة . كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئاً ، وكان شعره مردولاً ، وربما أخرجه عن كونه شعراً .

٩٠ / وقد علمنا أن بعض ما يدعونه سجعاً متقارب^(٤) الفواصل ، متداني المقاطع ، وبعضها مما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه ، وتسرّد الفاصلة على ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير ، وهذا في السجع غير مرضى ولا محمود .

فإن قيل : متى خرج السجع [من] المعتدل إلى نحو ما ذكرتموه ، خرج من أن يكون سجعاً ، وليس على المتكلم أن يلتزم أن يكون كلامه كله سجعاً ، بل يأتي به طوراً ثم يعدل عنه إلى غيره ، ثم قد يرجع إليه .

قيل : متى وقع أحد مصراعَي البيت^(٥) مخالفاً للآخر ، كان تخلیطاً وخبثاً ، وكذلك متى اضطرب أحد مصراعَي الكلام المسجع وتفاوت كان خبثاً .

[وقد] عُلِمَ أن فصاحة القرآن غير مذمومة في الأصل ، فلا يجوز أن يقع فيها نحو هذا الوجه من الاضطراب^(٦) .

(١) س : « وأن » (٢) م : « والسجع منهج قريب . . . وطريقة مضبوطة »
 (٣) س : « أوقع » (٤) م : « متفاوت »
 (٥) م : « الشعر » (٦) م : « من الاختلال »

ولو كان الكلام الذى هو فى صورة السجع منه لما تحيروا فيه ، ولكانت
الطباع تدعو إلى المعارضة ؛ لأن السجع غير ممتنع عليهم ، بل هو عادتهم ،
فكيف تُنْقَضُ العادة بما هو نَقَسُ العادة، وهو غير خارج عنها ولا مُتَمَيِّزٌ^(١)
منها ؟ وقد يتفق فى الشعر كلام [متزن] على منهاج السجع / وليس بسجع عندهم .
وذلك نحو قول البحرى :

تَشَكَّى الوجى ؛ والليلُ ملتبسُ الدجَا غُرَيْرِيَّةُ الأنسابِ مَرَّتْ بِقِيعِهَا^(٢)
وقوله^(٣) :

قريب المَدَى ، حتى يكون إلى النَّدى عدوُّ البنى ، حتى تكون مَعَالِي^(٤)
ورأيتُ بعضَهم يرتكب هذا ، فيزعم^(٥) أنه سجع مداخل !

ونظيره من القرآن قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ ، وَيَقُولُ أَيْنَ
شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ ﴾^(٦) . وقوله : ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا
فِيهَا ﴾^(٧) . وقوله : ﴿ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ﴾^(٨) .
وقوله : ﴿ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(٩) . وقوله : ﴿ إِنِّي
وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾^(١٠) .

ولو كان ذلك عندهم سجعا لم يتحيروا فيه ذلك التحير ، حتى سماه بعضهم
سِحْرًا ، وتصرفوا فيما كانوا يُسَمِّونَه به ويصرفونه إليه ويتوهمونه فيه . وهم فى الجملة
عارفون بعجزهم عن طريقه ، وليس القوم بعاجزين عن تلك الأساليب المعتادة
عندهم ، المألوفة لديهم .

والذى تكلمنا به فى هذا^(١١) الفصل كلام على جملة دون التفصيل .

(١) س : « ميمز »

(٢) ديوانه ١ - ٥ والوجى : أن يشتكى البعير باطن خفه . الغرير : فعل من الإبل ، والإبل
الغريرية : منسوبة إليه . وكان مرت : قفلا نبات فيه . والبيقع من الأرض : المكان المتسع فيه أروم
شجر من ضروب شتى . وفى س : « نقيعها » (٣) ديوانه ٢ / ٧٨٥ يمدح به محمد بن عمر .

(٤) س ، م : « يكون » وفى م بعد البيت : « وقوله غريرية الأنساب مرت بقيعها ، ورأيت » إلخ

(٦) سورة النحل : ٢٧

(٥) م : « حتى يزعم »

(٨) سورة التوبة : ٢٤

(٧) سورة الإسراء : ١٦

(١) سورة مريم : ٤

(٩) سورة آل عمران : ٤٨ - ٤٩

ونحن نذكر بعد هذا في التفصيل ، ما يكشف عن مَبَايِنَة ذلك وجوه السجع .
ومن جنس السجع المعتاد عندهم ، قولُ أبي طالب ^(١) لسيف بن ذي يَزَن :
« أَنبَتَكَ مَتَّبِعَاتًا ^(٢) طابَت أرومَتُهُ ، وَعَزَّتْ جُرْثومَتُهُ ، وَثَبَّتْ أصلُهُ ، وَبَسَّقَ
فرعُهُ ، وَنبتَ زَرَعُهُ ، فِي أكرمِ مَوَاطِنِ ، وَأطيبِ مَعَدِنِ » . وما يجرى هذا
المجرى من الكلام .

والقرآن مخالف لهذه ^(٣) الطريقة مخالفتَه للشعر وسائر أصناف كلامهم
الدائر بينهم .

٩٣ / ولا معنى لقولهم : إن ذلك مشتق من ترديد الحمامة صوتها على نسقٍ واحد
وروي غير مختلف ؛ لأن ما جرى هذا المجرى لا يُبَيِّنُ على الاشتقاق وحدة ؛
ولو بُنِيَ عليه لكان الشعر سجعاً ؛ لأن رويَه يتفق ولا يختلف ، وتردد القوافي
على طريقة واحدة .

وأما الأمور التي يستريح إليها الكلام ، فإنها تختلف : فربما كان ذلك
يسمى ^(٤) قافية ، وذلك إنما يكون في الشعر ، وربما كان ما ينفصل عنده ^(٥) الكلامان ^(٦)
مقاطع السجع ، وربما سُمِّي ^(٧) ذلك فواصل . وواصل القرآن - مما هو مختص
بها ^(٨) - لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها ولا تناسب .

وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون عليهما السلام في موضع ، وتأخير هارون
في موضع لمكان السجع وتساوي مقاطع الكلام - فليس بصحيح ؛ لأن الفائدة
عندنا غير ما ذكروه . وهي ^(٩) : أن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة ،
تؤدي معنى واحداً من الأمر الصعب ، الذي تظهر به الفصاحة ، وتبين به ^(١٠)
إبلاغه . وأعيد كثير من القصص في مواضع [كثيرة] مختلفة ، على ترتيبات
/ متفاوتة ، ونُسبَهُوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومكرراً .

ولو كان فيهم تَمَكُّنٌ من المعارضة لقصدوا تلك القصة وعبروا عنها بألفاظ

(١) في دلائل النبوة ٢٤/١ : « قول عبد المطلب » مع اختلاف في الرواية قليل

(٢) م : « منبتك منبت » (٣) س : « لنحو هذه »

(٤) ا ، ب : « مسمى » (٥) س : « عنده »

(٦) هكذا في ا ، ب ، م (٧) م : « يسمى »

(٨) م : « مما يختص بها » (٩) م : « وهو »

لهم تؤدي تلك المعاني ونحوها^(١)، وجعلوها بإزاء ما جاء به ، وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه ، وإلى مساواته فيما [حكى و] جاء به . وكيف وقد قال لهم : ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾^(٢) . فعلى هذا يكون المقصدُ - بتقديم بعض الكلمات^(٣) وتأخيرها - إظهار الإعجاز^(٤) على الطريقتين جميعاً ، دون السجع^(٥) الذي توهموه .

فإن قال قائل : القرآن مختلط من أوزان كلام العرب ، ففيه من جنس خطبهم ، ورسائلهم [وشعرهم] وسجعهم ، وموزون كلامهم الذي هو غير مقفى ، ولكنه أبدع فيه ضرباً من الإبداع ، لبراعته وفصاحته .

قيل : قد علمنا أن كلامهم ينقسم إلى نظم ونثر ، وكلام مقفى غير موزون [وكلام موزون غير مقفى]^(٦) ، ونظم موزون ليس بمقفى كالخطب والسجع ، ونظم مقفى موزون له روى .

/ ومن هذه الأقسام ما هو سجيّة الأغلب من الناس ، فتناوله أقرب ، وسلوكه لا يتعذر . ومنه ما هو أصعب تناولاً ، كالموزون عند بعضهم ، والشعر عند الآخرين^(٧) .

وكل هذه الوجوه لا تخرج عن أن تقع لهم بأحد أمرين : إما بتعمّل وتكليف وتعلم^(٨) وتصنع ، أو باتفاق من الطبع وقذف من النفس على اللسان للحاجة إليه .

ولو كان ذلك مما يجوز اتفاهه من الطباع ، لم ينفك العالم من قوم يتفق ذلك منهم ، ويعرض^(٩) على ألسنتهم ، وتجيئ به خواطرهم ، ولا ينصرف^(١٠) عنه الكل ، مع شدة الدواعي إليه .

ولو كان طريقته التعلم لتصنعه وتعلموه^(١١) ، والمهتلة لهم فسيحة ، والأمدُ واسع .

(١) س : « ونحوها »

(٢) سورة الطور : ٣٤

(٣) م : « الكلام »

(٥) س : « التسجيع »

(٤) م : « إظهاراً للإعجاز »

(٧) س : « أو الشعر عند الآخرين »

(٦) ما بين المقوفين ساقط من م

(٩) ا : « ويعترض » س « ويتعرض »

(٨) سقطت هذه الكلمة من م

(١١) م : « طريقته التعمّل لتصنعوا فيه وتعلموه »

(١٠) م : « ولا ينصرف »

* * *

وقد اختلفوا في الشعر كيف اتفق لهم ؟ فقد قيل : إنه اتفق في الأصل غير مقصود إليه ، على ما يعرض من أصناف النظام في تضاعيف الكلام ، ثم لما استحسوه واستطابوه ورأوا أنه قد تألفه / الأسماع وتقبله النفوس - تتبَّعوه^(١) من ٩٦ بعد وتعملوه . وحكى لي بعضهم عن أبي عمر: غلامٍ ثعلب عن ثعلب : أن العرب تعلم أولادها قول الشعر بوضع غير معقول ، يوضع على بعض أوزان الشعر كأنه على وزن :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

ويسمى ذلك الوضع « المتير »^(٢) واشتقاقه من المتر ، وهو الجذب أو القطع ، يقال : مَترت الجبل ، أى^(٣) قطعته أو جذبته . ولم يذكر هذه الحكاية عنهم غيره ، فيحتمل ما قاله^(٤) .

وأما ما وقع السببُ إليه فيُشبه أن يكون على ما قدّمنا ذكره أولاً .

وقد يحتمل - على قول من قال : إن اللغة اصطلاح - أنهم تواضعوا على هذا الوجه من النظم .

وقد يمكن أن يقال مثله على المذهب الآخر ، وأنهم وقفوا على ما يتصرف إليه القول من وجوه التفاصيل ، وتواضعوا^(٥) بينهم على ذلك .

٩٧ / ويمكن أن يقال : إن التواضع وقع على أصل الباب ، وكذلك التوقيف ، ولم يقع على فنون تصرف الخطاب ، وإن الله تعالى أجري على لسان بعضهم من النظم ما أجرى ، وفظنوا لحسنه فتبعوه من بعد ، وبنوا عليه وطلبوه ، وترتبا فيه المحاسن التي يقع الإطراب^(٦) بوزنها ، وتهشُّ النفوس إليها ، وجمع دواعيهم وخواطرهم على استحسان وجوه من ترتيبها ، واختبار طرق من تنزيلها ، وعرفتهم محاسن الكلام ، ودلّهم على كل طريقة عجيبة ، ثم أعلمهم عجزهم عن الإتيان [بمثل]^(٧) القرآن ، [وأن] القدر الذي تنهاه إليه قدرهم هو ما لم يخرج عن لغتهم^(٨) ، ولم يشذ من جميع كلامهم ، بل قد عرض في خطابهم ، ووجدوا أن

(٢) م : « المُتر »

(١) م : « فتبعوه . . . وتعلموه »

(٤) م : « فحمل ما قالوه »

(٣) س : « بمعنى »

(٦) س : « الاضطراب بوزنها » !

(٥) س : « أو توافقهم »

(٨) م ، ا : « هو ما لم يقتمهم »

(٧) س : « الإتيان بالقرآن »

هذا لَمَّا تعذر^(١) عليهم مع التحدّي والتفريع الشديد والحاجة الماسّة إليه ، مع علمهم بطريق وضع النظم والنثر ، وتكامل أحوالهم فيه - دل على أنّه اختصّ به ليكون دلالةً على النبوة ومعجزةً على الرسالة . ولولا ذلك لكان القوم إذا اهتموا في الابتداء إلى وضع هذه الوجوه التي يتصرف إليها الخطاب على براعته وحسن انتظامه ، فلأنّ يقدروا بعدّ التنبيه على وجهه والتحدّي إليه ، أولى أن يبادروا إليه ، لو كان لهم إليه سبيل .

ولو كان الأمر على ما ذكره السائل : لوجب أن لا يتحسّروا في أمرهم ، إولا تدخل عليهم شبهة فيما نابهم^(٢) ، ولكانوا يسرعون إلى الجواب ويبادون إلى المعارضة .

٩٨

ومعلوم من حالهم أن الواحد منهم يقصد إلى الأمور البعيدة عن الوهم ، والأسباب التي لا يحتاج إليها ، فيكثر فيها من شعر ورجز ؛ ونجد من يعينه على نقله عنه ، على ما قدمنا ذكره من وصف الإبل ونتاجها ؛ وكثير من أمرها لا فائدة في الاشتغال به في دين ولا دنيا .

ثم كانوا يتفاخرون باللّسن والذلاقة والفصاحة والذراية^(٣) ، ويتنافرون فيه وتجرى بينهم فيه الأسباب المنقولة في الآثار ، على ما لا يخفى على أهله . فاستدللنا بتحسّرهم في أمر^(٤) القرآن على خروجه عن عادة كلامهم ، ووقوعه موقعاً يخرق العادات . وهذه سبيل المعجزات .

فبان بما قلنا أن الحروف التي وقعت في الفواصل متناسبةً موقعَ النظائر التي تقع في الأسجاع ، لا يخرجها عن حدّها ، ولا يدخلها في باب السجع .

وقد بينّا أنّهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الأجزاء ، فكان/ بعض مصّاربعه^(٥) كلمتين ، وبعضها أربع^(٦) كلمات ، ولا يرون في ذلك فصاحةً ، بل يرونه عجزاً .

٩٩

فلورأوا أن ما تلى عليهم من القرآن سجعٌ لقالوا : نحن نعارضه بسجع

(٢) م : « عليهم فيه شبهة فيما يأتيهم »

(٤) م : « في القرآن »

(١) س : « إنما تعذر »

(٣) س : « والدارية »

(٥) م : « مصّاربعه »

(٦) م : « أربع كلمات »

معتدل ، فزريد في الفصاحة على طريقة القرآن ، وتجاوز حده في البراعة والحسن .

ولا معنى لقول من قدر أنه ترك السجع تارة إلى غيره ثم رجع إليه ؛ لأن ما تخلل بين الأمرين يؤذن بأن وضع الكلام غير ما قدره من التسجيع (١) ؛ لأنه لو كان من باب السجع لكان أرفع نهاياته ، وأبعد غاياته (٢).

ولا بد لمن جوز السجع فيه وسلك ما سلكوه من أن يسلم ما ذهب إليه (٣) النظام ، وعباد بن سليمان ، وهشام القوطي ، ويذهب مذهبهم ، في أنه ليس في نظم القرآن وتأليفه إعجاز ، وأنه يمكن معارضته ، وإنما صرّفوا عنه ضرباً من الصرّف (٤).

١٠٠ / ويتضمن كلامه تسليم الخبط في طريقة النظم ، وأنه منتظم من فرق شتى ، ومن أنواع مختلفة ينقسم إليها خطابهم ولا يخرج عنها ، ويستعين ببديع نظمه وعجيب تأليفه الذي وقع التحدى إليه . وكيف يعجزهم الخروج عن السجع والرجوع إليه ، وقد علمنا عادتهم في خطبهم وكلامهم أنهم كانوا لا يلزمون أبداً طريقة السجع والوزن ، بل كانوا يتصرفون في أنواع مختلفة ، فإذا ادّعوا على القرآن مثل ذلك لم يجدوا فاصلة بين نظمي الكلامين .

(١) م : « من السجع »

(٢) م : « أرفع نهاية وأبعد غاية »

(٣) م : « مذهب النظام »

(٤) قال أبو الحسن الأشعري في كتابه « مقالات الإسلاميين » ص ٢٢٥ : « واختلفوا في نظم القرآن ، هل هو معجز أم لا ؟ على ثلاثة أقاويل : فقالت المعتزلة - إلا النظام وهشام القوطي وعباد بن سليمان - : تأليف القرآن ونظمه معجز ، محال وقوعه منهم كاستحالة إحياء الموتى منهم ، وأنه علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال النظام : الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد ، لولا أن الله منعمهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم .

وقال هشام وعباد : لا نقول : إن شيئاً من الأعراض يدل على الله سبحانه ، ولا نقول أيضاً : إن عرضاً يدل على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يجعل القرآن علماً للنبي صلى الله عليه وسلم . وزعم أن القرآن أعراض .

فصل

/ في ذكر البديع من الكلام

١٠١

إن سألت سائل فقال : هل يمكن أن يُعرف إعجاز القرآن من جهة ما تضمنه (١) من البديع ؟

قيل : ذكر أهلُ الصنعة ومن صنّف في هذا المعنى من صفة البديع ألفاظاً نحن نذكرها ، ثم نبين ما سألوها عنه ، ليكون الكلام وادياً على أمر مبيّن ، وباب مقرر مصور (٢) .

ذكروا : أن من البديع في القرآن قوله عز ذكره : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ﴾ (٥) وقوله : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ

النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ (٦) . وقوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ (٧) .

وقوله : ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ (٨) .

١٠٢ / وقد يكون البديع في الكلمات الجامعة الحكيمة ، كقوله : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ (٩) .

وفي الألفاظ الفصيحة ، كقوله : ﴿ فَلَمَّا أَسْتَيْسَمَوْا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ (١٠) .

وفي الألفاظ الإلهية ، كقوله : ﴿ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ (١١) . وقوله : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ

نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (١٢) . وقوله : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (١٣) .

* * *

(٢) س : « مبيّن مقرر وباب مصور »

(٤) سورة الزخرف : ٤

(٦) سورة يس : ٣٧

(٨) سورة النور : ٣٥

(١٠) سورة يوسف : ٨٠

(١٢) سورة النحل : ٥٣

(١) س : « ما تضمنه »

(٣) سورة الإسراء : ٢٤

(٥) سورة مريم : ٤

(٧) سورة الحج : ٥٥

(٩) سورة البقرة : ١٧٩

(١١) سورة النمل : ٩١

(١٣) سورة غافر : ١٦

ويذكرون من البديع قول النبي صلى الله عليه وسلم : « خيرُ الناسِ رَجُلٌ مَسْمُوكٌ بِعَيْنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كَلِمَا سَمِعَ هَيِّعَةً طَارَ إِلَيْهَا » (١) .
وقوله : « رَبَّنَا تَقَبَّلْ تَوْبَتِي ، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي » (٢) .

١٠٣ / وقوله : « غَلَبَ عَلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ : الْعَسَدُ وَالْبَغَضَاءُ ، وَهِيَ حَالِقَةُ الدِّينِ ، لَا حَالِقَةَ الشُّعْرِ » (٣) .

وقوله : « النَّاسُ كَأَيْلِ مَائَةٍ ، لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحَةً » (٤) .
وقوله : « وَهَلْ يَكْبُ النَّاسُ عَلَيَّ مَنَآخِرَهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » (٥) .

وقوله : « إِنَّ مِمَّا يُنَبِّتُ الرَّبِيعُ مَا يَمْتَلُ حَبِطًا أَوْ يُلِيمُ » (٦) .

١٠٤ وكقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، في كلام له قد نقلناه/ بعد هذا على

(١) في الفائق للزنجري ٢٢٣/٣ « الهيمة : الصيحة التي يفرغ منها وأصلها من هاع يهبع إذا جبن »
(٢) الفائق ٣٠٦/١ وقال الشريف الرضي في المجازات النبوية ص ٢٠٢ : « وهذه استعارة ، والحوبة والحوب : المأثم ، والمراد احطط عنى وزرى وتعهد ذنبى وخطيئى ، ولكن المعصية لما كانت كالدرن الذى يصيب الإنسان فيفحش أثره ، ويقبح منظره ؛ أقام عليه الصلاة والسلام إماطة وزرها ، وإسقاط إثمها مقام غسل الأدران وإماطة الأذناس ؛ لأن الإنسان بعدها يعود نقى الأثواب طاهراً من العاب . وهذا الدعاء من النبى على وجه التعمد والخضوع والتطامن والخشوع ، لا أن له حوبة يستحط وزرها ويستنسل درنها ، أو يكون ذلك على طريق التعليم لأمته . . . » .
(٣) في الفائق ٢٩٠/١ « هى قطعة الرحم والنظام لأنها تجتاح الناس وتهلكهم ، كما يخلق الشعر ، يقال : وقعت فيهم حالقة لا تدع شيئاً إلا أهلكته » .

(٤) البيان والبيان ٢٠/٢ وفى اللسان ٢٩٤/١٣ ، ٢٩٥ « الراحلة كل بعير نجيب قوى على الأسفار والأحوال تام الخلق حسن المنظر . . . أراد صلى الله عليه وسلم أن الكامل فى الخير والزهد فى الدنيا مع رغبته فى الآخرة والعمل لها قليل ، كما أن الراحلة النجبية نادرة فى الإبل الكثيرة » .

(٥) الفائق ٢٦١/١ والمجازات النبوية ١٢١ - ١٢٢ وفى اللسان ١٣٠/٤ عن الأزهري : « أى ماقلته الألسنة وهو ما يقتطعونه من الكلام الذى لا خير فيه ، واحدها حصيدة ، تشبيهاً بما يحصد من الزرع إذا جذ ، وتشبيهاً للسان وما يقتطعه من القول بحمد المنجل الذى يحصد به » .

(٦) فى اللسان ١٤٠/٩ « الحبط : أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج عنها ما فيها . . . وفيه ٢٣/١٦ « أو يلم ، قال أبو عبيد : معناه أن يقرب من القتل » وفيه ١٣٩/٩ « قال الأزهري : فأما قوله صلى الله عليه وسلم : وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً ، فهو مثل الحريص والمفرط فى الجمع والمنع ، وذلك أن الربيع ينبت أحرار العشب التى تحلولها الماشية فتستكثر منها حتى تنتفخ بطونها وتهلك ، كذلك الذى يجمع الدنيا ويحرص عليها ويشغ على ما جمع حتى يمنع ذا الحق حقه منها يهلك فى الآخرة بدخول النار واستيجاب العذاب » .

وجهه ، وقوله لخالد بن الوليد رضى الله عنه : « احرص على الموت توهب لك الحياة » . وقوله : « فِرٌّ من الشَّرَفِ يَتَّبِعُكَ الشَّرَفُ » .

وكقول علي بن أبي طالب في كتابه إلى ابن عباس ، وهو عامله على البصرة : « أَرْغَبُ رَاغِبِهِمْ ، وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْهُمْ » . وقوله رضى الله عنه ، حين سئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : « [غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود - : إن النبي صلى الله عليه وسلم] إنما قال ذلك والدِّينُ في قُلِّ ، فأما وقد اتَّسَعَ نِطاقُ الإسلامِ ، فكل امرئٍ ومآ اختار » (١) .

وسأل علي ، رضى الله عنه ، بعض كبار فارس ، عن أحد ملوكهم عندهم ؟ فقال : لأردشير فضيلة السُّبْقِ ، غير أن أحمدهم أنوشروان . قال : فأى أخلاقه كان أغلب عليه ؟ قال : الحلم والأناة . فقال علي رضى الله عنه : « هما توأمان يُنتجُهُمَا علوُ الهمة » (٢) .

وقال : « قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَحْسِنُ » .

وقال : « العِلْمُ قُضْلٌ . ومِفْتَاحُه المِسْئَلَةُ » (٣) .

وكتب خالد بن الوليد إلى مرآزبته فارس : « أما بعد ، فالحمد لله / الذى ١٠٥
فَضَّ خَدَمَتِكُمْ ، وَفَرَّقَ كَلِمَتِكُمْ » . والخدّمة : الحلقمة المستديرة ، ولذلك قيل للخلائيل : خِدَامٌ (٤) .

وقال الحجاج : « دلونى على رجل سَمِينِ الأمانة » (٥) .

ولما عُقِدَتِ الرِّئَاسَةُ لعبد الله بن وهب الرّاسبي (٦) على الخوارج ، أرادوه

(٢) البديع ٢١

(١) البديع لابن المعتز ص ٢٠

(٣) البديع ٢١ والصناعتين ٢١٣

(٤) نقل المؤلف هذا النص بشرحه من كتاب البديع ص ٢١ وفي اللسان ٥٨/١٥ « فض الله خدمتهم : أى فرق جماعتهم ، والخدمة بالتحريك : سير غليظ مضمفور مثل الحلقة ، يشد في رسغ البعير ، ثم يشد إليها سرائح نعله ، فإذا انفضت الخدمة انحلت السرائح وسقطت النعل ، فضرب ذلك مثلاً لذهاب ما كانوا عليه وتفرقه ، وشبه اجتماع أمر العجم واتساقه بالحلقة المستديرة ، فلهاذا قال : فض الله خدمتهم : أى فرقها بعد اجتماعها . . . » .

(٥) البديع ٢٢ وفي الصناعتين ٢١٤ بعد ذلك : « أعجف الحيانة » .

(٦) خرج عبد الله بن وهب هذا على علي في أربعة آلاف ، فبايعه الخوارج لعشر خلون من

شوال سنة ٣٧ . راجع الطبرى ٤٢/٦ .

على الكلام ، فقال : « لا خيرَ في الرأى الفَطِيرِ »^(١) ، وقال : « دَعُوا الرأى يُغِيبُ »^(٢) .

وقال أعرابي في شكر نعمة^(٣) : « ذاك عُسْتَوَانِ نِعْمَةِ اللَّهِ عز وجل » .

/ ووصف أعرابيُّ قومًا فقال : « إذا اصْطَقَقُوا سَقَرَتِ بينهم السهام ، وإذا تصافحوا بالسيوف قَعَدَ الحِمَامُ »^(٤) .

وسئل أعرابي عن رجل ؟ فقال : « صَفَرَتِ عِيَابُ الْوُدِّ بيني وبينه بعد امتلائِها ، واكْفَهَرَتِ وجوهُ كانت بمائِها »^(٥) .

وقال آخر : « من ركب ظَهَرَ الباطل نَزَلَ دارَ السَّدَامَةِ »^(٦) .

وقيل لِرُؤُوبَةِ^(٧) : كيف خَلَقْتَ ما وراءك ؟ فقال : « الترابُ يابِسُ ، والمالُ عابِسُ »^(٨) .

* * *

ومن البديع في الشعر طرق كثيرة . قد نقانا منها جملةً ، لتستدل بها على ما بعدها :

فمن ذلك قول امرئ القيس :

وقد أَعْتَدِي وَالطَيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا
بِمَنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلٍ^(٩)

(١) الفطير : ما أعجل عن إدراكه وإنصاحه ، وفي البديع بعد ذلك : « والكلام القضيبي ، فلما فرغوا من البيعة له قال : دعوا الرأى » إلخ وكذلك في البيان والتبيين ٢٠٥/١ والصناعتين ٢١٤ (٢) في البيان والتبيين والصناعتين بعد ذلك : « فإن غوبه يكشف لكم عن محضه » . وفي البديع : « عن فسه » .

(٣) في البديع ٢٣ والصناعتين ٢١٤ « وقيل لأعرابي : إنك لحسن الكدنة فقال : ذاك عنوان » إلخ . والكدنة : كثرة الشحم واللحم ، كما في اللسان ٢٣٦/١٧ .

(٤) كذا في سائر الأصول ، والصواب : « وإذا تصافحوا بالسيوف ففر فه الحمام » . كما في زهر الآداب ١١٩/٢ وفي البديع « ففر الحمام » . وفي أمالي القائل ١٣٩/١ والصناعتين ٢١٦ « كانوا والله إذا اصطفوا تحت القتام ، خطرت بينهم السهام بوفود الحمام ؟ وإذا تصافحوا ففرت المنايا أفواهاها . . . » . وكذلك العقد الفريد ٤٤٦/٣ ومعنى ففرت : فتحت .

(٥) البديع ٢٤ وزهر الآداب ١٢٠/٢ ، وصفرت : خلت ، والعياب : جمع عيبة وهي ما تحفظ فيه الثياب ، والمراد بها هنا الصدور . (٦) البديع ٢٤

(٧) القائل هو عتبة بن هارون كما في البيان والتبيين ٩٧/٢

(٨) الصناعتين ٢١٤ والبديع ٢٤ وفي البيان « والمرعى عابِسُ »

(٩) ديوانه ص ١٠٦ الوكنات : الأوكار ، المنجرد الفرس القصير الشعر . والأوابد : جمع آبدة وهي التي قد توحشت وففرت من الإنس . والميكل : العظيم الخلق .

١٠٧ / قوله : « قِيدُ الْأَوَابِدِ » عندهم من البديع ومن الاستعارة ، ويروونه من الألفاظ الشريفة^(١) ، وَعَسَىٰ بِذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أُرْسِلَ هَذَا الْفَرَسَ عَلَى الصَّيْدِ صَارَ قَيْدًا لَهَا ، وكانت بجالة المقيّد من جهة سرعة إحضاره .

واقترده به الناس ، واتبعه الشعراء ، فقيل : « قِيدُ النَّوَظِرِ » و « قِيدُ الْأَلْحَاطِ » و « قِيدُ الْكَلَامِ » و « قِيدُ الْحَدِيثِ » و « قِيدُ الرَّهَانِ » .
وقال الأسود بن يعْفُرُ :

بِمُقْلَصٍ عَتَدَ جَهِيْزٍ شَبْدُهُ قَيْدِ الْأَوَابِدِ وَالرَّهَانِ جَوَادٍ^(٢)
وقال أبو تمام :

لَهَا مَنْظَرٌ قَيْدُ الْأَوَابِدِ لَمْ يَزَلْ يَرُوحُ وَيَعْدُو فِي خَفَارَتِهِ الْحُبِّ^(٣)
/ وقال آخر :

١٠٨ أَلْحَاطُهُ قَيْدُ عَيْنِ الْوَرَى فليس طَرْفٌ يَتَعَدَّاهُ^(٤)
وقال آخر :

* قَيْدُ الْحُسْنِ عَلَيْهِ الْحَدَقَا^(٥) *

وذكر الأصمعي وأبو عبيد وحمّاد ، وقبلهم أبو عمرو : أنه أحسن في هذه

(١) في الصناعتين ٢٠٧ : « و الحقيقة : مانع الأوابد من الذهاب والإفلات . والاستعارة أبلغ ؛ لأن القيد من أعلى مراتب المنع عن التصرف ، لأنك تشاهد ما في القيد من المنع فلتست تشك فيه » .
وقال قدامة في نقد الشعر ص ٥٨ : « فإيما أراد أن يصف هذا الفرس بالسرعة وأنه جواد ، فلم يتكلم باللفظ بعينه ، ولكن بأردافه ولواحقه التابعة له ، وذلك أن سرعة إحضار الفرس يتبعها أن تكون الأوابد - وهي الوحش - كالمقيدة له إذا نجا في طلبها . والناس يستجيدون لامرئ القيس هذه اللفظة فيقولون : هو أول من قيد الأوابد ، وإنما عني بها الدلالة على جودة الفرس وسرعة إحضاره ، فلو قال ذلك بلفظه لم يكن عند الناس من الاستجداء ما جاء من إتيانه بالردف له . وفي هذا برهان على أن وضعنا الإرداف من أوصاف الشعر ونوعته واقع بالصواب » .

(٢) فرس مقلص : طويل القوائم ، وفي المفضليات ١٩/٢ « بمشمر » وهي بمعناها . وعتد : قوى سريع الوثبة معد للجري . جهيز شده : سريع عدوه . الرهان : المراهنة ، يعني إنه إذا دخل السباق حبس الرهن فلا يناله غيره . الجواد : القوى السابق البعيد الجري والبيت في الخزانة ٥٠٨/١ .

(٣) ديوانه ١٧/١ « قيد النواظر » والخزانة ٥٠٨/١ .

(٤) غير منسوب في الخزانة ٥٠٨/١ (٥) غير منسوب في الخزانة ٥٠٨/١ وديوان المعاني ٢٦٥/١

اللفظة ، وأنه أتبع فلم يُلحق ، وذكره في باب الاستعارة البليغة .
وسماها بعض أهل الصناعة^(١) باسم آخر ، وجعلوها من باب «الإرداف» ، وهو :
أن يريد الشاعر دلالةً على معنى فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى ، بل بلفظ
هو تابع له وردف^(٢) .
قالوا : ومثله قوله^(٣) :

* نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَدْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ *

وإنما أراد ترفهها بقوله : « نَوُومُ الضُّحَى »^(٤) .

/ ومن هذا الباب قول الشاعر^(٥) :

بعيدةٌ مَهْوَى القُرْطِ إِمَّا لِنَسْوَفِ أبوها ، وإمَّا عَيْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمُ
وإنما أراد أن يصف طول جيدها ، فأتى بردفه^(٦) .
ومن ذلك قول امرئ القيس :

* ولبيل كموج البحر أرخى سُدُولَهُ^(٧) *

وذلك من الاستعارة المليحة .

ويجعلون من هذا القبيل ما قدمنا ذكره^(٨) من القرآن : ﴿ واشتعل الرأسُ

(١) يقصد المؤلف قدامة بن جعفر ، فإنه هو الذي وضع الإرداف من أوصاف الشعر ونوعته ،
راجع نقد الشعر ٥٧ - ٥٨

(٢) في نقد الشعر ٥٧ بعد ذلك : « فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع » .

(٣) يريد امرئ القيس ، وصدر البيت :

* ويضحى فتيت المسك فوق فراشها *

(٤) قال قدامة في نقد الشعر ص ٥٧ : « وإنما أراد امرئ القيس أن يذكر ترفه هذه المرأة وأن لها
من يكفيها فقال : نَوُومُ الضُّحَى ، وإن فتيت المسك يبقى إلى الضحى فوق فراشها ، وكذلك سائر البيت ،
أى هى لا تنتطق لتخدم ، ولكنها في بيتها متفضلة . ومعنى عن في هذا البيت معنى بعد » . راجع الصناعتين
٢٧٦ والعمدة ٢٨٢/٢ (٥) هو عمر بن أبي ربيعة كما في ديوانه ص ٢٠٠

(٦) قال قدامة : « وإنما أراد الشاعر أن يصف طول الجيد ، فلم يذكره بلفظه الخاص به ،
بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد ، وهو بعد مهوى القرط » . راجع العمدة ٢٨٢/٢ ، والصناعتين ٢٧٦ .

(٧) وعجزه كما في ديوانه ص ١٠٠ :

* على بأنواع المهموم ليبتلى *

راجع البديع ص ٢٤

(٩) راجع ص ١٠١

شَيْباً ، ﴿ وَأَخْفِضْ لهما جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ .
 وما يَعُدُّونه من البديع « التشبيه الحسن » كقول امرئ القيس :
 كَانَ عَيُونَ الوَحْشِ حَوْلَ خِيَابِنَا وَأَرْحَلِنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ (١)
 / وقوله :

١١٠

كَانَ قَاوِبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً
 لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْمَحْشَفُ الْبَابِي (٢)
 واستبدعوا تشبيه شيتين بشيتين على حسن تقسيم ، ويزعمون أن أحسن ما وُجد
 في هذا للمُحَدِّثِينَ (٣) قولُ بَشَّارِ :
 كَانَ مَثَارَ النَّعْمِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ (٤)
 وقد سبق امرؤ القيس إلى صحة التقسيم في التشبيه ، ولم يتمكن بَشَّارٌ إلا من
 تشبيه إحدى الجملتين بالأخرى ، دون صحة التقسيم والتفصيل .
 وكذلك عَدُوٌّ (٥) من البديع قول امرئ القيس في أذني الفرس :

/ وَسَامِعَتَانِ يُعْرِفُ الْعِتْقُ فِيهِمَا كَسَامِعَتِي مَذْعُورَةٌ وَسَطَرٌ رَبْرَبٍ (٦)

١١١

(١) الصناعتين ص ١٨٥ والكامل ٧٤١ وفي اللسان ٣٩٨/٩ : « والجزع : الخرز اليماني ، وهو الذي فيه بياض وسواد . واحده جزعة ، قال ابن بري : سمى جزعا ؛ لأنه مجزع ، أي مقطع بألوان مختلفة ، أي قطع سواده بياضه »

(٢) البديع ص ١٢٢ وسر الفصاحة ٢٣٧ وأخبار أبي تمام ١٧ والصناعتين ص ١٨٥ ، ١٨٩ وأسرار البلاغة ص ١٦٨ والمعدة ٢٦٠/١ وقال المبرد في الكامل ص ٧٤٠ : « فإن اعترض معترض فقال : فهلا فصل فقال : كأنه رطبا العناب ، وكأنه يابساً الحشف ؟ قيل له : العربي الفصيح الفطن اللقن يرى بالقول مفهوماً ، ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيا »

(٣) م : « ما وجد للمحدثين في نحو هذا »

(٤) س : « رؤوسنا » م : « ليل تهاوت » والبيت في ديوانه ٣١٨/١ والصناعتين ص ١٨٩ والمعدة ٢٦٠/١ وأسرار البلاغة ص ١٥١

(٥) م : « وكذلك عدوا من البديع قول طرفة بن العبد في أذني ناقته :

مؤلتان يعرف العتق فهما كسامتي شاة مجبول مفرد

مذعورة أم فرقد ، ومثله قول امرئ القيس في وصف الفرس :

وعينان كالملايتين ومجسّر إلى سنك مثل الصفيح المنصب

(٦) لم يرد هذا البيت في ديوان امرئ القيس ، وورد في ديوان علقمة ص ٢٤

والسامعتان : الأذنان . المذعورة : المفزعة ، يعني بقرة الوحش ذعرت فنصبت أذنيها وحددتها

الربرب : جماعة بقر الوحش

اتَّبَعَهُ طَرْفَةً ، فَقَالَ فِيهِ :

وَسَامِعَتَانِ يُعْرِفُ الْعِتْقُ فِيهِمَا كَسَامِعَتَيْ شَاةٍ بِحَوْمَلٍ مُفْرَدٍ^(١)

ومثله قول امرئ القيس في وصف الفرس :

وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَتَيْنِ وَمَحْجِرٍ إِلَى سَنَدٍ مِثْلِ الصَّفِيحِ الْمُنْصَبِ^(٢)
وقال طرفة في وصف عيني ناقته :

وعينان كالمأويتين استكنتنا

بِكَهْفِي حِجَاجِي صَخْرَةٍ قَلْتِ مَوْرِدٍ^(٣)

ومن البديع في التشبيه قول امرئ القيس :

لَهُ أَيُّطَلَا ظَبْيِي وَسَاقًا نَعَامَةٍ

وإِرْخَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَنْفَلٍ^(٤)

/ وذلك في تشبيه أربعة أشياء بأربعة أشياء ، أحسن فيها .

• • •

ومن التشبيه الحسن في القرآن قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ

كَالْأَعْلَامِ ۝^(٥) . وقوله تعالى : ﴿ كَانَهُنَّ بَيْنُصٍّ مَكُونٌ ۝^(٦) .

ومواضع نذكرها بعد هذا .

(١) البيت في اللسان ١٠ / ٢٦ وروايته الأولى : « ومؤلتان » وفي ١٣ / ٢٤ : « ألت الشيء

تأليلا : أي حددت طرفه ، ومنه قول طرفة بن العبد يصف أذن ناقته بالحدة والانصباب : « مؤلتان » إلخ

(٢) م : « إلى سنبك » والسند : الحد . وفي اللسان ٢٠ / ١٦٨ : « الماوية : المرأة كأنها

نسبت إلى الماء لصفائها وأن الصورة ترى فيها كما ترى في الماء الصافي ، والميم أصلية فيها ، وقيل الماوية :

حجر البلور » ومحجر العين : ما دار بها من العظم الذي في أسفل الحفن

(٣) في اللسان ٣ / ٥٢ : « الحجاج : العظم النابت عليه الحاجب » والقلت : والنقرة في الجبل .

تمسك الماء . وقلت العين : فقرتها

(٤) ديوانه ص ١٠٢ ونقد الشعر ص ٣٨ والصناعتين ص ١٨٩ والعمدة ١ / ٢٥٩ والأمالى

٢ / ٢٥٠ . والأيطل : الحاصرة . والإرخاء : شدة العدو . شبه خاصرتيه بخاصرتي الظبي في دقتهما ،

وشبه ساقيه بساق النعامة في قصرهما . ويستحب ذلك مع طول الوظيف ، وفي شدتهما ، لأن ساق النعامة ظمياء

ليست برهلة ، كما قال البكري في شرح الأمالى ٢ / ٨٧٨ . والسرْحَانُ الذئب . والتقريب : رفع اليدين معاً

ورضعهما معاً في العدو ، ويقال : إن الذئب أحسن الدواب تقريباً . والتنفل : ولد الثعلب

(٦) سورة الصافات : ٤٩

(٥) سورة الرحمن : ٢٤

ومن البديع في « الاستعارة » قول امرئ القيس :

وليل كموج البحر أرخى سُدُولَهُ عَلَى بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَتَلَى (١)
فقلت له لما تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكَذَلِكَ /
وهذه كلها استعارات أتى بها في ذكر طول الليل .

١١٣

ومن ذلك قول النابغة :

وصدرٍ أراحَ الليلُ عازبَ هَمِّهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحَزَنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٢)
فاستعاره من إراحة الراعي إبله إلى مواضعها التي تأوى إليها بالليل .
وأخذ منه ابنُ الدُّمَيْنَةِ فقال :

أَقْضَى نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعٌ (٣)
ومن ذلك قول زهير :

صحا القلبُ عن سلمى وَأَقْصَرَ بِاطْلُهُ وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ (٤)
ومن ذلك قول امرئ القيس :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ (٥)

(١) ديوانه ص ١٠٠ والبديع ص ٢٤ ، ٢٥ والصناعتين ص ٢١٧ والموازنة ص ١١ والموشح ص ٣١ ودلائل الإعجاز ٦٢ وطبقات الشعراء ٧١ السدول : السطور . يبتلى : ينظر ما عندي من صبر أو جزع . تمطى : امتد . صلبه : وسطه . أردف : أتبع . أعجازه : متأخيره . ناء : نهض . الكلكل : الصدر .

(٢) ديوانه ص ٩ والبديع ص ٢٦ : والصناعتين ص ٢١٧ وفي الموشح ص ٣١ « قال الصولي . . . جعل صدره مألماً للهموم ، وجعلها كالنعم العازبة بالنهار عنه ، الرائحة مع الليل إليه ، كما تريح الرعاة السائمة بالليل إلى أماكنها . وهو أول من وصف أن الهموم متزايدة بالليل . . . »
(٣) البيت لابن الدمينية في ديوانه ص ١٧ والأغاني ١٥٤/١٥ والموشح ص ٣٢ وصدره هناك :

« أظل نهارى فيكم متللاً »

وقد ورد منسوباً لقيس بن ذريح في الأملاني ٣١٦/٢ والأغاني ٢١٨/٩ وإلى مجنون ليل في مصارع العشاق ص ٢٤٨ والأغاني ٤٥/٢ وقد صحح أبو الفرج نسبته إلى ابن الدمينية راجع الأغاني ٢١٨/٩ .

(٤) البديع ص ٢٦ والموازنة ص ١١ والصناعتين ٢١٧ ومعاهد التنقيص ٢٦٠ وديوانه ص ٤٢ وفي س : « عن ليل » .

(٥) ديوانه ص ١٠٨ .

/ وأخذه أبو تمام فقال :

* سُمُوَّ عُبَابِ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَارِبُهُ^(١) *

وإنما أراد امرؤ القيس إخفاء شخصه .

ومن ذلك قوله :

* كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنٍ أَعْفَرَا^(٢) *

يريد أنهم غير مطمئنين .

ومن ذلك ما كتَّبت إلى الحسن بن عبد الله بن سعيد ، قال : أخبرني أبي ،

قال : أخبرنا عَسَلُ بْنُ ذَكْوَانَ ، أخبرنا^(٣) أبو عثمان المازني ، قال : سمعت

الأصمعي يقول : أجمع أصحابنا أنه لم يُقَلِّ أحسن ولا أجمع من قول

النابغة :

فإنك كالليل الذي هو مُدْرَكِي وَإِنْ خَلَّتْ أَنْ الْمُنتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ^(٤)

قال الحسن بن عبد الله : وأخبرنا محمد بن يحيى ، أخبرنا عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ١١٥

الكندي ، أخبرنا قَعْنَبُ بْنُ مُحَرَّرٍ ، قال^(٥) : سمعت الأصمعي يقول :

سمعت أبا عمرو يقول : كان زهير يمدح السَّوْقَ ، ولو ضرب على أسفل قدميه

مِثْتًا دَقَلَّ صِينِي^(٦) على أن يقول كقول النابغة :

فإنك كالليل الذي هو مُدْرَكِي وَإِنْ خَلَّتْ أَنْ الْمُنتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

(١) وصدده كما في ديوانه ص ٤٥ :

* سما للعل من جانبيها كليهما *

وهو في مدح أبي دلف العجل

(٢) وصدده كما في ديوان امرئ القيس ص ٥١ :

* ولا مثل يوم في قداران ظلته *

وقداران : اسم موضع . والأعفر : الظبي الذي تملو بياضه حمرة . جاء في اللسان ٢٦١/٦ :

« ويقال : رماني عن قرن أعفر ، أي رماني بداهية . . . ذلك أنهم كانوا يتخذون القرون مكان الأسته ،

فصار مثلاً عندهم في الشدة تنزل بهم . ويقال للرجل إذا بات ليلته في شدة تقلقه : كنت على قرن أعفر

ومنه قول امرئ القيس . . . »

(٣) م : « قال لنا » (٤) ديوانه ص ٤١ (٥) سقط هذا الخبر من م

(٦) في اللسان ٢٦٢/١٣ : « الدقل : ضرب من النخل ، وخشبة طويلة تشد في وسط السفينة

يعد عليها الشراع ، وتسميه البحرية الصاري »

— لما قال . يريد أن سلطانه كالليل إلى كل مكان .
واتَّبَعَهُ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ :

ولو حَمَلْتَنِي الرِّيحَ ثُمَّ طَلَبْتَنِي لَكُنْتُ كَشْيءٍ أَدْرَكْتَنِي مَقَادِرُهُ^(١)
فلم يأت بالمعنى ولا اللفظ على ما سبق إليه النابغة .
ثم أخذهُ الأخطلُ فقال :

وإن أمير المؤمنين وفعلهُ لكالدهر لا عارٌ بما فعل الدهر^(٢)
وقد روى نحو هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم : « نصرت بالرُّعب ، وجعل
رزقي تحت ظل رحى ، وليدخلن هذا الدينُ على ما دخل عليه الليل » .

١١٦ / وأخذهُ عليُّ بن جَبَسَلَةَ^(٣) فقال :

وما لامرئٍ حاولتهُ منك مهربٌ ولو رفَعْتَهُ في السَّماءِ المطالعُ^(٤)
بلى ، هاربٌ لا يَهْتَدِي لمكانه ظلامٌ ولا ضوءٌ من الصبحِ ساطعُ^(٥)
ومثله قول سَلَمِ الخاسر :

فأنت كالدهر مبيثوثاً حباتهُ والدهر لا ملجأً سنه ولا هربُ^(٦)
ولو ملكتُ عِنانَ الرِّيحِ أَصرفه في كل ناحية ما فاتك الطلبُ
فأخذهُ البحترى فقال :

ولو انهم ركبوا الكواكب لم يكن ينجيهمُ عن خوفِ بأسك مهربُ^(٧)
ومن بديع الاستعارة قول زهير :

فلما وَرَدَنَ الماءَ زُرْقاً جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضرِ المَتَخِيمِ^(٨)

(١) م : « كسيل » والبيت في ديوان الفرزدق ص ٣١٣ وروايته : « وأن لو ركبت
الريح . . . كشيء أدركته » وقبله :

فأيقنتُ أني إن نأيتك لم يرد بي النأي إلا كل شيء أحاذره

وفي زهر الآداب ١٧٩/٤ « لكنت كمود »

(٢) لا يوجد في ديوانه وهو لشعلة التغلي كما في المكاترة ص ٧ والمؤتلف والمختلف ١٤١

(٣) ك : « علي بن أبي طالب » !

(٤) معاهد التنصيص ١٤٩ وزهر الآداب ١٨٠/٤ وفي س ، ك :

« عنك مهرب ولو كان في جوف السماء »

(٥) م ، ك : « طالع » (٦) معاهد التنصيص ص ١٤٩

(٧) ديوانه ١٨٩/٢ وزهر الآداب ١٨٠/٤ (٨) ديوانه ص ١٣

وقول الأعشى :

- وإن عتاق العيس سوف يزوركم / ومنه أخذ نصيب فقال :
 ثناك على أعجازهن معلق^(١) ١١٧
 فعاजूوا فأنشوا بالذى أنت أهله / ومن ذلك قول تابت شراً :
 ولو سكتوا أننت عليك بالحقائب^(٢)
 فخالط سهل الأرض لم يكذح الصفا به كذحةً والموت خزيان ينظر^(٣)
 ومن الاستعارة في القرآن كثير ، كقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾^(٤)
 يريد ما يكون الذكر عنه شرفاً .
 وقوله : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾^(٥) . قيل : دين الله أراد .
 وقوله : ﴿ أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ، فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾^(٦) .

* * *

- ومن البديع عندهم [الغلُوُّ والإفراط في الصفة] ، كقول النمر بن تَوَلَّب :
 /أبقى الحوادثُ والأيامُ من نَمِرٍ / وأسبَادُ سيفٍ قديمٍ بأثره بادي^(٧) ١١٨
 تظل تحفرُ عنه إن ضربت به بعدَ الذراعين والقيدين والهادي^(٨)
 وكقول النابغة :
 تقدُّ السُّلُوقِيَّ المَضَاعَفَ نَسْجُهُ / ويوقِدُنَ بالصفَّاحِ نارَ الحُبَّاجِبِ^(٩)
 وكقول عنترة :
 فازورَّ من وقع القننا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتحمحم^(١٠)

(١) ديوانه ص ١٤٩ (٢) نقد الشعر ٢٧ والشعر والشعراء ٣٧٢/١ والأغاني ٣٣٧/١

(٣) الأغاني ٢١٥/١٨ وشرح الحامسة للتبريزي ٨٠/١ وقال المرزوقي في شرحه ٨٢/١ :

« ويقول : أسهلت ولم يؤثر الصفا في صدرى أثراً ، لا خدشاً ولا خنثاً ، والموت كان طمع في ، فلما رأى وقد تخلصت بقى مستحيباً ينظر ويتحير . والواو من قوله : « الموت » او الحال . وهذا من

فصيح الكلام ، ومن الاستعارات المليحة »

(٤) سورة الزخرف : ٤٤ (٥) سورة البقرة : ١٣٨

(٦) سورة البقرة : ١٦ (٧) نقد الشعر ١٧ والموضح ٧٨ والعمدة ٥٨/٢ والوساطة ٤٣٥ والصناعتين ٢٨٣ والأغاني

(٨) يريد بعد قطع الهادي والذراعين والساقين . ١٦٢/١٩ والشعر والشعراء ٢٧٠/١

(٩) ديوانه ص ٤٤ وفيه : « وتوقد » والعمدة ٥٩/٢ ، ٢٨٥ وتأويل مشكل القرآن ١٣١ .

(١٠) شرح القصائد العشر ص ٢٠٤

وكقول أبي تمام :

لو يعلم الركنُ من قد جاءَ يذمُّه لخرَّ يِلثمَ منه موطئُ القدمِ (١)

وكقول البحرى :

ولو أن مشتاقاً تكلفَ فوقَ ما فى وسعه . لشى إليك المنبرِ (٢)

ومن هذا الجنس فى القرآن : ﴿ يوم نقولُ لجهنم هل امتلأتِ وتقولُ هل من مزيدٍ ﴾ (٣) .

/ وقوله : ﴿ إذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ (٥) .

* * *

وما يعدونه من البديع « المماثلة » وهو ضرب من الاستعارة [سماه قدامة التمثيل ، وهو على العكس من الإرداف ؛ لأن الإرداف مبنى على الإسهاب والبسط ، وهو مبنى على الإيجاز والجمع] (٦) .

وذلك أن يقصد الإشارة إلى معنى . فيضع ألفاظاً تدل عليه ؛ وذلك المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذى قصد الإشارة إليه .

نظيره من المنثور : أن يزيد بن الوليد بلغه أن مروان بن محمد يتلكأ عن بيعته ، فكتب إليه : « أما بعد ، فإنى أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، فاعتمد على أيتهما شتت » (٧) .

وكنحو ما كتب به الحجاج إلى المهلب (٨) : « فإن أنت فعلت ذلك ؛ وإلا أشرعتُ إليك الريح » . فأجابه المهلب : « فإن أشرع الأمير الريح ، قلبتُ إليه ظهرَ المجنَّ » .

(٢) ديوانه ١٨/١ والصناعتين ٢٨٦ والموازنة ٢٩٦/١

(٤) سورة الفرقان : ١٢

(٦) الزيادة من م

(١) غير موجود فى ديوانه

(٣) سورة ق : ٣٠

(٥) سورة الملك : ٨

(٧) سر الفصاحة ص ٢٢٢

(٨) فى سر الفصاحة بعد ذلك : « حين حاضه على قتال الأزارقة وتوعده له . . . »

/ وكقول زهير :

ومن يَعْصِ أطرافَ الزَّجاجِ فإنه يُطِيعُ العَوَالِي رُكَّبتَ كُلِّ لَهْدَمٍ (١)

وكقول امرئ القيس :

وما ذرَّنتَ عيناكِ إلا لتضربني بسهميكِ في أعشارِ قلبٍ مُقتلٍ (٢)

وكقول عمرو بن معدى كَرَبٍ :

فلو أنَّ قومي أنطقتني رماحهم نطقتُ ولكنَّ الرماحَ أجرتِ (٣)

/ وكقول القائل (٤) :

بني عمنا لا تذكروا الشعرَ بعدما دفنتمُ بصحراءِ الغميرِ القوافيا (٥)

(١) ديوانه ص ٣١ الزجاج : جمع زج وهو الحديدية التي تركب في أسفل الرمح ، والسنان يركب عاليته ، والزج تركز به الرمح في الأرض ، والسنان يطعن به . قال أبو عبيدة : هذا مثل ، يقول : إن الزج ليس يطعن به ، إنما الطعن بالسنان ، فن أبي الصلح وهو الزج الذي لا طعن به أعطى العوالى وهي التي بها الطعن . راجع اللسان ١١٠/٣ والصناهين ص ٢٧٩ وسر الفصاحة ص ٢٢١ .

(٢) ديوانه ص ٩٧ والصناعتين ص ٢٧٩ والعمدة ٢٤٧/١ والميسر والقديح ص ١٢٢ وفي اللسان ٢٤٩/٦ : « أزد بقوله : بسهميك هنا : سهمى قداح الميسر ، وهما المثل والرقيب ، فللمل سبعة أنصباء والرقيب ثلاثة ، فإذا فاز الرجل بهما غلب على جزور الميسر كلها ، ولم يطعم غيره في شيء منها ، ونى تقسم على عشرة أجزاء . فالمعنى : أنها ضربت بهما على قلبه فخرج لها السهمان ، فغلبته على قلبه كله وفتنته فلكنته . . . وهذا التفسير في هذا البيت هو الصحيح . ومقتل : مذل » .

(٣) شرح الحماسة للتبريزي ١٦٠/١ والبيان والتبيين ٢١٤/١ واللسان ١٩٦/٥ وقال المرزوق في شرح الحماسة ١٦٢/١ : « يقول لو أن قومي أبلوا في الحرب واجتهدوا لا فتخرت بهم وذكرت بلاهم ، ولكن رماحهم أجرت لسانى ، كما يجز لسان الفصيل . وجعل القملين للرماح لأن المراد مفهوم في أن التصغير كان منهم لا منها . والإجرار : أن يشق لسان الفصيل للرماح فيجعل فيه عويد لثلا يرضع أمه » .

(٤) هو الشميدز الحارثى ، أو سويد بن صمغ المرثدى ، وكان قتل أخوه غيلة ، فقتل قاتل أخيه نهاراً في بعض الأسواق من الحضر . كما في شرح الحماسة للمرزوق ١٢٤/١ والتبريزي ١١٩/١ .

(٥) قال المرزوق : « يقول : دعوا التفاخر في الشعر بالشعر ، فإنكم قصرتم بصحراء الغمير ولم تبلوا فيها ، فتنطلق ألسنتكم لدى المساجلة ، وتستجيب قوافي الشعر لكم ، إذا أردتم فظلمها وإنشادها عند المناقرة والمحاكمة ، لأنكم أتمم قوافي الشعر ودفنتموها ، فكما أن الميت لا يجيب إذا دعى ، كذلك لا يجيبكم الشعر إذا أردتموه ، مع سوء بلائكم وقبح آثاركم » .

وكقول الآخر^(١) :

أقول وقد شدوا لساني بنِسْعَةٍ : أمعشرَ تيممَ أطلقوا عن لساني

ومن هذا الباب^(٢) في القرآن قوله : ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾^(٣)

وكقوله : ﴿وَيَبِّئُكَ فَطَهَّرَ﴾^(٤) . قال الأصمعي : أراد البدن ، قال :

/ وتقول العرب : « فِدَى لكَ ثوباي » . يريد^(٥) نفسه . وأنشد :

١٢٢

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا حَفِصٍ رَسُولًا فِدَى لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَةَ إِزَارِي^(٦)

* * *

ويرون من البديع أيضاً ما يسمونه « المطابقة » ، وأكثرهم على أن معناها أن يذكر الشيء وضده ، كالليل والنهار ، والسواد والبياض . وإليه ذهب الخليل ابن أحمد والأصمعي ، ومن المتأخرين عبد الله بن المعتز .

وذكر ابن المعتز من نظائره من المشور ما قاله بعضهم^(٧) : « أتيناك لتسلك

بنا سبيل التوسع ، فأدخلتنا في ضيق الضمان » .

ونظيره من القرآن : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾^(٨) .

وقوله : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٩) .

وقوله : ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾^(١٠) . ومثله كثير

جداً .

(١) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثي ، كما في المفضليات ١٥٥/١ وشرح الحماسة للرزوق

١٦٣/١ وذيل الأمالى ١٣٢ والأغاني ٧٣/١٥ ، ٧٦ والبيان والتبيين ٢٦٨/٢ وفي ذيل الأمالى :

قوله : وقد شدوا لساني بنسمة : هذا مثل ، لأن اللسان لا يشد بنسمة . وإنما أراد : افعلوا بي خيراً ينطلق لساني بشكركم ، فإن لم تفعلوا فلساني مشدود لا يقدر على مدحكم ويروى : معاشر تيم أطلقوا لي لسانيا

(٢) م : « هذا المعنى » (٣) سورة البقرة : ١٧٥

(٤) سورة المدثر : ٤ (٥) م « يريدون » .

(٦) البيت من قصيدة كتب بها إلى عمر بن الخطاب ، أبو المنهال ، بقيلة الأكبر الأشجعي ،

في شأن والبهم الغزل جمدة بن عبد الله السلمي ، الذي كان يخرج الجوارى إلى سلع عند خروج أزواجهن إلى الغزو فيمقلهن ويقول : لا يمشی في المقال إلا الحصان . فرجما وقعت فتكشفت . . . راجع اللسان

٥/٧٥ والمؤتلف والمختلف للامني ص ٦٣ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٠٥ .

(٧) كتاب البديع ص ٧٤ (٨) سورة البقرة : ١٧٩

(٩) سورة الروم : ١٩ (١٠) سورة الحج : ٦١

/ وكقول النبي صلى الله عليه وسلم للأَنْصار : « إنكم تَكْتَرُونَ عند الفَرْع ، ١٢٣
وَتَقْلُونَ عند الطَّمع » (١) .

وقال آخرون : بل المطابقة أن يشترك معنيان بلفظة واحدة ، وإليه ذهب قدامة
ابن جعفر الكاتب (٢) .

فإن ذلك قول الأفوه الأودى :

وَأَقْطَعُ الْهُوجْلَ مُسْتَأْنَسًا بِهُوجْلٍ مُسْتَأْنَسٍ عَنْتَرِيْسٍ (٣)
عَنْتَى بِالْهُوجْلِ الْأَوَّلِ : الْأَرْضُ ، وَبِالثَّانِي : النَّاقَةُ (٤) .
ومثله قول زياد الأعجم :

وُنَبِّئْتُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ وَلِلُّومِ فِيهِمْ كَادِلٌ وَسَنَامٌ (٥)
/ ومثله قول أبي دُوَادٍ :

١٢٤

عَهَدْتُ لَهَا مَنْزِلًا دَائِرًا وَأَلَّا عَلَى الْمَاءِ يَحْمِلُنَ آلَا (٦)
فَالْآلُ الْأَوَّلُ : أَعْمَدَةُ الْحِيَامِ تُنْصَبُ عَلَى الْبُرِّ لِلْسَقَى ، وَالْآلُ الثَّانِي :
السَّرَابُ (٧) .

وليس عنده قول من قال : المطابقة إنما تكون باجتماع الشيء وضده -
بشيء .

(١) البديع ص ٧٤ (٢) راجع نقد الشعر ص ٦٠
(٣) ديوانه ص ١٦ « بهوجل عيرانة » وسر الفصاحة ص ١٨٥ ونقد الشعر ٦٠ والعمدة
٢٩٠/١ . والعيرانة كما في اللسان ٣٠١/٦ « الناقة الصلبة ، تشبيهاً بعير الوحش ، والألف والنون
زائدتان » . والعنتريس كما في اللسان ٤/٨ « الناقة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم الهواد الجرثية »
(٤) في اللسان ٢١٤/١٤ « الهوجل : المفازة البعيدة التي ليست بها أعلام ، والأرض التي لا معالم
بها . والهوجل : الناقة السريعة الذاهية في سيرها ، وقيل : هي الناقة التي كان بها هوجماً من سرعتها » .
(٥) البديع ص ٥٨ ونقد الشعر ٦٠ وسر الفصاحة ص ١٨٤ وفي م و ك : « يستنظرون » وفي
الأغاني ١٧١/١٨ « أنت بنو يشكر سويد بن أبي كاهل لهجو زياداً الأعجم فأبى عليهم ، فقال :
زياد :

* وَأَنْبِئْتُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ ابْنَ كَاهِلٍ *

(٦) نقد الشعر ص ٦٠ واللسان ٣٩/١٣

(٧) في العمدة ٢٨٨/١ « . . . هكذا فسروه منهم قدامة ، والذي قال الخاقاني : يعني أعمدة تحمل
أعمدة مثلها ذكره أبو حنيفة . وقوله على الماء : يعني الماء العذ الذي هو المحضر يرجعون إليه بعد تبيدهم
وانقطاع ماء الساء . وقد أخبرك الشاعر على القول الأول أنهم يحملون أعمدة الأعبية والبيوت »

ومن المعنى الأول قول الشاعر :

ولن تكرم النفس التي لا تُهينها^(١)

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم

ومثله قول امرئ القيس :

شديداتِ عَقْدِ لِينَاتِ مِتَانِ^(٢)

وتردّي على صُمِّ صِلَابِ مَلَاطِيسِ

/ وكقول النابغة : ١٢٥

ولا يحسبون الشرَّ ضربةً لازِبِ^(٣)

ولا يحسبون الخير لا شرَّ بعده

وكقول زهير ، وقد جمع فيه طبيّاقين :

مطاع ، فلا يُلقى لحزمهم ومثْلُ^(٤)

بِعَزْمَةِ مَأْمُورٍ مُطِيعٍ وَأَمْرِ

وكقول الفرزدق :

ليلٌ يصيحُ بجانبه نهار^(٥)

والشيبُ يتهضُّ في الشباب كأنه

ومما قيل فيه ثلاث تطبيقات قول جرير :

وقابض شر عنكم بشماليا^(٦)

وباسط خير فيكم بيمينه

وكقول رجل من بلعنبر^(٧) :

ومن إساءة أهل السوء إحسانا^(٨)

يَجْزُونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظلمِ مَغْفَرَةً

(١) البيت لأعرابي حجب عن باب السلطان ، كما في البيان والتبيين ١٨٩/٢ وأمالى المرتضى

٢٠٥/١ والصناعتين ص ٢٤٠

(٢) ديوانه ص ١٤٥ وفي اللسان ٣٣/١٩ : « ردت الخيل ردياً وردياناً : رجعت الأرض

بجوافرها في سيرها وعدوها » .

والملاطس : جمع ملطس ، وهو المعول الذي يكسر به الصخر .

وفي م : « مثاني » .

(٣) ديوانه ص ٤٥ والصناعتين ٢٤٣ وفي اللسان ٢٣٤/٢ : « واللأزب : الثابت ، وصار الشيء

ضربة لازب ، أي لازماً . هذه اللغة الجيدة ، وقد قالوها بالميم ، والأول أفصح » .

(٤) ديوانه ص ١٠٨ م « لعزبة » . وك و س « فلا يلقى » .

(٥) ديوانه ص ٤٦٧ والكامل ١٨/١ والصناعتين ص ٢٣٤ وفي ١ « في السواد » والأغاني ١٩/١٦

والموشح ١٠٣ (٦) ديوانه ص ٦٠٥ والصناعتين ٢٤٤ والوساطة ص ٢٩ وسر الفصاحة ص ١٩١

(٧) هو قريظ بين أنيف ، كما في شرح الحماسة للتبريزي ص ٨ : « والعرب تقول : بلعنبر ،

وبنو العنبر ، وكذلك يفعلون فيما فيه ألف ولام إذا لم يكن ثم إدغام »

(٨) شرح المرزوق ٣١/١

/ وروى عن الحسن^(١) بن عليّ، رضى الله عنهما، أنه تمثل بقول القائل : ١٢٦
فلا الجود يُغنى المال والجَدُّ مقبَلٌ ولا البخلُ يُبقي المال والجَدُّ مدبرٌ^(٢)
وكقول الآخر :

فِسرِي كإعلاني وتلك سَجِيَّتِي وظُلْمَةٌ ليلي مثلُ ضوءِ نهاريا
وكقول قيس بن الخطيم :

إذا أنت لم تنفع فُضْرًا : فإنما يُرَجِّي الفتى كما يضرُّ وينقعا^(٣)
وكقول السموأل :

وما ضرنا أنا قليلٌ وجارنا عزيز وجار الأَكْثَرين ذليل^(٤)
فهذا باب يروونه من البديع .

* * *

وباب آخر وهو « التَّجْنِيسِ » . ومعنى ذلك : أن تأتي بكلمتين متجانستين :

فنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف حروفها [ومعناها]^(٥) . وإليه ذهب الخليل^(٦) .

/ ومنهم من زعم أن المجانسة أن تشترك اللفظتان على جهة الاشتقاق^(٧) . ١٢٧

وكقوله عز وجل : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾^(٨) .

وكقوله : ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ﴾^(٩) .

وكقوله : ﴿ يَا أَسْفَا عَلَى يُونُسَ ﴾^(١٠) .

(١) م « أن الحسين » (٢) البيت غير منسوب في الصناعتين ص ٢٤٤ .

(٣) ديوانه ص ٤٤ والصناعتين ص ٢٤٥ وقد نسبة الصولي في أخبار أبي تمام ص ٢٨ لعبد الأعل

ابن عبد الله بن عامر .

وقد سقط هذا البيت من م

(٤) شرح الحماسة للتبريزي ١١٠/١ والمرزوقي ١١٢/١ . (٥) الزيادة من م .

(٦) البديع ص ٥٥ (٧) نقد الشعر ص ٦١ و م « على وجه »

(٨) سورة الروم : ٤٢ (٩) سورة النمل : ٤٤ .

(١٠) سورة يوسف : ٨٤

وكقوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (١) .

وكقوله : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ (٢) .

وكقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أَسْلِمُ سَأَلَهَا اللَّهُ ، وَغَفَارٌ غَضِرَ اللَّهُ لَهَا ، وَعُصْبَةٌ عَصَبَتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، [وَتُجِيبُ أَجَابَتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ] » (٣) .
وكقوله : « الظلم ظلمات يوم القيامة » (٤) .

وقوله : « لا يكون ذو الوجهين وجهاً عند الله » (٥) .

/ وكتب بعض الكتّاب : « العذر مع التّعذر واجب ، فأريك فيه » (٦) . ١٢٨

وقال معاوية لابن عباس : مالكم يا بنى هاشم تُصابون في أبصاركم ؟ فقال : كما تصابون في بصائركم (٧) .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « هاجروا ولا تهجرُوا » (٨) .
ومن ذلك قول قيس بن عاصم :

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة
كسسته نجيعاً من دم الجوف أشكلاً (٩)

(١) سورة الأنعام : ٨٢

(٢) سورة الأنعام : ٢٦

(٣) الزيادة من م والحديث في البديع ص ٥٦ والصناعتين ٢٥١

(٤) الصناعتين ص ٢٥١ والبديع ص ٥٦

(٥) الصناعتين ٢٥٢

(٦) الصناعتين ٢٥٢

(٧) البديع ص ٥٦ والصناعتين ٢٥٢

(٨) الصناعتين ٢٥٢ : والبديع ص ٥٦ وفي اللسان ١١١/٧ « وقال أبو عبيد : يقول :

أخلصوا الهجرة لله ، ولا تشبهوا بالمهاجرين على غير صحة منكم فهذا هو التهجّر » .

(٩) حفزته بالرمح : طعنته . والبيت لسوار بن حبان المنقرى ، يفتخر بطعن « الحوفزان » واسمه الحارث بن شريك الشيباني ، ولم يكن سوار الحافز له ، وإنما الحافز له قيس بن عاصم المنقرى في يوم جدود ، كما قال ابن السيد البطليوسى في الاقتضاب ص ٣١٦ ، ١٢٣ . والنجيع : الدم الطرى ، وقيل : النجيع دم الجوف خاصة . والأشكل : الذى يخالطه بياض من الزبد . راجع الأغاني ١٥٣/١٢ واللسان ٢٠٣/٧ وأمالى المرتضى ٧٧/١ والنقائض ص ١٤٦ وفيها « تمج نجيعاً » و ص ٣٢٨ : « سقته » وكذلك في اللسان ٣٨١/١٣ والبيت منسوب في الصناعتين ص ٢٥٤ كما هنا لقيس بن عاصم .

وقال آخر (١):

* أَمَلَّ عَلَيْهَا بِالْبَيْلَى الْمَلَوَانَ (٢) *

١٢٩

/ وقال الآخر (٣):

وذاكمُ أَنْ ذَلَّ الْجَارِ حَالْفِكُمْ وَأَنْ أَنْفِكُمْ لَا تَعْرِفُ الْأَنْفَا (٤)
وكتب إلى بعض مشايخنا ، قال : أنشدنا الأخصش ، عن المبرّد ، عن
التوّزى (٥):

وقالوا (٦) : حماماتُ فحُمَّ لقاؤها وطلّحُ : فزيرتُ والمطىُّ طُلُوحُ (٧)
عُقَابٌ بِأَعْقَابٍ مِنَ النَّأَى بَعْدَمَا جَرَتْ نِيَةٌ تَنْسَى الْمَحَبَّ طُرُوحُ (٨)
وقال صحابي : هدهدٌ فوق بانهٍ هُدَى وَبِيَانٌ بِالنَّجَاحِ يَلُوحُ (٩)
وقالوا : دَمٌ ، دَامَتْ مَوَاتِيْقُ عَهْدِهِ وَدَامَ لَنَا حَسَنُ الصَّفَاءِ صَرِيحُ (١٠)

(١) هو تميم بن أبي بن مقبل ، كما في الاقتصاب ص ٤٧٢ والجواليقي ص ٤٠٣ والأمال ٢٣٣/١
واللسان ١٦٠/٢٠ وديوانه ٣٣٥ .

(٢) وصدده :

* أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّبْعَانَ *

والملوان : الليل والنهار . وجعلهما ابن مقبل الغداة والعشى .

(٣) م : « الآخر أظنه التوزي »

(٤) البيت لرجل من بني عبس في البديع ص ٥٨ والموازنة ٢٤٩/١ والصناعتين ٢٥٥ ونقد
الشعر ٦١ وصدده فيه تحريف . وسر الفصاحة ص ١٨٤ والعمدة ٢٩٢/١ وفيه : « وذلكم » كما في م .

(٥) م « عن التنوخى » ا « التوجى » ك « الثورى » .

(٦) الشعر لأبي حية النيمرى كما في أمالي القائل ٧٠/١ وزهر الآداب ١٦٧/٢ ونسب للراعى

في الزهرة ص ٢٤٧

(٧) م : « وطلح قريب » وهو تحريف ، وفي زهر الآداب : « وطلح فنيلت » ، وطلّيح :
أجهدها السير وهزها .

(٨) قال البكري في شرح الأمالي ٢٤٤/١ : « بإعقاب بالكسر بخط أبي علي » . وفي ك ،

س : « من النَّأَى » وفي الأمالي « تسلى المحب » وفي زهر الآداب « بعد ما نأت ناية بالطاعنين طريق »

(٩) في الزهرة « وقالوا : فراه هدهداً . . . وبيان والطريق تلوح »

(١٠) في الزهرة : « دامت مودة بيننا . . . صفو صفاه صريح » وفي الأمالي وفي زهر الآداب

« مواتيقي بيننا . حلوا الصفاه » وقال البكري : « وقوله حلوا الصفاه : هو نعمت لشيء محذوف ، ولولا ذلك

ما نعمت بعد بصريح كأنه عهد حلوا الصفاه أوود »

/ وقال آخر (١) :

* أَقْبَلْنَ مِنْ مِصْرَ يُبَارِينَ الْبُرَى (٢) *

وقال القطامي :

ولما ردها في الشول شالت بذَيَّال يَكُونُ لها لِفَاعاً (٣)
وقد (٤) يكون التجنيس بزيادة حرف [أو بنقصان حرف] (٥) أو ما يقارب
ذلك ، كقول البحري :

هل لما فات من تلاقٍ تلافٍ أم لشاكٍ من الصَّبَابَةِ شافٍ (٦)؟
/ وقال ابن مقبل :

يَمَشِينِ هَيْلَ النَّقَا مالت جوانبه
ينهاهُ حِيناً وينهاهُ الثرى حِيناً (٧)
وقال زهير :

هم يَصْرِبُونَ حَبِيكَ الْبَيْضِ إِذْ لَحِقُوا
لَا يَنْكَلُونَ إِذَا مَا اسْتَلْحَمُوا وَحِمُوا (٨)

(١) هو جليح بن شميذ كما في ديوان الشيخ ص ١٠٥ وكان من حديثه أنه أقبل من مصر مع جماعة من الشعراء منهم الشيخ ، فكان الرجل منهم ينزل فيسوق بأصحابه ويرتجز . وقد ارتجز الجليح بالقوم فقال قصيدة مطلعها :

« طاف الخيال من سليبي فاعترى » وهي مثبتة في ديوان الشيخ ص ١٠٥ - ١٠٨

(٢) وقبله : « له علامات على حد الصوى » وبعده : « يشكون قرحاً بالدفوف والكلبي » الصوى : حجارة تجعل علامة في الطريق . والضمير في « أقبلن » للمطايا . يبارين : من المباراة ، وهي المعارضة في السير . والبرى : جمع برة بالضم ، وهي حلقة تجعل في أنف البعير . والدفوف : جمع دف ، وهو الجنب . وقد ورد منسوباً في الصناعتين ص ٢٥٥ جليح بن سويد ، وفيه « من مضر » وهو تحريف .

(٣) ديوانه ص ٤٣ والصناعتين ص ٢٥٦ والبديع ص ٥٦ والموازنة ١١/١ ، ٢٤٩ والشول : طروقة الفحل . ردها لأنه ظن أنها لم تحمل فشالت بذنبا لأنها لا تقع ، وذبال : ذنب طويل . ولفاع : ثوب تلتفع به .

(٤) م : « قال القاضي الجليل رحمه الله : وقد يكون إلخ »

(٥) الزيادة من ا ، ب ، م

(٦) ديوانه ١/٣٦٦ « ألمافات من تلاقٍ » و س ، ك : « من تلافٍ »

(٧) ديوانه ٣٢٦ وحاسة ابن الشجري ١٨٨ وجمهرة أشعار العرب ص ١٦٢ ، والهليل من الرمل : الذي لا يثبت مكانه حتى ينهال فيسقط ، كما في اللسان ١٤/١٣٩ ، والنقا : كما في اللسان ٢٠ / ٢٣١ : « الكثيب من الرمل » وفي م : « مثل النقا » .

(٨) ديوانه ص ١٥٩ والصناعتين ٢١٠ ، استلحموا : أدركوا ، وحموا : غضبوا

ومن ذلك قول أبي تمام :

يَدُونُ مِنْ أَيْدِ عَوَاصِ عَوَاصِمِ تصُولُ بِأَسْيَافِ قَوَاضِ قَوَاضِبِ^(١)

وأبو نواس يقصد في مصراعَيْ مَقْدَمَاتِ شعره هذا الباب^(٢) ، كقوله :

أَلَا دَارِهَا بِالْمَاءِ حَتَّى تُلِينَهَا فَان تَكْرَمِ الصَّهْبَاءِ حَتَّى تُهَيِّنَهَا
وكذلك قوله :

دِيَارُ نَوَارٍ مَا دِيَارُ نَوَارٍ كَسَوْنِكَ شَجْوًا هُنَّ مِنْهُ عَوَارٍ^(٣)

وكقول ابن المعتز :

سَأْتِنِي عَلَى عَهْدِ الْمَطِيرَةِ وَالْقَصْرِ وَأَدْعُو لَهَا بِالسَّاكِنِينَ وَبِالْقَطْرِ^(٤)

/ وكقوله أيضاً :

١٣٢

هِيَ الدَّارُ إِلَّا أَنَّهَا مِنْهُمْ قَفْرٌ وَأَنْتَى بِهَا ثَاوٍ وَأَنْهُمْ سَفْرٌ^(٥)
/ وكقوله :

لِلْأَمَانِيِّ حَدِيثٌ [قَدْ] يَقْر وَيَسُوءُ الدَّهْرَ مِنْ قَدْ يَسِرُ^(٦)
وكقول المتنبي :

وقد أَرَانِي الشَّبَابُ الرُّوحَ فِي بَدَنِي وَقَدْ أَرَانِي الْمَشِيبُ الرُّوحَ فِي بَدَنِي^(٧)

وقد قيل : إِنْ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ
سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴾^(٨) ، وقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي
فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾^(٩) .

* * *

ويَعْدُونُ مِنَ الْبَدِيعِ « الْمَقَابِلَةَ » ، وَهِيَ أَنْ يُوَفَّقَ بَيْنَ مَعَانٍ وَنظَائِرِهَا وَالْمُضَادِّ
بِضَدِّهِ ، وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ :

(١) ديوانه ص ٤٢ والصناعتين ٢٦١ (٢) م : « هذا الباب كله »

(٣) ديوانه ٧٢ (٤) ديوانه ٣٥

(٥) ديوانه ص ٤٢ (٦) م « حديث يغر » ديوانه ٤٤ « قد يغر ويسر الدهر »

(٧) ديوانه ٦٦/٢ يقول : إنه إنما كان حياً حين كان شاباً ، فلما شاب صار كأنه قد مات

وانتقل روحه إلى غيره . والبدل في هذا البيت : الولد .

(٨) سورة الأنبياء : ٣٧ (٩) سورة الزمر : ١٤ ، ١٥

فتى تم فيه ما يسرُّ صديقهُ على أنَّ فيه ما يسوءُ الأعاديا^(١) / وقال تأبط شراً :

١٣٣

أهزُّ به في ندوة الحمى عطفهُ كما هزَّ عِظْفِي بِالهِجَانِ الْأَوْرِكِ^(٢) وكقول الآخر :

وإذا حديثٌ ساعنى لم أكْتِئِبْ وإذا حديثٌ سرّنى لم أشرز^(٣) وكقول الآخر :

وذى إخوة قطعتُ أرحامَ بينهم كما تركونى واحداً لا أخالياً^(٤) ونظيره من القرآن : ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ ، ثُمَّ إِذَا

كشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾^(٥) .

[ومن هذا الجنس قول هند بنت النعمان للمغيرة بن شعبة ، وقد أحسن إليها : بررتك يدٌ نالتها خصاصة بعد ثروة ، وأغناك الله عن يد نالت ثروة بعد فاقة]^(٦) .

* * *

/ ويعدون من البديع « الموازنة » ، وذلك كقول بعضهم : اصبر على حترّ اللقاء ، ومضض التزال ، وشدة المِصَاع^(٧) .

١٣٤

(١) الصناعتين ٢٦٥ والأمال ٢/٢ وأمال المرتضى ١٩٤/١ والعمدة ٥٢/١ ، ٤٦ والشعر والشعراء ٢٥٢/١ وشرح الحماسة للتبريزى ٨٣/٣ وقد عاد أبو هلال العسكري فنسبه إلى جنبد بن جابر الفزاري في ص ٣٢٤ وهو وهم لا شك فيه .

(٢) الصناعتين ٢٦٤ وشرح الحماسة للتبريزى ٩١/١ والمرزوق ٩٤/١ عطفه : جانبه . والهجان : الإبل البيض الكرام ، والأوراك : التى ترعى الأراك . يقول : أحرك بالثناء جانبه كما حرك جانبى بعيطه ، أى أسرك بذلك حتى يرتاح ويطرب كما سرنى حتى اهتزت .

(٣) الصناعتين ٢٦٦ ونقد الشعر ٤٧ وفى حماسة البحرى ص ١١٩ « قال عبد الله بن سليم الأزدى : وإذا حديث . . . لم أبشر ، وبعده :

أخشى الفواحش منهما كلتيهما ورعيت نفسى ناشئاً للمكبر»

وفى س ، م « لم أسرر » والأثر : المرح .

(٤) س ، ك والصناعتين ٢٦٦ : « أقران بينهم » (٥) سورة النحل : ٥٣ ، ٥٤

(٦) الزيادة من م ، وكلام هند مع بعض التغيير فى سر الفصاحة ص ٢٥٢

(٧) كذا فى ا ، ب ، م ، ك وفى س : « المصارع » وهو تحريف . والمصاع كما فى

اللسان ٢١٤/١٠ « المقاتلة والمجالدة بالسيوف » .

وكقول امرئ القيس :

سَلِيمُ الشَّظَا عَبْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسَا

[له حَجَبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ عَلَى الْفَالِ] (١)

ونظيره من القرآن : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ . وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ (٢) .

ويعدون من البديع « المساواة » ، وهي أن يكون اللفظ مساوياً/ للمعنى ، لا يزيد ١٣٥ عليه ولا ينقص عنه . وذلك يُعدُّ من البلاغة ، وذلك كقول زهير :

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرِي مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ (٣)
وكقول جرير :

فَلَوْ شَاءَ قَوْمِي كَانَ حِلْمِي فِيهِمْ وَكَانَ عَلَى جُهَالٍ أَعْدَائِهِمْ جَهْلِي (٤)
وكقول الآخر (٥) :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُقْصِرْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْحَنَا وَكَقَوْلِ الْهَذَلِيِّ (٦) :

فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سُنَّةِ أَنْتَ سِرَّتِهَا وَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مِنْ يَسِيرِهَا (٧)

(١) الزيادة من م والبيت في ديوانه ص ١١١ والصناعتين ٢٩٦ والشظى كما في اللسان ١٦٢/١٩ : عظم ملزق بالذراع فإذا تحرك من موضعه قيل : قد شظى الفرس بالكسر . والشظى : انشقاق العصب . « وفي اللسان ٤٤٦/١٣ » « وفرس عبيل الشوى : أى غليظ القوائم » والصا : من الورك إلى الكعب كما في ١٩٣/٢٠ وفي ١٣٤/٣ : « وفرس شنج النساء : متقبضة ، وهو مدح له ؛ لأنه إذا تقبض نساء وشنج لم تسترخ رجلاه . وفي ٢٩٠/١ : « الحجبة : بالتحريك : رأس عظم الورك » وفي ٥٢/١٤ : « على الفال : أراد على الفائل فقلب ، وهو عرق في الفخذين يكون في خربة الورك ينحدر في الرجل »

(٢) سورة البروج : ١ - ٣

(٣) ديوانه ٣٢ ونقد الشعر ص ٥٥ وسر الفصاحة ص ٢٠٦

(٤) ديوانه ص ٤٦٢ وفي أ ، ك : « على أعداء جهالم » وصوابه من ب ، م

(٥) هو زهير كما في ديوانه ص ٣٠٠ وسر الفصاحة ص ٢٠٦ ونقد الشعر ص ٥٥ وفيه

« لم ترحل عن »

(٦) هو خالد بن محرت بن أخت أبي ذؤيب ، كما في ديوان أبي ذؤيب ص ١٥٦ ، ١٥٧

وفي نقد الشعر ص ٥٥ هو خالد بن زهير بن أخي أبي ذؤيب الهذلي .

وكقول الآخر^(١) :

فإن هم طاوَعُواك فطاوَعِيهم وإن عاصوك فاعصِي مَنْ عَصَاك
/ ونظير ذلك في القرآن كثير .

١٣٦

* * *

وما يعدونه من البديع « الإشارة » ، وهو اشتغال اللفظ القليل على المعاني
الكثيرة . وقال بعضهم^(٢) في وصف البلاغة : [البلاغة] لحة دالة .
ومن ذلك قول طرفة :

فظل لنا يومٌ لذيذٌ بنعمةٍ فقلُّ في مقيلٍ نحسُّه مُتغيَّبِ^(٣)
وكقول زيد الخليل :

فخَيْبَةٌ مَنْ يَخِيبُ عَلَى غَنِيٍّ وباهلة بن أعصرَ والرَّبابِ^(٤)

(١) البيت لخليل مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، كما في شرح الحماسة للتبريزي
٣/٣١٥ وغير منسوب في اللسان ١٩/١٣٩ والأغاني ١٥/١٥٧ ونسب في الزهرة ص ١٢٢ لبعض
الأعراب ، وفي معجم البلدان ٨/٣٠٠ لأبي العيثل .

(٢) هو خلف الأحمر ، كما في العمدة ١/٢١٣

(٣) لا يوجد هذا البيت في ديوان طرفة . وهو لامرئ القيس كما في ديوانه ص ٢٠ ونقد الشعر
ص ٥٧ وأما البيت الذي يصلح أن يكون شاهداً للإشارة من شعر طرفة فهو قوله :

مرفوعها زول وموضوعها كمر غيث لجب توسط ريح

فقوله « زول » مشار به إلى معان كثيرة ، وهو شبيه بما يقول الناس في إجمال نعت الشيء ، واختصاره
عجب ، راجع نقد الشعر ص ٥٦ والبيت محرف فيه وهو على الصواب في اللسان ٩/٨٩ ، ١٠/٢٧٩

(٤) البيت له في الأغاني ١٦/٥٢ وفيه : « وخيبة من تجيب . . . بن أعصر والكلاب »
والشعر والشعراء ١/٢٤٦ وفيه « فخبية من يغير . . . والركاب » وهو غير منسوب في أمالي المرتضى

١/٢٠٨ وفيه : « وباهلة بن يعصر » وفي الإصابة ١/٥٥٥ والشعر والشعراء ١/٣٤٦ والمعاني الكبير
٥٧٦ وقد شرحه ابن قتيبة بقوله : « يقول من غزا فخاب فإنه يكر على غنى وباهلة فيغم ؛ لأنهم
لا يمتنعون من أرادهم ، كالركاب ، وهي الإبل ؛ لأنها لا تمتنع على من أرادها . ابن الأعرابي يقول :
من صار في يده أسير من غنى وباهلة فقد خاب لقلة فدائه ، والدليل على ذلك قوله :

وأدى الغنم من أدى قشيرا ومن كانت له أسرى كلاب

والدليل على التفسير الأول قول الفرزدق يهجو أصم باهلة :

أجعل دارماً كابني دخان وكانا في الغنيمة كالركاب

ابنا دخان : غنى وباهلة ، وكانوا يسبون بذلك في الجاهلية ، كالركاب ، أي لا امتناع بهم كما
لا تمتنع الركاب ، وكان الرجل منهم في الجاهلية إذا قتل رجلاً من أفناء العرب لم يكن في دمه وفاء منه حتى
يزاد عشرًا من الإبل أو نحوها ، وهذا قول أبي عبيدة ، وذكر أن الأشعث الكندي قال للبي صل الله
عليه وسلم : أتكافأ دماؤنا يا رسول الله ؟ قال : نعم ولو قتلت رجلاً من باهلة لقتلتك «

١٣٧ / ونظيره من القرآن : ﴿لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ (١) . ومواضع كثيرة .

* * *

ويعدون من البديع « المبالغة » ، و « الغلو » .

والمبالغة : تأكيد معاني القول ، وذلك كقول (٢) الشاعر :

ونكرمُ جارنا ما كان فينا ونُتبعه الكرامة حيث مالا (٣)
ومن ذلك قول الآخر (٤) :

وهم تركوك أسلح من حباري رأت صقراً وأشرد من نعام
فقوله : « رأت صقراً » مبالغة .
ومن الغلو قول أبي نؤاس :

١٣٨

توهمتها في كاسها فكأنما فما يرتق التكييف فيها إلى مدى
وقول زهير :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم - قعدوا (٦)
وكقول النابغة :

بلغنا السماء مجدنا وسناونا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً (٧)

(١) سورة الرعد : ٣١ م : (٢) « القول كقول »

(٣) البيت لعير بن الأيهم كما في نقد الشعر ص ٥٠ وفيه « حيث سارا » ولعمرو بن الأيهم التغلبي في العمدة ٥٢/٢ وفيه « حيث كانا » ولعميرة بن الأهم التغلبي في الصناعتين ٢٨٨ ولأعشى تغلب ص ٢٧١

(٤) هو أوس بن غلفاء يخاطب يزيد بن عمرو بن الصمق ، كما في الكامل ٤٢٢/٢ والنقائض ص ٩٣٣ والخزانة ١٣٩/٣ واللسان ٢٣١/١١ ونقد الشعر ص ٥١ والصناعتين ص ٢٨٩ .

(٥) م : « فما يرجع » .

(٦) ديوانه ص ٢٨٢ وقد نسب أبو تمام في الوحشيات لأبي الجويرية : عيسى بن أوس ، وترجمته في المؤلفات ص ٧٩ ومعجم الشعراء ص ٢٥٨ وفي ١ : « فوق النجم » .

(٧) في الأغاني ١٣٠/٤ قال النابغة الجعدي : « أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر فأعجب به :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإذا لبنى فوق ذلك مظهراً

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فأين المظهر يا أبا ليل ؟ فقلت : الجنة . فقال : « قل إن شاء الله .

فقلت : إن شاء الله » والبيت في الشعر والشعراء ٢٤٧/١ وفي اللسان ٢٠٢/٦ . والمظهر : المصمد .

وكقول الخنساء :

وما بلغت كف امرئ متناول
بها المجد إلا حيثما نلت أطول^(١)
وما بلغ المهدون في القول مدحة^(٢)
وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل^(٣)
/ وقول الآخر^(٣) :

١٣٩

له همم لا منتهى لكبارها
وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها
على البر صار البر أندى من البحر

* * *

ويرون من البديع « الإيغال » في الشعر خاصة ، فلا يُطلب مثله في القرآن
إلا في الفواصل ، كقول امرئ القيس :

كَانَ عَيْونَ الوَحْشِ حَوْلَ خَبَائِنَا
وَأَرْحَلْنَا الأَجْزَعُ الَّذِي لَمْ يُشَقَّبِ^(١)
فقد أوغل بالقافية في الوصف وأكد التشبيه بها ، والمعنى قد يستقل دونها .

* * *

ومن البديع عندهم « التوشيح » . وهو أن يشهد^(٥) أول البيت بقافيته وأول
الكلام بآخره ، كقول البحرى :

140 / فليس الذى حَلَلْتَهُ بِمَحَلِّهِ
وليس الذى حرّمته بحرام^(٦)
ومثله في القرآن : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٧) .

* * *

- (١) ديوانها ص ١٨٤ من قصيدة في أخيها صخر . وفي م : « كف امرئ متناول من المجد » .
(٢) م : « مدحة وإن ظنوا إلا الذي » وفي الديوان « مدحة ولا صفة إلا الذي »
(٣) زعم صاحب معاهد التنصيص ٢٠٨/١ أنه لحسان بن ثابت ، وذكر بعضهم أنه لبيد
ابن النطاح في أبي دلف .
(٤) البيت منسوب للقمعة الفحل في ديوانه ص ٢٨ وديوان امرئ القيس ص ٢٧ ولامرئ القيس
في الصناعتين ص ٣٠١ . والعمدة ٥٥/٢ وسر الفصاحة ١٤٨ وفي نقد الشعر ص ٦٣ : « فقد أتى
امرؤ القيس على التشبيه كاملاً قبل القافية ، وذلك أن عيون الوحش شبيهة به ، ثم لما جاء بالقافية أوغل
بها في الوصف ووكده وهو قوله : الذى لم يشقب ، فإن عيون الوحش غير مثقبة وهى بالجزع الذى لم يشقب
أدخل في التشبيه » .
(٥) س : « أن يشيد » .
(٦) ديوانه ص ١٠ وفي الصناعتين ص ٣٠٣ « وذلك أن من سمع النصف الأول عرف الأخير

ومن ذلك «رَدُّ عَجْزِ الْكَلَامِ عَلَى صَدْرِهِ» . كقول الله عز وجل : ﴿ أَنْظِرْ
 كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلِالْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ (١)
 وكقوله : ﴿ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ ، وَقَدْ خَابَ
 مَنْ أَفْتَرَى ﴾ (٢) .

ومن هذا الباب قول القائل (٣) :

وإن لم يكن إلا تعلل ساعة
 وكقول جرير :

وما ذاك إلا حُبٌّ مَنْ حَلَّ بِالرَّمْلِ (٤) ١٤١
 /سقى الرَّمْلَ جَوْنَ مُسْتَهْلِ غَمَامِهِ
 وكقول الآخر (٥) :

يؤدُّ الفتى طولَ السلامة والغنى
 وكقول أبي صخر الهذلي :

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها
 وكقول الآخر :

أصدُّ بأيدي العيسر عن قصدِ أرضها
 وقابي إليها بالمودة قاصد (٦)

(١) سورة الإسراء : ٢١

(٢) سورة طه : ٦١ وفي مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٢٤ : « السحت :
 القشر الذي يستأصل »

(٣) هو ذو الرمة ، كما في ديوانه ص ٥٥٠ وفي نوادر القائل ص ٢١٦ : « إلا معرس ساعة
 قليل »

(٤) ديوانه ص ٤٦٠ : « مستهل ربابه » وكذلك في البديع ص ٩٥ والصناعتين ص ٣٠٦
 والعمدة ٤/٢ .

(٥) هو النمر بن تولب كما في الأغاني ١٥٩/١٩ والصناعتين ١٢٧ ، ٣٠٧ وجمهرة أشعار
 العرب ١١٠ وشرح شواهد المعنى ٢١٥

(٦) شرح الحماسة للتبريزي ٢٠٨/٣ والأغاني ١٤٩/٢١ والشعر والشعراء ٥٤٦/٢

(٧) الصناعتين ٣٠٦ « قصد دارها »

وكقول عمرو بن معدى كرب :

إذا لم تستطع شيئاً فدعّه وجاوزه إلى ما تستطيع^(١)

* * *

ومن البديع « صحة التقسيم » ومن ذلك قول نُصَيْب :

١٤٢ / فقال فريقُ القوم : لا ، وفريقُهُمْ : نعم ، وفريقُ قال : ويحك ما نذرى^(٢)

وليس في أقسام الجواب أكثر من هذا .
وكقول الآخر^(٣) :

فكأنَّها فيه نهارٌ ساطع
وقول المقنَّع الكِنْدِي :

وإن يأكُلوا لحمي وفرتُ لحومهم
وإن ضيَّعوا غيبي حفظتُ غيوبهم
وإن زجروا طيراً بنحسٍ تمرُّ بي
زجرتُ لهم طيراً تمرُّ بهم سعدا
وكقول عروة بن حزام :

بمن لو أراه غانياً لفديته
ومن لو رآني غانياً لفداني^(٦)
وتحوه قول الله عز وجل : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ، يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ ۚ ۱٤٣

(١) الشعر والشعراء ١/٣٣٥ والأصمعيات ص ٤٥ والصناعتين ص ٣٠٦ والأغانى ١٤/٣٣ ومعاهد التنخيص ٢/٢٣٦ وحامسة البحرى ٢٣٦

(٢) العمدة ٢/٢٠ وسر الفصاحة ٢٢٤ وس ، ك « ما يدري » وفقد الشعر ص ٤٦ « لا أدري »
وفى الصناعتين : « وفريق لا يمن الله ما نذرى » وفى اللسان ١٧/٣٥٤ :

فقال فريق القوم لما نشدتهم نعم وفريق كمين الله ما نذرى

(٣) هو بكر بن النطاح ، كما فى الأمالى ١/٢٢٧ وقبيله :

بيضاء تسحب من قيام فرعها وتغيب فيه وهو وحف أسحم

(٤) س ، ك « فكأنما »

(٥) الأمالى ١/٢٨١ وفى الأغانى ١٥/١٥٧ والشعر والشعراء ٢/٧١٦ « إذا أكلوا لحمي

وفرت لحومهم » وحامسة البحرى ٢٤٠

(٦) الأغانى ٢٠/١٥٥ وفى س ، ك : « لو أراه غانياً . . . رآني غانياً »

إِلَى النُّورِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ، يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى
الظُّلُمَاتِ ﴿١﴾ .

* * *

ونحوه : « صحة التفسير » . [وهو أن توضع معان تحتاج إلى شرح أحوالها ،
فإذا شرحت أثبتت تلك المعاني من غير عدول عنها ولا زيادة ولا نقصان] (٢) .
كقول القائل (٣) :

وَلِي فَرَسٌ لِلْحَلَمِ بِالْحَلَمِ مُلَجِّمٌ وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرَجٌ

* * *

ومن البديع : « التكميل والتتميم » .
[وهو أن يأتي بالمعنى الذى بدأ به بجميع المعانى المصححة المتممة لصحته ،
المكملة لجودته ، من غير أن يخل ببعضها ، ولا أن يغادر شيئاً منها . كقول
القائل : وما عسيت أن أشكرك عليه من مواعيد لم تُشَنِّ بمطل ، ومَرَّافِدَ لم
تُشَبِّبِ بِمَنْ ، وبشر لم يمازجه ملق ، ولم يخالظه مذاق] (٤) .
/ وكقول نافع بن خليفة :

١٤٤

رِجَالٌ إِذَا لَمْ يَقْبَلُوا الْحَقَّ مِنْهُمْ وَيُعْطَوْهُ عَادُوا بِالسِّيْفِ الْقَوَاطِعِ (٥)
وَإِنَّمَا تَمَّ جُودَةُ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ : « وَيُعْطَوْهُ » .
وذلك كقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ إلى آخر الآية :
ثم قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٦) .

* * *

ومن البديع : « التَّرْصِيعُ » . وذلك على ألوان (٧) .

-
- (١) سورة البقرة : ٢٥٧ (٢) الزيادة من م
(٣) هو محمد بن وهيب كما في عيون الأخبار ٢٨٩/١ أو محمد بن حازم الباهل كما في معجم
الشعراء ص ٢٩٤ أو صالح بن جناح اللخمي كما في نقد الشعر ص ٤٩ والصناعتين ص ٢٧٢
(٤) الزيادة من م
(٥) نقد الشعر ص ٤٩ وفي العمدة ٤٩/٢ والصناعتين ص ٣٠٩ وسر الفصاحة ٢٥٥ « بالسيف
القواضب » .
(٦) سورة لقمان : ٣٤ .
(٧) س ، ك : « من ألوان » .

منها قول امرئ القيس :

مِخْشٌ مِجْشٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مِعاً كَتَيْسٌ ظَبَاءُ الْحَلْبِ الْعَدَوَانُ (١)
ومن ذلك كثير من مقدمات أبي نواس :

يَا مِنَّةً اَمْتَنَهَا السُّكْرُ مَا يَنْقُضِي مِئِي لَهَا الشُّكْرُ (٢)
وكقوله ، وقد ذكرناه قبل هذا (٣) :

/ ديارٌ نوارٍ ما ديارٌ نوارٍ كسونك شجواً هُنَّ منه عَوَار

١٤٥

* * *

ومن ذلك : « الترصيع مع التجنيس » ، كقول ابن المعتز :

ألم تجزع على الربع المُحِيلِ وَأَطْلَالٍ وَأَثَارٍ مُحُولٍ (٤)
ونظيره من القرآن كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ، وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ (٥).

وقوله : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٌ ، وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ (٦).

وكقوله : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (٧).

وكقوله : ﴿ وَالطُّورِ . وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴾ (٨).

وقوله : ﴿ وَالسَّابِقَاتِ سَبْحًا . فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴾ (٩).

وقد أُولع الشعراء بنحو هذا ، فأكثروا فيه . ومنهم من اقتنع / بالترصيع في بعض أطراف الكلام . ومنهم من بنى كلامه [كله] (١٠) عليه ، كقول ابن الرومي :

١٤٦

أبدأنهن وما لبسه ن من الحرير معاً حرير (١١)

(١) ديوانه ص ١٤٥ ونقد الشعر ١١ والصناعتين ٢٩٦ وانظر اللسان ١/٣٢٣

(٢) ديوانه ص ١٠١ (٣) راجع ص ١٣١

(٤) ديوانه ص ٥٩ (٥) سورة الأعراف : ٢٠١ - ٢٠٢

(٦) سورة القلم : ٢ - ٣ (٧) سورة العاديات : ٧ - ٨

(٨) سورة الطور : ١ - ٢ (٩) سورة التازعات : ٣ - ٤

أَرْدَانَهُنَّ وَمَا مَسَسَهُ نَ مِنَ الْعَبِيرِ مَعَا عَبِيرٌ^(١)
وكقوله :

فَلِرَاهِبٍ أَنْ لَا يَرِيثَ مَكَانَهُ وَلِرَاغِبٍ أَنْ لَا يَرِيثَ نَجَاحَهُ^(٢)
ومما يقارب التصريح ضرب يسمى : « المَضَارَعَة » وذلك كقول الخنساء :
حامى الحقيقة محمود الخليفة مه دى الطريقة نفاع وضرار^(٣)
جواب قاصية جزاز ناصية عقاد ألوية للخليل جرار^(٤)

ومن البديع باب : « التكافؤ » . وذلك قريب من « المطابقة » / كقول المنصور : ١٤٧
لا تخرجوا من عز الطاعة ، إلى ذل المعصية^(٥) . وقول عمر بن ذر^(٦) : إنا لم نجد
لك إذ عصيت الله فينا خيراً من أن نطيع الله فيك^(٧) .
ومنه قول بشار :

إذا أيقظتكَ حروب العدا فنبت لها عمراً ثم نم^(٨)
[ومنه قول أعرابي يذم قومه : ألسن عامرة من الوعد ، وقلوب خربة من العزم .
وقال آخر : وساع في الهوى ، وطرب في الحاجة]^(٩) .

(١) في الديوان : « ونسيمهن وما »

(٢) ديوانه ٧٨/٢ وفي س ، ك ، ا : « ألا يريب أمانه »

(٣) لا يوجد هذا البيت في ديوانها ، وهو لها في الصناعتين ص ٢٩٨ ، والحقيقة : ما يحق عليه
أن يحميه . وفي س : « الحقيقة »

(٤) م « حوال قاصية . . . الونه » ك : « جزار ناصية » والذي في ديوانها :
حمال ألوية هباط أودية شهاد أندية للجيش جرار

(٥) الصناعتين ص ٢٤١

(٦) في البيان والتبيين ٢٦٠/١ « مر عمر بن ذر بعبد الله بن عياش المتوفى . وقد كان سفه
عليه فأعرض عنه ، فتملق بثوبه ثم قال له : يا هناه إنا لم نجد إلخ »

(٧) قال الجاحظ : « وهذا كلام أخذه عمر بن ذر عن عمر بن الخطاب ، قال عمر ... وإنك
والله ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه »

(٨) فقد الشعر ص ٥٣ وفي الأغاني ١٩٣/٣ « إذا دهمتك عظام الأمور » والبيت في مدح
الحواد الشجاع عمر بن العلاء

(٩) الزيادة من م وفي الصناعتين ص ١٢٤ « ووصف أعرابي غلاماً فقال : ساع في الحرب
قطوف في الحاجة »

ومن البديع باب : « التعطف » كقول امرئ القيس^(١) :

* عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ عَلَى عَوْدٍ خَلِقُ^(٢) *

/ وقد تقدم مثاله^(٣) .

١٤٨

* * *

ومن البديع : « السلب والإيجاب » ، كقول القائل :

وننكر إن شئنا عَلَى الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول^(٤)

* * *

ومن البديع « الكناية والتعريض » . كقول القائل :

وأحمر كالديباج ، أما سماؤه فريًا ، وأما أرضه فمحول^(٥)

ومن هذا الباب « لحن القول » .

* * *

ومن ذلك : « العكس والتبديل » كقول الحسين^(٦) : « إن من خَوَّفَكَ لَتَأْمَنَ

١٤٩ خَيْرٌ مِنْ أَمْنِكَ لَتَخَافَ » وكقوله : « اللهم أغنني / بالفقر إليك ، ولا تفقرني

بالاستغناء عنك »^(٧) . وكقوله : « بع دنياك بأخرتك تَتَرَبَّحَهُمَا جَمِيعًا ، ولا تبع

آخرتك بدنياك فَتُخَسَّرَهُمَا جَمِيعًا »^(٨) .

(١) م « باب العطف كقول رويته »

(٢) الصناعتين ص ٣٣٥ وفي اللسان ٣١٧/٤ « العود الأول : رجل مسن ، والعود الثاني :

جمل مسن ، والعود الثالث : طريق قديم » وهو غير موجود في ديوان امرئ القيس .

(٣) راجع ص ١٢٣

(٤) الصناعتين ص ٣٢٢ وشرح الحماسة للتبريزي ١١٦/١ وشرح المرزوقي ١٢٠/١

(٥) قال ابن السيد البطليوسي في الاقتضاب ص ٣٣٥ « هذا البيت ينسب إلى طفيل الغنوي ،

ولم أجد في ديوان شعره . يصف فرساً أحمر وشبهه بالديباج في حسن لونه وملاسة جلده . وأراد بسماه

أعاليه ، وبأرضه : قوائمه ، وشبه قوائمه لقلته لحمها بالأرض المحل التي لا نبات فيها » والبيت لطفيل في

اللسان ١٢٤/١٩ والجواليقي ٢١١ والمعاني الكبير ١٥٥ وغير منسوب في ديوان المعاني ١٠٦/٢ وأمال

المرقضي ٧٥/٤ وأساس البلاغة ٤٦٠/١ والبديع لأسامة بن منقذ ص ٢١٢

(٦) في البديع ص ٧٦ : « وقال الحسن وقد أنكر عليه الإفراط في تخويف الناس : إن إلح

والصناعتين ص ٢٣٩

(٨) البيان والتبيين ١٣٢/٢

(٧) الصناعتين ص ٢٩٣

وكقول القائل :

وإذا الدرُّ زانٌ حُسْنٌ وجوهٍ كان للدرِّ حُسْنٌ وجهك زينا^(١)

وقد يدخل في هذا الباب قوله تعالى : ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾^(٢) .

* * *

ومن البديع : « الالتفات » فن ذلك ما كتب إلى الحسن بن عبد الله العسكري ، أخبرنا محمد بن يحيى^(٣) الصُّوْلُو ، [قال] : حدثني يحيى بن علي المنجم ، عن أبيه ، عن إسحاق بن إبراهيم ، قال : قال لي الأصمعي : أتعرف التفاتات جرير ؟ قلت : لا ، فما هي ؟ قال :

أَتَسَى إِذْ تودعنا سُلَيْمَى
بفروع بَشَامَةٍ ؟ سُقِيَّ البَشَامِ^(٤)
/ ومثل ذلك لجرير :

١٥٠

متى كان الخيام بندي طُلُوح - سُقِيَّتِ الغيث - أَيْتَهَا الخيامُ ؟^(٥)
ومعنى الالتفاتات أنه اعترض في الكلام^(٦) قوله : « سُقِيَّتِ الغيث » ، ولو لم يعترض لم يكن ذلك التفاتاً ، وكان الكلام منتظماً ، وكان يقول : « متى كان الخيام بندي طلوح أيتها الخيام » ؟ فتمى خرج عن الكلام الأول ثم رجع إليه على وجه يلطف - كان ذلك التفاتاً .
ومثله قول النابغة الجعدي :

أَلَا زَعَمْتُ بنو سعدٍ بيأني - أَلَا كَذَّبُوا - كبيرُ السنِّ فاني^(٧)

(١) البيت لمالك بن أسماء بن خارجة كما في أمالي المرتضى ٩١/٢ والموشح ص ٢٢٠ وهو غير منسوب في البيان والتبيين ١٩٥/١

(٢) سورة الحج : ٦١ * (٣) س ، ك « محمد بن عبد الله الصولي »

(٤) ديوانه ص ٥١٢ والبديع ص ١٠٧ والصناعتين ص ٣١١ واللسان ٣١٧/١٤ والعمدة

٤٤/٢ والبشام كما في اللسان ٣١٦/١٤ « شجر طيب الريح والطعم يستاك به » .

(٥) ديوانه ص ٥١٢ والبديع ص ١٠٧ واللسان ٦٨/١٩ وذو طلوح : اسم موضع

(٦) قال ابن المعتز في البديع ص ١٠٦ « الالتفات هو انصراف المتكلم عن مخاطبة إلى

الإخبار وعن الإخبار إلى مخاطبة . . . » .

(٧) البديع ١٠٨ والصناعتين ٣١٢ والمعمرين ص ٦٤ وفيه « بنوكعب » والعمدة ٤٣/٢ وفي م

« ألا كذبت » .

ومنه قول كُثِير :

لَوْ أَنَّ الْبَاذِلِينَ ، وَأَنْتَ مِنْهُمْ ، رَأَوْكَ ، تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمِطَالَ^(١) ،
ومثله قول أبي تمام :

١٥١ / وَأَنْجَدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِتْهَامِ دَارِكِمِ
وَكَقُولِ جَرِيرِ :

طَرِبَ الْحَمَامُ بَدَى الْأَرَاكِ فَشَاقِنِي
لَا زَلَّتْ فِي غَلَلٍ وَأَيْكِ نَاصِرِ^(٢) ،
التفت إلى الحمام فدعا لها .
ومثله قول حسان :

إِنِ التِي نَاوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا
مِثْلُهُ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ :

وَأَجْمَلُ إِذَا مَا كُنْتَ لَا بُدَّ مَا نَعَا
وَقَدْ يَمْنَعُ الشَّيْءَ الْفَتَى وَهُوَ مُجْمَلُ^(٣) ،
وكقول ابن ميادة :

فَلَا صُرْمُهُ بَيِّدُو فِي الْيَأْسِ رَاحَةً
وَنظِيرَ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ مِنْ قَوْلِهِ :
١٥٢ ﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . إِنَّمَا / تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾^(٤) إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾^(٥) .

(١) ديوانه ص ١٥٠ ويروى « الباخلين . . . العطايا » وفي الصناعتين ٥ ، ٣٦ ، ٣١٢ ،
والبديع ١٠٨ « ولو أن الباخلين . . . المطالا » وفي م « ولو أن الماطلين » .

(٢) ديوانه ص ٦٣ والبديع ١٠٧

(٣) ديوانه ٣٠٤ وفيه « الأراك فهاجني » والبديع ص ١٠٧ والعمدة ٤٢/٢ والصناعتين ٣١١ .

(٤) ديوانه ٣١١ والصناعتين ص ٣١١ وفي اللسان ٦٨/١٤ « وقتل الخمر قتلا : مزجها
فأزال بذلك حديثها ، قال حسان : إن التي عاطيتني . . . قوله : قتلت دعاءه عليه ، أي قتلتك الله لم مزجتها ؟ »

(٥) نقد الشعر ٥٣ والصناعتين ص ٣١١

(٦) نقد الشعر ٥٣ وفي الصناعتين ص ٣١٢ : « ولاودد يصفو . . . كأنه يقول : وفي اليأس

راحة ، والتفت إلى المعنى لتقديره أن معارضاً يقول له : وما تصنع بصرمه ؟ فيقول : لأنه يؤدي إلى
اليأس ، وفي اليأس راحة »

وقوله عز وجل : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (١) .

ومثله قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِهَيْمٍ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ، وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ، دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن لَّمْ أَنْجِبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٢) .

ومثله قوله : ﴿ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ، فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ، إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ، أَوْ تَتْرَكَهُ يَلْهَثُ ﴾ (٣) .

ومثله قوله : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ ﴾ (٤) .

ومنهم من لا يعتمد الاعتراض والرجوع^(٥) من هذا الباب. ومنهم من يفرده ١٥٣ عنه ، كقول زهير :

قَفَّ بِالْدِيَارِ التِّي لَمْ يَعْفُهَا الْقِدْمُ نعم ، وغيرها الأرواح والديم^(٦)
وكقول الأعرابي :

أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتُهَا إليك ، وكألا ليس منك قليل^(٧)
وكقول ابن هرمة :

لَيْتَ حَظِّي كَلْحَظَّةِ الْعَيْنِ مِنْهَا وكثير منها القليل المهنا^(٨)

* * *

(١) سورة إبراهيم : ١٩ - ٢١

(٢) سورة المائدة : ٣٨ - ٣٩

(٣) في البديع ص ١٠٨ « ومن محاسن الكلام أيضاً والشعر اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ، ثم يعود إليه فيتممه في بيت واحد . . . ومنها الرجوع وهو أن يقول شيئاً ويرجع عنه . . . »

(٤) العمدة ٤٤/٢ ديوانه ص ١٤٥

(٥) البيت ليزيد بن الطثرية كما في شرح حسانة أبي تمام ٢٨٩/٣ والأمال ١٩٦/١ وغير

منسوب في البديع ص ١٠٩ والصناعتين ص ٣١٣ . (٨) الصناعتين ص ٣١٣ .

ومن الرجوع قول القائل :

بكلُّ تداوينا فلم يُشَفَّ ما بنا
على أن قُربَ الدَّارِ خيرٌ من البُعْدِ^(١)
وقال الأعشى :

أَصْرَمْتُ ولم أَصْرِمْكُمْ وكَصَارِمٍ
أخٌ قد طوى كشحاً وأبٌ ليذهباً^(٢) ١٥٤
وكقول بشَّار :

لى حيلة فيمن ينمُ
مُ وليس فى الكذاب حيلة^(٣)
مَنْ كان يَخْلُقُ ما يقو
لُ فحيلتى فيه قليلة^(٤)
وقال آخر :

وما بى انتصار إن عدا الدهر ظالماً
على ، بلى إن كان من عندك النصر^(٥)

١٥٥ /وباب آخر من البديع يسمى : « التذليل » وهو ضرب من التأكيد ، وهو
ضد ما قدمنا ذكره من الإشارة^(٦) ، كقول أبى دُوَاد :

(١) البيت لابن الدمنية كما فى ديوانه ص ٢٨ وحماسة أبى تمام ٢٥٧/٣

(٢) ديوانه ص ٨٩ وفى اللسان ١٩٩/١ « أب السير : تهباً للذهب وتجهيز ، قال الأعشى . . .
أى صرمتكم فى تهبى لمفارتكم ، ومن تهباً للمفارقة فهو كمن صرم » وفى ٤٠٧/٣ « ويقال طوى فلان كشحه :
إذا قطعك وعادك ، ومنه قول الأعشى : وكان طوى كشحاً وأب ليذهبا »

(٣) فى الكامل ١٧/٢ لبعض المحدثين ، وطبقات الشافعية ٢/٣٢٠ لأبى الحسن التميمى ، منصور
ابن اسماعيل ، وقد أنشدهما القاضى ابن فريمة كما فى المنتظم ٩٢/٧ ونسجما المرزبانى فى معجم الشعراء
ص ٥٠٢ لأبى مروان يحيى بن مروان . وفى الموشح ص ٣٥٠ عن الصولى قال : « أنشدهما أبو العباس
المبرد لمحمود بن مروان بن أبى حفصة : لى حيلة . . . قال المبرد : وقد ناقض هذا الشاعر ؛ لأنه قال :
« وليس فى الكذاب حيلة » ثم قال : « فحيلتى فيه قليلة » ثم أنشدها لنفسه :
إن النوم أعطى دونه خبرى وليس لى حيلة فى مقترى الكذب »

وهما من غير نسبة فى غرر الخصائص ٤٩ والذخائر والأعلاق ١٠٦ .

(٤) م « يكذب » وفى الموشح ومعجم الشعراء : « يكذب ما يريد » .

(٥) البيت لأبى البيداء الرياضى كما فى خزانة الأدب لابن حجة الحموى ص ٤٤٩ وفى س ، ك

والصناعتين ص ٣١٤ « إن غدا الدهر ظالمى »

(٦) فى التصانيع ص ٢٩٤ « فأما التذليل فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى

يظهر لمن لم يفهمه ويتوكد عند من فهمه ، وهو ضد الإشارة والتعريض . . . » .

إِذَا مَا عَقَدْنَا لَهُ ذِمَّةً شَدَدْنَا الْعِجَاجَ وَعَقَدَ الْكَرْبَ^(١)
وَأَخَذَهُ الْحَطِيطَةَ فَقَالَ :

[قَوْمٌ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا لِحَارِهِمْ
/ وَكَقَوْلِ الْآخَرِ]^(٣) :

فَدَعَوْا نَزَالَ فَكَنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعِلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلْ؟^(٤)
وَكَقَوْلِ جَرِيرٍ :

لَقَدْ كُنْتُ فِيهَا يَا فَرَزْدَقُ تَابِعًا وَرِيْشُ الذَّنَابِي تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ^(٥)

ومثله قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ . إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ . وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾^(٦) .

* * *

وباب من البديع يسمى « الاستطراد »^(٧) . فن ذلك ما كتب إلى الحسن بن

(١) في اللسان ١٥٤/٣ « العجاج : خيط أو سير يشد في أسفل الدلو ، ثم يشد في عروتها أو عروقها ، وربما شد في إحدى آذانها » والكرب كما في اللسان ٢٠٨/٢ « الحبل الذي يشد على الدلو بعد المنين - وهو الحبل الأول - فإذا انقطع المنين بقى الكرب » .

(٢) البيت في اللسان ٢٠٩/٢ ، ١٥٤/٣ وفي ديوان الحطيئة ص ٧ ونظام الغريب ص ١٩٩ ومبادئ اللغة ص ٢١ وشرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٢٤٠ وقال ابن قتيبة في أدب الكاتب ص ١٩٢ : « والخشبتان اللتان تعترضان على الدلو كالصليب هما : « الفرقوتان » والسيور التي بين آذان الدلو والعراق هي « اللوزم » ، « العجاج » في الدلو الثقيلة : حبل أو بطان يشد تحتها ، ثم يشد إلى العراق ، فيكون عوناً للوزم ؛ فإن كانت الدلو خفيفة شد الحيط في إحدى آذانها إلى العرقوة ، و « الكرب » أن يشد الحبل إلى العراق ، قال الحطيئة : قوم إلخ وقال ابن السيد في الانتصاب ص ٣٥١ « وأراد الحطيئة : أنهم إذا عقدوا عقداً أحكموه وأوثقوه كإحكام عقد الدلو إذا شد عليها العجاج والكرب ، وليس هناك عجاج ولا كرب في الحقيقة وإنما هو مثل »

(٣) الزيادة من م

(٤) البيت غير منسوب في الصناعتين ص ٢٩٥ واللسان ١٨١/١٤ وهو لربيعة بن مقروم الضبي كما في الأغاني ٩٣/١٩ وفي اللسان « وصف فرسه بحسن الطراد فقال : وعلام أركبه إذا لم أنازل الأبطال عليه؟ » (٥) ديوانه ص ٥٦١ (٦) سورة القصص : ٤ - ٨

(٧) في الصناعتين ص ٣١٦ « وهو أن يأخذ المتكلم في معنى ، فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأول سبباً إليه »

عبد الله قال : أنشدني أبو بكر بن دُرَيْد ، قال : أنشدنا أبو حاتم ، عن
أبي عبيدة ، لحسان بن ثابت ، رضى الله تعالى عنه :

١٥٧ / إن كنتِ كاذبةً الذى حدَّثتِني فنجوتِ منجى الحارث بن هشام^(١)
ترك الأجابة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طيرة ولجام^(٢)
وكقول السموأل :

وإنما لقوم لا نرى القتل سببةً إذا ما رأته عامرٌ وسلول^(٣)
وكقول الآخر :

خليلى من كعب أعينا أخوا كما على دهره ، إنَّ الكريم مُعين^(٤)
ولا تبخلا بخل ابن قزعة ، إنه مخافة أن يُرجى نداء حزين^(٥)
وكقول الآخر :

١٥٨ / فما ذرَّ قرنُ الشمسِ حتى كأننا من العيِّ نحكى أحمد بن هشام^(٦)
وكقول زهير :

إن البخيل ملوم حيث كان ولأكنَّ الجوادَ على علاته هريم^(٧)
وفيا^(٧) كتب إلى الحسن بن عبد الله ، قال : أخبرني محمد بن يحيى [قال] :

(١) ديوانه ص ٣٦٣ والصناعتين ص ٣١٦ وفى س ، ك : « كاذبة التي » ويشير حسان إلى
فرار الحارث بن هشام عن أخيه أبي جهل يوم بدر .

(٢) س ، ك « لم يقاتل دونهم ورى برأس » وفى اللسان ١٧٤/٦ « الطمر : الفرس الجواد ،
وقيل : المستعد للعدو والأثني ، طمرة . »

(٣) الصناعتين ص ٣١٧ والبديع ص ١١٠ والعمدة ٣٧/٢ وشرح الحماسة للتبريزى ١١١/١
والمرزوق ١١٤/١ وزهر الآداب ١٦٣/٤ .

(٤) الشعر لبشار كما فى البديع لابن المعتز ص ١٠٩ والصناعتين ص ٣١٨ والعمدة ٣٨/٢
وفى الكامل ٢٣٣/١ « وقال بشار بن برد يذكرُ عبيد الله بن قزعة » وفى ص ، ك « نراه حزين . »

(٥) البيت لإسحق بن إبراهيم الموصلى يصف السكر ، كما فى البديع لابن المعتز ص ١١١ وحماسة
ابن الشجرى ص ٢٥٩ وغير منسوب فى الصناعتين ص ٣١٨ والبيان والتبيين ٤٠٢/١ وجاء فى خاص
الخاص ص ٦٠ : « ولما بلغ أحمد بن هشام قول إسحق الموصلى - قال : يا أبا محمد لم هجوتني ؟ قال :
لأنك قدمت على طريق القافية ! »

(٦) البديع ص ١١٠ والصناعتين ٣١٧ والعمدة ٣٨/٢ وديوانه ص ١٥٢ . على علاقته :
(٧) م : « وما » . على عسره ويسره .

حدثني محمد بن عليّ الأنباري^(١)، قال : سمعت البحري يقول : أنشدني أبو تمام لنفسه :

وسابح هَظِلِ التَّعْدَاءِ هَتَّانِ عَلَى الْجِرَاءِ أَمِينٍ غَيْرِ خَوَّانِ^(٢)
 أَظْمَى الفُصُوصِ وَلَمْ تَنْظُمًا قَوَائِمُهُ فَعَلَّ عَيْنِيكَ فِي رِيَانِ ظَمَّانِ^(٣)
 وَلَوْ تَرَاهُ مُشِيحًا وَالْحَصَى فِلَقُ بَيْنِ السَّنَابِكِ مِنْ مَثْنَى وَوَحْدَانِ^(٤)
 أَيَقْنَتُ - إِنْ لَمْ تَثَبْتُ - أَنْ حَافِرُهُ مِنْ صَخْرٍ تَدْمُرُ أَوْ مِنْ وَجْهِ عَثْمَانِ^(٥)

وقال لي : ما هذا من الشعر ؟ قلت لا أدري . قال : هذا المستطرد ، أو قال : الاستطراد . قلت : وما معنى ذلك ؟ قال : يُرِي أَنَّهُ يَصِفُ الْفَرَسَ ، وَيُرِيدُ هِجَاءَ عَثْمَانَ^(٦) .

/وقال البحري :

مَا إِنْ يَعَافُ قَدَى وَلَوْ أَوْرَدَتْهُ يَوْمًا خَلَائِقَ حَمْدَوِيهِ الْأَحْوَلِ^(٧)
 قَالَ : فَقِيلَ لِلْبَحْرِيِّ : إِنَّكَ أَخَذْتَ هَذَا مِنْ أَبِي تَمَامٍ ، فَقَالَ : مَا يَعَابُ عَلَيَّ أَنْ أَخْذَ مِنْهُ وَأَتَّبَعَهُ فِيمَا يَقُولُ .
 وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

صُبُّ الْفِرَاقِ عَلَيْنَا صُبٌّ مِنْ كَثْبٍ عَلَيْهِ إِسْحَاقُ يَوْمَ الرَّوْعِ مُنْتَقِمًا^(٨)

(١) في أخبار أبي تمام ص ٦٨ « حدثني أبو الحسن علي بن محمد الأنباري »

(٢) في الصناعتين ٣١٧ وأخبار أبي تمام ص ٦٨ والعمدة ٣٨/٢ وديوانه ص ٢٠١ وفيه « أمون »

وزهر الآداب ١٦٢/٤ وديوان المعاني ١٩٨/١ ومعجم الأدباء ٢٥٠/١٩

(٣) س ، ك « فجل عينك »

(٤) في الديوان والصناعتين « تحت السنابك »

(٥) في الديوان « حلفت إن لم » . ويريد بعثمان : عثمان بن إدريس السامي

(٦) س ، ك : « فقال وقال » .

(٧) ديوانه ٢١٨/٢ والصناعتين ٣١٨ وزهر الآداب ١٦٢/٤ ومعجم الأدباء ٢٥٠/١٩

(٨) ديوانه ص ٣٠٢ والصناعتين ٣٦٤ وفي ص « صب من كتب » ب « صبا من كتب »

ويعني بإسحاق : إسحاق بن إبراهيم المصعبى ، والى بغداد الذى كان يطلب العلماء ويمتحنهم بأمر المأمون في فتنة خلق القرآن ، ويقال : إنه ما كان أحد أشغف بشعر أبي تمام منه ، وكان يمطيه عطاء كثيرا .

وكانت وفاة إسحاق في سنة ٢٣٥

ومنه قول السرى الرفاء :

نزع الوشاة انما بسهم قطيعة يُرمى بسهم العحين من يرمى به (١)
 ليت الزمان أصاب حبّ قلوبهم بقنا ابن عبد الله أو بحرايه
 ونظيره من القرآن : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا
 ظِلَالُهُ عَنِ الِيمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ، وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٢) . .
 / كأنه كان المراد أن يجرى بالقول الأول إلى الإخبار عن أن كل شيء يسجد لله
 عز وجل ، وإن كان ابتداء الكلام في أمر خاص .

ومن البديع عندهم : « التكرار » كقول الشاعر :

هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدٍ لِدَّةِ يَوْمٍ وَلَوْ أَيْنَ أَيْنَا ؟ (٣)
 وكقول الآخر :

وكانت فزارة تصلى بنا فآوَى فزارة أَوَى فزاراً (٤)

ونظيره من القرآن [كثير ، كقوله تعالى] (٥) : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا

إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (٦) .

وكالتكرار في قوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ (٧) . وهذا فيه معنى زائد على

التكرار ؛ لأنه يفيد الإخبار عن الغيب .

ومن البديع عندهم ضرب من « الاستثناء » كقول النابغة :

(١) ديوانه ص ٢١ وفيه : « ترى بسهم قطيعة ترى به »

(٢) سورة النحل : ٤٨ - ٤٩

(٣) البيت لعبيد بن الأبرص كما في ديوانه ص ٢٨ ومختارات ابن الشجري ٣٩/٢ والصناعتين

١٤٤ وتأويل مشكل القرآن ص ١٤٣ ، ١٨٣

(٤) البيت لعوف بن عطية بن الخرع الربابي كما في المفضليات ٢/٢١٦ وفيها « فكادت فزارة »

وفي س ، ك « أوى لها » وهو في الصاحبى ص ١٩٤ وسيبويه ٣٣١/١ وتأويل مشكل القرآن ص ١٨٣

(٥) الزيادة من أوفى م « ون التكرار في القرآن كثير كقوله تعالى »

(٦) سورة الانشراح : ٥ - ٦

(٧) سورة الكافرون : ١

- ولا عيب فيهم غير أن سُيوفهم
وكقول النابغة الجعدي :
- فتى كملت أخلاقه غير أنه
فتى تمّ فيه ما يسرُّ صديقه
وكقول الآخر :
- حليمٌ إذا ما العلم زينَ أهله
وكقول أبي تمام (٤) :
- تَنصَلُّ ربُّها من غير جُرم
إليكِ سوى النصيحة والودادِ (٥)

* * *

وجوه البديع كثيرة جداً ، فاقصرنا على ذكر بعضها ، ونبها بذلك على ما لم نذكر ، كراهة التطويل ، فليس الغرض ذكر جميع أبواب البديع .

* * *

/وقد قدر مقدرون أنه يمكن استفادةُ إعجاز القرآن من هذه الأبواب التي ١٦٢ نقلناها ، وأن ذلك مما يمكن الاستدلال به عليه .

وليس كذلك عندنا ؛ لأن هذه الوجوه إذا وقع التنبيه عليها أمكن التوصل إليها بالتدريب والتعود والتصنع لها ، وذلك كالشعر الذي إذا عرف الإنسان طريقته صح منه العمل له وأمكنه نظمه .

والوجوه التي تقول : إن إعجاز القرآن يمكن أن يُعلم منها ؛ فليس مما يقدر البشر على التصنع له والتوصل إليه بحال . ويبين ما قلنا : أن كثيراً من المُحدِّثين (٦)

- (١) ديوان النابغة الذبياني ص ٤٤ والصناعتين ص ٣٢٤ والبديع ص ١١١ والعمدة ٥٠/٢
(٢) الأمل ٢/٢ وفيه : « كلات خيرته » والشعر والشعراء ٢٥٢/١ وأمال المرتضى ١٩٤/١
وشرح الحماسة للتبريزي ١٩/٣ والبديع ص ١١١ والصناعتين ص ٣٢٤ والعمدة ٤٦/٢
(٣) البيت لعريقة بن مسافع العبسي ، كما في الأصمعيات ص ١٥ والأمال ١٤٩/٢
(٤) م « كقول أبي تمام » .
(٥) ديوانه ص ٨١ يعتذر إلى أحمد بن أبي دؤاد والموازنة ص ٣١٥ .
(٦) م « قد تصنعوا لأبواب الصنعة حتى حشى بعضهم شعره جميعاً منها ، واجتهد ألا يعن له بيت إلا وهو مملوء من الصنعة . . . في كلمته » .

قد تصنع لأبواب الصنعة ، حتى حشيتي جميع شعره منها ، واجتهد أن لا يفوته بيت إلا وهو يملؤه من الصنعة ، كما صنع أبو تمام في لاميته :

متى أنت عن ذهلية الحى ذاهلٌ وصدرك منها مدة الدهر آهلٌ^(١)
تطلُّ الطلولُ الدَّمعَ في كلِّ موقفٍ وتمثلُ بالصبرِ الديارَ المَوائِلُ^(٢)
دوارسُ لم يجفُّ الربيعُ رُبوعها ولا مرٌّ في أغفاليها وهو غافل^(٣)
/ فقد سحبتُ فيها السحابُ ذبولها وقد أخملتُ بالنور تلك الخمائل^(٤)
تَعَفَيْنَ من زادِ العُفاةِ إذا انتحى على الحى صرْفُ الأزمة المَماحل^(٥)
لهم سلفٌ سمرُ العوَالِ وسامرٌ وفيهم جمالٌ لا يغيضُ وجامِل^(٦)
ليالى أضللتَ العزاءَ وخزلتَ بعقلك آرامُ الخُدورِ العقائل^(٧)
منَ الهيفِ لو أنَّ الخلاخيلَ صُيرتَ لها وشحاً جالتُ عليه الخلاخِل^(٨)
مَهَا الوحشِ إلا أنَّ هاتا أوانسُ قنَا الخطَّ. إلا أن تلك ذوابِل^(٩)
هوى كان خلساً إنَّ من أطيب الهوى هوى جُلَّتْ في أفيائه وهو خامِل^(١٠)

ومن الأدباء من عاب عليه هذه الأبيات ونحوها على ما قد تكلف^(١١) فيها من

البديع ، وتعمل من الصنعة ، فقال : قد أذهب ماء هذا الشعر / ورونقه وفائدته ،

(١) ديوانه ص ٢٥٥ وفيه « وقلبك منها » . وذهلية : منسوبة إلى قبيلة ذهل

(٢) س « تطل طلول » ب « ويمثل »

(٣) في اللسان ١١/١٤ « وكل ما لا علامة فيه ولا أثر عمارة من الأرضين والطرق ونحوها :

غفل ، والجمع أغفال »

(٤) في الديوان « فيها السحاب ذيلها . . . منها الخمائل » وم « فيها الخمائل »

(٥) م « من دار العفاة » والديوان : « المتحامل »

(٦) سمر العوالى : الرياح . وفي اللسان ١٣/١٣ « الجامل : قطع من الإبل معها رعيانها

وأربابها ، قال الخطيئة :

فإن تك ذا مال كثير فإنهم لهم جامل ما يهدأ الليل سامره »

(٧) س ، ك « وخذلت » م « وحولت » ا « وجولت » .

(٨) راجع الموازنة ١/١٤٠

(٩) راجع الموازنة ١/١٣٠

(١٠) م « في أثنائه » والديوان « إن من أحسن الهوى » . (١١) م « على ما تكلف »

اشتغالاً بطلب التطبيق وسائر ما جمع فيه (١).

وقد تعصب « عليه أحمد بن عبَّيدِ الله بن عمَّار » وأسرف حتى تجاوز إلى الغض من محاسنه .

ولمَّا قد أُولع به من الصنعة ربَّما غُطِّي على بصره حتى يُبدع في القبيح ، وهو يريد أن يبدع في الحسن . كقوله في قصيدة له أولها :

سرتُ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدٍ وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدٍ (٣)
فقال فيها :

لعمري لقد حرَّرتَ يومَ لَقِيْتَهُ لو أن القضاء وحده لم يُبرِّدِ (٤)
وكقوله :

لو لم تدارك مُسنَّ المجد مذ زمن بالجود والبأس كان المجد قد خرِّفاً (٥)
فهذا من الاستعارات القبيحة ، والبديع المقيت (٦) !!

/وكقوله :

تسعون ألفاً كآساد الشَّرمَى نَضِجَتْ أعمارهم قَبْلَ نُضِجِ التَّينِ وَالْعِنَبِ (٧)
وكقوله :

لو لم يَمُتْ بين أطراف الرِّماح إِذَا لمات ، إِذْ لم يمِت . مِنْ شِدَّةِ الحزن (٨)

(١) في الموازنة ص ١٣ « روى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : سمعت أبي يقول : أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، ثم أتبعه أبو تمام ، واستحسن مذهبه وأحب أن يجعل كل بيت من شعره غير خال من بعض هذه الأصناف ، فسلك طريقاً وعراً ، واستكره الألفاظ والمعاني ، ففسد شعره ، وذهبت طلاوته ، ونشف ماؤه »

(٢) م « ابن عبد الله » وهو خطأ . (٣) ديوانه ص ١٠١ وفيه « غدت تسجير » .

(٤) م « لقد حررت . . . لم يجرد » والموازنة ٢٥٩ والوساطة ٦٨ والموشح ٣٠٨

(٥) ديوانه ص ٢٠٤ وفيه : « لو لم تفت . . . كان الجود » والوساطة ٦٩ والموشح ٣٠٨

والصناعتين ٢٣٦ والموازنة ٢٣١ . (٦) م « المعيب »

(٧) ديوانه ص ١١ والموشح ٣٠٨ ، ٣٢٢ وأخبار أبي تمام ص ٣٠

(٨) ديوانه ص ٣٨٨ والوساطة ص ٦٩ وفي الموشح ص ٣٠٩ « فكأنه لو نصر أيضاً وظفر

كان يموت من الغم حيث لم ينصر ويقتل ، فهذا معنى لم يسبقه أحد إلى الخطأ فع مثله » !!

وكقوله :

* خَشِنَتْ عَلَيْهِ أُخْتُ بَنِي خَشِينِ (١) *

وكقوله :

أَلَا لَا يَمِدُّ الدَّهْرُ كَفَمَا بِسَيِّئِي ۖ إِلَىٰ مَجْتَدِي نَصْرًا فَتَقَطَّعَ مِنَ الزَّنْدِ (٢)
وقال في وصف المطايا :

١٦٦ / لو كان كلّفها عبيد حاجةً يوماً لَزَنَى شَدَقَمًا وَجَدِيلًا (٣)
وكقوله :

فَضْرِبَتْ الشِّتَاءَ فِي أَخْدَعِيهِ ضَرْبَةً غَادَرْتُهُ عَوْدًا رَكُوبًا (٤)
فهذا وما أشبهه إنما يحدث من غلوّه في محبة الصنعة ، حتى يعميه عن وجه الصواب ، وربما أسرف في المطابِق والمجانِس ووجوه البديع من الاستعارة وغيرها ، حتى استثقل نظمه ، واستوخِمَ رصفه ، وكان التكلف (٥) بارداً ، والتصرف جامداً . وربما اتفق مع ذلك في كلامه النادر المليح ، كما يتفق البارد القبيح .

* * *

وأما البحترى فإنه لا يرى في التجنيس ما يراه أبو تمام ، ويقلّ التصنع له . فإذا وقع في كلامه كان في الأكثر حسناً رشيقاً ، وظريفاً جميلاً . وتصنعه

(١) هذا الشطر مطلع قصيدة له ، وعجزه كما في ديوانه ص ٣٢١ * وأنجح فيك قول العاذلين * وقد ورد في الصناعتين ص ٢٦٢ والموشح ص ٣٢٤ وفي ص ٣١٠ « وهذا الكلام لا يشبه خطاب النساء في منازلهن ، وإنما أوقعه في ذلك محبته ها هنا للتجنيس ، وهو بهجاء النساء أولى » ! وفي الموازنة ص ٤٣٧ « فأما قوله : خشنت عليه ، فهو لعمري من تجنيساته القبيحة ، وعهدت مجاز البغداديين يقولون فيه : قليل نورة يذهب بالحشونة » .

(٢) ديوانه ص ١١٥ من قصيدة يمدح بها أبا العباس : نصر بن منصور بن بسام ، وفيه « فتقطع للزند » والبيت في الصناعتين ٢٣٦ والوساطة ٦٨ والموازنة ص ٢٢٩ والموشح ص ٣١١ .

(٣) ديوانه ص ٢٤٣ وفيه « لأنسى شدقما » والوساطة ص ٦٥ وفي الموشح ص ٣١١ ما أحسن قوله : « لزني شدقما وجدبلا ، وما معنى تزنيته ناقة أو بهيمة » ؟ وفي اللسان ١١٢/١٣ « وجدبيل وشدقم : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر » . ويشير أبو تمام إلى قول عبيد الراعي البهيري :
شم الحوارك جنحاً أعضادها صهباً تناسب شدقما وجدبلا

(٤) ديوانه ص ٢٧ وفيه « غادرته قودا » والوساطة ص ٦٨ والصناعتين ص ٢٣٦ والموشح ص ٣١٣ . والقود ، والموود : البعير المسن . (٥) س : « واستوخم رصفه وكان التكليف » .

للمطابق كثير حسن ، وتعمقه في وجوه الصنعة على وجه طلب السلامة ، والرغبة في السلاسة ، فلذلك يخرج سليماً من العيب في الأكثر .

١٦٧ / وأما وقوف الألفاظ به عن تمام الحُسْنَى ، وقعود العبارات عن الغاية القصوى ، فشىء لا بد منه ، وأمر لا يحيص عنه . كيف وقد وقف على من هو أجل منه وأعظم قدرًا في هذه الصنعة . وأكبر في الطبقة ، كامرئ القيس ، وزهير ، والنابغة ، وابن هرمة^(١) . ونحن نبين تَمَيُّزَ كلامهم ، وانحطاطَ درجة قولهم ، ونزولَ طبقة نظمهم عن بديع نظم القرآن ، في باب مفرد ، يتصور به ذو الصنعة ما يجب تصوره ، ويتحقق^(٢) وجه الإعجاز فيه . بمشيئة الله وعونه .

* * *

١٦٨ / ثم رجع الكلام بنا إلى ما قدمناه . من أنه لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادَّعَوْهُ في الشعر ووصفوه فيه .

وذلك : أن هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة ، ويخرج عن العرف ، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له ، كقول الشعر ، ورصف الخطب ، وصناعة الرسالة ، والحدق في البلاغة . وله طريق يُسَلِّك ، ووجه يُقصد ، وسُلَّم يُرتقى فيه إليه ، ومثال قد يقع طالبه عليه . فربَّ إنسان يتعود أن ينظم جميع كلامه شعراً ، وآخر يتعود^(٣) أن يكون جميع خطابه سجعاً ، أو صنعةً متصلة ، لا يُسقط من كلامه حرفاً^(٤) ، وقد يتأتى له لما قد تعوَّده^(٥) . وأنت ترى أدباء زماننا يضعون^(٦) المحاسن في جزء . وكذلك يؤلفون أنواع البارع ، ثم ينظرون فيه إذا أرادوا إنشاء قصيدة أو خطبة فيحسون^(٧) به كلامهم . ومن كان قد تدرَّب وتقدَّم في حفظ ذلك — استغنى عن هذا التصنيف . ولم يَحْتَجَّجْ إلى تكلف هذا التأليف ، وكان ما أشرف عليه من هذا الشأن باسطاً من باع كلامه ، وهشحاً بأنواع البديع ما يحاوله من قوله .

(١) في جميع الطبقات السابقة « والنابغة وإلى يومنا ونحن نبين » !! !

(٢) م « ويتيقن » (٣) س ، ك « شعراً أو يتعود »

(٤) س ، ك « حرف وقد يباذه به ما قد » (٥) س ، ك « يضيفون »

(٦) س ، ك « فيحشون » (٧) س ، ك « اشتغل »

169 / وهذا طريق لا يتعذر ، وباب لا يتمتع ، وكل يأخذ فيه مأخذاً ويقف منه موقفاً^(١) ، على قدر ما معه من المعرفة ، وبحسب ما يمدّه من الطبع .

فأما شأؤ نظم القرآن ، فليس له مثال يُحتذى عليه^(٢) ، ولا إمام يُقتدى به ، ولا يصح وقوع مثله اتفاقاً ، كما يتفق للشاعر البيت النادر ، والكلمة الشاردة ، والمعنى الفذّ الغريب ، والشئ القليل العجيب ، وكما يلحق من كلامه^(٣) ، بالوحشيات ، ويضاف من قوله إلى الأوايد ؛ لأن ما جرى هذا المجرى ووقع هذا الموقع ، فإنما يتفق للشاعر في لمع من شعره ، وللكاتب في قليل من رسائله ، وللخطيب في يسير من خطبه . ولو كان كل شعره نادراً ، ومثلاً سائراً ، ومعنى بديعاً ، ولفظاً رشيقياً ، وكلّ كلامه مملوءاً من رَوْنقه ومائه ، ومحلّي^(٤) ببهجته وحسن روائه ، ولم يقع فيه المتوسط بين الكلامين ، والمتردد بين الطرفين ، ولا البارد^(٥) المستقل ، والغثّ المستنكر - لم يبين الإعجاز في الكلام ، ولم يظهر^(٦) التفاوت العجيب بين النظام والنظام .

170 / وهذه جملة تحتاج إلى تفصيل^(٧) ، ومُبهمٌ قد يحتاج في بعضه إلى تفسير^(٧) . وسند كر ذلك بمشيئة الله وعونه .

ولكن قد يمكن أن يقال في البديع الذي حكيناه وأضفناه إليهم : إن ذلك باب من أبواب البراعة ، وجنسٌ من أجناس البلاغة ، وإنه لا ينفك القرآن عن فنّ من فنون بلاغاتهم ، ولا وجه من وجوه فصاحتهم ، وإذا^(٨) أورد هذا المورد ، ووضع هذا الموضع - كان جديراً .

وإنما لم نطلق القول إطلاقاً ؛ لأننا لا نجعل الإعجاز متعلقاً بهذه الوجوه الخاصّة ، ووقفاً عليها ، ومضافاً إليها ، وإن صح أن تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة ، آخذة بحظها من الحسن والبهجة ، متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المُستَبشع ، والتعمل المُستَشنع .

(١) س ، ك « ويقف فيه » (٢) س ، ك « يحتذى إليه »

(٣) س « بكلامه بالوحشيات » (٤) س ، ك « وملا »

(٥) م « ولا يشاركه البارد » (٦) س ، ك « ولم يبذل »

(٧) م « إلى التفصيل ومنهم من يضطر في بعضه إلى التفسير » .

(٨) م « فإذا ورد . . . جديراً به »

في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن

قد بينا أنه لا يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية ، من العجم والترك وغيرهم ، أن يعرفوا إعجاز القرآن إلا بأن^(١) يعلموا أن العرب قد عجزوا عن ذلك . فإذا عرفوا هذا — بأن علموا أنهم قد تُحَدُّوا إلى^(٢) أن يأتوا بمثله ، وقَرَّعوا على ترك الإتيان بمثله ، ولم يأتوا به — تبينوا أنهم عاجزون عنه . وإذا عجز هل ذلك اللسان ، فهم عنه أعجز .

وكذلك نقول : إن من كان من أهل اللسان العربي — إلا أنه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ، ووجوه تصرف اللغة ، وما يعدُّونه فصيحاً بليغاً بارعاً من غيره — فهو كالأعجمي : في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن ، إلا بمثل ما بيننا أن يعرف به الفارسي الذي بدأنا بذكره ، وهو ومن ليس من أهل اللسان ، سواء .

فأما من كان قد تناهى في معرفة اللسان العربي ، ووقف على طرقها ومذاهبها — فهو يعرف القدر الذي ينتهي إليه وسع المتكلم من الفصاحة ، ويعرف ما يخرج عن الوسع ، ويتجاوز حدود القدرة — / فليس يخفى عليه إعجاز القرآن ، كما ١٧٢ يميز بين جنس الخطب والرسائل والشعر ، وكما يميز بين الشعر الجيد والردى ، والفصيح والبديع ، والنادر والبارع والغريب .

وهذا كما يميز أهل كل صناعة صنعتهم ، فيعرف الصيرق من النقد بما يخفى على غيره ، ويعرف البزاز من قيمة الثوب وجودته وردائه ما يخفى على غيره ، وإن كان يبتقى مع معرفة هذا الشأن أمر آخر ، وربما^(٣) اختلفوا فيه : لأن من أهل الصناعة من يختار الكلام المتين ، والقول الرصين . ومنهم من يختار الكلام الذي يروق ماؤه ، وتروع بهجته ورواؤه ،

(٢) س ، ك « تحملوا على »

(١) س ، ك « إلا أن »

(٣) م ، أ « آخر ربما »

وَيَسْلُسُ مَأْخِذَهُ ، وَيَسْلَمَ وَجْهَهُ وَمَسْفَدَهُ ، وَيَكُونُ قَرِيبَ الْمُتَنَاوَلِ ،
غَيْرَ عَوِيصِ اللَّفْظِ ، وَلَا غَامِضِ الْمَعْنَى .

كما [قد] (١) يختار (٢) قوم ما يغمض معناه ، وَيَغْرُبُ لَفْظُهُ ، وَلَا يَخْتَارُ
مَا سَهَّلَ عَلَى اللِّسَانِ ، وَسَبَقَ إِلَى الْبَيَانِ .

وَرَوَى أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَفَ زُهَيْرًا ، فَقَالَ : كَانَ لَا يَمْدَحُ
الرَّجُلَ إِلَّا بِمَا فِيهِ (٣) . وَقَالَ لِعَبْدِ بْنِ الْحَسَنِ حِينَ أَنْشَدَهُ :

/ * كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيًا (٤) * :
أَمَا إِنَّهُ لَوْ قَلَّتْ مِثْلَ هَذَا الْأَجْزْتُكَ عَلَيْهِ (٥) .

وَرَوَى أَنَّ جَرِيرًا سُئِلَ عَنْ أَحْسَنِ الشَّعْرِ ؟ فَقَالَ : قَوْلُهُ :

أَنَّ الشَّقَى الَّذِي فِي النَّارِ مَنْزِلُهُ

وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْحُو مِنَ النَّارِ (٦)

كَأَنَّهُ فَضَّلَهُ لَصَدَقَ مَعْنَاهُ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْتَارُ الْغُلُوَّ فِي قَوْلِ الشَّعْرِ وَالْإِفْرَاطَ فِيهِ (٧) ، حَتَّى رُبَّمَا قَالُوا :
أَحْسَنُ الشَّعْرِ أَكْذَبُهُ ؛ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

يَقْدُ السَّلُوقِ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ

وَيُوقِدَنَّ بِالصُّفَاحِ نَارَ الْحُبَّاحِبِ (٨)

وَأَكْثَرَهُمْ عَلَى مَدْحِ الْمُتَوَسِّطِ بَيْنَ الْمَذْهَبَيْنِ : فِي الْغُلُوِّ (٩) وَالْإِقْتِصَادِ ، وَفِي الْمَتَانَةِ
وَالسَّلَاسَةِ .

(١) الزيادة من م (٢) س « ويختار »

(٣) راجع الأغاني ١٤٧/٩ والشعر والشعراء ٨٧/١

(٤) صدره في ديوان سحيم ص ١٦ * عميرة ودع إن تجهزت غاديا *

(٥) في الأغاني ٣/٢٠ « لو قلت شعرك كله . . . » وفي البيان والتبيين ٧٢/١ « لو قدمت

الإسلام على الشيب لأجزتك »

(٦) من أبيات جميلة أنشدها ابن الأعرابي . كما في أمالي المرتضى ٤٥/١ - ٤٦ وقبله :

ما شقوة المرء بالإقتار يقتره ولا سعادته يوماً بإكثار

(٧) سقطت كلمة « فيه » من م (٨) ديوانه ص ٤٤ والعمدة ٥٩/٢ ، ٢٨٥

(٩) س « في اللغو »

ومنهم من رأى أن أحسن الشعر ما كان أكثر صنعةً ، وألطف/تعملاً ؛ وأن ١٧٤
يتخير الألفاظ الرشيقة للمعاني البديعية والقوافى الواقعة ، كذهب البحرى ، وعلى
ما وصفه عن بعض الكتّاب^(١) [فى قوله]^(٢) :

فِي نِظَامٍ مِّنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَ
لَكَ أَمْرٌ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ^(٣)
وبديع كأنه الزهر الضأ
حكَّ فى روثقِ الربيع الجديد
حُزْنَ مُسْتَعْمَلِ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا
وتجنَّبَ ظِلْمَةَ التَّعْقِيدِ
وَرَكِبَ الْفِطْرَةَ الْقَرِيبَ فَأَذْرَكَ
نَ بِهِ غَايَةَ الْمُرَادِ الْبَعِيدِ^(٤)
[كَالْعَذَارَى غَدَوْنَ فِي الْحُلَلِ]

بيض إذا رُحِنَ فى الخطوط السوداء^(٥)
ويرون أن من تعدى هذا كان سالكاً مسلكاً عامياً ، ولم يروه شاعرًا
ولا مصيباً .

١٧٥ / وفيما كتب [إلى] الحسن بن عبد الله : أبو^(٦) أحمد العسكبرى ؛ قال :
أخبرنى محمد بن يحيى ، قال : أخبرنى عبد الله بن الحسين^(٧) قال : قال لى
البحرى :

دعاني « على بن الجهم » فضيت إليه ، فأفضنا فى أشعار المحدثين ، إلى
أن ذكرنا شعر أشجع [السامى] ؛ فقال لى : إنه يُخْلِى ، وأعادها مرّات ،
ولم أفهمها ؛ وأنفستُ أن أسأله عن معناها ، فلما انصرفتُ أفكرتُ فى الكلمة ،
ونظرتُ فى شعره ، فإذا هو ربما مرت له الآيات معسولةً ليس فيها بيت رائع ؛

(١) هو محمد بن عبد الملك الزيات
(٢) ديوانه ٦٩٣/٢
(٣) الزيادة من م . وفيها « فالعذارى » والتصويب من الديوان
(٤) فى « ورعين اللفظ » .
(٥) م « ابن أحمد » وهو خطأ
(٦) م « ابن الحسن » وهو خطأ
(٧) فى « ورعين اللفظ » .

وإذا هو يريد هذا بعينه: أن يعمل الأبيات فلا يصيب فيها بيت نادر^(١)؛ كما أن الراي إذا رمى برشقة فلم يصب بشيء^(٢)، قيل: قد أخلتني . قال^(٣): وكان « على بن الجهم » أحسن الناس علماً بالشعر^(٤) .

وقوم من أهل اللغة يميلون إلى الرّصين من الكلام ، الذي يجمع الغريب والمعاني ، مثل أبي عمرو بن العلاء ، وختلف الأحرمر ، والأصمعي .

١٧٦ / ومنهم من يختار الوحشيّ من الشعر ؛ كما اختار المفضل^(٥) للمنصور من « المفضليات » وقيل : إنه اختار ذلك لميله إلى ذلك الفن .

وذكر الحسن بن عبد الله : أنه أخبره بعض الكتاب عن علي بن العباس ؛ قال : حضرت مع البحترى مجلس عبّيد الله بن عبد الله بن طاهر^(٦) ، وقد سأله البحترى عن أبي نؤاس ومسلم بن الوليد : أيهما أشعر ؟ فقال البحترى : أبو نؤاس أشعر . فقال عبّيد الله : إن أبا العباس ثعلباً لا يطابقك على قولك ، ويفضل مسلماً .

فقال البحترى : ليس هذا من عمل ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله ، إنما يعلم ذلك من دفع في مسلك^(٧) الشعر إلى مضايقه ، وانتهى إلى ضروراته^(٨) .

فقال له عبّيد الله^(٩) : ورييت بك زنادى يا أبا عبادة ، وقد وافق حكمك حكم أخيك بشار بن بُرد في جرير والفرزدق ، [فإن دعبلاً حدثني عن أبي نؤاس : أنه حضر بشاراً ، وقد سئل عن جرير والفرزدق ، و [^(١٠) أيهما أشعر ؟ فقال : جرير أشعرهما . فقيل له : / بماذا ؟ فقال : لأن جريراً يشتد ، إذا شاء ، وليس كذلك الفرزدق ، لأنه يشتد أبداً .

فقيل له : فإن يونس وأبا عبّيدة يفضلان الفرزدق على جرير .

(١) م « فيها بيتاً نادراً »

(٢) م « شيئاً »

(٣) سقطت كلمة « قال » من م (٤) راجع أخبار أبي تمام ص ٦٣

(٥) م « اختار ذلك المفضل »

(٦) كان والياً على شرطة بغداد . ولد سنة ٢١٣ وتوفي سنة ٣٠٠ راجع ترجمته في وفيات الأعيان

(٧) م « وقع في سلك » م ، أ « دفع في مسلك »

(٨) دلالات الإعجاز ص ١٩٥

(٩) م « عبّيد »

(١٠) الزيادة من م ، أ

فقال : ليس هذا من عمل أولئك القوم ، إنما يعرف الشعر من يُضطر إلى أن يقول مثله ؛ وفي الشعر ضروب لم يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النوارُ امرأته ، فناح عليها بقول جرير :

لولا الحياءُ لعادني آستِعبارُ ولزرتُ قبركِ والحبيبُ يزَارُ^(١)
وروى عن أبي عبيدة : أنه قال للفرزدق^(٢) : مالك لا تنسب كما ينسبُ
جرير ؟ فغاب حولا ، ثم جاء فأنشد :

يا أختَ ناجيةَ بنِ سامةَ إنني أخشى عليكِ بنى إن طلبوا دمي^(٣)

والأعدل في الاختيار ما سلكه أبو تمام^(٤) من الجنس الذي جمعه في كتاب « الحماسة » ، وما اختاره من « الوحشيات » ؛ وذلك أنه تنكّب^(٥) المستنكر الوحشي ، والمبتذل العامي ، وأتى بالواسطة .

وهذه طريقة من ينصف في الاختيار ، ولا يعدل به غرض^(٦) / يخص ؛
لأن الذين اختاروا الغريب فإنما اختاروه لغرض لهم في تفسير ما يشبهه على غيرهم ، وإظهار^(٧) التقدم في معرفته ، وعجز غيرهم عنه ؛ ولم يكن قصدُهم جيدَ الأشعارِ لشيء يرجع إليها في أنفسها .

ويبين هذا : أن الكلام موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النفوس . وإذا كان كذلك وجب أن يتخير من اللفظ ما كان أقرب إلى الدلالة على^(٨) المراد ، وأوضح في الإبانة عن المعنى المطلوب ، ولم يكن مستنكرة المطلق على الأذن ، و [لا]^(٩) مستنكر المورّد على النفس ، حتى يتأبى بغرابته^(١٠) في اللفظ عن الإفهام ، أو يمتنع بتعويص^(١١) معناه عن الإبانة . ويجب أن يتنكّب ما كان عامي اللفظ^(١١) ، مستنكراً العبارة ، ركيك المعنى ، سفسفافي الوضع ، مجتسب

(١) ديوانه ص ١٩٩ والصناعتين ص ١٧ والشعر والشعراء ١/٦٤٤

(٢) م « قال قيل للفرزدق »

(٣) م « أبو تمام »

(٤) م « به إلى غرض »

(٥) م « عن »

(٦) م « لغريبته »

(٧) م « لوعيص »

(٨) م « ما كان عليه اللفظ »

التأسيس^(١) على غير أصل مهيّد، ولا طريق مؤطّد .

وإنما فضّلت العربية على غيرها ، لاعتدالها في الوضع . لذلك وضع أصلها
١٧٩ على أن أكثرها [هو]^(٢) بالحروف المعتدلة ، فقد أهملوا الألفاظ /المُسْتَكْرَهة
في نظمها ، وأسقطوها من كلامهم ، وجعلوا عامّة^(٣) لسانهم على الأعدّل .
ولذلك صار أكثر كلامهم من الثلاثي ؛ لأنهم بدءوا بحرف وسكتوا على آخر ،
وجعلوا حرفاً وُصلةً بين الحرفين ؛ ليتمّ الابتداءُ والانهاءُ على ذلك . والثنائي
أقل . وكذلك الرباعي والخماسي أقل ؛ ولو كان كله ثنائياً لتكررت الحروف .
ولو كان كله رباعياً أو^(٤) خماسياً لكثرت الكلمات .

وكذلك بنى أمرُ الحروف التي ابتدئ بها السورُ على هذا : فأكثر هذه
السور التي ابتدئت بذكر الحروف ، ذُكرَ فيها ثلاثةُ أحرف . وما هو أربعة
أحرف سورتان . وما ابتدئ بخمسة أحرف سورتان .

فأما ما بدئ بحرف واحد فقد اختلفوا فيه :

فإنهم من لم يجعل ذلك حرفاً ، وإنما جعله فعلاً واسماً لشيء خاص .

ومن جعل ذلك حرفاً قال : أراد أن يحقق الحروف مفرداًها ومنظومها .

وليضيق ما سوى كلام العرب ، أو لخروجه عن الاعتدال - يتكرر^(٥) في بعض
الألسنة الحرف الواحد في الكلمة الواحدة والكلمات المختلفة كثيراً^(٦) ؛ كنعو تكرر
١٨٠ الطاء والسين في لسان/ يُونان ؛ وكنحو الحروف الكثيرة التي هي^(٧) اسم لشيء
واحد في لسان التُّرك ؛ ولذلك لا يمكن أن يُنظَمَ من الشعر في تلك الألسنة على
الأعاريض التي تُمكن في اللغة العربية .

والعربية أشدها تمكناً ، وأشرفها تصرّفاً وأعدلها ؛ ولذلك^(٨) جعلت
حليّةً لنظم القرآن ، وعلّقَ بها الإعجازُ ، وصار دلالةً في النبوة^(٩) .

* * *

(١) م «سفسافاً في الوضع مختلف التأسيس»

(٢) الزيادة من م

(٣) س : «فجرى لسانهم»

(٤) م «رباعياً وخماسياً»

(٥) س ، ك «يتكرر»

(٦) سقطت هذه الكلمة من م

(٧) م «الكثيرة هي»

(٨) م «وكذلك»

(٩) س ، ك «وصارت دلالةً في النبوة»

وإذا كان الكلام إنما يفيد الإبانة عن الأغراض القائمة في النفوس ، التي لا يمكن التوصل إليها بأنفسها وهي محتاجة إلى ما يعبر عنها ؛ فما كان أقرب في تصويرها ، وأظهر في كشفها للفهم الغائب عنها ، وكان مع ذلك أحكم في الإبانة عن المراد ، وأشدّ تحقيقاً في الإيضاح عن المَطْلَب^(١) وأعجب في وضعه ، وأرشد في تصرفه ، وأبرع في نظمه - كان أولى وأحقّ بأن يكون شريفاً .

وقد شبهوا النطق بالخطّ ، والخطّ يحتاج مع بيانه إلى رشاقة/وصحة ، [وملاحظة]^(٢) ١٨١ ولطف ، حتى يحوز الفضيلة ويجمع الكمال .

شبهوا الخطّ والنطق بالتصوير ؛ وقد أجمعوا أن من أخذت المصوّرين ، من صور لك الباكي المتضاحك ، والباكي الحزين ، والضاحك المتبكي ، والضاحك المستبشر . وكما أنه يحتاج إلى لطف يد في تصوير هذه الأمثلة ، فكذلك يحتاج إلى لطف في اللسان والطبع في تصوير ما في النفس للغير .

وفي جملة الكلام ما تَقْصُرُ^(٣) عبارته وتَفْضُلُ معانيه . وفيه ما تقصر معانيه^(٤) وتفضل العبارات . وفيه ما يقع كل واحد منهما وفقاً للآخر . ثم ينقسم ما يقع وفقاً إلى أنه قد يفيد على [جملة وقد يفيد على]^(٥) تفصيل .

وكل واحد منهما قد ينقسم إلى ما يفيد على أن يكون كل واحد منهما بديعاً شريفاً ، وغريباً لطيفاً . وقد يكون كل واحد منهما مُسْتَجَلِباً متكلفاً ، ومصنوعاً متعسفاً ؛ وقد يكون [كل]^(٦) واحد منهما حسناً رقيقاً ، وهيجاً نظيراً^(٧) . وقد يتفق أحدهما دون الآخر . وقد يتفق أن يسلم الكلام والمعنى من غير ١٨٢ رشاقة ولا نضارة في واحد منهما . [و]^(٨) إنما يُمَيِّزُ من يُمَيِّزُ ، ويعرف من يعرف . والحكم في ذلك صعب شديد ، والفصل فيه شأو بعيد . وقد قلّ من

(٢) الزيادة من ا ، م . ومكانها بياض في ك

(٤) س ، ك « المعاني »

(٦) الزيادة من ا ، م ، ك

(٨) الزيادة من ك ، م

(١) س « عن الطلب »

(٣) س ، ك « الكلام إلى ما تقصر »

(٥) الزيادة من ا ، م

(٧) ك ، م « نظيراً »

يُمِيز أصناف الكلام ؛ فقد حكى عن طبقة أبي عُبَيْدَةَ وَخَلَّافِ الْأَحْمَرِ وغيرهما في زمانهما^(٤) ، أنهم قالوا : ذهب من يعرف نَقْدَ^(٢) الشعر .

وقد بيناً قبل هذا اختلاف القوم في الاختيار ، وما يجب أن يجمعوا عليه ، ويرجعوا عند التحقيق إليه ؛ فكلامُ الْمُقْتَدِرِ نَمَطٌ ، وكلامُ المتوسِّطِ^(٣) بابٌ ، وكلامُ المطبوع له طريق ، وكلامُ المتكَلِّفِ له منهاج ، والكلامُ المصنوع المطبوع له بابٌ .

ومتى تقدّم الإنسان في هذه الصنعة ، لم تَخْفَ عليه هذه الوجوه ، ولم تشبهه عنده هذه الطرق ؛ فهو يُمِيز قدر كل متكلم بكلامه^(٤) ، وقدَر كلِّ كلام في نفسه ، ويَحِلُّه محلّه ، ويعتقد فيه ما هو عليه ، ويحكم فيه^(٥) بما يستحق من الحكم .

/ وإن كان المتكلم يُجود في شيء دون شيء ، عرف ذلك منه . وإن كان^(٦) يعم إحسانه ، عرف^(٧) .

١٨٣

ألا ترى أن منهم من يجود في المدح دون الهجو . ومنهم من يجود في الهجو وحده^(٨) ؛ ومنهم من يجود في الممزح^(٩) والسخف ؛ ومنهم من يجود في الأوصاف .

والعالم لا يَشِدُّ عنه [شيء من ذلك ، ولا نخفي عليه]^(١٠) مراتب هؤلاء ، ولا تذهب عليه أقدارهم ؛ حتى إنه إذا عرف طريقة شاعر في قصائد معدودة ، فأشيد غيرَها من شعره — لم يَشْكُ أن ذلك من نَسْجِه ، ولم يَرْتَب في أنها^(١١) من نظمه ؛ كما أنه إذا عرف خطأ رجل لم يشبهه عليه خطه حيث رآه^(١٢) من بين الخطوط المختلفة ، وحتى يُمِيز بين رسائل كاتب وبين رسائل غيره ؛ وكذلك أمرُ الخُطَبِ .

- | | |
|--------------------------|--|
| (٢) م « يعرف هذا الشعر » | (١) س ، ك « وغيرهم في زمانهم » |
| (٤) سقطت هذه الكلمة من م | (٣) س ، ك « وكلام المتوسع باب » |
| (٦) م « ولو كان » | (٥) م « عليه ما يستحق » |
| | (٧) م « عرفه » |
| | (٨) م « في الهجو دون المدح ، ومنهم من يعكس » |
| (١٠) الزيادة من م | (٩) س ، ك « في المدح » |
| (١٢) م « يراه » | (١١) س ، ك « في أنه » |

فإن اشتبه عليه البعض ، فهو لاشتباه الطريقتين ، وتماثل الصورتين ، كما قد يشبه شعر أبي تمام شعر البُحْتَرِي : في القليل الذي يترك أبو تمام فيه التصنع ، ويقصد فيه التسهّل ، ويسلك الطريقة الكتابية ، / ويتوجّه في تقريب ١٨٤ الألفاظ وترك تعويض المعاني ، ويتفق له مثل بهجة أشعار البُحْتَرِي وألفاظه .

ولا يخفى على أحد يميز هذه الصنعة سببك أبي نواس [من سبك مسلم]^(١) ، ولا نسجُ ابن الرُّومِي من نسج البحري ؛ وينبهه ديباجة^(٢) شعر البحري ، وكثرة مائه ، وبديع رَوْنَقِه ، وبهجة كلامه ؛ إلا فيما يسترسل فيه ، فيشبهه بشعر^(٣) ابن الرُّومِي ؛ ويحركه ما لشعر^(٤) أبي نواس من الحلاوة ، والرقة ، والرّساقَة ، والسّلاسة ، حتى يفرق بينه وبين شعر مُسَلِّم .

وكذلك يميز بين شعر الأعشى في التصرّف ، وبين شعر امرئ القيس ، وبين شعر النّابغة وزُهَيْر ، وبين شعر جرير والأخطل ، والبغيت والفرزدق . وكلُّ له منهج معروف ، وطريق مألوف .

ولا يخفى عليه في زماننا الفصّلُ بين «رسائل عبد الحميد» وطبقته وبين طبقة من بعده^(٥) ؛ حتى إنه لا يشبهه عليه ما بين «رسائل ابن العميد» وبين رسائل أهل عصره ومن بعده ممن برع في صنعة الرسائل ، / وتقدّم في شأوها ، حتى جمع ١٨٥ فيها بين طرق المتقدمين وطريقة المتأخرين ، [و] حتى خلّص لنفسه طريقة^(٦) ، وأنشأ لنفسه منهاجاً ؛ فسلك تارة «طريقة الجاحظ» وتارة طريقة السّجع ، وتارة طريقة الأصل ؛ وبرع في ذلك باقتداره ، وتقدّم بحذقه ؛ ولكنّه لا يخفى مع ذلك على أهل الصنعة طريقه من طريق غيره ؛ وإن كان قد يشبهه البعض ، ويدقُّ القليل ، وتغمّض الأطراف ، وتشدُّ النواحي .

(٢) ا «وتنبه» م «وشبهه»

(٤) م «في الشعر»

(٦) م «طريقاً»

(١) الزيادة من م

(٣) م «فيشبهه بغفو شعر»

(٥) سقط ما بين الرقمين من م

وقد يتقارب^(١) سببكُ نَفَر من شعراء عصر ، وتثنائي رسائل كتاب دهر ، حتى تشبه اشتباهاً شديداً ، وتماثل تماثلاً قريباً ؛ فيغض الأصل^(٢) .
وقد يتشاكلُ الفرع والأصل ، وذلك فيما لا يتعذر دراك^(٣) أمده ، ولا يتصعبُ طِلابُ شأوه ، ولا يمنع بلوغ غايته ، والوصول إلى نهايته ؛ لأنَّ الذي يتفق من الفصل^(٤) بين أهل الزمان إذا تفاضلوا [في سبق]^(٥) ، وتفاوتوا في مضمار ؛ فصلٌ قريب ، وأمرٌ يسير .

وكذلك لا يخفى عليهم معرفة سارق الألفاظ و [لا] سارق^(٦) / المعاني ، ولا من يخترعها ، ولا من يُلِمُّ بها ، ولا من يجاهر بالأخذ من يكاتم به ، ولا من يخترع الكلام اختراعاً ، ويستند هُ ابتدأها ، ممن يُروى^(٧) فيه ، ويُجِيلُ الفكر في تنقيحِه ، ويصبر عليه ، حتى يستخلص له ما يريد ، وحتى يتكرر نظره فيه .

قال أبو عبيدة : سمعت أبا عمرو يقول : زهيرٌ والحطيئةُ وأشباههما عبيدُ الشعر ؛ لأنهم نقحوه ، ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين^(٨) .
وكان زهير يسمي كُبر شعره « الحَوَلِيَّاتِ الْمُنْقَحَةِ » .
وقال عديُّ ابن الرِّقَاع :

وقصيدة قد بتُ أجمعُ بينها حتى أقومَ ميلها وسنادها^(٩)
نظرَ المُثَقِّفِ في كُوبِ فنائه حتى يُقيمَ ثِقافه مُنادها
وكقول سويد بن كراع :

أبيتُ بِأَبْوَابِ القَوافي كأنما

أصادي بها سرباً من الوحش نزعاً^(١٠)

(١) م ، ا ، م « وقد يتفاوت »

(٢) س « الفصل » ك « الفضل »

(٣) م « إدراك »

(٤) س « إدراك » ا « أمره »

(٥) الزيادة من م

(٦) ومكانها بياض في ك

(٧) م « ثم يروى » (٨) الشعر والشعراء ٢٣/١ ، ٩٤ وفي البيان والتبيين ١٢/٢

(٩) الموشح ص ١٣ والأغاني ١٨٤/٨ والشعر والشعراء ٦٠١/٢

(١٠) الأغاني ١٢٩/١١ وفيه « شرباً » وهو خطأ ، والبيان والتبيين ١٢/٢ والشعر والشعراء

ومنهم من يُعرف بالبديهة وحدة الخاطر ، ونفاذ الطبع وسرعة النظم ، ١٨٧
يَرْتَجِلُ القول ارتجالاً ، ويطبعه (١) عَفْوَاً صَفْوَاً ؛ فلا يَقْعُدُ به عن قوم
قد تعبوا وكدوا أنفسهم ، وجاهدوا خواطرهم .

وكذلك لا [يمكن أن] (٢) يخفى عليهم انكلام العُلُوِيّ ، واللفظ الملوَكِيّ ؛
كما لا يخفى عليهم الكلام العامي ، واللفظ السُوْقِيّ ؛ ثم تراهم يُنزلون الكلام تزيلاً ،
ويعطونَه - كيف تصرف - حُقُوْقَه ، ويعرفون مراتبه ؛ فلا يخفى عليهم
ما يَخْتَصُّ به كل فاضل تقدّم في وجه من وجوه النظم ، من الوجه الذي لا يُشَارِكُه
فيه غيره ، ولا يُسَاهِمُه سواه .

ألا تراهم وصفوا زهيراً بأنه أمدحهم وأشدّهم أسرّ شعراً (٣) ؛ قاله
أبو عُبَيْدَةَ (٤) ؟

وروى أن الفَرَزْدَقَ انتَحَلَ بيتاً من شعر جرير ، وقال : هذا يشبه
شعري .

فكان هؤلاء لا يخفى عليهم ما قد نسبناه إليهم من المعرفة بهذا الشأن ؛
وهذا كما يعلم البزّازُ أن (٥) هذا الدّيباج عَمِلَ بِتُسْتَرٍ (٦) ، وهذا / لم يعمل ١٨٨
بتُسْتَرٍ ؛ وأن هذا من صنعة فلان دون فلان ، ومن نسج فلان دون فلان ؛
حتى لا يخفى عليه . وإن كان قد يخفى على غيره .

ثم إنهم يعلمون أيضاً من له سمّت بنفسه ، ورقت برأسه ؛ ومن يقتدى
في الألفاظ أو في المعاني أو فيهما بغيره ، ويجعل سواه قدوة له ؛ ومن يُلم في
الأحوال بمذهب غيره ، ويطور (٧) في الأحيان [بجنسبات كلامه] (٨) .

وهذه أمور مُسَهِّدَةٌ عند العلماء ، وأسباب معروفة عند الأدباء ؛ وكما
يقولون : إن « البُحْتَرِيّ » يغير على « أبي تمام » إغارة ، ويأخذ منه صريحاً وإشارة ؛

(٢) الزيادة من م

(٤) الشعر والشعراء ١/٩٣

(١) م « ويطبعه »

(٣) س « أثر »

(٥) س ، ك « البزّازون »

(٦) مدينة من كور الأهواز ، فتحها أبو موسى الأشعري في عهد عمر ، وكانت بها مصانع

للثياب والعمائم ، معجم البلدان ٢/٣٧٧ وابن خلكان ٢/١٥٠

(٨) الزيادة من ا ، م ومكانها بياض في ك

(٧) س ، ك « ويأتى »

ويستأنس بالأخذ منه بخلاف^(١) ما يستأنس بالأخذ من غيره، ويألف أتباعه كما لا يألف أتباع سواه؛ وكما كان أبو تمام يُبلمُّ بأبي نُوَاسٍ ومُسلِّمٍ؛ وكما يعلم أن بعض الشعراء يأخذ من كل أحد ولا يتحاشى، ويؤلف ما يقوله من فرق شتَّى .

وما الذى نفع «المتنبى» جُحُودَه الأخذَ، وإنكارُه معرفةَ «الطَّائِبِينَ» وأهل الصنعة يدلون على كلِّ حرف أخذَه منهما جِهَارًا . أو ألمَّ بهما فيه سرَّارًا؟! ١٨٩

/ وأما ما لم يأخذ عن الغير، ولكن سلك النمطَ، وراعى النهجَ، فهم يعرفونه؛ ويقولون: هذا أشبه به من التمر بالتمر، وأقرب إليه من الماء إلى الماء؛ وليس بينهما إلا كما بين الليلة والليلة. فإذا تباينا وذهب أحدهما في غير مذهب صاحبه، وسلك في غير جَانِبِهِ^(٢)؛ قيل: بينهما ما بين السماء والأرض، وما بين النجم والنون^(٣)، وما بين المشرق والمغرب .

* * *

وإنما أطلت عليك، ووضعتُ جميعه بين يديك؛ لتعلم أن أهل الصنعة يعرفون دقيق هذا الشأن وجليته، وغامضه وجليته، وقريبه وبعيده، ومُعْجَزه ومستقيمته. فكيف يخفى عليهم الجنس الذى هو بين النَّاسِ مُتداوِل، وهو قريب مُتناوِل؛ من أمر يخرج عن أجناس كلامهم، ويبعد عما هو فى عرفهم، ويموت مَوَاقِعَ قُدَرِهِمْ؟! ١٩٠

وإذا اشتبه ذلك، فإنما يشتهه على ناقص فى الصنعة، أو قاصر عن معرفة طرق الكلام الذى يتصرفون فيه ويُدِيرُونَه^(٤) بينهم ولا يتجاوزونه؛ فلكلامهم سبيلٌ مضبوطة، وطرقٌ معروفة محصورة .

وهذا كما يشتهه على من يدعى الشعرَ — من أهل زماننا — والعلمَ بهذا / الشأن؛ فبدعى أنه أشعر من البُحْتَرى، ويتوهم أنه أدقّ مسلِكًا من أبى نُوَاسٍ، وأحسن طريقًا من مُسلِّمٍ! وأنت تعلم أنهما متباعدان، وتتحقق أنهما لا يجتمعان

(٢) م «مسلكه»

(١) م «خلاف»

(٣) فى اللسان ٣١٦/١٧ «النون الحوت، والجمع أنون ونيان»

(٤) م «وسد يرونه»

ولعل أحدهما إنما يلحظ غباراً^(١) صاحبه ، ويطالع ضياءَ نجمه ، ويراعى خفوقاً^(٢) جناحه وهو راكدٌ في موضعه ، ولا يضرُّ البحرى ظننه ، ولا يلحقه بشأوه وهمه^(٣) .

فإن اشبهه على متادب أو متشاعر أو ناشئ أو مرمد ، فصاحة القرآن ، وموقع بلاغته ، وعجيب براعته — فما عليك منه ؛ إنما يخبر عن نقصه^(٤) ، ويدل على عجزه ، ويبين عن جهله ، ويصرح^(٥) بسخافة فهمه ، وركاكة عقله .

وإنما قدّمنا^(٦) ما قدّمناه في هذا الفصل ، لتعرف أن ما ادّعينا من معرفة البليغ بعلو شأن القرآن وعجيب نظمه وبديع تأليفه ، أمرٌ لا يجوز غيره ، ولا يحتمل سواه ، ولا يشبهه على ذى بصيرة ، ولا يسخيل عند^(٧) آخى معرفة ؛ كما يعرف الفصل بين طبائع^(٨) الشعراء/ من أهل الجاهلية ، وبين المخضرمين ، وبين المحدثين ، ويميز بين من يجرى على شاكلة طبعه وغريزة نفسه ، وبين من يشتغل بالتكلف والتصنع ، وبين من يصير التكلف له كالمطبوع ، وبين من كان مطبوعه كالمتمم^(٩) المصنوع .

هيهات هيهات !! هذا أمر — وإن دق — فله قوم يقتلونه علماً ، وأهل يحيطون به فهماً ؛ ويعرفونه^(١٠) إليك إن شئت ، ويصورونه لديك إن أردت ، ويؤجلونه على خواطرك إن أحببت ، ويعرفونه لفظتكت إن حاولت ؛ وقد قال القائل :

للحرب والضرب أقوامٌ لها خلِقوا وللدواوين كتابٌ وحسابٌ
ولكل عمل رجال ، ولكل صنعة ناس ، وفي كل فرقة الجاهل والعالم والمتوسط ؛
ولكن قد قل من يميز في هذا الفن خاصّة ، وذهب من يحصل في هذا الشأن ،
إلا قليلاً !

فإن كنت ممن هو بالصفة التي وصفناها — من التناهي في معرفة الفصاحات ،

(١) س : « عبارة » ا « بطريقة »

(٢) س ، ك « خفوق »

(٣) م « وهمته »

(٤) م « نقصانه »

(٥) م « وبيوح »

(٦) م « وإنما قلنا »

(٧) م « ولا يخل على »

(٨) ك ، ا ، م « طباع »

(٩) س ، ك « كالمعمل »

(١٠) م « ويقدمونه »

والتحقق^(١) بمجاري البلاغات - فإنما يكفيك التأمل ، ويعنيك التصور .
 ١٩٢ وإن كنت في الصنعة مُرْمِداً ، وفي المعرفة بها متوسطاً ؛ فلا بُدَّ / لك من
 التقليد ، ولا غنى بك عن التسليم . إن الناقص في هذه الصنعة كالخارج عنها ،
 والشادى فيها كالبائن منها .

فإن أراد أن يقرب عليه أمراً^(٢) ، ونفسح له طريقاً ، وفتح له باباً - ليعرف
 به إعجاز القرآن - فإننا نضع بين يديه الأمثلة ، ونعرض عليه الأساليب ، ونُصوِّر
 له صور^(٣) كل قبيل من النظم والنثر ، ونُحضرُه^(٤) من كل فن من القول شيئاً
 يتأمله حق تأمله ، ويراعيه حق رعايته^(٥) ؛ فيستدل استدلال العالم ، ويستدرك
 استدراك^(٦) الناقد ، ويقع^(٧) له الفرقُ بين الكلام الصادِر عن الربوبية ،
 الطَّالع عن الإلهية ؛ الجامع بين الحكم والحكم ، والإخبار عن الغيوب
 والغائبات ؛ والمتضمن لمصالح الدنيا والدين ، والمستوعب لجلكية اليقين ؛
 والمعاني المحترقة في تأسيس أصل الشريعة وفروعها بالألفاظ الشريفة ؛ على تفَسُّتِها
 وتصرفها . ونعميدُ إلى شيء من الشعر السُجِّم عليه ، فسنبينُ وجه النقص
 فيه ، ونبدلُ على انحطاط رتبته ، ووقوع أبواب الخلل فيه ؛ حتى إذا تأمل ذلك ،
 وتأمل ما نذكره - من تفصيل إعجاز القرآن وفصاحته ، وعجيب براعته - انكشف
 له واتضح ، وثبت / ما وصفناه لديه ووضح ؛ وليعرف حدود «البلاغة» ، ومواقع البيان
 ١٩٣ «والبراعة» ، ووجهَ التقديم في «الفصاحة» .

وذكر الجاحظ في كتاب البيان والتبيين^(٨) : أن الفارسي سئل ، فقيل له :
 ما «البلاغة» ؟ فقال : معرفة الفصل من الوصل .

وسئل اليوناني عنها ؛ فقال : تصحيح الأقسام ، واختيارُ الكلام .
 وسئل الرومي عنها ؛ فقال : حسنُ الاقتضاب عند البداهة^(٩) ، والغزارةُ
 يوم الإطالة .

- | | |
|-----------------------|---------------------------------|
| (١) م « والتحقق » | (٢) م « أمدأ » |
| (٣) م « صورة » | (٤) م « ونحضر له » |
| (٥) م ، ك « مراعاته » | (٦) م « الاستدلال » |
| (٧) م « ويقطع » | (٨) راجع البيان والتبيين ١ / ٨٨ |
| (٩) م « البديهة » | |

وسئل الهندي عنها ؟ فقال : وضوحُ الدلالة ، وانتهازُ الفرصة ، وحسنُ الإشارة .

وقال مرةً (١) : التماسُ حسنِ الموقع ، والمعرفةُ بساعات (٢) القول ، وقلةُ الخُرق بما (٣) التبس من المعاني ، أو غمض وشرذ من اللفظ وتعذر . وزينته (٤) أن تكون الشئائل موزونة ، والألفاظ معدّلة ، واللهجة نقيّة (٥) ، وأن (٦) لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ؛ ويكون في قواه فضل (٧) التّصرف في كل طبقة ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا يُنتقح الألفاظ كلّ التنتيح ، و [لا] يصفّيها كلّ التصفية ، و [لا] يهذبها بغاية التهذيب (٨) .

١٩٤

وأما « البراعة » فهي فيما يذكر (٩) أهل اللغة : الحذق بطريقة الكلام وتجويده ، وقد يوصف بذلك كلُّ متقدم في قول أو صناعة .

وأما « الفصاحة » فقد اختلفوا فيها :

فمنهم من عبّر عن معناها بأنه : ما كان جزلّ اللفظ ، حسن المعنى .

وقد قيل : معناها : الاقتدار على الإبانة عن المعاني الكامنة في النفوس ، على عبارات جليّة ، ومعان نقيّة بهية .

والذي يصوّر عندك ما ضمّناً تصويره ، ويحصل لديك (١٠) معرفته - إذا كنت في صنعة الأدب متوسطاً ، وفي علم العربية متبيّناً (١١) - أن تنظر أولاً في ١٩٥

(١) في البيان والتبيين « قال : وقال مرة : جماع البلاغة التماس . . . »

(٢) س « بساعات » م « بتبرعات » (٣) م « وقلة الحذف فيما »

(٤) في البيان ٨٩/١ « ثم قال : وزين ذلك كله وهبائه وحلاوته وسناؤه أن تكون الشئائل »

(٥) م « واللهجة نقيّة » وفي البيان بعد ذلك : « فإن جامع ذلك السن والسمت والجمال وطول

السمت ، فقد تم كل التمام ، وكل كل الكمال »

(٦) هذا الكلام من الصحيفة التي زعم الجاحظ أن فيها البلاغة عند الهند . وأولها كما ذكر في

البيان ٩٢/١ « أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، ذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح

قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السوق ، ويكون في

قواه . . . » (٧) م : « فصل »

(٨) راجع بقية الصحيفة المزعومة في البيان ٩٢/١ (٩) س ، ك : « البراعة ففيا »

(١٠) س ، ك : « عندك » (١١) م : « مشاركا »

في نَظْمِ القرآن ، ثم في شيء من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فتعرف الفَصْلَ بين النظمين ، والفرق بين الكلامين .

فإن تبيّن لك الفصلُ ، ووقعت على جليّة الأمر وحقيقة الفرق - فقد أدركت الغرض ، وصادفت المقصد .

وإن لم تفهم الفرق ، ولم تقع^(١) على الفصل - فلا بد لك من التقليد ، وعلمت أنك من جملة العامة ، وأن سبيلك سبيل من هو خارج عن أهل اللسان .

/ خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم

روى طَلْحَةَ بن عُبَيْد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على منبره يقول :

« ألا أيها^(١) الناس ؛ تَوَبُّوا إلى رَبِّكُمْ قبلَ أنْ تَمُوتُوا ، وَبَادِرُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ قبلَ أنْ تُشْغَلُوا ؛ وَصِلُوا الذي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ - بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ له ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ - تُرْزَقُوا وَتُؤَجَّرُوا وَتُنصَرُوا .
واعلموا أن الله عز وجل قد افترَضَ عَلَيْكُمْ الجُمُعَةَ فِي مَقَامِي هَذَا ، فِي عَامِي هَذَا ، فِي شَهْرِي هَذَا ؛ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ : حَيَاتِي وَمِن بَعْدِ^(٢) مَوْتِي ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا وَلَهُ إِمَامٌ - فَلَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمَلَهُ ، وَلَا بَارَكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ ؛ أَلَا وَلَا حَجَّ لَهُ ، أَلَا وَلَا صَوْمَ لَهُ ، أَلَا وَلَا صَدَقَةَ لَهُ ، أَلَا وَلَا بَيْرَ لَهُ .
أَلَا وَلَا يَوْمٌ أَعْرَابِيٌّ مُسَاهِجِرًا ، أَلَا وَلَا يَوْمٌ فَتَاجِرٌ مُؤْمِنًا ؛ إِلَّا أَنْ يَتَّقِيَهُ سُلْطَانٌ يَخَافُ سَيْفَهُ أَوْ سَوْطَهُ . »

/ خطبة له صلى الله عليه وسلم

« أيها^(٣) الناس ؛ إِنْ لَكُمْ مَعَالِمٌ ، فَانْتَهُوا^(٤) إِلَى مَعَالِمِكُمْ ، وَإِنْ لَكُمْ نَهْيَةٌ ، فَانْتَهُوا إِلَى نَهْيَتِكُمْ .
إِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ : بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى ، لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ ؛ وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ ، لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ تَعَالَى قَاضٍ عَلَيْهِ فِيهِ .
فَلْيَأْخُذِ العَبْدُ لِنَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَمَنْ دَنِيَاهُ لآخِرَتِهِ ؛ وَمَنْ الشَّبَابَ قَبْلَ الكِبَرِ ، وَمَنْ الحَيَاةَ قَبْلَ المَوْتِ . »

(٢) م : « وبعد »

(١) م : « ألا يا أيها »

(٣) في البيان والتبيين ١/٣٠٢ « خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات : حمد الله

وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس . . . » . وهي في عيون الأخبار ٢/٣٣١

(٥) في البيان « ومن الشبية قبل الكبرة » .

(٤) س : « فانتبهوا » .

والذي نَفَسُ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ : ما بَعْدَ المَوْتِ من مُسْتَعْتَبٍ ، ولا بَعْدَ الدنيا دارٌ ، إلا الجَنَّةُ أو النَّارُ .

خطبة له صلى الله عليه وسلم

« إنَّ الحَمَلِ لله ، أحمَدُهُ وأستعينُهُ ؛ نعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ، وسيئاتِ أعمالنا ؛ مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضِلِّ اللهُ فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ (١) له .

/ إنَّ أحسنَ الحديثِ كتابُ اللهِ ؛ قد أفلحَ مَنْ زَيَّنَهُ اللهُ في قلبه ، وأدخله في الإسلامِ بَعْدَ الكُفْرِ ، واختاره على ما سواه من أحاديثِ الناس ؛ إنه أحسنَ (٢) الحديثِ وأبلغُهُ .

أحبُّوا مَنْ أحبَّ اللهُ ، وأحبُّوا اللهُ من كلِّ قلبِكم ؛ ولا تَمَلُّوا كلامَ اللهِ وذِكْرَهُ ، ولا تَقْسُوا عليه قلوبكم . اعبُدوا اللهُ ولا تُشركوا به شيئاً . اتقوا اللهُ حقَّ تَقَاتِهِ ، وصدقوا صالِحَ ما تَعَمَّلُونَ بأفواهكم ؛ وتَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ بينكم ؛ والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ .

خطبة له صلى الله عليه وسلم في أيام التشريق

قال بَعْدَ حمدِ اللهِ :

« أيها الناسُ ؛ أتَدرون (٣) في أيِّ شهرٍ أنتم ؟ وفي أيِّ يومٍ أنتم ؟ وفي أيِّ بلدٍ أنتم ؟

قالوا : في يومٍ حَرَامٍ ، وشهرٍ حَرَامٍ ، وبلدٍ حَرَامٍ .
قال : ألا فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ ، كَحَرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا ، في شهرِكُمْ هذا ، في بلدِكُمْ هذا ، إلى يومِ تَلَقَّوْهُ .
ثم قال : اسمعوا مني تعيشوا ؛ ألا لا تَظالموا ، ألا لا تَظالموا ، ألا لا تَظالموا .

(١) من أولِ الخطبة إلى هنا هو صدر خطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، كما في العقد

الفرید ٧٥/٤ والبيان والتبيين ٣١/٢

(٣) س : « هل تدرون »

(٢) س : « إنه أصدق »

/ أَلَا إِنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ .
 أَلَا إِنَّ كُلَّ دَمٍ وَمَالٍ وَمَأْتِثَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، تَحْتَ قَدَمِي هَذِهِ ؛ أَلَا
 وَإِنْ أَوَّلَ دَمٍ وَوَضِعَ دَمُ رِبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - كَانَ مُسْتَرَضَعًا
 فِي بَنِي لَيْثٍ ، فَقَتَلْتَهُ هَذَا يَلْ (١) .

أَلَا وَإِنَّ كُلَّ رَبًّا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ؛ أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَضَى أَنْ
 أَوَّلَ رَبًّا يُوضَعُ : رَبًّا عَمَى الْعَبَّاسِ ؛ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ، لَا تَظْلِمُونَ
 وَلَا تُظْلَمُونَ .

أَلَا وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ، ذَلِكَ الْدِّينُ الْقَيِّمُ ؛ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ .

أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ؛ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ (٣) .

/ أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَبْسُ أَنْ يَبْعِدَهُ الْمُصَلُّونَ ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ ٢٠٠
 بَيْنَكُمْ (٤) .

اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ؛ فَإِنَّهِنَّ عِنْدَكُمْ عَوَّانٌ (٥) . لَا يَمْلِكُنَّ لِأَنْفُسِهِنَّ
 شَيْئًا ، وَإِنْ لَهْنُ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ : أَنْ لَا يُؤْطِئْنَ فَرَشَكُمْ
 أَحَدًا غَيْرَكُمْ ؛ فَإِنْ خَفِئْتُمْ نَشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ، وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ،
 وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ ؛ وَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ؛ فَإِنَّمَا
 أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ .

(١) هذه الجملة التفسيرية ثابتة في النسخ كلها . وفي م : « بنو هذيل »

(٢) كذا في كل النسخ وفي البيان والتبيين والعقد « والأرض . وإن عدة الشهور عند الله اثني عشر

شهرًا في كتاب الله ، يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم : ثلاث متواليات ، وواحد فرد .

ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد »

(٣) في العقد بعد ذلك : « فإني قد تركت ما إن أخذتم به لم تضلوا : كتاب الله ، ألا هل

بلغت ؟ اللهم اشهد ؟ » . وكذلك في البيان

(٤) في البيان والعقد : « أيها الناس ، إن الشيطان قد يبس أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه

قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم »

(٥) في اللسان ١٩ / ٣٣٦ « عوان : أي أسرى أو كالأسرى ، واحدة العواني غانية ، وهي

الأسيرة ، يقول : إنما هن عندي بمنزلة الأسرى . قال ابن سيده : العواني : النساء ، لأنهن يظلمن

فلا ينتصرن . » وفي النهاية : « العاني : الأسير ، وكل من ذل واستكان وخضع فقد عنا يعنو ، وهو

عان ، والمرأة غانية ، وجمها : عوان »

ألا ومن كانت عنده أمانة ، فليؤدها إلى من ائتمنه عليها .
ثم بسط يده ، فقال : ألا هل بلغت ، ألا هل بلغت ؛ ليلغ الشاهدُ
الغائب ؛ فرب مبلغ أبلغ من سامع .

٢٠١ / خطبته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

٢٠١

وقف على باب الكعبة ، ثم قال :
« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ صدق^(١) وعده ، ونصر عبده ،
وهزم الأحزاب وحده .

ألا كل مائرة أو دم أو مال يدعى - فهو تحت قدمي هاتين ؛ إلا
سدانة البيت ، وسقاية الحاج .
ألا وقتيل الخطأ العمد بالسوط والعصا - فيه الدية مغلظة ، منها أربعون
خليفة^(٢) ، في بطونها أولادها .

يا معشر قريش ؛ إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها
بالآباء ؛ الناس من آدم ، وآدم خلق من تراب ؛ ثم تلا هذه الآية :
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾^(٣) .
يا معشر قريش - أو يا أهل مكة - ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا :
خيراً ؛ أخ كريم ، وابن أخ [كريم . ثم] قال : فاذهبوا فأنتم الطلقاء .

خطبته صلى الله عليه وسلم بالخيف

٢٠٢ وروى زيد بن ثابت : أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب / بالخيف من
مينى ، فقال^(٤) :

(١) من ، ك « صدق الله »

(٢) في السان ٤٤٣/١٠ « الخلفة بفتح الخاء وكسر اللام : الحامل من النوق »

(٣) سورة الحجرات : ١٣

(٤) من أول قوله وروى « زيد بن ثابت » ليس في ك ، وهو ثابت في ا ، م

« نَصَرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالِي فَوَعَاها (١) ، ثُمَّ أَدَّأها إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعَهَا ؛ فَتَرُبَّ حَامِلٍ فَفَقَهٌ لَا فَفَقَهَ لَهُ ؛ وَرَبَّ حَامِلٍ فَفَقَهٌ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ .
ثَلَاثٌ لَا يُغْلَى (٢) عَلَيْهِنَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ، وَالنَّصِيحَةُ لِأَوْلَى الْأَمْرِ ، وَلِزُومُ الْجَمَاعَةِ ، إِنْ دَعَوْتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِ .
وَمَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةُ : جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ؛ وَأَتَمَّتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ .
وَمَنْ كَانَ هَمُّهُ الدُّنْيَا : فَتَرَّقَ اللهُ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ؛ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ . »

٢٠٣

/ خطبة له صلى الله عليه وسلم
رواها أبو سعيد الخُدْرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

قال (٣) : خَطَبَ بَعْدَ الْعَصْرِ ، فَقَالَ :
« أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ (٤) ؛ أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا ، فَتَنَاطُرٌ كَسِيفٌ تَعْمَلُونَ : فَاتَّقُوا الدُّنْيَا ، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ .
أَلَا لَا يَمْسُئَعَنَّ رَجُلًا مَخَافَةُ النَّاسِ ، أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ إِذَا عَلِمَهُ . »

(١) « نصر الله عبداً » يجوز في « نصر » تخفيف الضاد المفتوحة وتشديدها . وقد روى بالوجهين .
فعل التخفيف يكون هذا الفعل الثلاثي متعدياً ، وهو في أصله لازم . ولكن جاز فيه الأمران ، يقال : « نصر وجه فلان » ، و « نصر الله وجهه » ، و « نصر » و « أنصره » أيضاً .
(٢) في اللسان ١٣/٤ « قيل معنى قوله : لا يغفل عن قلب مؤمن : أى لا يكون معها في قلبه غش ودغل ونفاق ، ولكن يكون معها الإخلاص في ذات الله عز وجل . وروى لا يغفل ولا يغفل ، فن قال يغفل بالفتح للياء وكسر العين فإنه يجعل ذلك في الضغن والنل وهو الضغن والشحناء ، أى لا يدخله حقد يزيه عن الحق . ومن قال يغفل بضم الياء جعله من الحيانة . . . وقال ابن الأثير : ويروى يغفل بالتخفيف ، من الوجود ، والدخول في الشيء . والمعنى أن هذه الحلال الثلاث تستصلح بها القلوب ، فن تمسك بها طهر قلبه من الدغل والحيانة والشر . وعليه في موضع الحال ، تقديره لا يغفل كأننا عليهن . . .
ابن الأعرابي في النوادر : غل بصر فلان : حاد عن الصواب ، من غل يغفل ، وهو معنى قوله : ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرئ مؤمن ، أى لا يجيد عن الصواب غاشاً .
(٣) هذه الكلمة من م فقط

(٤) في اللسان ٣٣٢/٥ « والدنيا خضرة مصرة : أى ناعمة غضة طرية طيبة ، وقيل : موقنة معجبة . وفي الحديث : إن الدنيا حلوة خضرة مصرة ، فن أخذها بحقها بورك له فيها »

قال : ولم يَزَلْ يَخْطُبُ حَتَّى لَمْ تَبْقَ مِنَ الشَّمْسِ إِلَّا حُمْرَةٌ عَلَى أَطْرَافِ السَّعْفِ ؛ فَقَالَ :

إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى ، إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى . «

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملك فارس

« من محمد رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ :

سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ وَأَدْعُوكَ / بِدَعَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، لِأَنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَيُحِقَّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ . فَأَسْلِمُ تَسْلِمًا . «

كتاب له صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي

« من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة :

سَلِمٌ أَنْتَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الْمَلِكَ الْقُدُّوسَ السَّلَامَ الْمُؤْمِنَ الْمُهَيَّمِينَ . وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ (١) الطَّيِّبَةِ ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى ، فَحَمَلْتَهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخِهِ ؛ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ .

وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَالْمُؤَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ ؛ وَأَنْ تَتَّبِعَ عِبَادَتِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي . وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ ، فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي . وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى . «

(١) قال أبو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر ١١٤/١ « البتل : القطع ، ومنه العذراء

البتول ، لأنها قطعت عن الرجال «

(٢) م « قد »

نسخة عهد الصلح مع (١) قريش عام الحديبية

« هذا (٢) ما صالح عليه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، سهيلاً
ابن عمرو : اصطلاحاً على وضع الحرب عن الناس عشر سنين (٢) ، يأمن فيها
الناس ، ويكف (٤) بعضهم عن بعض على أنه من أتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قريش (٥) بغير إذن (٦) وكيه ، رده عليهم . ومن جاء قريشاً ممن مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يردوه عليه (٧) ؛ وأن بيننا عيبه مكفوفة (٨)
وأنه لا إسلال (٩) ، ولا إغلال ؛ وأنه ممن أحب أن يدخل في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده / دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عهد
قريش وعقدهم دخل فيه ؛ وأنتك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا
مكة ؛ فإذا كان عاماً قايلاً خرجنا عنك ، فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها
ثلاثاً ؛ وأن معك سلاح الرأكب ، والسيوف في القرب (١٠) ؛ فلا تدخلها بغير هذا »

ولا أطول عليك ، وأقتصر على ما ألقيته إليك (١١) ؛ فإن كان لك في
الصنعة حظ ، أو كان لك في هذا المعنى حس ، أو كنت تضرب في الأدب

- (١) م « عهد الصلح بين قريش » . (٢) في إمتاع الأسماع ٢٩٧ « باسمك اللهم ، هذا ما اصطلاح »
(٣) س ، ك « عشرين سنة يأمن فيه » !!
(٤) س ، ك « ويكف فيه بعضهم »
(٥) قوله « من قريش » ساقط من ك ، س
(٦) م : « بغير اذيه وانه رده »
(٧) م : « لم يرد عليه »

(٨) في اللسان ١٢٦/٢ « وروى عن ابن الأعرابي أنه قال : معناه أن بيننا وبينهم في هذا
الصلح صدراً معقوداً على الوفاء بما في الكتاب ، نقياً من الغل والندر والحداع . والمكفوفة : المشرجة
المعقودة ، والعرب تكنى عن الصدور والقلوب التي تحتوى على الضمائر المخففة بالغياب ، وذلك أن الرجل إنما
يضع في عيبته حر متاعه ، وصون ثيابه ، ويكتم في صدره أخص أسراره التي لا يحب شيوعها ، فسميت
الصدور والقلوب عياباً تشبهاً بعياب الثياب . . . وقال بعضهم : أزد به الشر بيننا مكفوف كما تكف
العيبة إذا أشرجت . وقيل : أراد أن بينهم مودة ومكافة عن الحرب . يجريان مجرى المودة التي تكون بين
المتصافين الذين يثق بعضهم إلى بعض

(٩) في اللسان ٣٦٤/١٣ « قال أبو عمرو : الإسلال : السرقة الخفية . قال الجوهري : وهذا
يحتمل الرشوة والسرقة جميعاً . ويقال : الإسلال الغارة الظاهرة ، وقيل : سل السيوف » وفي ١٣/١٤
« قال أبو عبيد : الإغلال : الخيافة ، والإسلال : السرقة . وقيل : الإغلال : السرقة ، أي لا خيانة
ولا سرقة ؛ ويقال : لا رشوة » (١٠) س ، ك : « في الركب » . والقرب : جمع قراب ،
وهو غمد السيف . كما في اللسان ١٦١/٣ (١١) م : « عليك »

بِسَهْمٍ ، أو في العربية بِقِسْطٍ — وإن قَلَّ ذلك السَهْمُ ، أو نَقَصَ ذلك النَّصِيبُ — فما أَحْسَبُ أَنَّهُ يَشْتَبَهُ عَلَيْكَ الْفَرْقُ بَيْنَ بَرَاعَةِ الْقُرْآنِ ، وَبَيْنَ مَا نَسَخَاهُ لَكَ مِنْ كَلَامِ الرَّسُولِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي خُطْبِهِ وَرِسَالَتِهِ ؛ وَمَاعَسَاكَ تَسْمَعُهُ مِنْ كَلَامِهِ ؛ وَيَتَسَاوَقُ إِلَيْكَ مِنْ أَلْفَاظِهِ ؛ وَأَقْدَرُ أَنْتَ تَرَى بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ بَوْنًا بَعِيدًا ، وَأَمْدًا مَدِيدًا ، وَمِيدَانًا وَاسِعًا ، وَمَكَانًا شَاسِعًا .

* * *

فإن قلت : لعله أن يكون تَعَمَّلَ الْقُرْآنَ ، وَتَصَنَّعَ لِنِظْمِهِ ؛ وَشَبَّهَ عَلَيْكَ الشَّيْطَانُ ذَلِكَ مِنْ خُبَيْثِهِ — فَتَشَبَّتَ فِي نَفْسِكَ ، وَارْجِعْ إِلَى عَقْلِكَ ، وَاجْمَعْ لُبَّكَ ، وَتَيَقَّنْ أَنَّ الْخُطْبَ يُحْتَشِدُ لَهَا فِي الْمَوَاقِفِ الْعِظَامِ ، وَالْمَحَافِلِ الْكِبَارِ ، وَالْمَوَاسِمِ الضَّخَامِ ؛ وَلَا يُتَجَوَّزُ فِيهَا ، وَلَا يُسْتَهَانُ بِهَا . وَالرِّسَالَةُ إِلَى الْمَلُوكِ مِمَّا يَجْمَعُ لَهَا الْكَاتِبُ جِرَامِيْزَهُ^(١) ، وَيُشْمَرُ لَهَا عَنْ جِدِّ وَاجْتِهَادٍ ؛ فَكَيْفَ يَقَعُ بِهَا الْإِخْلَالُ ؟ وَكَيْفَ تَعْرُضُ^(٢) لِلتَّفْرِيطِ ؟ فَسَتَعَلِمَ ، لَا مَحَالَةَ أَنَّ نِظْمَ الْقُرْآنِ مِنَ الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ ؛ وَأَنَّ كَلَامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَمْرِ النَّبَوِيِّ .

فإذا أردت زيادةً في التَّبَيِّنِ^(٣) ، وَتَقَدُّمًا فِي التَّعَرُّفِ ، وَإِشْرَافًا عَلَى الْجَلِيَّةِ وَفَوْزًا بِمُحْكَمِ الْقَضِيَّةِ ؛ فَتَأَمَّلْ — هَذَاكَ اللَّهُ — مَا نَسَخَهُ لَكَ مِنْ خُطْبِ الصَّحَابَةِ وَالْبُلْغَاءِ ؛ لِتَعْلَمَ أَنَّ نَسَجَهَا وَنَسَجَ مَا نَقَلْنَا — مِنْ خُطْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَاحِدٌ ، وَسَبْكُهَا سَبْكٌ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ ؛ وَإِنَّمَا يَقَعُ بَيْنَ كَلَامِهِ وَكَلَامِ غَيْرِهِ ، مَا يَقَعُ مِنَ التَّفَاوُتِ بَيْنَ كَلَامِ الْفَصِيحِينَ ، وَبَيْنَ^(٤) شِعْرِ الشَّاعِرِينَ ؛ وَذَلِكَ أَمْرٌ لَهُ مَقْدَارٌ مَعْرُوفٌ ، وَحَدٌّ — يَنْتَهِي إِلَيْهِ — مُضْبُوطٌ .

(١) في اللسان ١٨٣/٧ « ويقال : جمع فلان لفلان جراميزه : إذا استعد له وعزم على قصده .

وجراميز الرجل : جسده وأعضاؤه . وانظر مجمع الأمثال ١٧٤/١

(٣) س : « في التبيين »

(٢) س ، ا : « وكيف يتعرض »

(٤) م : « وشعر »

فإذا عرفت أن جميع كلام الآدمي منهاج^(١)، ولحملته طريق^(٢) / وتبينت^(٣) ٢٠٨ ما يمكن فيه من^(٤) التفاوت - نظرت إلى نظم القرآن نظرة أخرى، وتأملته مرة ثانية؛ فتراعى بعد موقعه، وعالي محله وموضعه؛ وحكمت بواجب من اليقين، وتلج^(٥) الصدر بأصل الدين .

٢٠٩ / خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه

قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال^(٥) :
 « أما بعد ؛ فإنى وليت أمركم ، ولست بخيركم ؛ ولكن نزل القرآن ، وسن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وعلّمنا فعملنا .
 واعلموا أن أكيس الكيس التقى ، وأن أحمق الحمق الفجور ؛
 وأن أقواكم عندى الضعيف ، حتى آخذ له بحقه ؛ وأن أضعفكم عندى القوي ، حتى آخذ منه الحق .
 أيها الناس ؛ إنما أنا متبّع ، ولست بمبتدع ؛ فإن أحسنت فأعينوني ؛
 وإن زغت فقوموني »^(٦) .

عهد لأبي بكر الصديق إلى عمر رضي الله عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آخر / عهد ٢١٠ بالدنيا ، وأول عهده بالآخرة ؛ ساعة يؤمن فيها الكافر ، ويستقي فيها الفاجر .

(١) م : « منهاجاً . . . طريقاً »

(٢) سقطت من م

(٤) م : « وتلج من الصدر » . وفي اللسان ٥/٣ : « وتلجت نفسى بالشيء ثلجاً : اشتفت به واطمأنت إليه . . . وتلج قلبه : تيقن » .

(٥) في عيون الأخبار ٢/٢٣٤ « الهيثم ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : لما بويع أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، صعد المنبر فنزل مرقاة من مقعد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « والخطبة في العقد ٤/٥٩ باختلاف .

(٦) في عيون الأخبار بعد ذلك : « أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم » .

إني استخلفتُ عليكم عمرَ بن الخطاب ، فإن برَّ وعمَدَلَ : فذاك ظنِّي به ، ورأيتُ فيه ؛ وإن جارَ وبدَل فلا علمَ لي بالغيب ، والخيرَ أردتُ لكم ^(١) ؛ ولكلِّ امرئٍ ما اكتسبَ من الإثمِ ؛ وسيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ^(٢) .

* * *

وفي حديث عبد الرحمن بن عَوْفٍ رحمة الله عليه ؛ قال : دخلتُ على أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، في عِلَّتِهِ التي مات فيها ؛ فقلتُ : أراك بارئاً يا خليفةَ رسولِ الله ، فقال : أما إني - على ذلك - لَشَدِيدُ الْوَجَعِ ؛ وَلَمَّا لَقِيتُ مِنْكُمْ - يا معشرَ المهاجرين - أَشَدُّ عَلَىَّ مِنْ وَجَعِي . إني وَلَّيتُ أُمُورَكُمْ خَيْرَكُمْ في نَفْسِي ، فَكَلِّمُوا رِيمَ ^(٣) أَنْفَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْأَمْرُ مِنْ دُونِهِ .

والله لتتخذُنَّ نَصَائِدُ ^(٤) الدِّبَاجِ ، وَسُتُورَ الْحَرِيرِ ، وَلتَأْلَمَنَّ النَّوْمُ / على الصَّوْفِ الْأَذْرَبِيِّ ^(٥) ، كَمَا يَأْلَمُ أَحَدُكُمْ النَّوْمُ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ ^(٦) ؛ وَالذِّي نَفْسِي بِيَدِهِ لِأَنَّهُ يُقَدِّمُ أَحَدُكُمْ فَتُضْرَبَ رَقَبَتُهُ فِي غَيْرِ حِدَّةٍ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْخُوضَ غَمَرَاتِ الدُّنْيَا .
يا هَادِي الطَّرِيقِ جِرَّتَ ^(٧) ؛ إِنَّمَا هُوَ - وَاللَّهِ - الْفَسَجَرُ أَوْ الْبَسَجَرُ ^(٨) .

٢١١

(١) م : « بكم » (٢) ورد هذا العهد في الكامل للمبرد ٨/١

(٣) قال المبرد ٧/١ « يقول : امتلأ من ذلك غضباً . وذكر أنه دون السائر ، كما قال :

فلان شامخ بأنفه ، يريد رافع رأسه . وهذا يكون من الغضب »

(٤) قال المبرد : « واحدها نصيدة ، وهي الوسادة وما ينضد من المتاع . . . ويقال : نضدت

المتاع : إذا ضمنت بعضه إلى بعض ، فهذا أصله »

(٥) قال المبرد ٦/١ « الأذري منسوب إلى أذريجان »

(٦) قال المبرد : « السعدان : نبت كثير الحسك (الشوك) تأكله الإبل فتسمن عليه ،

ويفئونها غذاء لا يوجد في غيره ، فمن أمثال العرب : مرعى ولا كالسعدان ، تفضيلاً له »

(٧) س ، ك : « جزت »

(٨) س ، ك : « البحر » قال المبرد ٧/١ « يقول : إن انتظرت حتى يضيء لك الفجر

الطريق أبصرت قصدك ، وإن خبطت الظلماء وركبت المشواء هجماً بك على المكروه . وضرب ذلك مثلاً لغمرات الدنيا وتحيرها أهلها »

قال : فقلتُ : خَفَضُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَإِنَّ هَذَا يَهَيِّضُكَ^(١) ، إِلَى مَا بَيْنَكَ ؛ فَوَاللَّهِ مَا زِلْتِ صَالِحًا مُصْلِحًا ، لَا تَأْسَى عَلَى شَيْءٍ فَآتَاكَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا ؛ وَلَقَدْ تَخَلَّيْتَ بِالْأَمْرِ وَحَدَاكَ ، فَمَا رَأَيْتِ إِلَّا خَيْرًا .

وله خطب ومقامات مشهورة اقتصرنا منها على ما نقلنا ، منها قِصَّةُ السَّقِيفَةِ .

* * *

/ نسخة كتاب كتبه^(٢) أبو عبيدة بن الجراح ومُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ :

سلام عليك ؛ فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

أما بعد ؛ فَإِنَّا عَهْدِنَاكَ وَأَمْرُ نَفْسِكَ لَكَ^(٣) مُهِمٌّ ؛ فَأَصْبَحْتَ وَقَدْ وُلِّيتَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحْمَرَهَا ، وَأَسْوَدَهَا ؛ يَجْلِسُ بَيْنَ يَدَيْكَ الصَّدِيقُ وَالْعَدُوُّ ، وَالشَّرِيفُ وَالْوَضِيعُ ؛ وَلِكُلِّ حَصَّتُهُ مِنَ الْعَدْلِ ؛ فَانظُرْ كَيْفَ أَنْتَ - يَا عُمَرَ - عِنْدَ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّا نَحْتَدَّرُكَ يَوْمًا تَعْنُو فِيهِ الْوُجُوهُ ، وَتَجِيبُ فِيهِ الْقُلُوبُ .

وإِنَّا كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَرْجِعُ^(٤) فِي آخِرِ زَمَانِهَا ؛ أَنْ يَكُونَ إِخْوَانُ الْعِلَانِيَةِ أَعْدَاءَ السَّرِيرَةِ ؛ وَإِنَّا نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُنْزَلَ كِتَابِنَا سِوَى الْمَنْزُولِ الَّذِي نُنْزَلُ مِنْ قُلُوبِنَا ؛ فَإِنَّا إِنَّمَا كَتَبْنَا إِلَيْكَ نَصِيحَةً لَكَ ؛ وَالسَّلَامُ .

فكتب إليهما :

من عمر بن الخطاب ، إلى أبي عبيدة بن الجراح ومُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ :
سلامٌ عليكم ؛ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمَا اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ^(٥) .

/أما بعد ؛ فقد جاعني كتابكما ، تزعمان أنه بلغكما أني وليت أمر هذه الأمة : ٢١٣ /
أحمرها وأسودها ، يجلس بين يدي الصديق والعدو ، والشريف والوضيع ؛ وكتبنا :

(١) قال المبرد : « يهيضك ، مأخوذ من قوطم : هيض العظم ؛ إذا جبر ثم أصابه شيء يمتته فأذاه ، فكره ثانية أو لم يكسره ، وأكثر ما يستعمل في كسره ثانية »

(٢) س ، ك : « كتب » (٣) م : « إليك »

(٤) س ، ك : « أن هذه الأمة ترجع »

(٥) في سيرة عمر ص ٥٥٢ « أما بعد فإنني أوصيكمما بتقوى الله ، فإنه رضا ربكما ، وحظ أنفسكما ، وغنيمة الأكياس لأنفسهم عند تفريط العجزة ، وقد بلغني كتابكما . . . »

أَنْ انظُرْ كَيْفَ أَنْتَ يَا عَمْرٌ عِنْدَ ذَلِكَ ؟ وَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ لِعَمْرٍ - عِنْدَ ذَلِكَ - إِلَّا اللَّهُ .

وَكُتِبَتْهَا تُحَدِّثُ رَأْيِي مَا حُدِّثَتْ بِهِ الْأُمَمُ قَبْلَنَا ؛ وَقَدِيمًا كَانَ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِأَجَالَ النَّاسِ : يُقَرَّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ ، وَيُبَلِّغَانِ كُلَّ جَدِيدٍ ، وَيَأْتِيَانِ بِكُلِّ مَوْعُودٍ : حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ ؛ ثُمَّ تُوفِّي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ .

وَكُتِبَتْهَا تَزْعُمَانِ أَنَّ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَرْجِعُ فِي آخِرِ زَمَانِهَا : أَنْ يَكُونَ إِخْوَانُ الْعِلَاقَةِ أَعْدَاءَ السَّرِيرَةِ ؛ وَلَسْتُمْ بِذَلِكَ ، وَلَيْسَ هَذَا ذَلِكَ الزَّمَانُ ، وَلَكِنْ زَمَانُ ذَلِكَ (١) حِينَ تَتَّظَهَرُ الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ ؛ فَتَكُونُ رَغْبَةُ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ إِصْلَاحِ دِينِهِمْ ، وَرَهْبَةُ بَعْضِ النَّاسِ إِصْلَاحِ دِنْيَاهُمْ .

وَكُتِبَتْهَا تُعَوِّذَانِي بِاللَّهِ أَنْ أَنْزَلَ كِتَابَكُمْ مَنِي سِوَى الْمَنْزِلِ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قُلُوبِكُمْ ؛ وَإِنَّمَا كُتِبَتْهَا نَصِيحَةً لِي ؛ وَقَدْ صَدَّقْتُمْ ؛ فَتَعَهَّدَانِي مِنْكُمْ بِكِتَابٍ ؛ وَلَا غِنَى بِي عَنْكُمْ (٢) .

/ عهد من عهود عمر رضى الله عنه

٢١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَمْرٍ بِنِ الْخَطَّابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ (٣) :
سَلَامٌ عَلَيْكَ .

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ الْقَضَاءَ : فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ ، وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ ؛ فَافْهَمْ إِذَا أَدَّى إِلَيْكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بِحَقِّ لَا نَفْعَآذَ لَهُ .

أَسْ (٤) بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَعَدْلِكَ وَمَجْلِسِكَ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ (٥) ، وَلَا يِيَّاسٌ ضَعِيفٌ (٦) مِنْ عَدْلِكَ .

(١) م «ولستم بذلك . . . زمان هذا» (٢) الرياض النضرة ٦١/٢

(٣) هو أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار اليماني الصحابي المشهور ، راجع تاريخ الإسلام ٢/٢٥٥ - ٢٥٨ والمعارف ص ١١٥ وابن سعد ٩/٦ وخلاصة تذهيب الكمال

ص ١٧٨ (٤) قال المبرد ٩/١ «يقول : سو بينهم ، وتقديره : اجعل بعضهم أسوة بعض»

(٥) قال المبرد : «أى فى ميلك معه لشرفه» (٦) ك «شريف»

اليُسنةُ على من ادَّعى، واليمينُ على من أنكر. والصَّلحُ جائزٌ بين المسلمين،
إلا صلحاً أحلَّ حراماً، أو حرَّم حلالاً.
ولا يَمْنَعُكَ (١) قضاءُ قَضِيَّتِهِ بِالْأَمْسِ - فَرَجَعْتَ فِيهِ عَقْلَكَ ،
وَهَدَيْتَ لِرُشْدِكَ - أَنْ تَرْجَعَ إِلَى الْحَقِّ ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ ، وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ
خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ .

٢١٥ / الْفَهْمُ الْفَهْمُ ، فِيمَا تَلَجَّجَلَجَجَ فِي صَدْرِكَ (٢) ؛ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سَنَةٍ ،
ثُمَّ اعْرِفِ الْأَشْبَاهَ وَالْأَمْثَالَ ، وَقِسِ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَاعْمِدْ إِلَى أَشْبَهَيْهَا ؛
بِالْحَقِّ .

وَأَجْعَلْ لِمَنْ ادَّعَى حَتْمًا غَائِبًا أَوْ بَيِّنَةً - أَمَدًا (٣) يَنْتَهِي إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّ أَحْضَرَ بَيِّنَةً
أَخَذْتَ لَهُ بِحَقِّهِ ؛ وَإِلَا اسْتَحَالَتْ عَلَيْهِ الْقَضِيَّةُ ؛ فَإِنَّهُ أَنْفَسَى لِلشَّكِّ ، وَأَجَلَى لِلْعَمَى .
الْمُسْلِمُونَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ؛ إِلَّا مَسْجُودًا فِي حَيْدٍ ، أَوْ مُجْرَبًا
عَلَيْهِ شَهَادَةٌ زُورٌ ، أَوْ ظَنِينًا فِي وِلَاءٍ أَوْ نَسَبٍ (٤) ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَلَّى مِنْكُمْ السَّرَائِرَ ،
وَدَرَأَ بِالْإِيمَانِ وَالْبَيِّنَاتِ (٥) .

وَأِيَّاكَ وَالْعَلَقَ (٦) وَالضُّجْرَ ، وَالتَّأَذَّى بِالْخُصُومِ ، وَالتَّنَكَّرَ عِنْدَ الْخُصُومَاتِ (٧) ١٦

(١) س ، ك : « ولا يمنعك »

(٢) قال المبرد ١٠/١ « يقول : تردد ، وأصل ذلك : المضغة والأكلة يرددها الماضغ في فيه ،
فلا تزال تردد إلى أن يسفيها أو يقذفها : والكلمة يرددها الرجل إلى أن يصلها بأخرى »

(٣) ك : « أمراً »

(٤) فسر المبرد : « الظنين بأنه المتهم ، ثم قال : « وإنما قال عمر ذلك لما جاء عن النبي
صلى الله عليه وسلم : ملعون ملعون من اتعمى إلى غير أبيه ، أو ادعى إلى غير مواليه . فلما كانت معه
الإقامة على هذا لم يره للشهادة موضعاً »

(٥) قال المبرد : « ودرأ ، إنما هو دفع ، من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادروا
الحدود بالشبهات »

(٦) س ، ك : « والعلو » وفي عيون الأخبار والبيان والتبيين : « والعلق » . قال المبرد :
« وأما قوله : إياك والعلق والضجر فإنه ضيق الصدر وقلة الصبر ، يقال في سوء الخلق : رجل غلق .
وأصل ذلك من قولهم : أغلق عليه أمره ، إذا لم يتضح ولم يفتح من ذلك قولهم غلق . : الرهن أى لم
يوجد له تخلص ، وأغلقت الباب من هذا »

(٧) ما هنا يوافق ما في الكامل . وفي البيان والتبيين « والتنكر للخصوم في مواطن الحق ، التي
يوجب الله بها الأجر ، فإنه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ، ولو على نفسه ، يكفه
الله ما بينه وبين الناس »

فإن الحقَّ في مواطن الحقِّ يُعظَّمُ اللهُ به الأجرَ ، ويُحسِنُ به الذَّخْرَ ؛ فمن صحَّتْ نيتهُ ، وأقبل على نفسه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس ؛ ومن تخلَّتْ للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه ، شَانَهُ اللهُ (١) ؛ فما ظنك بثواب الله عز وجل في عاجل رزقه ، وخزائن رحمته ؛ والسلامُ .

ولعمر رضى الله عنه خطبٌ مشهورةٌ مذكورةٌ في التاريخ ، لم نقلها اختصاراً .

* * *

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

خطبة له (٢) رضى الله عنه

قال : إن لكلِّ شيء آفةً ، وإن لكلِّ نعمة عاهةٌ ؛ وإن عاهة (٣) هذا الدين عيبًا بون ظنَّانُون ، يُظهرون لكم ما تُحبون ، ويُسرُّون/ ما تكرهون ، يقولون لكم وتقولون ؛ طغَّام (٥) مثلُ النِّعَم ، يتَّبَعُونَ أوَّلَ نَاعِقٍ ؛ أحبُّ مواردِهِم إليهم النَّازِحُ .

لقد أقررتُم لابن الخطاب بأكثرَ مما نتقمتمُ على ، ولكنه وقَمَعَكُمُ وقَمَعَكُمُ ، وزَجَرَكُمُ زَجَرَ النِّعَمِ الْمُخْتَزِمَةِ (٥) . والله إني لأقربُ ناصرًا ، وأعزُّ نَفَرًا (٦) ، وأقَمَنُ — إن قُلْتُ : هَلُمَّ — أنْ تُجَابَ دَعْوَتِي ، من عُمَرَ .

هل تفقدون من حقوقكم شيئاً ؟ فالى لا أفعل في الحق ما أشاء ؟ إذا فلم كنتُ إماماً ؟ !

(١) في البيان « ومن تزين للناس بما يعلم الله منه خلاف ذلك هتك الله ستره ، وأبدى فعله فا ظنك » (٢) ك ، ا « خطبة لعثمان »

(٣) ك : « عاهة هذا الدين » س « عاهة » في هذا الدين

(٤) في اللسان ٢٦١/١٥ « الطغام أزدال الناس وأوغادهم . . . قال الأزهري : وسمعت العرب تقول للرجل الأحمق : طغامة ، والجميع الطغام »

(٥) في اللسان ٦٤/١٥ « والخزم من نعت النعام ، قيل له مخزم لثقب في منقاره »

(٦) في البيان والتبيين ٣٧٧/١ بعد ذلك : فضل فضل من مالى ، فالى لا أفعل في الفضل

ما أشاء ؟ ! «

كتابه إلى علي حين حصر - رضى الله عنهما
 أما بعد ؛ فقد بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَى ، وجاوز الحِزَامَ الطُّبَيْيَيْنِ ، وَطَمِعَ
 فِي مَنْ لَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ . فإذا أتاك كتابي هذا : فأقبل إلىَّ ، عَلَيَّ كُنْتَ
 أُمُّ لِي .

٢١٨

/فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا : فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ
 وَإِلَّا فَأَذْرِكُنِي وَلَمَّا أَمَزَقِ (٢)

* * *

ومن كلام علي بن أبي طالب رضى الله عنه

قال : لما قُبِضَ أبو بكر رضى الله عنه إرتجبت المدينة بالبكاء ، كيوم
 قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وجاء عليُّ باكيًا مُسْتَرْجِعًا (٣) ، وهو يقول :
 اليومَ انْقَطَعَتْ خِلاَفَةُ النَّبُوَّةِ ، حتى وقف علي باب البيت الذى فيه أبو بكر ؛
 فقال :

رحمك (٤) الله أبا بكر ؛ كنت إلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنسه ،
 وثقتَه وموضع سره ؛ كنت أول القوم إسلامًا ، وأخلصهم إيمانًا ، وأشدَّهم
 يقينًا ؛ وأخوفهم لله ، وأعظمهم غناءً في دين الله ، وأحوظهم عليَّ
 رسول الله (٥) ، وأثبتهم (٦) على الإسلام ، وأيمنتهم على أصحابه ، وأحسنهم
 صحبةً ؛ وأكثرهم مناقب ، وأفضلهم سوابق ، / وأرفعهم درجةً ، وأقربهم
 وسيلةً ؛ وأشبههم برسول الله (٧) صلى الله عليه وسلم سننًا (٨) وهدىً ، ورحمةً
 وفضلاً ؛ وأشرفهم منزلهً ، وأكرمهم عليه ، وأوثقهم عنده .

(١) قال المبرد ١٢/١ « الزبية : مصيدة الأسد ، ولا تتخذ إلا في قلة أو رابية أو هضبة . . .
 وقوله : وبلغ الحزام الطيبين ، فإن السباع والحيل يقال لموضع الأخلاف منها : أطباء ، واحداً طبي . . .
 فإذا بلغ الحزام الطيبين فقد انتهى في المكروه »

(٢) البيت للمرق العبدى من قصيدة يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر ، كما في اللسان ٢١/١٣
 وطبقات فحول الشعراء ص ٢٣٢ والشعر والشعراء ١/٣٦٠ وبقية القصيدة في الأصمعيات ص ٤٧

(٣) م : « متوجعاً »

(٤) م : « يرحمك »

(٥) س ، ك : « على رسوله »

(٦) ك : « وأيمنتهم »

(٧) س ، ك : « وأقربهم برسول الله »

(٨) م : « سمتا »

فجزاك^(١) الله عن الإسلام وعن رسوله خيراً ؛ كنتَ عندَه بمنزلة السَّمْع والبصرِ .

صدقتَ رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، حين كذبه الناسُ ، فسَمَّاكَ في تنزيله صديقاً ؛ فقال : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾^(٢) .
وَأَسَيَّتَهُ حين بَخَلُوا ، وقمتَ معه عندَ المكارِه حين قَعَدُوا ؛ وصحبتَه في الشدائد أكرمَ الصَّحْبَةَ ، ثاني اثنين وصاحبه^(٣) في الغار ، والمنزل عليه السَّكِينَةُ والوَقَارُ ؛ ورفيقه في الهجرة ، وخليفته في دين الله وفي أمته — أحسنَ الخلافة — حين ارتدَّ الناسُ ، فنَهَضتَ حين وَهَنَ أصحابُكَ ، وبرَزتَ حين استَكْبَانُوا ، وقويتَ حين ضَعُفُوا ، وقمتَ بالأمر حين فَشَلُوا ، ونَطَقْتَ حين تَتَعَتَعُوا^(٤) ؛ مضيتَ بنورٍ إذْ وَقَفُوا ؛ واتَّبَعوكَ فَهَدُوا .

٢٢ / وكنْتَ أصوبهم مَنْطِقاً ، وأطولهم صمتاً ، وأبلغهم قولاً ، وأكثرهم رأياً ، وأشجعهم نفساً ، وأعرفهم بالأمر ، وأشرفهم عملاً .
كنْتَ لثنتين يَعْسُوباً^(٥) ، أولاً : حين نَقَرَ عنه الناسُ ؛ وآخرًا : حين قَفَلُوا^(٦) ؛ وكنْتَ للمؤمنين أباً رحيماً ؛ إذْ صاروا عليك عيالاً ؛ فحملتَ أثقالَ ما ضَعُفُوا عنه^(٧) ، ورَعيتَ ما أهملُوا ؛ وحفظتَ ما أضاعوا ؛ شَمَرْتِ إذْ خَنَعُوا ؛ وعلمتِ إذْ هَلَعُوا ؛ وصبرتِ إذْ جَزَعُوا ؛ وأدركتِ أوتارَ ما طَلَسُوا ؛ وراجَعُوا رُشدَهم برأيك فَظَنَفَرُوا ، ونالوا بك ما لم يَحْتَسِبُوا .

وكنْتَ كما قال رسول الله : صلى الله عليه وسلم أمنَّ الناسِ عليه في صُحبتِكَ وذاتِ يَدِكَ ؛ وكنْتَ كما قال : ضعيفاً في بدنك ، قوياً في أمرِ الله ، متواضعاً في نفسك ، عظيمًا عند الله ، جليلاً في أعينِ الناسِ^(٨) ، كبيراً في أنفسهم .

(١) س ، ك : « جزاك » (٢) سورة الزمر : ٣٣ (٣) م : « اثنين إذ هما » .

(٤) س : « حين تبعوا » وفي اللسان ٣٨٤/٩ والتعنت في الكلام : أن يعيا بكلامه ويتردد من حصر أوعى ، ومنه الحديث : الذي يقرأ القرآن ويتعنت فيه ، أي يتردد في قراءته ويتبلد فيها لسانه »

(٥) في اللسان ٨٩/٢ « اليمسوب : السيد والرئيس والمقدم ، وأصله أمير النحل وذكرها »

(٦) س « حين أقبلوا » ك : « حين قبلوا » ومعنى قفلوا : رجعوا ، يشير بذلك إلى الردة

(٨) م « في أعين المؤمنين »

(٧) سقطت من ك ، س

لم يكن لأحد^(١) فيك مغمزٌ ، ولا لأحد مطمعٌ ؛ ولا لمخلوق عندك هَوَادَةٌ ؛ الضعيفُ الذليلُ عندك قويٌّ عزيزٌ ، حتى تأخذ/ له بحقه ؛ والقويُّ ٢٢١ العزيزُ عندك ضعيفٌ ذليلٌ ، حتى تأخذ منه الحقُّ ؛ القريبُ والبعيدُ عندك سواءٌ ؛ أقربُ النَّاسِ إليك أطوعُهُم لله

شأنك الحقُّ والصدقُ والرفقُ^(٢) ؛ وقولك حكمٌ وحتَمٌ^(٣) ، وأمرٌ حلمٌ^(٤) وحزمٌ ، ورأيك علمٌ وعزمٌ ؛ فأبلغتَ وقد نهجَ السبيلُ ، وسهَّلَ العسيرُ ؛ وأطفأتَ النيرانَ ، واعتدَلَك بك الدينُ ، وقويَ الإيمانَ ، وظهَرَ أمرُ الله ولو كرهه الكافرونُ ؛ وأتعبتَ مَنْ بعدك إتعاباً شديداً ، وفزتَ بالخيرِ فوزاً عظيماً^(٥) ؛ فجللتَ عن البكاء ، وعظمتَ رزيتك في السماء ؛ وهديتَ مصيبتك الأيامَ ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون ؛ رَضِينَا عن الله قضاءه ، وسَلَّمْنَا له أمره ؛ فوالله لئن يُصَابَ المسلمون بعدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بمثلك أبداً ؛ فألحقك الله بنبيه ، ولا حرَمْنَا أجركَ ، ولا أضلْنَا بعدك .

وسكتَ النَّاسُ حتى انقضى كلامُه ، ثم بكوا حتى علتْ أصواتُهُم .

* * *

/خطبة أخرى لعلی رضی الله عنه

أما بعد ؛ فإن الدنيا قد أدبرتْ وأذنتْ بوداعٍ ، وإن الآخرةَ قد أقبلتْ وأشرفتْ باطلاعٍ ؛ وإن المصارعَ اليومَ ، وغداً السباقُ .

ألا وإنكم في أيامٍ مهملٍ ، ومن ورائه أجلٌ ؛ فمن أخلصَ في أيامٍ مهله^(٦) فقد فاز ؛ ومن قصرَ في أيامٍ مهله^(٧) ، قبلَ حضورِ أجله ، فقد خسرَ عمله ، وضرهَ أمْلُهُ .

ألا فاعملوا لله في الرغبةِ ؛ كما تعملون له في الرهبةِ .

ألا وإني لم أركابلجنة نام طالبيها ؛ ولا كالنارِ نام هاربيها .

(١) « لأحدهم » (٢) سقطت هذه الكلمة من م

(٣) (٤) مكان هاتين الكلمتين بياض في ك ، س

(٥) س ، ك : « بالحد فوزاً مبيناً » (٦) (٧) س ، ك : « أمله . . . أمله

ألا وإذنه من لم ينفعه الحقُّ ضره^(١) الباطل ؛ ومن لم يستقم^(٢) به الهدى
يجر به الضلال .

ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن . ودللتُم على^(٣) الزاد .
ألا وإن أخوف ما أخافُ عليكم اتباع^(٤) الهوى . وطولُ الأمل^(٥) .

* * *

/ وخطب رضى الله عنه . فقال بعد حمد الله :

٢٢٣

أيها الناس ؛ اتقوا الله ؛ فما خلقت امرؤ عبثاً فيلتهو ، ولا أهمل سدى
فيلغو ؛ ما دُنياه التي تحسنت إليه بخلف من الآخرة التي قبحها سوء النظر
إليه ؛ وما الخسيس الذي ظفربه - من الدنيا - بأعلى همته^(٦) ؛ كالأخبر الذي
ذهب^(٧) من الآخرة من سئمته^(٨) .

* * *

وكتب على رضى الله عنه إلى عبد الله بن عباس : رحمة الله عليهما . وهو بالبصرة :
أما بعد ؛ فإن المرء يسر^(٩) بدرك ما لم يكن ليحرمه . ويسوءه
فوت ما لم يكن ليُدركه ؛ فليكن سرورك بما قدمت : من أجر أو منطلق ؛
وليكن أسفك فيما فرطت فيه من ذلك .
وانظر ما فاتك من الدنيا : فلا تُكثِر عليه جرعاً ؛ وما نلتَه : فلا تنعم
به فرحاً ؛ وليكن همك لما بعد الموت^(١٠) .

/ كلام لابن عباس رضى الله عنه

٢٢٤

قال عتبة بن أبي سفيان لابن عباس : ما منع أمير المؤمنين أن يبعثك
مكان أبي موسى . يوم الحَكَمين ؟

(١) س ، ك : « يضره »

(٢) ك : « ومن لا يستقيم »

(٤) سقطت من س ، ك

(٣) م : « عن »

(٥) الخطبة من عيون الأخبار ٢/٢٣٥ والبيان والتبيين ٢/٥٢ ونهج البلاغة ١/٦٦

(٦) م : « هيه »

(٧) س ، ك : « الذي ظفر به من الآخرة »

(٨) م : « من سهمه » والسهم : النصيب كما في اللسان ١٥/٢٠٠

(٩) م : « ليس »

(١٠) نهج البلاغة ٣/٢٣ - ٢٤ والأمال لأبي علي القالي ٢/٩٤

قال : مَنْعَهُ - وَاللَّهِ - مِنْ ذَلِكَ حَاجِزُ الْقَدَرِ ، وَقَصْرُ الْمُدَّةِ ، وَمَحْنَةُ الْإِبْتِلَاءِ .

أَمَّا وَاللَّهِ ، لَوْ بَعَثْتَنِي مَكَانَهُ لَاعْتَرَضْتُ لَهُ فِي مَدَارِجِ نَفْسِهِ ، نَاقِضًا لِمَا أَبْرَمَ ، وَمُبْرِمًا لِمَا نَقَضَ ، أَسْفُ إِذَا طَارَ ، وَأَطِيرُ إِذَا أَسْفَ ؛ وَلَكِنْ مَضَى قَدَرٌ ، وَبَقِيَ أَسْفٌ ؛ وَمَعَ يَوْمِنَا غَدٌ ؛ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنَ الْأُولَى .

* * *

خطبة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه

أَصْدَقُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ؛ وَأَوْثَقُ الْعُرَى كَلِمَةُ التَّقْوَى ؛ خَيْرُ الْمَلَلِ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ ؛ وَأَحْسَنُ السِّنَنِ سُنَّةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا ؛ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ؛ مَا قَلَّ وَكَثُرَ ، خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ ، وَأَلْهَى ؛ خَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ ؛ وَخَيْرُ مَا أَلْقَى فِي الْقَلْبِ الْيَقِينُ ؛ الْخَمْرُ جِمَاعُ الْإِثْمِ ؛ النَّسَاءُ حِبَالَةُ^(١) الشَّيْطَانِ ؛ الشَّيْبُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ ؛ حُبُّ الْكَيْفِيَّةِ مِفْتَاحُ الْمَعْجِزَةِ . مِنْ/النَّاسِ مَنْ لَا يَأْتِي الْجَمَاعَةَ إِلَّا^{٢٢٥} دَبْرًا ، وَلَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا هُجْرًا ؛ أَعْظَمُ الْخَطَايَا اللِّسَانُ الْكَذُّوبُ ، سَبَابُ الْمُؤْمِنِ فِسْقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مَعْصِيَةٌ ؛ مَنْ يَتَّأَلَّ عَلَى اللَّهِ يُكَذِّبُهُ^(٢) ؛ مَنْ يَغْفِرُ يُغْفَرَ لَهُ ؛ مَكْتُوبٌ فِي دِيْوَانِ الْمُحْسِنِينَ : مَنْ عَفَا عَنِّي عَنْهُ . الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعَظَ بغيرِهِ ؛ الْأُمُورُ بِعَوَاقِبِهَا ؛ مَلَائِكُ الْعَمَلِ خَوَاتِيمُهُ^(٣) ؛ أَشْرَفُ الْمَوْتِ الشَّهَادَةُ ؛ مَنْ يَعْرِفِ الْبَلَاءَ يَصْبِرُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفِ الْبَلَاءَ يُنْكِرُهُ .

* * *

(١) م « حبال »

(٢) في اللسان ٤٣/١٨ « من يتأل على الله يكذبه » أى من حكم عليه وحلف ، كقولك : والله ليدخلن الله فلاناً النار وينجحن الله سعى فلان »

(٣) م « خواتمه » وفي البيان والتبيين ٥٧/١ بعد ذلك : « أحسن الهدى هدى الأنبياء . أجمع الضلالة بعد الهدى »

خطبة لمعاوية بن أبي سفيان ، رضى الله عنه

قال الراوى : لما حضرته الوفاة قال لولئى له : من بالباب ؟

فقال : نفر من قريش يتباشرون بموتك !

فقال : ويحك ، ولم ؟ ثم أذن للناس ، فحمد الله وأثنى عليه (١) ؛ فأوجز ؛

ثم قال :

٢٢٦ / أيها الناس ، إنا قد أصبحنا فى دهر عَسُود ، وزمن شديد ؛ يُعَدُّ فيه
المحسن سيئاً ، ويزداد الظالم فيه عُنُوءاً ؛ لا ننتفعُ بما علمنا ، ولا نَسْأَلُ
عَمَّا جهلنا ، ولا نتخوفُ (٢) قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بنا ؛ فالنَّاسُ على أربعة
أصناف :

منهم : من لا يمنعه من الفسادِ فى الأرضِ إلا مهانةُ نفسه ، وكلالُ
حدِّه ، ونقصُ (٣) وقْرِهِ .

ومنهم : المَصْلُتُ (٤) لسيفه ، والمُجْلِبُ بِرِجْلِهِ (٥) ، والمعلنُ (٦) بشرِّه ؛
قد أشْرَطَ نفسه (٧) ، وأوبق دينه ؛ لحطام (٨) ينتهزه . أو مَقْنَبٌ (٩) يقوده ،
أو مِينَبِرٌ يَنْفِرُ عَنْهُ (١٠) ؛ وَيَبْسُ المَتَجَرُّ أَنْ تَرَاهَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا ، وَمِمَّا لَكَ
عِنْدَ اللَّهِ عِوَضًا .

٢٢٧ / ومنهم : من يطلبُ الدنيا بعمل الآخرة ؛ ولا يطلبُ الآخرةَ بعمل الدنيا ؛
قد طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ ، وقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ ، وشَمَّرَ مِنْ ثوبِهِ ؛ وزخْرَفَ

(١) س ، ك : « فحمد الله فأوجز » (٢) س ، ك : « من قارعة »

(٣) م : « وقصيص »

(٤) س ، ك : « المسلط » وفى اللسان ٣٥٨/٢ « وأصلت السيف : جرد من غمده فهو

مصلت »

(٥) فى اللسان ٢٦٥/١ « وأجلب الرجل الرجل إذا توعده بشره وجمع الجمع عليه ، وكذلك

جلب يجلب جلباً ، وفى التنزيل : (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) أى أجمع عليهم وتوعدهم بالشر »

(٦) ك : « والمعلق بشره »

(٧) م : « قد أشرك » ، ومعنى « أشراط نفسه » : أى هياها (٨) م : « بحطام »

(٩) وفى اللسان ١٨٤/٢ « المقتب بالكسر : جماعة الخيل والفرسان »

(١٠) س ، ك : « يقرعه » ، ومعنى « يفرعه » : يعلوه

نفسه للأمانة ، واتخذ سراً لله ذريعة إلى المعصية .
ومنهجهم : من أقره عن الملك ضلوة في نفسه ، وانقطع سببه ؛
فقصّر به الحال عن حال^(١) : فتحلى باسم القناعة ، وتزين بلباس الزهاد ؛
وليس من ذلك في مراح ولا مغددي .

وبقي رجال أغضّ أبصارهم ذكّر المرّجع ، وأراق دموعهم خوف
المحشر ، فهم بين شريد^(٢) نناد : وخائف منقّص^(٣) ، وساكت مكعوم^(٤) ؛
وداع مخلص ، وموجع ثكلان ؛ قد أحملتهم التقيّة ، وشملتهم الدّلة ؛
في بحر أجّاج ، أفواهم دامية^(٥) ، وقلوبهم قريحّة^(٦) ؛ قد وعظوا حتى
مسلوا ، وقهروا حتى ذلوا ، وقتلوا حتى قتلوا .

/فلتكن الدنيا في عيونكم أقلّ من حثّاة القرظ^(٧)، وقراضة النجّاس^(٨) ؛ ٢٢٨
واتعظوا بمن كان قبلكم . قبل أن يتعظ بكم من بعدكم ؛ فرفضوها ذميمة ؛
فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم^(٩)

- (١) كذا في م والعمد الفريد ٨٩/٤ و « الحال على ماله » وعيون الأخبار ٢٣٨/٢ « على
حاله » والبيان والتبيين ٦٠/٢ « الحال عن أمه » وفي ك ، س « فقصرته الحال فتحلى باسم القناعة »
(٢) س ، ك : « شديد ناد » وفي العقدوم « شريد باد » والناد : النافر الذاهب على وجهه
(٣) س : « متقّص » وفي اللسان ١٦٨/١٠ « قمع الرجل في بيته وانقمع دخله مستخفياً »
(٤) في اللسان ٤٢٦/١٥ « مكعوم : وقد سدّ الخوف فنه فتمه من الكلام »
(٥) في البيان والتبيين ٦٠/٢ « ضامرة » وفي م « أقدامهم دامية »
(٦) س ، ك : « قريحّة »
(٧) م : « حثّاة » وفي اللسان ٣٢٦/٢ « حثّات كل شيء : ما تحات منه ، أي تناثر » وفي
١٥٠/١٣ « وحثّالة القرظ : نفايته ، ومنه قول معاوية في خطبته : فأنا في مثل حثّالة القرظ ،
يعني الزمان وأهله »

(٨) في اللسان ٨٢/٩ « والقراضة : ما سقط بالقرص . وقراضات الثوب : الفضالة التي
يقطعها الخياط وينفيها الجلم » والجلم : المقص .

(٩) عقب الجاحظ على هذه الخطبة بقوله ٦١/٢ « وفي هذه الخطبة - أبقاك الله - ضروب
من العجب : منها أن الكلام لا يشبه الذي من أجله دعاهم معاوية ، ومنها أن هذا المذهب في تصنيف
الناس ، وفي الإخبار عما هم عليه من القهر والإذلال ، ومن التقيّة والخوف ، أشبه بكلام على رضی الله
عنه ومعانيه وحاله - منه مجال معاوية . ومنها أنا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه
مسلك الزهاد ، ولا يذهب مذاهب العباد . وإنما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه ، والله أعلم بأصحاب
الأخبار وبكثير منهم » وقد قال الرضی في نهج البلاغة ٧٦/١ إنها من كلام على الذي لا يشك فيه ،
وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧٢/١

خطبة لعمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه

أيها الناس ، إنكم مبيتون ، ثم إنكم مبيعون ، ثم إنكم مُحاسِبون ؛ فلعمري :
 لن كنتم صادقين ، لقد قصرتم ؛ ولئن كنتم كاذبين ، لقد هلكتم .
 يا أيها الناس ؛ إنه من يُقدَّر له رزقٌ برأسِ جبلٍ ، أو بحَضِيضِ
 أرضٍ - يأتِهِ ؛ فأجْمِلُوا في الطَّلَبِ (١) .

خطبة للحجاج بن يوسف

حمد الله ، وأثنى عليه (٢) ؛ ثم قال :
 يا أهلَ العراقِ ، ويا أهلَ الشقاقِ والنفاقِ ، ومساوى الأخلاقِ ؛ وبتى
 اللكيعة ، وعبيدَ العصا ، وأولادَ الإماء ، والفتعِ بالقرقر (٣) ؛ إني سمعتُ
 تكبيراً لا يُرادُ به الله ، وإنما يُرادُ به الشيطانُ ؛ وإنما مثلي ومثلكم ، ما قاله
 ابنُ بَرّاقةَ الهَمْداني (٤) :

وكنتُ إذا قومٌ غزَوْنِي غزَوْتُهُمْ فهل أنا في ذا ، يَا لَهُمْدَانَ ، ظالمٌ
 متى تجمعَ القلبُ الذكيَّ وصارِمًا وأنفأ حَمِيًّا ، تَجَنَّبِكَ المظالمُ (٥)
 أما والله لا تَقْرَعُ عَصَا عَصَا ، إلا جعلتُها (٦) كَأَمْسِ الدَّابِرِ .

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٩٨

(٢) في البيان والتبيين ١٣٧/٢ عن الهيثم بن عدى قال « أنبأني ابن عياش ، عن أبيه قال :
 خرج الحجاج يوماً من القصر بالكوفة ؛ فسمع تكبيراً في السوق فزاعه ذلك ، فصعد المنبر فحمد الله
 وأثنى عليه وصل على نبيه ثم قال »

(٣) في اللسان ١٢٦/١٠ « الفقع والفتع بالفتح والكسر : الأبيض الرخو من الكمأة وهو
 أردؤها . . . ويشبه به الرجل الذليل فيقال : هو فقع قرقر ، ويقال أيضاً : أذل من فقع بقرقر ؛
 لأن الدواب تنجله بأرجلها » والقرقر : الأرض المنخفضة

(٤) هو عمرو بن بَرّاقة ، وهو ابن منبه بن شهر الهمداني ، شاعر فاتك ، جاهل إسلامي . نسب

إلى أمه بَرّاقة ، راجع المؤلف والمختلف للامدي ص ٦٦ - ٦٧ والأغانى ٢١ / ١٧٥

(٥) ١ : « القلب الكمي »

(٦) ك : « إلا جعلها » وفي أ ، م « كالأمس » .

٢٣٠ / خطبة لقس بن ساعدة الإيادي^(١)

أخبرني محمد بن عليّ الأنصاري^(٢) بن محمد بن عامر ، قال : حدثنا عليّ ابن إبراهيم ، حدثنا عبدُ الله بن داود بن عبد الرحمن العمري ؛ قال : حدثنا الأنصاريّ عليّ بن محمد الحسَنَظَلِيّ - من ولد حَسَنَظَلَّةَ الغَسِيلِ - حدثنا جعفر ابن محمد ، عن محمد بن حسان^(٣) ، عن محمد بن حجاج اللّخمي^(٤) ، عن مُجالد^(٥) ، عن الشّعبيّ ، عن ابن عباسٍ ؛ قال :
لما وَفَدَ وفدُ عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أيكم يعرف قسّ بن ساعدة ؟

٢٣١ / قالوا : كلنا نعرفه يا رسول الله^(٦) .

قال : لستُ أنساه بعكاظ ، إذْ وقف على بعير له أحمر ، فقال :
أيها الناس اجتمعوا ، وإذا اجتمعتم فاستمعوا ، وإذا سمعتم فَعُولُوا ؛ وإذا وعيتم فقولوا ، وإذا قلتم فاصدُقوا ؛ من عاش مات ، ومن مات فات ؛ وكل ما هو آت آت .

أما بعد ، فإن في السماء لخيراً ، وإن في الأرض لَعَبيراً ؛ مِهَادٌ موضوع ،
وسقفٌ مرفوع ؛ ونجومٌ تَمُورُ ، وبخارٌ لا تغور ؛ أقسم بالله قسّ قسماً

(١) م : «رضى الله عنه» ! (٢) هذه الكلمة من ك فقط

(٣) هو محمد بن حسان بن خالد السمي ، أبو جعفر البغدادي . مات سنة ثمان وعشرين ومائتين راجع خلاصة تذهيب الكمال ص ٢٨٣ .

(٤) هو أبو إبراهيم : محمد بن الحجاج ، من أهل واسط ، سكن بغداد ، وحدث بها عن عبد الملك بن عمير ، ومجالد بن سعيد . وهو كذاب خبيث منكر الحديث ، وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أعلمني جبريل الهريسة لتشذ ظهري لقيام الليل» ؛ وقد توفي سنة إحدى وثمانين ومائة . وترجمته في تاريخ بغداد ٢/٢٧٩ - ٢٨٢ .

(٥) هو مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني ، أبو عمرو الكوفي . ضعفه ابن معين . وقال ابن عدى إن ما يرويه غير محفوظ . مات سنة أربع وأربعين ومائة ، كما في خلاصة تذهيب الكمال ص ٣١٥ .

(٦) حديث قس بن ساعدة طرده كلها ضعيفة ، كما قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٥/٢٨٥ - ٢٨٦ وانظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ٢/٢٣٠ - ٢٣٧ وعيون الأثر لابن سيد الناس ١/٦٨ - ٧٢ وتاريخ بغداد ٢/٢٨٣ والأغاني ١٤/٤١ - ٤٣ والبيان واتبين ١/٣٠٨ - ٣٠٩ والمعمرين للسجستاني ص ٦٩ - ٧٠ ومجمع الأمثال ١/١١٧ - ١١٨ وخزانة الأدب ١/٢٦٣ - ٢٦٨ و ٤/٢٥ - ٢٦ ونشد النثر ٨٧ طبع دار الكتب ، والزهد لأحمد بن حنبل ٥/٣٥٥ .

حَقًّا لَا كَاذِبًا فِيهِ وَلَا آثَمًا ، لَنْ كَانَ فِي الْأَرْضِ رِضًا لِيَكُونََنَّ سَخَطًا^(١) ؛ إِنْ لَلَّهِ
تَعَالَى دِينًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ . وَقَدْ أَنْتُمْ أَوْانَهُ . وَلِحَقَّتْكُمْ
مُدَّتُهُ .

مَالِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ فَلَا يَرْجِعُونَ ؟ أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا ؟ أَمْ تُرَكُوا
فَنَامُوا ؟

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّكُمْ يَرُورِي شَعْرَهُ ؟ فَأَنْشُدُوهُ :

أَفِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ نَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بِصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا يَسْعَى الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِرُ
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِيَ إِلَيْهِ وَ لَا مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرُ
أَيَقْنَتُ أُنَى لَا مَحَا لَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

* * *

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ^(٢) بْنُ إِسْمَاعِيلَ ،
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا . حَدَّثَنَا عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ الضَّحَّاكِ . عَنْ هِشَامِ ، عَنْ أَبِيهِ :
أَنْ وَفَدًا مِنْ إِيَادٍ قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ حَالِ قُسِّ
ابْنِ سَاعِدَةَ ، فَقَالُوا : قَالَ قُسٌّ :

يَا نَاعِي الْمَوْتِ وَالْأَمْوَاتِ فِي جَدَّتْ
عَلَيْهِمْ مِنْ بَقَايَا بَزَّهِمْ خِرَقُ
دَعَّهِمْ فَإِنَّ لَهُمْ يَوْمًا يُصَاحُ بِهِمْ
كَمَا يَنْبِئُهُ مِنْ نَوْمَاتِهِ الصَّعِقُ^(٣)
مِنْهُمْ عُرَاةٌ وَمِنْهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ
مِنْهَا الْجَدِيدُ وَمِنْهَا الْأَوْرَقُ الْخَلْقُ^(٤)

(١) س : « نَحَطُ » (٢) م : « الْحَسَنُ » (٣) فِي الْمَعْرَبِينَ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ :

حَتَّى يَجِيءَ بِجَالٍ غَيْرِ حَالِهِمْ خَلْقٌ مَضُوثٌ مَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ لَقُوا

(٤) فِي الْمَعْرَبِينَ ص ٧١ « مِنْهُمْ عُرَاةٌ وَمَوْقُ فِي ثِيَابِهِمْ » .

/مطر ونبات^(١) ، وآباء وأمّهات ، وذاهب وآت . وآيات في إثر آيات ، ٢٣٣
 وأموات بعد أموات . ضوء وظلام ، وليال وأيام ؛ وغنى وفقير ، وشقى وسعيد ،
 ومحسن ومُسِيء . أين الأرباب الفصّلة ؟ ليصلحن كل عامل عمله .
 كلا ، بل هو الله واحد ، ؛ ليس بمولود ولا والد ؛ أعاد^(٢) وأبدى ؛ وإليه
 المآب غدًا .

أما بعد ، يا معشر إياد ؛ أين ثمود وعاد ؟ وأين الآباء والأجداد ؛ أين الحسن
 الذي لم يشكر ؛ أين الظلم الذي لم ينقم^(٣) ؛ كلاً ورب الكعبة ليعودنّ ما بدا ،
 ولئن لذهب يوم ليعودنّ يوم .

قال : وهو قس بن ساعدة^(٤) بن حذاق بن ذهل بن إياد بن نيزار . أوّل
 من آمن بالبعث من أهل الجاهلية . وأوّل من توكأ على عصا^(٥) . وأوّل من تكلم
 بـ « أما بعد^(٥) » .

٢٣٤

/ خطبة لأبي طالب /

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل ؛ وجعل لنا بلدًا
 حرامًا ، وبيتًا مستحجوجًا ؛ وجعلنا الحكام على الناس .
 وإنّ محمد بن عبد الله ، ابن أخي ، لا يوازن^(٦) به فتى من قريش إلا
 رجح به ؛ بركة وفضلًا وعدلاً ، ومجدًا ونبلًا ، وإن كان في المال مقلًا ؛
 فإن المال عارية مستترجة ، وظل زائل ؛ وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها
 فيه مثل ذلك ؛ وما أردتم من الصدّاق فعلي^(٧) .

* * *

/قد نسختُ لك جُملاً من كلام الصّدّر الأوّل ومُحاوراتهم وخطبهم ، ٢٣٥

(١) في المعمرين « قال أبو حاتم : وذكر حزم بن أبي راشد قال : أملى على رجل من أهل
 خراسان من مواعظ قس : مطر . . . »

(٢) م : « وأبدأ » : « وأبدا »

(٣) س : « الظالم » وفي البيان والتبيين ٣٠٩/١ « والظلم الذي لم ينكر »

(٤) في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٠٨ « قس بن ساعدة بن عمرو بن شعمر بن عدى

ابن مالك . . . » وفي المعمرين غير ذلك فراجع هناك ص ٦٩

(٥ - ٥) ما بين الرقمين ساقط من ا ، م وثابت في ب و ك ، والمعمرين ص ٦٩

(٦) صحیح الأعشى ٢١٣/١

(٦) م : « لا أزن »

وأحيلك فيما لم أنسخ على التواريخ والكتب المصنفة في هذا الشأن . فتأمل ذلك ، وسائر ما هو مسطر من الأخبار الماثورة عن السلف ، وأهل البيان واللسن ، والفصاحة والفظن ؛ والألفاظ المنثورة ، والمحاطبات الدائرة بينهم ، والأمثال المنقولة عنهم . ثم انظر - بسكون طائر ، ونخفص جناح ، وتفرغ لب ، وجمع عقل - في ذلك ، فسيق لك الفصل (١) بين كلام الناس وبين كلام رب العالمين ، وتعلم أن نظم القرآن يخالف نظم (٢) كلام الآدميين ، وتعلم الحد الذي يتفاوت بين كلام البليغ والبلغ ، والخطيب والخطيب ، والشاعر والشاعر ، وبين نظم القرآن جملة .

فإن خيّل إليك ، أو شبّه عليك ، وظننت أنه يحتاج أن يوازن بين نظم الشعر والقرآن ؛ لأن الشعر أفصح من الخطب ، وأبرع من الرسائل ، وأدق مسلكتاً من جميع أصناف المحاورات - ولذلك (٣) قالوا له صلى الله عليه وسلم : هو شاعر أو ساحر - وسوّل إليك الشيطان أن الشعر أبلغ وأعجب ، وأرق (٤) وأبرع ، وأحسن الكلام وأبدع - فهذا فصل فيه نظر بين المتكلمين ، وكلام بين الخنثين .

(١) ك : « الفضل »

(٢) م : « مخالف لنظم »

(٣) م : « وكذلك »

(٤) م : « وأدق »

باب (١)

سمعت^(٢) أفضل من رأيت من أهل^(٣) العلم بالأدب والحديث بهذه الصناعة ، مع تقدمه في الكلام — يقول :

إن الكلام المنشور يتأتى فيه من الفصاحة والبلاغة ما لا يتأتى في الشعر ؛ لأن الشعر يُضَيِّقُ نطاقَ الكلام ، ويمنع القول من انتهائه ، ويصدُّه عن تصرفه على سنننه .

وحضرة من يتقدم في صنعة الكلام ، فراجعته في ذلك ، وذكر أنه لا يمتنع أن يكون الشعر أبلغ إذا صادف شروط الفصاحة ، وأبدع إذا تضمن أسباب البلاغة .

ويشهد عندي للقول الأخير : أن معظم براعة كلام العرب في الشعر ، ولا نجد في منشور قولهم ما نجد في منظومه ، وإن كان قد أحدثت البراعة في الرسائل على حد لم يُعهد في سالف أيام العرب ، ولم يُنقل في دواوينهم^(٤) وأخبارهم .

وهو ، وإن ضيقت نطاق القول ، فهو يجمع حواشيه ، ويضم / أطرافه ٢٣٧ ونواحيه ، فهو إذا تهذب في بابه ، وو في^(٥) له جميع أسبابه — لم يقاربه من كلام الآدميين كلام ، ولم يعارضه من خطابهم خطاب .

وقد حكى عن «المسنبي» أنه كان ينظر في المصحف ، فدخل إليه بعض أصحابه ، فأنكر نظره فيه ، لما كان رآه^(٦) عليه من سوء اعتقاده ، فقال له : هذا^(٧) المسكى على فصاحته كان مُفْحَمًا !

فإن صححت هذه الحكاية عنه في إلحاده ، عرفت بها^(٨) أنه كان يعتقد أن الفصاحة في قول الشعر [أمكن] وأبغ^(٩) .

(١) هذا العنوان من م

(٢) س : « أسمت »

(٣) م : « من العلم بالأدب » ا : « من أهل الأدب »

(٤) س : « من دواوينهم » (٥) م : « ووفر »

(٦) م : « يراه » (٧) ك : « هو »

(٨) ك : « عرف لها » (٩) س ، ك : « الشعر أبلغ »

وإذا كانت الفصاحة في قول الشعر أو لم تكن ، وبَيِّنًا أن نظم القرآن يزيد في فصاحته على كل نظم ، ويتقدم في بلاغته على كل قول ؛ بما يتضح به الأمر اتِّضاحَ الشمس ، ويتبين به بيان الصبح - وَقَفَّتْ على جليَّة هذا الشأن . فانظر فيما نعرضه عليك^(١) ، وتصوّر بفهمك ما نُصوِّره ، ليقع لك موقع عظيم شأن القرآن ، وتأمل ما نُرتِّبه ، ينكشف لك الحق .

إذا أردنا^(٢) تحقيق ما ضمناه لك ، فمن سبيلنا أن نعهد إلى تصيدة / مُتَّفَق على كبر محلها ، وصحَّة نظمها ، وجودة بلاغتها ، ورشاقة^(٣) معانيها ، وإجماعهم على إبداع صاحبها فيها ، مع كَوْنِهِ من الموصوفين بالتقدّم في الصناعة ، والمعروفين بالحدِّق في البراعة ، فنقفك على مواضع^(٤) خللها ، وعلى تفاوت نظمها ، وعلى اختلاف فُصولها ، وعلى كثرة فُصولها ، وعلى شدة تعسفها ، وبعض تكلفها ، وما تَجَمَّع من كلام رفيع ، يُقَرَّنُ بينه وبين كلام وضع ، وبين لفظ سُوقِيّ ، يُقَرَّنُ بلفظ مُلُوكِيّ ، وغير ذلك من الوجوه التي يجيء تفصيلها ، وُبيِّن ترتيبها وتنزيلها .

* * *

فأما كلام « مُسَيَّلِمَةَ » الكذّاب ، وما زعم أنه قرآن ، فهو أخسُّ من أن نشغل به ، وأسخفُ من أن نفكر فيه .

وإنما نقلنا منه طرفاً ليتعجب القارئ ، وليتبصر الناظر ؛ فإنه^(٥) على سخافته قد أضلّ ، وعلى ركاكته قد أزلّ ، وميدان الجهل واسع ! ومن نظر فيما نقلناه عنه ، وفهم موضع جهله ، كان جديراً أن يحمد الله على ما رزقه من فهم ، وآتاه من علم .

فمما كان يزعم أنه نزل عليه من السماء : « واللَّيْلِ الْأَطْحَسَمِ ، والذُّنْبِ الْأَدْلَمِ ، والجدع الأزلم ، ما انتهكت أسيد من محرم ! » وذلك قد ذكر في خلاف وقع بين قوم أتوه من أصحابه !

(١) ك : « تعرضه وتصوّر » س : « تعرضه عليك ما نعرضه وتصوّر »

(٢) م : « إذا أردت » (٣) سقطت هذه الكلمة من س ، ك

(٤) م : « فنوقفك على مواقع » (٥) م : « لأنه »

وقال أيضاً ؛ « واللبلب الدّامس ، والذئب الهامس ، ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس » !

وكان يقول : « والشاء وألوانها ، وأعجيبها السّود ، وألبانها ، والشاة السوداء ، واللبن الأبيض ، إنه لعجب محض ، وقد حرم المسدق ، فما لكم لا تجتمعون » (١) !
وكان يقول : « ضفدع بنت ضفدعين ، نقي ما تنقيين ، أعلاك في الماء وأسفلاك في الطين ، لا الشّارب تمنعين » (٢) ، ولا الماء تكدرين ، لنا نصف الأرض ولقريش نصفها . ولكن قریشاً (٣) قوم يعتدون » !

وكان يقول : « والمبديات » (٤) زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطّاحنات طحنًا ، والخازبات خبزاً ، والثّارِدات ثيردًا ، واللاقمات لقمًا ، إهالةً ومنمًا . لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المسدّر ، ريفكم فامنعوه ، والمُعترّ فأووه ، والباغي فَنّاوئوه . » !

٢٤٠ / وقالت سجاح بنت الحارث بن عقبان — وكانت تنبأ ، فاجتمع مسيئمة معها — فقالت له : ما أوحى إليك ؟

فقال : « أم تركيف فعل ربك بالحلي ، أخرج منها نسمة تسمى (٥) ، ما بين صفاق وحششا » !

وقالت : فما بعد ذلك ؟

قال : أوحى إلىّ : « إن الله خلق النساء أفواجًا ، وجعل الرجال لهن أزواجًا ، فنولج فيهن قعسًا إيلاجًا ، ثم نخرجها إذا شئنا إخراجًا ، فينتجن لنا سخجالًا نيتاجًا » ! فقالت : أشهد أنك نبي (٦) ! !

ولم ننقل كل ما ذكر من سخره ، كراهية الثقيل .

وروى : أنه سأل أبو بكر الصديق رضي الله عنه أقوامًا قدموا عليه من بني حنيفة ، عن هذه الألفاظ ؟ فحكوا بعض ما نقلناه ، فقال أبو بكر : سبحان

(١) م : « تجمون » ! (٢) التمهيد ص ١٢٨ (٣) م : « قریش »

(٤) في التمهيد « والزارعات » م : « والمندرات » ك : « والمبديات »

(٥) ل : « تسمى بين »

(٦) انظر قصة اجتماعهما — وبقيّة حوارهما ، وما قاله الأغلب العجلى في قصة زواجهما ،

الله! ويحبكم ، إن هذا الكلام لم يخرج عن إل^(١) ، فأين كان يذهبُ
بكم ؟!

ومعنى قوله : « لم يخرج عن إل^٢ » : أى عن ربوبية .
/ ومن كان له عقل لم يشبهه عليه سخفُ هذا الكلام^(٣) !

٢٤١

* * *

فراجع الآن إلى ما ضمّناه من الكلام على الأشعار المتفق على جودتها
وتقدّم أصحابها في صناعتهم ؛ ليتبين لك تفاوتُ أنواع الخطاب وتباعدُ مواقع
أنواع^(٤) البلاغة ، وتستدلّ على مواضع البراعة .

وأنت^(٥) لا تشك في جودة شعر « امرئ القيس » ولا ترتاب في براعته ،
ولا تتوقف في فصاحته . وتعلم أنه قد^(٦) أبدع في طرق الشعر أموراً اتبع فيها ،
من ذكر الديار والوقوف عليها ، إلى ما يصل بذلك : من البديع الذى أبدعه ،
والتشبيه الذى أحدثه ، والمليح الذى تجد في شعره^(٧) ، والتصرف الكثير الذى
تصادفه في قوله ، والوجوه التى ينقسم إليها كلامه : من صناعة وطبع ، وسلاسة
وعفو^(٨) ، ومثانة ورقة ، وأسباب تحمّد . وأمور تؤثّر وتمدح . وقد تترى
الأدباء أولاً^(٩) يوازنون بشعره فلاناً وفلاناً . ويضمون أشعارهم إلى شعره ، حتى
ربما وازنوا بين شعر من لقيناه وبين شعره في أشياء لطيفة ، وأمور بديعة ، وربما
فضّلوه عليه ، أو سوّوا بينهم وبينه ، أو قرّبوا موضع تقدمه عليهم^(١٠) ،
وبرّزوه بين أيديهم .

٢٤٢

(١) س : « عن آل »

(٢) قال المؤلف في كتاب التمهيد ص ١٢٨ « هذا الكلام دال على جهل مورده ، وضعف
عقله ورأيه ، وما يوجب السخرية منه والهزء به ، وليس هو مع ذلك خارجاً عن وزن ريك السجع وسخيفه .
وعلى أنه لو كان معجزاً لتعلقت العرب وأهل الردة به ، ولعرف أتباع النبي صلى الله عليه أنه عرض له ،
ولوقع لهم العلم اليقين بأنه قد قوبل . وفي عدم ذلك دليل على جهل مدعى ذلك ، وعلى أن مسيلمة لم يدع
هذا الكلام معجزاً ، ولا تحدى العرب بمثله فمعجزوا عنه ، بل كان في نفسه ونفس كل سامع له أخف
وأسخف وأذل من أن يتعلق به . ولذلك لا نجد له نبأ ولا أحداً من العرب تعلق به »

(٣) هذه الكلمة من م (٤) م : « إنك » (٥) سقطت من م

(٦) هكذا في الأصول الخطية ، وفي س : « والتلميح الذى يوجد في شعره »

(٧) كذلك في سائر الأصول ، ولكنها غيرت في س أيضاً إلى « وعلو » !

(٨) سقطت هذه الكلمة من م (٩) س ، ك : « تقدمهم عليه » وم : « موقع تقدمه »

ولما اختاروا قصيدته في «السَّبْعِيَّاتِ»^(١) . أضافوا إليها أمثالها ، وقرنوا بها نظائرهما ، ثم تراهم يقولون : لفلان لامية مثلها . ثم ترى أنفُس الشعراء تشوق إلى معارضته . وتساويه في طريقته ، وربما غبَّرت في وجهه في أشياء كثيرة^(٢) ، وتقدمت عليه في أسباب عجيبة .

• وإذا جاءوا إلى تعداد محاسن شعره . كان أمرًا محصورًا ، وشيئًا معروفًا . أنت تجد من ذلك البديع أو أحسن منه في شعر غيره . وتشاهد مثل ذلك البارع في كلام سواه . وتنظر إلى المُحدِّثين كيف توغَّلوا إلى حيازة المحاسن ، منهم من جمع رَصَانَةَ الكلام إلى سلاسته . / ووتانسته إلى عدوبته ، والإصابة في ٢٤٣ معناه إلى تحسين بهجته ؛ حتى إن منهم من قصر عنه في بعض ، تقدَّم عليه في بعض . [وإن وقف دونه في حال . سبقه في أحوال . وإن تشبه به في أمر . ساواه في أمور]^(٣) لأن الجنس الذي يرمون إليه ، والغرض الذي يمتارِدُون عليه . هو^(٤) مما للآدمي فيه من جبال . ولبشيري فيه مثال ؛ فكل يضرب فيه بسهم . ويفوز فيه بقيدح . ثم قد تفاوتت السهام^(٥) تفاوتًا ، وتباين تباينًا . وقد تتقارب تقاربًا . على حسب مشاركتهم في الصنائع ، وسلامتهم في الحرف .

«ونظم القرآن» جنس متمم^(٦) . وأسلوب متخصص . وقبيل عن النظر^(٧) متمخلص ؛ فإذا شئت أن تعرف عظيم شأنه ، فتأمل ما نقوله في هذا الفصل لامرئ القيس في أجود أشعاره ، وما نبين لك من عواريه ، على التفصيل . وذلك قوله :

قِنَا نَبِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
بِسْمِطِ الْمَلَوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوَمَلِ
فَتَوَضَّحَ فَالْمِقْرَةَ لِمَ يَعْفُ رَسْمُهَا
لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جُنُوبٍ وَشَمَالِ

(١) يريد «المعلقات السبع»

(٢) كذا في الأصول ، ولكنها غيرت في س إلى «وربما عثرت في وجهه على أشياء كثيرة» ! !

(٣) الزيادة من ا ، م (٤) هذه الكلمة سقطت من س ، ك

(٥) م : «بالسهم» (٦) ك ، م : «مميز» (٧) ك : «عن النظم»

/الذين يتعصبون له ويدَّعون^(١) محاسن الشعر، يقولون : هذا من البديع ؛ لأنه وقف واستوقف ، وبكى واستبكى . وذكر العهدَ والمنزلَ والحبيبَ ، وتوجَّعَ واستوجعَ ، كله في بيت : ونحو ذلك .

وإنما بيَّنا هذا لثلاثٍ يقع لك ذهابنا عن مواضع المحاسن - إن كانت - ولا غفلتُنا عن مواضع الصناعة . إن وُجِدَتْ .

تأمل° - أُرشدك الله ، وانظر - هداك الله : أنت تعلم أنه ليس في البيتين شيء قد سبقَ في ميدانه شاعراً ، ولا تقدَّم به صانعاً . وفي لفظه ومعناه خلل :

فأولُ ذلك : أنه استوقف من يبكي للذكر الحبيب^(٢) ، وذكره لا تقتضى بكاء الخليلي ، وإنما يصح طلب الإسعاد في مثل هذا ، على أن يبكي لبكائه ويرق لصديقه في^(٣) شدة برحائه ؛ فأما أن يبكي على حبيب صديقه ، وعشيق رفيقه ، فأمرٌ محال .

فإن كان المطلوب وقوفه وبكاؤه أيضاً عاشقاً ، صحَّ الكلام [من وجه]^(٤) ، وفسد المعنى من وجه آخر ! لأنَّه من السُّخف أن لا يغار على حبيبه ، وأن يدعوا غيره إلى التَّعَازُلِ عليه ، والتَّوَأْجُدِ معه فيه !

/ثم في البيتين ما لا يفيد ، من ذكر هذه المواضع ، وتسمية هذه الأماكن : ٢٤٥ من « الدَّخُول » و « حَوْمَل » و « تَوْضِيح » و « المِقْرَاة » و « سِقْطِ اللَّوَى » ، وقد كان يكفيه أن يذكر في التعريف بعضَ هذا . وهذا التَّطْوِيلُ إذا لم يُفِدْ كان ضَرْباً من العيبِ !

ثم إن قوله : « لَسْمٌ يَعْغُرُ رَسْمُهَا » ، ذكر الأضْمَعِي من محاسنه : أنه باق فنحن نحزن على مشاهدته ، فمَلَّوْا عَفْماً لاسرْحنا .

وهذا بأن يكون من مَسَاوِيهِ أُولَى ؛ لأنه إن كان صادقَ الوُدِّ ، فلا يزيد

(٢) ك : « استوقف ثم يبكي »

(٤) الزيادة من م

(١) س ، ك : « أو »

(٣) م : « من شدة »

عَقَاءُ الرُّسُومِ إِلَّا جِدَّةَ عَهْدٍ ، وَشِدَّةَ وَجْدٍ . وَإِنَّمَا فَنَزَعَ الْأَصْمَعِيُّ (١) إلى إفادته هذه الفائدة ، خشية أن يُعَابَ عليه ، فيقال : أىُّ فائدة لأن يُعرفنا أنه لم يَعْفُ رَسْمُ منازل حبيبه ؟ وأى معنى لهذا الحشو ؟ فذكر ما يمكن أن يذكر ؛ ولكن لم يخلِّصه - بانتصاره له - من الخلل .

ثم في هذه الكلمة خلل آخر ، لأنه عَقَّبَ البيت بأن قال (٢) :

* فهل عند رسم دارس من مُعَوَّل ! *

فذكر أبو عبيدة : أنه رجع فأكذَّب نفسه ، كما قال زهير :

٢٤٦ / قِفْ بالديار التي لم يَعْفُهَا الْقِدْمُ نَعَمْ . وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالذِّيمُ (٣) وقال غيرهم : أراد بالبيت الأول أنه لم ينظمس أثره كله ، وبالثاني أنه ذهب بعضه ، حتى لا يتسناقض الكلامان .

وليس في هذا انتصار ؛ لأن معنى « عفا » و « دَرَسَ » واحد ، فإذا قال :

« لم يعف رَسْمُهَا » ثم قال : « قد عَفَا » ، فهو تناقض لا محالة !

واعتذر « أبو عبيدة » أقرب لو صحَّ ، ولكن لم يرد هذا القول مَوْرَدَ الاستدراك

كما قاله (٤) زهير ، فهو إلى الخلل أقرب .

وقوله : « لِمَا نَسَجْتَهَا » ، كان ينبغي أن يقول : « لِمَا نَسَجَهَا »

ولكنه تعسَّف فجعل « ما » في تأويل تأنيث (٥) ، لأنها في معنى الريح ، والأولى

التذكير دون التأنيث ، وضرورة الشعر قد قادت به إلى (٦) هذا التعسف .

وقوله : « لَسْمٌ يَعْفُ رَسْمُهَا » كان الأولى أن يقول : « لَسْمٌ يَعْفُ

رَسْمُهُ » ؛ لأنه ذكَّرَ المنزل ؛ فإن كان ردَّ ذلك إلى هذه البيعة والأماكن

(١) س : « وإنما قرع له الأصمعي » ! (٢) ا : « بأن قال بعده »

(٣) ديوانه ص ١٤٥ وفيه « بلى وغيرها » والأرواح : جمع ريح . والديم جمع ديمة ، والديمة

مطر يدم في سكون بلا رعد أو برق ، وقال ثعلب في شرح هذا البيت : « قال أبو زياد : عفا بعضها

ولم يعف بعض » . وقال أبو عبيدة : أكذب نفسه . لم يعفها ، لم يدرسها ، ثم رجع فقال : بلى ، ومثله

قول الطهوي :

فلا تبعدن يا خير عمرو بن جندب بلى إن من زار القبور ليبعدا

(٤) م : « لو صح . ولم يكن يورد هذا القول . . . على ما قاله »

(٥) كذا في م ، ا ، ك ، وفي س : « التأنيث »

(٦) س ، ك : « قد دلته على هذا »

٢٤٧ / التي المنزلُ واقعٌ بينها ، فذلك خلل : لأنه إنما يريد صفة المنزل الذي نزله حبيبه ، يعفائه ، أو بأنه لم يعف دون ما جاوره .

وإن أراد بالمنزل الدارَ حتى أنت ، فذلك أيضاً خلل .

ولو سلم من هذا كله ومما تكبره ذكره كراهية التطويل - لم نشك في أن شعر أهل زماننا لا يقصر عن البيتين ؛ بل يزيد عليهما ويفضلهما .

* * *

ثم قال :

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهْمُ يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَحَمَّلِ (١)
وإن شِغَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ
وليس في البيتين أيضاً معنىً بديع ، ولا لفظاً حسن كالأوليين .

والبيت الأول منهما متعلق بقوله : « قفا نبك » فكأنه قال : قفا وقوف صحبي بها على مطيهم ، أو : قفا حال وقوف صحبي . وقوله « بها » : متأخر في المعنى وإن تقدم في اللفظ . ففي ذلك تكلف وخروج عن (٢) اعتدال الكلام .

والبيت الثاني مُخْتَلِّ من جهة أنه قد جعل الدمعَ في اعتقاده شافياً / ٢٤٨ / كافياً ، فما حاجته بعد ذلك إلى طلب حيلة (٣) أخرى ، وتحمّل ومُعَوَّل عند الرُسُوم ؟

ولو أراد أن يحسن الكلام لوجب أن يتدل (٤) على أن الدمع لا يشفيه لشدة ما به من الحزن ، ثم (٥) يسأل : هل عند الربع من حيلة أخرى ؟

* * *

وقوله :

كَدَأِيكَ مِنْ أُمَّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمَّ الرِّبَابِ بِمَأْسَلِ

(١) جاء في م بعد هذا البيت قوله :

كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل

(٢) هي كذلك في ا ، م ، ك ولكنها غيرت في س إلى « من » .

(٣) م : « طلب حاجة » .

(٤) هي كذلك في ا ، م ، ك ولكنها في س « أن يدخل » !

(٥) م : « ثم أقبل يسأل » .

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصَّبَاجِءِ بَرِيًّا الْقَرَنْفُلُ (١)
 أنت لا تشك في أن البيت الأول قليل الفائدة ، ليس له مع ذلك بهنجة ،
 فقد يكون الكلام مصنوع اللفظ ، وإن كان منزوع المعنى !
 وأما البيت الثاني فوجه التكلف فيه قوله :
 * إذا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا *

ولو أراد أن يجود أفاد أن بهما طيباً على كل حال ، فأماً في حال القيام
 فقط ، فذلك تقصير !!!
 ثم فيه خلل آخر : لأنه بعد أن شبه عرفها بالمسك ، شبه ذلك بنسيم
 القَرَنْفُل ، وذكر ذلك بعد ذكر المسك نقص .

/ وقوله : « نَسِيمَ الصَّبَاجِءِ » ، في تقدير المنقطع عن المصراع الأول ، لم يصله به ٢٤٩
 وصل مثله .

* * *

وقوله :

فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِثْلَ صَبَابَةٍ عَلَى النَّخْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مِحْمَلِي
 أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ وَلَا سِيمًا يَوْمَ بِدَارَةِ جُلْجُلٍ (٢)
 / قوله (٣) : « فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ » ، ثم استعانه بقوله : « مِثْلَ صَبَابَةٍ » استعانة
 ضعيفة عند المتأخرين في الصنعة ، وهو حشو غير مريح ولا بديع .
 وقوله : « عَلَى النَّخْرِ » ، حشو آخر ، لأن قوله : « بَلَ دَمْعِي مِحْمَلِي » (٤)
 يغني عنه ، ويدل عليه ، وليس بحشوحسن ثم قوله : « حَتَّى بَلَ مِحْمَلِي » (٤)
 إعادة ذكره الدمع حشو آخر ، وكان يكفيه أن يقول : حتى بَلَ (٥) محملي ،
 فاحتاج لإقامة الوزن إلى هذا كله .

ثم تقديره أنه (٦) قد أفرط في إفاضة الدمع حتى بَلَ مِحْمَلِهِ ، تفريط

(١) في خزنة الأدب ٦٥ : « قال الدينوري في كتاب النبات : القرنفل أجود ما يؤتى به من بلاد
 الصين ، وقد كثر مجيء الشر بوصف طيبه - وأنشد هذا البيت - ثم قال : وقالوا : قد أخطأ امرؤ القيس ؛
 فإنه لا يقال : تصوع المسك حتى كأنه ربا القرنفل . إنما كان ينبغي أن يقول : تصوع القرنفل
 حتى كأنه المسك . انتهى . وقد تبمه الإمام الباقلاني في كتاب إعجاز القرآن . قال : وفيه
 خلل لم يصله به وصل مثله . انتهى . والعيان الأخيران ليسا كما وهمه فتأمل »

(٢) م : « يوم صالح لك منهما » (٣) نقله البغدادي في خزنة الأدب ٦٧/٢ .

(٤، ٤) ما بين الرقمين ثابت في ا ، م ، ك . (٤) م : « بل » .

(٦) سقطت هذه الكلمة من م .

منه وتقصير ، ولو كان أبدعَ لكان يقولُ : حتى بلّ دمعى مغانيهم وعراصهم .
 ٢٥٠ ويشبه أن يكون غرضه إقامة الوزن والقافية : لأن^(١) / الدمعَ يَبْغُدُ أن يَبْلُ
 المحمّل ، وإنما يَقْطُرُ من الواقف والقاعد على الأرض أو على الذئيل !! وإن
 بلّهُ فَلَقَلَّتْهُ وأنه لا يقطر .

وأنت تجد في شعر الخُبَيْرِزَرِّي^(٢) ما هو أحسن من هذا البيت وأمن^(٣)
 وأعجب منه .

والبيت الثاني خال من المحاسن والبديع ، خاو^(٤) من المعنى ، وليس له لفظ
 يَرُوقُ ، ولا معنى يَرُوعُ ، من طباع^(٥) السوقة ! فلا يرعك تهويله باسم موضع
 غريب .

وقال :

ويومَ عَقَرْتُ للعداري مَطِيَّتِي فَيَا عَجَبًا مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمَّلِ
 فظُلَّ العَدَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ الْمُفْتَلِ
 / تقديره : اذْكَرُ يومَ عَقَرْتُ مَطِيَّتِي ، أو يَرُدُّه^(٦) على قوله : « يوم

٢٥١

بِدَارَةِ جُلْجُلٍ » ، وليس في المصراع الأول من هذا البيت إلا سفاهته^(٧) !!
 قال^(٨) بعض الأدباء : قوله « يا عجبًا » يُعَجِّبُهُمْ من سفهه في شبابه :
 من نحره لمن^(٩) . وإنما أراد أن لا يكون الكلام من هذا المصراع منقطعاً عن
 الأول ، وأراد أن يكون الكلام ملائماً له .

وهذا الذي ذكره بعيد . وهو منقطع عن الأول ، وظاهره أنه يتعجب من

(١) س : « إذا » بدل « لأن »

(٢) في ضبطها ست لغات . فانظرها في وفيات الأعيان ١٨/٥ وهو أبو القاسم نصر بن أحمد
 ابن نصر ، أصله من البصرة ، ونزل بغداد وأقام بها دهرًا طويلًا . وتوفى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة .
 وهو شاعر أمي مجيد ، كان لا يتهجى ولا يكتب ، وكان خبازًا يخبز خبز الأرز بكدكان له في مرية البصرة ،
 فكان يخبز وهو ينشد ما يقوله من الشعر ، فيجتمع الناس حوله ويزدحمون عليه ، لاستماع شعره وملحه ،
 ويتمجّبون من إجادته في مثل حاله وحرفته . راجع ترجمته في تاريخ بغداد ١٣/٢٩٦ - ٢٩٩ ووفيات
 الأعيان ١٢/٥ - ١٨ ومعجم الأدباء ١٩/٢١٨ - ٢٢٢ وبيئمة الدهر ٢/٣٣٧ - ٣٤٠

(٣) م : « وأميز » (٤) س : « خلو » م « فارغ »

(٥) س : « طبائع » (٦) م : « أو يجره » .

(٧) ا ، م ، ك : « إلا سلامته » (٨) نقله البغدادي في خزنة الأدب ٢/٦٦

(٩) س ، ك : « لهم » .

تحمل العذارى رَحْلَهُ ! وليس في هذا تعجب كبير ، ولا في نَسْحَرِ الناقَةِ لهن تعجّب !

وإن كان يعنى به أنهن حملنَ رحلَهُ ، وأن بعضهن حملة^(١) ، فعبرَ عن نفسه برحله ، فهذا قليلاً يشبه أن يكون عجباً ، لكنّ الكلامَ لا يدلّ عليه ، ويستجافنى عنه .

ولو سلم البيت من العيب لم يكن فيه شيء غريب^(٢) ، ولا معنى بديع ، أكثر من سفاهته^(٣) ، مع قلة معناه ، وتقارب أمره ، ومشاكلته طبع المتأخرين من أهل زماننا !

٢٥٢

/ وإلى هذا الموضع لم يمرّ له بيت رائع ، وكلام رائق .

وأما البيت الثاني فيعدونه حسناً ، ويعدون التشبيه مليحاً واقعاً . وفيه شيء : وذلك أنه عرّف اللحم وتكرّر الشحم ، فلا يعلم^(٤) أنه وصف شحمها ، وذكر تشبيه أحدهما بشيء واقع [للعامة ، ويجرى على ألسنتهم]^(٥) ! وعجز عن تشبيه القسمة الأولى فرّت مُرسلةً ! وهذا نقص في الصنعة ، وعجز عن إعطاء الكلام حقّه .

وفيه شيء آخر من جهة^(٦) المعنى : وهو : أنه وصف طعامه الذى أطعم من أضاف بالجوذة ، وهذا قد يعاب . وقد يقال : إن العرب تفتخر بذلك ولا يرونه عيباً ، وإنما الفرس هم الذين يرون هذا عيباً شنيعاً .

وأما تشبيه الشحم بالدّمّ مقس ، فشيء يقع للعامة ويجرى على ألسنتهم ، فليس بشيء قد سبق إليه ، وإنما زاد « المُفْتَل » للقافية ، وهذا^(٧) مفيد ، ومع ذلك فلست أعلم العامة تذكر هذه الزيادة ، ولم يعد أهل الصنعة ذلك من البديع ، وأراه قريباً .

وفيه شيء آخر [من جهة المعنى^(٨)] : وهو : أن تبجّحه بما أطعمم للأجباب مذموم ، وإن سوغ التبجج بما أطعمم للأضياف ، إلا أن

(٢) سقطت هذه الكلمة من ا

(١) م : « حملة »

(٤) م : « فلا يعرف »

(٣) م ، ا ، ك : « من سلامته »

(٦) م : « من طريق »

(٥) الزيادة من ا

(٨) الزيادة من ا

(٧) م : « وهو »

٢٥٣ / يورد الكلام مورِد المُجُون ، وعلى طريق^(١) أبي نُؤاس في المزاح والمداعبة !

* * *

وقوله :

ويومَ دخلتُ الخِدرَ خِدرَ عُنَيْزَةَ فتمالت : لك الوَيْلاتُ إنَّكَ مُرْجِلِي
تَقولُ وقد مالَ الغَيْبُ . بنا معاً : عَقَرَتَ بَعِيرِي يا امرأَ القَيْسِ فأنزِلِ
قوله^(٢) : « دخلتُ الخِدرَ خِدرَ عُنَيْزَةَ » ، ذكره تَكريراً^(٣) لإقامة الوزن ،
لا فائدة فيه غيره ، ولا ملاحه له ولا رونق !

وقوله في المصراع الأخير من هذا البيت : « فتمالت لك الوَيْلاتُ إنَّكَ مُرْجِلِي »
كلامٌ مؤنَّث من كلام النساء ، نقله من جهته إلى شعره ! وليس فيه غير هذا^(٤) ! !
وتكريره بعد ذلك : « تقول وقد مال الغَيْبُ » ، يعنى قَتَبَ الهَوْدَج ، بعد
قوله : « فتمالت لك الوَيْلاتُ إنَّكَ مُرْجِلِي » : لا فائدة فيه غير تقدير^(٥) الوزن !
وإلا فحكاية قولها الأوَّل كاف ، وهو في النظم قبيح ؛ لأنه ذكر مرة :
« فتمالت » ، ومرة : « تقول » ، في معنى واحد ، وفصلٌ خفيف !
وفي مصراع الثاني أيضاً تأنيثٌ من كلامهن^(٦) .

٢٥٤ / وذكر أبو عُبَيْدَةَ أنه قال : « عَقَرَتَ بَعِيرِي » ، ولم يقل ناقتي ، لأنهم
يحملون النساء على ذكور الإبل ، لأنها أقوى .
وفي ذلك^(٧) نظر ، لأن الأظهر أن البعير اسم للذكر والأنثى ، واحتاج إلى
ذكر البعير لإقامة الوزن^(٨) .

* * *

وقوله :

فقلتُ لها : سِيرِي وَأَرْخِي زَمَامَهُ ولا تُبْعِدِينِي مِنْ جَنَّاكِ الْمُعَلَّلِ
فَمِثْلُكَ حُبْلِي قَد طَرَقْتُ وَمُرْضِعِ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مَحُولِ^(٩)

(١) ١ : « طرائق » (٢) نقله البغدادي في خزنة الأدب ٦٧/٢ .

(٣) م : « ذكر تَكريره » (٤) قال البغدادي : « طعنه الأول ليس بصحيح :

لأنه من باب الإبهام والتفسير ، وهو عندهم من محاسن الكلام » . (٥) م : « غير تقديم »

(٦) س ، ك : « وفيه » (٧) س ، ك : « مفيل » ا « مغول »

(٨) قال البغدادي : « طعنه الأول غير وارد ؛ لأنه من باب الإطناب ، بسطه ثانياً للتلذذ

والإيضاح . وقوله : ثانياً ، غير معيب ، لأنه من حكاية الحال الماضية ، وقد عد حسناً » .

(٩) نقله البغدادي في الخزنة ٦٨/٢ .

البيت الأول قريب النسخ ، ليس له معنى بديع ، ولا لفظ شريف ، كأنه من عبارات المنحطين في الصنعة^(١) .

وقوله : « فمثلك حبلٍ قد طرقتُ » ، عابه عليه أهل العربية ومعناه عندهم حتى يستقيم الكلام : فرب مثلك حبلٍ قد طرقت ، وتقديره أنه زيرُ نساء ، وأنه يفسدهن ويلهيهن عن حببَلِهِنَّ ورضاعِهِنَّ ، لأنَّ الحُبْلَى والمرْضِعَةُ أبعدُ من الغزل وطلب الرجال !

والبيت الثاني في الاعتذار والاستهتار^(٢) والتَهَيِّامِ ، وغير منتظم مع المعنى الذي قدمه في البيت الأول ؛ لأنَّ تقديره : لا تبعدينى عن نفسك فإني أغلب النساء ، وأخذعهن عن رأيهن ، وأفسدهن / بالتغازل ! وكونه مفسدةً لهن ٢٥٥ لا يوجب له وصلتهن وترك إبعادهن إياه ، بل يوجب هجره والاستخفاف به ، لسخفه ودخوله كل مدخل فاحش ، ورُكوبه كل مركب فاسد !
وفيه من الفحش والتفحش ما يستنكف الكريم من^(٣) مثله ، ويأنف من ذكره !!

* * *

وقوله :

إذا ما بكى من خلفها انصرفت لهُ بِشِقٌّ وَتَحَنَّى شِقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ^(٤)
ويوماً على ظهر الكئيب تعذرتُ عَلَى وَآلتِ حِلْفَتَهُ لَمْ تُحَلَّلِ

فالبيت الأول غاية في الفحش ، ونهاية في السخف ، وأى فائدة لذكره لعشيقته كيف كان يركب هذه القبائح ، ويذهب هذه المذاهب ، ويرد هذه الموارد؟! إن هذا ليغضه [إلى]^(٥) كل من سمع كلامه ، ويوجب له المقت! وهو - لو صدق - لكان قبيحاً ، فكيف : ويجوز أن يكون كاذباً؟! ثم ليس في البيت لفظ بديع ، ولا معنى حسن .

وهذا البيت متصل بالبيت الذي قبله ، من ذكر المرْضِعِ التي لها ولد مُحْوِل .

(٢) ك : « والاشتهار »

(١) نقله البندادى في الخزانة ٦٨/٢

(٤) ا : « بشق وشق عندنا لم يحول »

(٣) م : « عن »

(٥) الزيادة من ا ، ك ، م

/ فأماً البيتُ الثاني وهو قوله : « ويوماً » . يتعجب منه بأنها^(١) تشدّدت وتعرّست^(٢) عليه وحلفت عليه ، فهو كلام رديء النّسج ، لا فائدة لذكره لنا أن حبيته تمنّعت عليه يوماً بموضع يسميه ويصفه !

وأنت تجد في شعر المحدثين من هذا الجنس في التغزل ما يذوب معه اللب ، وتطرب عليه^(٣) النفس . وهذا مما تستنكره النفس ، ويشمئز منه القلب ، وليس فيه شيء من الإحسان والحسن !!

وقوله :

أفأطم مهلاً بعض هذا التّدليل وإن كنت قد أزمعت صرّمي فأجملي
أغرّك مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمرى القلب يفعل

فالبيت الأول فيه ركافة جدّاً ، وتأنيث ورقّة ، ولكن فيها تخنيث !
ولعل قائلًا [أن]^(٤) يقول : إن كلام النساء بما يلائمهن من الطبع أوقع وأغزل ؟

وليس كذلك ، لأنك تجد الشعراء في الشعر المؤنّث لم يعدلوا عن رصانة قوهم .

٢٥٧ / والمصرع الثاني منقطع عن الأول ، لا يلائمه ولا يوافقه . وهذا بين لك إذا عرضت^(٥) معه البيت الذي تقدمه .

وكيف يُنكر عليها تدللها ، والمتغزل يطرب على دلال الحبيب وتدلّله ؟

والبيت الثاني قد عيب عليه^(٦) ، لأنه قد أخبر أن من سبيلها أن لا تغتر^(٧) بما يريها من أن حبّها يقتله ، وأنها تملك قلبه فما أمرته ففعلته ، والحب إذا أخبر عن مثل هذا صدق .

(١) ا : « منه أنها » ك ، س « منه وإنما »

(٢) م : « وتمصرت »

(٣) م : « له »

(٤) الزيادة من ا ، م ، ك

(٥) كذا في م ، ك . وفي س : « اعترضت »

(٦) راجع الموشع ص ٣٦ -

(٧) م : « ألا تعيره »

وإن كان المعنى غير هذا الذى عيب عليه ، وإنما ذهب مذهباً آخر ، وهو : أنه أراد أن يظهر التجلّد — فهذا خلاف ما أظهر من نفسه فيما تقدم من الآيات ، من الحب والبكاء على الأحبة ، فقد دخل فى وجه آخر من المناقضة والإحاطة فى الكلام .

ثم قوله : « تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ » معناه ^(١) تأمرينى . والقلب لا يؤمر . والاستعارة فى ذلك غير واقعة ولا حسنة ^(٢) .

* * *

/ وقوله :

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ سَأَعْتَكِ مِنِّي خَلِيقَةً
 وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبَنِي
 بِسَهْمَيْكَ فِي أَغْشَارِ قَلْبٍ مُّقْتَلٍ
 الْبَيْتِ الْأَوَّلِ قَدْ قِيلَ فِي تَأْوِيلِهِ : إنه ذكر الثوب وأراد البدن ، مثل قول الله تعالى : ﴿ وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ ﴾ ^(٣) . وقال أبو عبيدة : هذا مثل للهجر .

وَتَسْنَسُلُ : تبين .

وهو بيت قليل المعنى ، ركيكه ووضيعة . وكل ما أضاف إلى نفسه ووصف به نفسه سقوطاً وسفه وسخف ، يوجب ^(٤) قطعه . فليم لسم يحكمم على نفسه بذلك ، ولكن يورده مورد أن ليست له خليفة توجب هجرانه والتفصي ^(٥) من وصله ، وأنه مهذب الأخلاق ، شريف الشئائل ؛ فذلك يوجب أن لا ينفك من وصاله .

(١) م : « تقديره »

(٢) قال أبو حيان التوحيدى فى كتاب البصائر والذخائر ٢٦/١ « وقال محمد بن راشد : كنا يوماً مع إسحاق بن إبراهيم الطاهري، نتحدث ونخوض فى ضروب الآداب ، فأقبل علينا فقال : ما أراد امرؤ القيس بقوله :

أغرّك منى أن حيك قاتل وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل ؟
 فكل قال بما حضره ، فقال : لم يرد هذا . قلنا : فما أراد ؟ قال : أراد أنك تملكين قلبك
 فإن أردت صرى قدرت عليه ، وإن أردت صلتى قدرت عليها ، وأما أنا فلا أملك من قلبى إلا صلتك »
 ومعنى أغرّك : أى جرّك على ، وانظر الشعر والشعراء ٨٤/١

(٤) كذا فى ك ، م

(٣) سورة المدثر : ٤

(٥) م : « والتفصي »

والاستعارة في المصراع الثاني فيها تواضع وتقارب ، وإن كانت غريبة^(١) .
 / وأما البيت الثاني فمعدود من محاسن القصيدة^(٢) وبدائعها . ومعناه : ما بكيت
 إلا لِتَجْرَحِي قلباً معشراً - أى مكسراً - من قولهم : « بُرْمَةٌ أعشار » إذا
 كانت قِطْعاً^(٣) . هذا تأويل ذكره الأصمعي^(٤) ، وهو أشبه عند أكثرهم .
 وقال غيره : وهذا مثل للأعشار التي تقسم الجزور عليها . ويعنى بسهميك :
 المُعَلِّي ، وله سبعة أنصباء ، والرَّقِيب ، وله ثلاثة أنصباء . فأراد أنك ذهبت
 بقلبي أجمع .

ويعنى بقوله : مقتل : مدلل^(٥) .

وأنت تعلم أنه على ما يعنى به فهو غير موافق للآيات المتقدمة ؛ لما فيها من
 التناقض الذى بيننا .

ويشبه أن يكون من قال بالتأويل الثاني ، فزع إليه لأنه رأى اللفظ مستكرهاً
 على المعنى الأول ، لأن القائل إذا قال : « ضَرَبَ / فلان بسهمه في الهدف » ،
 بمعنى أصابه - كان كلاماً ساقطاً مردولاً ، وهو يرى أن معنى الكلمة أن عينها
 كالسهمين الناقلين في إصابة قلبه المجرّوح ، فلما بكنا وذرفنا بالدموع كانتا
 ضاربتين في قلبه .

ولكن من حمل على التأويل الثاني سلم من الخلل الواقع في اللفظ ، ولكنه
 يفسد المعنى ويختل^(٦) ؛ لأنه إن كان مُحِبّاً^(٧) - على ما وصف به نفسه من
 الصبابة - فَتَقَلَّبُهُ كَلَهُ لها ، فكيف يكون بكاؤها هو الذى يُخَلِّصُ قلبه لها ؟ !
 واعلم بعد هذا أن البيت غير ملائم للبيت الأول ، ولا متصل به في المعنى ،

(١) م : « عربية » (٢) م : « هذه القصيدة »

(٣) أراد أن قلبه كسر ثم شعب كما تشعب القدر (٤) س ، ك : « رضى الله عنه ! »

(٥) في اللسان ٢٤٩/٦ « قال الأزهري : وفيه قول آخر ، وهو أعجب إلى . قال أبو العباس

أحمد بن يحيى : أراد بقوله : « بسهميك » ها هنا سهمى قذاح الميسر ، وهما : المثل والرقيب .
 فللمثل سبعة أنصباء ، والرقيب ثلاثة ، فإذا فاز الرجل بهما غلب على جزور الميسر كلها ، ولم يطمع
 غيره في شيء منها ، وهى تقسم على عشرة أجزاء . فالمعنى : أنها ضربت بسهامها على قلبه فخرج لها
 السهمان ، فغلبته على قلبه كله ، وفتنته فلكته . ويقال : أراد بسهميها عينها . . . قال : وهذا
 التفسير في هذا البيت هو الصحيح . ومقتل : مدلل .

(٦) كذا في م ، وفي س ، ك « ولكنه إذا حمل على الثاني فسد المعنى واختل »

(٧) س : « كان محتاجاً ! »

وهو منقطع عنه ؛ لأنه لم يسبق كلام يقتضى بكاءها ، ولا سبب يوجب ذلك ؛ فتركبه هذا الكلام على ما قبله فيه اختلال .

ثم لو^(١) سلم له بيت من عشرين بيتاً ، وكان بديعاً ولا عيب فيه — فليس بعجيب ؛ لأنه لا يُدعى على مثله أن كلامه كله متناقض ، ونظمه كله متباين .

وإنما يكفي أن نبيّن أن ما سبّقَ من كلامه إلى هذا البيت ، مما لا يمكن أن يقال إنه يتقدم فيه أحداً من المتأخرين ، فضلاً عن المتقدمين .

٢٦١ / وإنما قدّم في شعره لأبيات قد برع فيها ، وبأن حدّقه بها .
وإنما أنكرنا أن يكون شعره مُتَنَسِّباً في الجودة ، ومتشابهاً في صحة المعنى واللفظ ، وقلنا : إنه يتصرفُ بين وحشيّ غريب مُسْتَنَكِرٍ ، وعربية كالمُهْمَلِ مُسْتَكْرَهَةٍ^(٢) ، وبين كلام سليم متوسط ، وبين عامي سُوقِيّ في اللفظ والمعنى ، وبين حكمة حسنة ، وبين سخف مُسْتَشْنَعٍ . ولهذا قال الله عزّ اسمه : ﴿ وَكَوْكَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^(٣) .

* * *

فأما قوله :

وَبَيْضَةُ خِدْرِ لَا يُرَامُ خِيَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوِهَا غَيْرَ مُعْجَلٍ
تَجَاوَزْتُ أَحْرَاساً وَأَهْوَالَ مَعْشَرٍ عَلَى حِرَاصٍ لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي^(٤)
فقد قالوا : عنى بذلك أنها كبيضة خدر في صفائها ورقتها ، وهذه كلمة حسنة ، ولكن لم يسبق إليها ، بل هي دائرة في أفواه العرب ، وتشبيه سائر .

ويعنى بقوله : « غيرَ مُعْجَلٍ » : أنه ليس ذلك مما يتفق قليلاً وأحياناً ، بل يتكرر له الاستمتاع بها ، وقد يحمله^(٥) غيره على أنه / رابط الجأش ، فلا^(٦) ٢٦٢

(١) م : « ثم إن » .

(٢) كذا في م ، ك ، وفي س : « كالمهل مستنكرة » ! (٣) سورة النساء : ٨٢

(٤) كذا في م ، ك ، وفي س والمعلقات :

« أحراساً إليها ومعشر على حراسا »

(٦) م : « ولا »

(٥) م : « حمله »

يستعجل إذا دخلها خوف حصانتها^(١) ومنعتها .

وليس في البيت كبير فائدة ؛ لأن^(٢) الذي حكي في سائر أبياته قد تضمن مطاولته في المغازلة واشتغاله بها ، فتكريره في هذا البيت مثل ذلك قليل المعنى ، إلا الزيادة التي ذكر من منعتها ، وهو - مع ذلك - بيت سليم اللفظ في المصراع الأول دون الثاني .

والبيت الثاني ضعيف .

وقوله : « لو يُسرُّون ممتلئى » أراد أن يقول : لو أسروا ، فإذا نقله إلى هذا ضعف ووقع في مضمار الضرورة ، والاختلال على نظمه بين ، حتى إن المتأخر ليحتسز^(٣) من مثله .

* * *

وقوله :

إذا ما الثريا في السماء تعرّضت تعرّض أثناء الوشاح المفصل^(٤)

قد أنكر عليه قوم قوله : « إذا ما الثريا في السماء تعرّضت » ، وقالوا : الثريا لا تتعرض^(٥) ، حتى قال بعضهم : سمى الثريا وإنما أراد الجوزاء ،

لأنها تعرض ، والعرب تفعل ذلك ، كما قال زهير : « كأحمر / عاد »^(٦) وإنما هو أحمر ثمود^(٧) .

وقال بعضهم في تصحيح قوله [إنما] تعرّض^٥ : أول ما تطلّع [وحيث

(١) م : « حصانتها وعفتها ومنعتها » (٢) س : « لأنه »

(٣) س ، ك « المحترز يحترز » (٤) التشبيهات لابن أبي عون ص ٤

(٥) الموشح ص ٣٦ والوساطة ص ١٢ ، وفي م « لا تعرض »

(٦) يقصد قوله في معلقته :

فنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتطم

قال الأعمى الشنبري : « قوله : كأحمر عاد : أى كلهم في الثوم كأحمر عاد ، وأراد أحمر

ثمود ، فغلط . وقال بعضهم : لم يغلط ولكنه جعل عاداً مكان ثمود اتساعاً ومجازاً ، إذ قد عرف المعنى

مع تقارب ما بين عاد وثمود في الزمن والأخلاق » راجع ديوانه ص ٢٠ وشرح المعلقات للزوزنى ص ٨٣

(٧) هو عاقر ناقة صالح

تغرَّبُ] (١) ، كما أن الوشاح إذا طُرِحَ يَلْقَاكَ بعُرْضِهِ ، وهو ناحيته (٢) . وهذا كقول الشاعر (٣) :

تَعَرَّضْتُ لِي بِمَجَازٍ خَلٌّ تَعَرَّضَ الْمُهْرَةَ فِي الطَّوْلِ (٤)
يقول : تُرِيكَ عَرْضَهَا وَهِيَ فِي الرَّسَنِ .

/ وقال أبو عمرو : يعني إذا أخذت الثريا في وسط السماء ، كما يأخذ الوشاح ٢٦٤
وسط المرأة .

والأشبه عندنا (٥) : أن البيت غير معيب من حيث عابوه به ، وأنه من محاسن هذه القصيدة ، ولولا أبيات عدة فيه لبقاه ما شئت من شعر غيره ، ولكن لم يأت فيه بما يفوت الشاؤ ، ويستولى على الأمد .

أنت تعلم أنه ليس للمتقدمين ولا للمتأخرين في وصف شيء من النجوم مثل ما في وصف الثريا ، وكل قد أبدع فيه وأحسن ، فيما أن يكون قد عارضه أو زاد (٦) عليه .

فمن ذلك قول ذى الرمة :

وَرَدْتُ اعْتِسَافًا وَالثَّرِيَا كَانَهَا عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مَحْلَقٌ (٧)

(١) الزيادة من م (٢) في اللسان ٣١/٩ « أي لم تستقم في سيرها ، ومالت كالوشاح المعوج أثنائه على جارية توشحت به » .

(٣) م : « الشاعر زهير » وهو خطأ . وفي اللسان ٤٣٩/١٣ « الطول : الحبل الذي يطول به للدابة فرعى فيه . . . وقد شدد الراجز الطول للضرورة ، فقال منظور بن مرثد الأسدي :

تعرضت لي بمكان حل - تعرضاً لم تأل عن قتلي

تعرضت المهرة في الطول

ويروى : عن قتلا لي ، على الحكاية ، أي عن قولها قتلا له . وفي ١٣٠/٩ « وقال : تعرضت لم تأل عن قتلي » . (٤) كذا في م ، ك ، وفي تاج العروس « حل » وفي س

« بمجان حل » وفي الصحاح « . . . بمكان حل » .

وانظر التشبيهات لابن أبي عون ص ٤ .

(٥) نقل هذا عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب ٤/٤٦١ . (٦) م : « وزاد »

(٧) ديوانه ص ٤٠١ وديوان المعاني ١/٣٣٤ ونثار الأزهار ص ١٠٩ والتشبيهات ص ٥ .

ومن ذلك قول ابن المعتز :

وترى الثريا في السماء كأنها
بيضات أذحي يلحن بفدق^(١)
وكقوله :

كان الثريا في أواخر ليلها
تفتح نور أو لجام مفضض^(٢)
وقوله أيضاً :

فناولنيها والثريا كأنها
جني نرجس حبي الندامى به الساق^(٣)
/ وقول الأشهب بن ربيعة :

ولاحت لسايرها الثريا كأنها
لدى الأفق الغربي قرط مسلسل^(٤)
ولابن المعتز :

وقد هوى النجم والجوزاء تتبعه
كذات قرط أرادته وقد سقطا^(٥)
أخذه من ابن الرومي في قوله :

طيب ريقه إذا ذقت فاه
والثريا بجانب الغرب قرط^(٦)
ولابن المعتز :

قد سقاني المدام والض
صبح بالليل مؤتزر
والثريا كنور غصه
ني على الأرض قد نثر^(٧)
وقوله :

وتروم الثريا في السماء مرأما^(٨)

(١) ديوانه ص ٣٣ « بيض بأذحي »

(٢) ديوان المعاني ١/٣٣٦ وزهر الآداب ١/٣١٠ والتشبيهات ص ٥

(٣) ديوانه ص ٢٣٩ وديوان المعاني ١/٣٣٥

(٤) ديوان المعاني ١/٣٣٥ والتشبيهات ص ٥

(٥) التشبيهات ص ٩ وديوان المعاني ١/٣٣٧

(٦) التشبيهات ص ٥ وديوان المعاني ١/٣٣٥

(٧) ديوانه ص ٢٢٢ « والليل بالصبح » وكذلك التشبيهات ص ١٠ وفي م « على الغرب »

(٨) ديوانه ص ٢٤٥ وأسرار البلاغة ص ٧٥

كَانِكِبَابٍ طِمْرٌ كَادَ يُلْقَى لِحَامًا
ولابن الطَّشْرِيَّةِ :

إذا ما الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ كَانَتْهَا جُمَانٌ وَهَى مِنْ سِلْكِهِ فَتَبَدَّدَا^(١)
/ ولو^(٢) نَسَخْتُ لَكَ كُلَّ مَا قَالُوا مِنَ الْبَدِيعِ فِي وَصْفِ الثُّرَيَّا - لَطَالُ عَلَيْكَ ٢٦٦
الْكِتَابِ ، وَخَرَجَ^(٣) عَنِ الْغَرَضِ ، وَإِنَّمَا نَزِيدُ أَنْ نَبِينُ لَكَ أَنَّ الْإِبْدَاعَ فِي نَحْوِ هَذَا
أَمْرٌ قَرِيبٌ^(٤) . وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ غَرِيبٌ .

وَفِي جُمْلَةٍ مَا نَقَلْنَاهُ مَا يَزِيدُ عَلَيَّ تَشْبِيهِهِ^(٥) فِي الْحَسَنِ ، أَوْ يَسَاوِيهِ ، أَوْ
يُقَارِبُهُ^(٦) . فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مَا حَلَقْتُ^(٧) فِيهِ ، وَقَدَّرَ الْمُتَعَصِّبُ لَهُ أَنَّهُ بَلَغَ النِّهَايَةَ
فِيهِ - أَمْرٌ مُشْتَرِكٌ ، وَشَرِيعَةٌ مَوْرُودَةٌ ، وَبَابٌ وَاسِعٌ ، وَطَرِيقٌ مَسْلُوكٌ . وَإِذَا
كَانَ هَذَا بَيْتَ الْقَصِيدَةِ ، وَدُرَّةَ الْقِلَادَةِ ، وَوَاسِطَةَ الْعِقْدِ وَهَذَا مَحَلَّهُ^(٨) -
فَكَيْفَ بِمَا تَعَدَّاهُ ؟ !

ثُمَّ فِيهِ ضَرْبٌ مِنَ التَّكْلِيفِ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ : « إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ
أَثْنَاءِ الْوَشَّاحِ » ، فَقَوْلُهُ : « تَعَرَّضَتْ » : مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي يُسْتَعْنَى عَنْهُ ؛ لِأَنَّهُ
يُشَبَّهُ أَثْنَاءَ الْوَشَّاحِ [بِالْثُّرَيَّا]^(٩) ، سَوَاءٌ كَانَ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ ، أَوْ عِنْدَ
الطَّلُوعِ وَالْمَغِيبِ ، فَالْتَهْوِيلُ بِالْتَعَرُّضِ ، وَالتَّطْوِيلُ بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ ، لَا مَعْنَى لَهُ .
وَفِيهِ : أَنَّ الثُّرَيَّا كَقِطْعَةٍ مِنَ الْوَشَّاحِ الْمُفَصَّلِ ؛ فَلَا مَعْنَى لِقَوْلِهِ « تَعَرَّضَتْ »
أَثْنَاءَ الْوَشَّاحِ » ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : تَعَرَّضَتْ قِطْعَةٌ مِنْ / أَثْنَاءِ الْوَشَّاحِ ، فَلَمْ
يَسْتَقِمْ لَهُ اللَّفْظُ ، حَتَّى شَبَّهَ مَا هُوَ كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ بِالْجَمْعِ^(١٠) .

* * *

(١) ديوان المعاني ١/٣٣٤ وحامسة ابن الشجري ص ٢١٤

(٢) م : « قال : ولو نسخت »

(٣) م : « ونخرج »

(٤) م : « في مثل هذا نحو قريب »

(٥) م : « يشبهه »

(٦) م : « يقاربه ويدانيه »

(٧) م : « ما خلق » م « ما خلق إليه ، وقدر المتعصب أنه »

(٨) م : « وهذا محطه »

(٩) الزيادة من خزانة الأدب ٤/١٧٤

(١٠) آخر ما نقله البغدادي في خزانة الأدب ٤/١٧٤

وقوله :

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضْتُ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبِئْسَةِ الْمُتَفَضِّلِ
فَقَالَتْ : يَمِينَ اللَّهِ مَا لَكَ حِيلَةً وَمَا إِنَّ أَرَىٰ عِنْدَكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي^(١)
انظر إلى البيت الأول والأبيات التي قبله ، كيف خلط في النظم ؛ وفترط
في التأليف ! فذكر التمتع بها ، وذكر الوقت والحال والحُرَّاسَ - ثم ذكر^(٢) كيف
كان صفتها لما دخل عليها ووصل إليها ، من نزعها ثياباً بها إلا ثوباً واحداً
والمُتَفَضِّلُ : الذي في ثوب واحد ، وهو المُتَفَضِّلُ ، فما كان من سبيله أن
يقدمه إنما ذكره مؤخرًا .

وقوله : « لدى الستر » : حشو ، وليس بحسن ولا بديع ، وليس في البيت
حُسن ، ولا شيء يفضل لأجله .

وأما البيت الثاني ففيه تعليق^(٣) واختلال ، ذكر الأصمعي أن معنى قوله
« ما لك حيلة » ، أي ليست لك جهة تجيء فيها والناس أحوالي^(٤) .

/ والكلام في المصراع الثاني منقطع عن الأول ، ونظمه إليه فيه ضرب من
التفاوت .

٢٦٨

* * *

وقوله :

فَقَمْتُ بِهَا أُمِّشِي تَجْرُ وَرَاعِنَا عَلَى إِثْرِنَا أَذْيَالَ مِرْطِ مُرْجَلِ
فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأَنْتَحَىٰ بِنَابِظِنَا حَبَّتْ ذِي حِقَافٍ عَقْنَقَلِ^(٥)
البيت الأول [يذكر من محاسنه]^(٦) : من مساعدتها إياه ، حتى قامت معه
ليخلوا ، وأنها^(٧) كانت تجر على الإثر أذْيَالَ مِرْطِ مُرْجَلِ ، والمرجَلُ : ضرب
من البرود ، يقال لَوْشِيهِ^(٨) : الرجيل ، وفيه تكلُّف . لأنه قال : « وراعنا على

(١) س ، ك « العماية »

(٢) م : « تعليق » ا « تعليق »

(٣) كذا في ك وفي م : « جهة تجيء إليها والناس حويل »

(٤) ك : « ذي قفاف » م : « ذي ركام »

(٥) س ، ك : « الأول من مساعدتها »

(٦) م : « يقال أوشيه »

(٧) س ، ك : « وإنما »

إثرنا» ، ولو قال «على إثرنا» كان كافياً ، والدليل إنما يجز (١) وراء الماشي ، فلا فائدة لذكره «وراءنا» ، وتقدير القول : فقمتم أمشي بها ، وهذا أيضاً ضرب من التكلف .

وقوله «أذيال مرط» ، كان من سبيله أن يقول : ذيل مرط .

على أنه لو سلم من ذلك كان قريباً ليس مما يفوت بمثله غيره ، ولا يتقدم به سواه . وقول ابن المعتز أحسن منه :

٢٦٩ / فَبِتُّ أَفْرُشَ حَدَى فِي الطَّرِيقِ لَهُ ذُلًّا وَأَسْحَبُ أَكْمَامِي عَلَى الْأَثَرِ (٢)
وأما البيت الثاني فقول «أجزنا» بمعنى «قطعتنا» ، و «الخبث» :
بطن من الأرض ، و «الحقف» : رمل منرج ، و «العقسنقل» : المنعقد
من الرمل الدآخل بعضه في بعض .

وهذا بيت متفاوت (٣) مع الأبيات المتقدمة ؛ لأن فيها ما هو سلس (٤) قريب يُشبهه كلام المولدين وكلام البدلة ، وهذا قد أغرب فيه وأتى بهذه اللفظة الوحشية المتعقدة ، وليس في ذكرها والتفضيل بإلحاقها بكلامه (٥) فائدة .

والكلامُ الغريب واللفظةُ الشديدةُ المبتأينة (٦) لِنَسْجِ الكَلَامِ قد تُحمد إذا وقعت موقع الحاجة في وصف ما يلائمها ، كقوله عز وجل في وصف يوم القيامة :
﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (٧) . فأما إذا وقعت في غير هذا الموقع ، فهي مكروهة مذمومة ، بحسب ما تحمد في موضعها .

وروي أن جريراً أنشد بعض خلفاء بني أمية قصيدته (٨) :

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوْ كَلَّمَا جَدُّو لِيَمِينِ تَجَزَعُ ؟
/ كَيْفَ الْعَزَاءُ وَلَمْ أَجِدْ مُدَّ بِنْتُمْ قَلْبًا يَقْرَ وَلَا شَرَابًا يَنْقَعُ (٩)
٢٧٠ قال : وكان يزحف من حسن هذا الشعر ، حتى بلغ قوله :

وتقولُ بوزعُ : قد دببت على العصا هلاً هزئتِ بغيرنا يا بوزعُ

(٢) كذا في م ، ك ، ا ، وفي س :

«أذيال»

(٥) س ، ك : «كلامها» .

(٧) م : «الشريفة المتأينة» .

(٩) ا : «ولم أفد» ك : «ولا شراب»

(١) م : «إنما ينجر»

(٣) كذا في م ، ك : «متقارب» .

(٤) ك : «سلس القياد قريب»

(٦) سورة الإنسان : ١٠

(٨) الخبر في الشعر والشعراء ١٥/١ .

فقال : أفسدتَ شعركَ بهذا الاسم !!

* * *

وأما قوله :

هَصْرَتْ بِغُضْنِي دَوْحَةً فَتَمَايَلَتْ عَلَى هَضِيمِ الْكَشْحِ رِيًّا الْمُخْلَخَلِ (١)
مُهْفَهَفَةٌ بِيضَاءٍ غَيْرِ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنَجَلِ
فمعنى قوله « هَصْرَتْ » : جَدَّ بَتُّ وَثَنَيْتُ .

وقوله « بَغُضْنِي دَوْحَةً » ، تعسَّف ، ولم يكن من سبيله أن يجعلهما
اثنين .

والمصراع الثاني أصح ، وليس فيه شيء إلا ما يتكرر على ألسنة الناس من
هاتين الصفتين . وأنت تجد ذلك في وصف كل شاعر ، ولكنه - مع تكرره على
الألسن - صالح .

وأما معنى قوله « مُهْفَهَفَةٌ » : أنها مخففة ليست مثقلة .
و « المُفَاضَةُ » : التي اضطرب طولها .

والبيت - مع مخالفته في الطبع الأبيات المتقدمة ، ونزوعه فيه (٢) / إلى الألفاظ
المستكرهة ، وما فيه من الخلل ، من تخصيص الترائب بالضوء ، بعد ذكر جميعها
بالبياض - فليس بطائل ، ولكنه قريب متوسط .

* * *

وقوله :

تَصَدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مُطْفَلِ
وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَّتَهُ وَلَا بِمُعْطَلِ
معنى قوله « عَنْ أَسِيلٍ » : أى بأَسِيلٍ ، وإنما يريد خدًّا ليس بكَنَزٍ .
وقوله « تَتَّقِي » ، يقال : اتقاه بحقه (٣) أى جعله بينه وبينه .

(١) كذا في م ، ك ، وفي المعلقات ص ١٨ « هصرت بفودي رأسها » وفي شرحها « ويري » :

بغضنى دوحه (٢) م : « فيها » (٣) كذا في م ، ك ، وفي ص « بترسه »

وقوله : « تصدّ وتبدي عن أسيل » : متفاوت ، لأنّ الكشف عن الوجه مع الوصل دون الصد .

وقوله : « تتقي بناظرة » : لفظه مليحة ، ولكن أضافها إلى ما نظم به ^(١) كلامه ، وهو مختل ، وهو قوله : « من وحش وجرة » ! وكان يجب أن تكون العبارة بخلاف هذا ، كان من سبيله أن يضيف إلى عيون الظباء أو المهنّا دون إطلاق الوحش ، ففيهن ما تستنكر عيونها .

٢٧٢ / وقوله : « مطلق » فسروه على أنها ليست بصبيّة ، وأنها قد استحكمت ، وهذا اعتذار متعسف . وقوله « مطلق » : زيادة لا فائدة فيها على هذا التفسير الذي ذكره الأصمعي . ولكن قد يحتمل - عندى - أن يفيد ^(٢) غير هذه الفائدة ، فيقال : إنها إذا كانت مطلقاً لحظت أطفالها بعين رقة ، ففي نظر هذه رقة نظر المودة ، ويقع الكلام معلقاً تعليقاً متوسطاً .

وأما البيت الثاني فعنى قوله : « ليس بفاحش » : أى ليس بفاحش الطول . ومعنى قوله : « نصّته » : رفعته . ومعنى قوله : « ليس بفاحش » - فى مدح الأعناق - كلام فاحش موضوع منه ! وإذا نظرت فى أشعار العرب رأيت فى وصف الأعناق ما يشبه السحر ، فكيف وقع على هذه الكلمة ، ودفع إلى هذه اللفظة ؟ ! وهلا قال كقول أبي نواس :

مثل الطيباء سمّت إلى روض صوادِرَ عن غدير ^(٣)

* * *

ولست أطول عليك فنستقل ، ولا أكثر القول فى ذمه فتستوحش .

٢٧٣ / وأكلك الآن إلى جملة من القول ، فإن كنت من أهل الصنعة ، فطنت واكتفيت وعرفت ما رمينا إليه واستغنيت .

وإن كنت عن الطبقة خارجاً ، وعن ^(٤) الإتقان بهذا الشأن خالياً - فلا يكفيك البيان ، وإن ^(٥) استقرينا جميع شعره ، وتبعنا عامة ألفاظه ، ودلنا ^(٦) على ما فى كل حرف منه .

(٣) ديوانه ص ١٩٢

(٢) « يفاد »

(١) م : « بها »

(٦) م : « لفظه ودلناك »

(٥) م : « ولو »

(٤) م : « ومن »

اعلم أن هذه القصيدة قد ترددت بين أبيات سوقية مُبتدَلة ، وأبيات متوسطة ، وأبيات ضعيفة مرذولة ؛ وأبيات وحشية غامضة مستكرّهة ، وأبيات معدودة بديعة . وقد دللنا^(١) على المبتدل منها ، ولا يشبه عليك الوحشيّ المستنكر ، الذي يَرُوعُ السَّمْعَ ، وَيَهْوِلُ الْقَلْبَ ، وَيَكْدُّ اللِّسَانَ ، وَيَعْبَسُ مَعْنَاهُ فِي وَجْهِ كُلِّ خَاطِرٍ ، وَيَكْفَهَرُ مَطْلَعَهُ عَلَى كُلِّ مُتَأَمِّلٍ أَوْ نَاطِرٍ ، وَلَا يَقَعُ بِمِثْلِهِ التَّمَدُّحُ^(٢) وَالتَّفَاصُحُ . وهو بجانب لما وُضِعَ له أَصْلُ الإِفْهَامِ ، وَمُخَالَفَ لِمَا بُنِيَ عَلَيْهِ التَّفَاهُمُ بِالْكَلَامِ . فيجب أن يسقط عن الغرض المقصود ، ويلحق باللغز والإشارات المستبهمة .

* * *

فأما الذي زعموا أنه من بديع هذا الشعر ، فهو قوله :

٢٧٤

وَيُضْحِي فَتِيَّتَ الْمَسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا
نَوُومِ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلِ
والمصرع الأخير عندهم بديع ، ومعنى ذلك : أنها مُتَرْفَعَةٌ مُتَنَعِمَةٌ ، لها من يكفيها .

ومعنى قوله : « لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلِ » ، يقول : لَمْ تَنْتَطِقْ وَهِيَ فَضْلٌ^(٣) و « عن » هي بمعنى « بعد » . قال أبو عبيدة : لم تنتطق فتعمل ، ولكنها تَتَفَضَّلُ .

* * *

ومما يعدّونه من محاسنها :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ
عَلَى بَأْنَوعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي^(٤)

(١) م : « د للناك » .

(٢) م : « المدح » .

(٣) في اللسان ١٤١/١٤ - ١٤٢ « والفضلة : اثياب التي تبتدل للنوم ، لأنها فضلت عن ثياب التصرف . . . وفي حديث امرأة أبي حذيفة : قالت يا رسول الله ، إن سالما مولد أبي حذيفة يراني فضلا : أي مبتذلة في ثياب مهنتي ، يقال : تفضلت المرأة : إذا لبست ثياب مهنتها أو كانت في ثوب واحد ، فهي فضل ، والرجل فضل أيضاً » .

(٤) س ، ك « بأنواع الغنوم » وانظر رأي الأستاذ محمود محمد شاكر في معنى هذا البيت

ونقصه لآراء الشراح السابقين في طبقات فحول الشعراء ص ٧١ .

/ فقلتُ له لما تَمْطِي بَصْلِيهِ
وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وِنَاءً بِكَلِّكَ :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِ

بصِبح ، وما الإصباح فيك بأمثل^(١)
وكان بعضهم يعارض هذا بقول النَّابِغَةِ :

كِلِينِي لِهَمٌّ يَا أُمِيمَةَ نَاصِبِ

وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ

تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

تَقَاعَسَ حَتَّى قَلْتُ : لَيْسَ بِمُنْقَضِ

وليس الذى يتلو النُّجُومَ بِأَيِّبِ^(٢)

وقد جرى ذلك بين يدي بعض^(٣) الخلفاء ، فقد مَسَتْ أَيْبَاتُ امرئ القيس ،
واستحسن استعارتها^(٤) ، وقد جعل لليل صدراً يثقل تنحيه ، ويبطئ تقضيه ،
وجعل له أردافاً كثيرة ، وجعل له صلماً يمتدُّ ويتناول ، ورأوا هذا بخلاف ما يستعيره
أبو تمام/ من الاستعارات الوحشية البعيدة المستنكرة^(٥) ، ورأوا أن الألفاظ جميلة .
واعلم أن هذا صالح جميل ، وليس من الباب الذى يقال : إنه متناه عجيب ،
وفيه إلام بالتكلف ، ودخولٌ فى التعمُّل .

* * *

وقد خرَّجوا له فى البديع من القصيدة قوله :

وقد أَعْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

(١) ك ، م « فَيْك » س « منك »

(٢) م « الذى يعرى النجوم »

(٣) م : « ذلك بمجلس بعض »

(٥) سقطت من م

(٤) س ، ك « واستحسن » وانظر الموشح ص ٣١ - ٣٣

مِكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مُذْبِرٌ مَعَا

كجُلْمُودٍ ضَخْرٍ حَطَّه السَّبِيلُ مِنْ عَلٍ^(١)

وقوله أيضاً :

له أَبْطَلًا ظَبِيٌّ وَسَاقًا نَعَامَةٌ وَإِرْحَاءٌ سِرْحَانٌ وَتَقْرِيْبٌ تَتَفَلُّ^(٢)
فأما قوله « قَيْدُ الْأَوَابِدِ » ، فهو مَلِيحٌ ، ومثله في كلام الشعراء وأهل الفصاحة
كثير ، والتَّعَمَّلُ بِمِثْلِهِ^(٣) ممكن .

وأهلُ زماننا الآن يصنفون نحو هذا تصنيفاً ، ويؤلفون المحاسن تأليفاً ،
يُوشِحُونَ به كلامهم . والذين كانوا من قبل — لغزائهم^(٤) — / وتمكثهم — لم يكونوا
يتصنعون لذلك ، وإنما كان يتفق لهم اتفاقاً ، وَيَطْرَدُ في كلامهم اطراداً .

وأما قوله في وصفه : « مِكْرٌ مِفْرٌ » ، فقد جمع فيه طِباقاً وتشبيهاً .
وفي سرعة جرى الفرس للشعراء ما هو أحسن من هذا وألطف .

وكذلك في جمعه بين أربعة وجوه من التشبيه في بيت واحد — صنعة .
ولكن قد عُوْرِضَ فيه وَرُوحٌ [عليه]^(٥) والتوصل إليه يسير ، وتطلبه^(٦)
سهل قريب .

وقد بيننا لك أن هذه القصيدة ونظائرها تتفاوت في أبياتها تفاوتاً بيناً في الجودة
والرِّدَاءَةِ ، والسلاسة والانعقاد ، والسلامة والانحلال ، والتمكُّن [والاستصعاب]^(٧)
والتسهل والاسترسال ، والتوحش والاستكراه . وله شركاء في نظائرها ، ومنازعون في
محاسنها ، ومعارضون في بدائعها . ولا سواء كلامٌ يُنْحَتُ من الصخر تارةً ،
ويذوب تارةً ، ويتلون تَلَاوَنَ الْحَرِيْبَاءِ ، ويختلف اختلاف الأهواء ، ويكثر
في تصرفه اضطرابه ، وتتفاذف^(٨) به أسبابه . وبين قول يجري في سببهِ على
نظام ، وفي رَصْفِهِ على مِنْهَاجٍ ، وفي وضعه على حَدٍّ ، وفي صفائه على باب ، وفي

(١) انظر شرحه في طبقات فحول الشعراء ص ٦٩

(٢) انظر شرحه في طبقات فحول الشعراء ص ٧٠

(٣) م : « والتعمل لمثله . . . زماننا اليوم »

(٤) م : « لغزائهم » ك : « لغزائهم »

(٦) م : « والتطلب له »

(٥) الزيادة من م

(٨) م : « وتتفاوت »

(٧) الزيادة من م

/ بِتَهَجِّتَهُ وَرَوَّفَقَهُ عَلَى طَرِيقٍ ، مُخْتَلِفُهُ مُؤْتَلَفٌ ، وَمُؤْتَلَفُهُ مُتَّحِدٌ ،
وَمُسْتَبَاعِدُهُ مُتْقَارِبٌ ، وَشَارِدُهُ مُطْبِعٌ ، وَمُطْبِعُهُ شَارِدٌ . وَهُوَ عَلَى مُتَّصِرَاتِهَا
وَاحِدٌ ، لَا يُسْتَصْعَبُ فِي حَالٍ ، وَلَا يُتَعَقَّدُ فِي شَأْنٍ .

* * *

وَكُنَّا أَرْدْنَا أَنْ نَتَصَرَّفَ فِي قِصَائِدٍ مَشْهُورَةٍ ، فَتَكَلَّمْنَا عَلَيْهَا ، وَنَدَلَّ عَلَى مَعَانِيهَا
وَمَحَاسِنِهَا ، وَنَذَكَّرَكَ لَكَ مِنْ فَضَائِلِهَا وَنِقَائِصِهَا ، وَنَبَسَطْنَا لَكَ الْقَوْلَ فِي هَذَا الْجِنْسِ ،
وَنَفْتَحَ عَلَيْكَ فِي هَذَا النَّهْجِ (١) .
ثُمَّ رَأَيْنَا هَذَا خَارِجًا عَنْ غَرَضِ كِتَابِنَا ، وَالْكَلَامُ فِيهِ يَتَّصِلُ بِنَقْدِ الشُّعْرِ وَعِيَارِهِ ،
وَوِزْنِهِ بِمِيزَانِهِ (٢) ، وَمَعْيَارِهِ ، وَلِذَلِكَ كُتِبَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُسْتَوْفَاةً ، وَتَصَانِيفٌ وَإِنْ لَمْ
تَكُنْ مُسْتَقْصَاةً .

وَهَذَا الْقَدْرُ يُكْفِي فِي كِتَابِنَا ، وَلَمْ نُحِبَّ أَنْ نَنْسَخَ (٣) لَكَ مَا سَطَّرَهُ الْأَدْبَاءُ فِي
خَطِّ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي الْعُرُوضِ وَالنَّحْوِ وَالْمَعَانِي ، وَمَا عَابَوْهُ عَلَيْهِ (٤) فِي أَشْعَارِهِ ،
وَتَكَلَّمُوا بِهِ عَلَى دِيْوَانِهِ . لِأَنَّ ذَلِكَ أَيْضًا خَارِجٌ عَنْ غَرَضِ كِتَابِنَا ، وَمُجَانِبٌ
لِمَقْصُودِهِ .

وَإِنَّمَا أَرْدْنَا أَنْ نَبَيِّنَ الْجُمْلَةَ (٥) الَّتِي بَيَّنَّاهَا . لَتَعْرِفَ أَنَّ طَرِيقَةَ الشُّعْرِ
/ شَرِيعَةٌ مَسْرُودَةٌ ، وَمَسْرُودَةٌ مَشْهُودَةٌ ، يَأْخُذُ مِنْهَا أَصْحَابُهَا عَلَى مَقَادِيرِ أَسْبَابِهِمْ ،
وَيَتَنَاوَلُ مِنْهَا ذُؤُوهَا عَلَى حَسَبِ أَحْوَالِهِمْ .

وَأَنْتَ تَجِدُ لِلْمُتَقَدِّمِ مَعْنَى قَدْ طَمَسَسَهُ الْمُتَأَخِّرُ بِمَا أَبْرَرَ عَلَيْهِ فِيهِ ، وَتَجِدُ
لِلْمُتَأَخِّرِ مَعْنَى قَدْ أَغْفَلَهُ الْمُتَقَدِّمُ ، وَتَجِدُ مَعْنَى قَدْ تَوَافَدَا عَلَيْهِ ، وَتَوَافَيْتَا إِلَيْهِ ،
فَهُمَا فِيهِ شَرِيكََا عَنَانَ ، وَكَأُنْهُمَا فِيهِ (٦) رَضِيْعَا لِسَبَّانٍ ، وَاللَّهُ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ
يَشَاءُ .

* * *

فَأَمَّا (٧) نَهْجُ الْقُرْآنِ وَنَظْمُهُ ، وَتَأْلِيفُهُ وَرِصْفُهُ ، فَإِنَّ الْعُقُولَ تَتَّبِعُهُ فِي جِهَتِهِ ،
وَتَحَارُ فِي بَحْرِهِ (٨) ، وَتَضَلُّ دُونَ وَصْفِهِ .

(٢) سقطت هذه الكلمة من م

(٤) م : « و به »

(٦) م : « وكلاهما فيه »

(١) م : « وتفسح عليك في هذا المنهج »

(٣) م : « وأحب أن أنسخ »

(٥) م : « نبين الحكمة »

(٧) م : « وأما »

ونحن نذكر لك في تفصيل هذا ما تستدلُّ به على الغرض ، وتستول به على
الأمَد ، وتصلُّ به إلى المقصد ، وتتصور إعجازه كما تتصور الشمس ،
وتتيقنُ تنَاهِي بلاغته كما تتيقنُ الفَجْر ، وأقرب عليك الغامض ، وأسهل
لك العسير .

واعلم أن هذا علم شريف المحلِّ ، عظيم المكان ؛ قليل الطلاب ، ضعيف
الأصحاب ؛ ليست له عشيرةٌ تحميه ، ولا أهلٌ عِصْمَةٌ تَقْظُنُّ لِمَا / فيه . وهو
أدقُّ من السحر ، وأهولُّ من البحر ، وأعجب من الشعر .

٢٨٠

وكيف لا يكون كذلك : وأنت تحسب أن وضع « الصبح » في موضع
« الفجر » يَحْسُنُ في كل كلام إلا أن يكون شعراً أو سجعاً ؟ وليس كذلك ؛
فإن إحدى اللفظتين قد تَسْفِرُ في موضع ، وتزِلُّ عن مكان لا تَزِلُّ عنه اللفظةُ
الأخرى ، بل تتمكن فيه ، وتضربُ بِجَرَانِهَا ، وتراها في مظانِّها ، وتجدُّها
فيه غير مُتَآزِعة إلى أوطانها ، وتجدُّ الأخرى — لو وُضعت مَوْضِعَها — في
محل نِفَار ، ومَرَمَى شِرَاد ، ونَابِيَّةً عن استقرار^(١) .

ولا أَكْثِرُ عليك المثل ، ولا أضربُ لك فيه الأمثال ، وأرجعُ بك إلى
ما وعدتُك^(٢) من الدلالة ، وضمنتُ لك من تقريب المقالة .

فإن كنت لا تعرف الفصل الذي بينا بين اللفظتين على اختلاف مواقع الكلام ،
ومتَصَرِّفات مَجَارِي النِّظَام ، لم تستفدْ مما نُقَرَّرَ به عليك شيئاً ، وكان التقليدُ
أولى بك ، والاتباعُ أَوْجِبَ عليك . ولكل شيء سبب ، ولكل علم طريق ؛
ولا سبيل إلى الوصول إلى الشيء من غير طريقه ، ولا بلوغ غايته من غير
سبيله .

* * *

/ خذ الآن — هداك الله — في تفرغ^(٣) الفِكر ، وتَخْلِيَةَ البال ؛ وانظر
فيما نعرض عليك ، ونُهدِيه إليك ؛ متوكلاً على الله ، ومعتصماً به ، ومستعيداً به
من الشيطان الرجيم ؛ حتى تَنَقِّفَ على إعجاز القرآن العظيم .

٢٨١

(٢) ك : « وما وعدتُك به »

(١) م : « ونابية عن اسفرار »

(٣) م : « مع تفرغ »

شماه الله عز ذكره «حكيمًا» و «عظيمًا» و «مَجِيدًا» .

وقال : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (١) .

وقال : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ وَلَوْ أَنْ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ، بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ (٣) .

وقال : ﴿ قُلْ لئنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٤) .

وأخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين القزويني ، حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن عثمان ، حدثنا أبو يوسف الصيّد لاني ، حدثنا محمد بن سلمة ، / عن أبي سينان ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري الطائي ، عن الحارث الأعور ، عن علي رضي الله عنه ، قال :

قيل : يا رسول الله ، إن أمتك ستفتتن من بعدك ؛ فسأل أو سئل : ما المخرج من ذلك ؟

فقال : « بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ؛ من ابتغى العلم في غيره أضله الله ، ومن ولي هذا من جبّار فحكّم بغيره قصمه الله ؛ وهو الذكر الحكيم ، والنور المبين ، والصراف المستقيم . فيه خبير من قبلكم ، وتبيان من بعدكم ؛ وهو فصل ، ليس بالهزل . وهو الذي [لما] سمعته الجن قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ (٥) لا يخلق على طول الرد ، ولا تنقضي عبره ، ولا تنفي عجائبه (٦) .

وأخبرني أحمد بن علي بن الحسن ، أخبرنا أبي ، أخبرنا بشر بن عبد الوهاب ،

(٢) سورة الحشر : ٢١

(٤) سورة الإسراء : ٨٨

(٦) انظر عيون الأخبار ٢ - ٣١٣

(١) سورة فصلت : ٤٢

(٣) سورة الرعد : ٣١

(٥) سورة الجن : ٢

أخبرنا هشام بن عبيد الله ، حدثنا المسيب بن شريك ، عن عبيدة^(١) ، عن أسامة بن أبي عطاء^(٢) ؛ قال : أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي رضي الله عنه في ليلة ، فذكر نحو ذلك في المعنى ، وفي بعض ألفاظه اختلاف .

٢٨٣

وأخبرنا أحمد بن علي بن الحسن ، أخبرنا أبي ، أخبرنا بشر بن عبد الوهاب ، أخبرنا هشام بن عبيد الله ، حدثنا المسيب بن شريك ، عن بشر بن نمير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ؛ قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ ثلث القرآن أعطى ثلث النبوة ، ومن قرأ نصف القرآن أعطى نصف النبوة ، ومن قرأ القرآن كله أعطى النبوة كلها غير أنه لا يوحى إليه » . وذكر الحديث^(٣) .

* * *

ولو لم يكن من عظم شأنه إلا أنه طبق الأرض أنوارُه ، وجلّل الآفاق ضياؤه ، ونفذ في العالم حكمه ، وقبّل في الدنيا رسمه ؛ وطمس ظلام الكفر بعد أن كان مضروب الرواق ، ممدود الأطناب ، مرسوم الباع ، مرفوع العماد ليس على الأرض من يعرف الله حق معرفته ، أو يعبده حق عبادته ، أو يدّين بعظمته ، أو يعلم علو جلالته ، أو يتفكر في حكمته . فكان كما وصفه الله تعالى جل ذكره ، من أنه نور ، فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ

٢٨٤

(١) « عبيدة » بضم العين المهملة ، وهو ابن الأسود بن سعيد الهمداني الكوفي ، راجع ترجمته في التهذيب ٨٦/٧ .

(٢) أسامة بن أبي عطاء هذا : تابعي ، يروي عن علي بن أبي طالب ، ترجمه البخاري في التاريخ الكبير ج ١ ق ١ ص ٢٣ ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ج ١ ق ٢ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .
(٣) سألت الشيخ أحمد محمد شاكر عن هذا الحديث فكتب يقول : « هذا الحديث مكذوب لا أصل له ، وكفى أن يكون في إسناده " بشر بن نمير القشيري البصري " قال يحيى بن سعيد القطان في شأنه : " كان ركناً من أركان الكذب " . وقال أحمد بن حنبل : " يحيى بن العلاء كذاب يضع الحديث ، وبشر بن نمير أسوأ حالا منه " . وبشر هذا يروي عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة أحاديث في نسخة له ، قال الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال ١٥١/١ - ١٥٢ بعد أن ذكر الحديث الذي هنا : " ويلبشر عن القاسم نسخة كبيرة ساقطة " . وقال شعبة بن الحجاج : " كان بشر بن نمير لو قيل له : ماشاء الله - لقال : القاسم عن أبي أمامة " !! يعني جرأته على الكذب والاختراع » .

نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾
 فانظر — إن شئت — إلى شريف هذا النظم ، وبديع هذا التأليف ، وعظيم
 هذا الرِّصْف (٢) ؛ كل كلمة من هذه الآية تامة ، وكل لفظ بديعٌ وأقبعٌ .

قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ : يدل على صدورهِ
 من الرُّبُوبِيَّةِ ، وَيُسَبِّحُ عَنْ وُرُودِهِ عَنِ الإِلَهِيَّةِ . وهذه الكلمة بمنفردِها وأخواتِها (٣)
 كلُّ واحدةٍ منها لو وَقَعَتْ بَيْنَ كَلَامٍ كَثِيرٍ — تَمَيَّزَتْ عَنْ جَمِيعِهِ ، وكان واسطة
 عِقْدِهِ ، وفاتحة عَقْدِهِ ؛ وَغَيْرَةُ شَهْرِهِ ، وَعَيْنَ دَهْرِهِ .

وكذلك قوله : ﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ ،
 فجعله رُوحًا ؛ لأنه يَجِي (٤) ، الخَلْقُ ، فَله فَضْلُ الأرواحِ فِي الأَجْسَادِ . وجعلته
 نُورًا ؛ لأنه يَضِيءُ ضِيَاءَ الشَّمْسِ فِي الآفَاقِ . ثم أَضَافَ وَقُوعَ / الهدايةِ بِهِ إِلَى
 مَشِيئَتِهِ ، وَوَقَفَ وَقُوعَ (٥) الأَسْرَادِ بِهِ عَلَى إِرَادَتِهِ ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَهْتَدِيَ
 إِلَيْهِ لَوْلَا تَوْفِيقُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَعْلَمَ مَا فِي الكِتَابِ وَلَا الإِيْمَانَ لَوْلَا تَعْلِيمُهُ ؛ وَأَنَّهُ
 لَمْ يَكُنْ لِيَهْتَدِيَ — فَكَيْفَ كَانَ يَهْتَدِي — لَوْلَاهُ ، فَقَدْ صَارَ (٦) يَهْدِي ، وَلَمْ يَكُنْ (٦)
 مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ لِيَهْتَدِيَ (٧) ، فَقَالَ :

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ ، أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ (٨) .

فانظر إلى هذه الكلمات الثلاث : فَالكَلِمَتَانِ الأَوَّلِيَّتَانِ مُؤْتَلِفَتَانِ . وقوله :
 ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ كلمةٌ مَنْفَصِلَةٌ مَبَايِنَةٌ للأوَّلَى ، قَدْ صَيَّرَهَا
 شَرِيفُ النِّظْمِ أَشَدَّ ائْتِلَافًا مِنَ الكَلَامِ المُؤَالِفِ ، وَأَلْطَفَ ائْتِظَامًا مِنَ الحَدِيثِ
 المَلَامِ .

وبهذا يبين فضل الكلام ، وتظهر فصاحته وبلاغته .

الأمر أظهر — والحمد لله — والحال أبين من أن يحتاج إلى كشف .

(٢) م : « على أن كل »

(١) سورة الشورى : ٥٢

(٤) م : « يجي به »

(٣) س : « وأخواتها »

(٦) ما بين الرقمين مكانه بياض في ك

(٥) كذا في م وفي س ، ك : « وقوف »

(٨) سورة الشورى : ٥٣

(٧) م : « ليهدي »

تأمل قوله : ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ، وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(١) .

/ انظر إلى هذه الكلمات الأربع التي ألّف بينها ، واحتجّ بها على ظهور قدرته ، ونفاذ أمره ، أليس كلُّ كلمة منها في نفسها غرّة ؟ وبمفردتها^(٢) درّة ؟

٢٨٦

وهو - مع ذلك - يبين أنه يصدر عن علو الأمر ، ونفاذ القهْر ؛ ويتجلّى في بهجة القدرة ، ويتحلّى بخالصة العزّة ، ويجمع السّلاسة إلى الرّصانة ، والسّلامة إلى المتانة ؛ والرونق الصّافي ، والبهاء الصّافي .

ولست أقول : إنه شمل الإطباق المليح ، والإيجاز اللطيف ، والتعديل والتّمثيل ، والتّقريب والتّشكيل - وإن كان قد جمع ذلك وأكثر منه - لأنّ العجيب ما بيّنًا من انفراد كلِّ كلمة بنفسها ، حتى تصلح أن تكون عين رسالة أو خطبة ، أو وجه قصيدة أو فقرة . فإذا ألّفت ازدادت [به] حسناً [وإحساناً]^(٣) ، وزادتك - إذا تأملت - معرفةً وإيماناً .

* * *

ثم تأمل قوله : ﴿وَأَيُّ لُحْمٍ يُسْتَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^(٤)

هل تجد / كلّ لفظة ، وهل تعلم كلّ كلمة ، تستقل بالاشتمال على نهاية البديع ، وتتضمن شرط القول البليغ ؟

٢٨٧

فإذا كانت الآية تنتظم من البديع ، وتتألف من البلاغات ، فكيف لا نفوت

(٢) كذا في م ، ك وفي س « وبمفردتها »

(١) سورة الأنعام : ٩٦

(٤) سورة يس : ٣٧ - ٣٩

(٣) الزيادة من م

حدّ المعهود، ولا تتجاوز^(١) شأوَ المألوف؟ وكيف^(٢) لا تحوز قصبَ السبق ،
ولا تتعالى عن كلام الخلق ؟

ثم اقصده إلى سورة تامة ، فتصرّف في معرفة قصصها ، وراع ما فيها
من براهينها وقصصها .

تأمل السورة التي يُذكر فيها « النمل » وانظر في كلمة كلمة ، وفصل
فصل .

بدأ بذكر السورة ، إلى أن بيّن أن القرآن من عنده ، فقال :
﴿ وَإِنَّكَ لَتُلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾^(٣) . ثم وصل بذلك قصة موسى
عليه السلام ، وأنه رأى ناراً ، ﴿ فقال لأهله : امكثوا إني آنست ناراً ، سأتيكم
منها بخبرٍ أو آتيكم بشهابٍ قبسٍ لعلكم تضطلون ﴾^(٤) .

وقال في سورة طه في هذه القصة : ﴿ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ / أَوْ أَجْدُ
عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾^(٥) . وفي موضع : ﴿ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنْ
النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَضْطَلُونَ ﴾^(٦) .

قد^(٧) تصرّف في وجوه ، وأتى بذكر القصة على ضروب ، ليُعْلِمَهُمْ
عجزهم عن جميع طُرُق ذلك . ولهذا قال : ﴿ فليأتوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾^(٨) .

ليكون أبلغ في تعجيزهم ، وأظهر للحجة عليهم .
وكل كلمة من هذه الكلمات ، وإن أنبأت عن قصة ، فهي بليغة بنفسها ،
تامة في معناها .

ثم قال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ،
وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٩) .

فانظر إلى ما أجرى له^(١٠) الكلام ، من علو أمر هذ النداء ، وعِظَم شأن

(٢) ب ، س « فكيف »

(٤) سورة النمل : ٨

(٦) سورة القصص : ٢٩

(٨) سورة الطور : ٣٤

(١٠) م : « إليه »

(١) كذا في م ، ك وفي س « ولا تحوز »

(٣) سورة النمل : ٦

(٥) سورة طه : ١٠

(٧) م : « فقد »

(٩) سورة النمل : ٨

هذا الشَّاء^(١) ، وكيف انتظم مع الكلام الأوَّل ، وكيف اتصل بتلك المقدمة ، وكيف وصل بها ما بعدها من الإخبار عن الرُّبُوبِيَّةِ ، وما دلَّ به عليها من قلب العصا حيةً ، وجعلها دليلاً يدلُّه عليه ، ومعجزةً تهديه إليه ؟

/ وانظر إلى الكلمات المفردة القائمة بأنفسها في الحسن ، وفيما تتضمنه من المعاني الشريفة ، ثم ما شَفَّعَ به هذه الآية ، وقرَنَ به هذه الدلالة : من اليَسَدِ البَيْضَاءِ — عن نور البرهان — من غير سُوءِ .

٢٨٩

ثم انظر في آية آية ، وكلمة كلمة : هل تجدها كما وصفنا : من عجبب النظم ، وبديع الرِّصْفِ ؟ فكل كلمة لو أَفْرَدَتْ كانت في الجمال^(٢) غايةً ، وفي الدلالة آيةً ، فكيف إذا قارنتها أخواتها ، وضامَّتْها ذواتها : [مما]^(٣) تجرى في الحسن مجراها ، وتأخذ في معناها ؟

ثم من قصة إلى قصة ، ومن باب إلى باب ، من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل ، وحتى يُصَوِّرَ^(٤) لك الفصل وصلًا ، ببديع^(٥) التأليف ، وبلغ التنزيل .

* * *

وإن أردت أن تبين ما قلناه فضل تبيين ، وتحقق بما ادعينا زيادة تحققٍ — فإن كنت من أهل الصنعة فاعمدْ إلى قصة من هذه القصص ، وحديث من هذه الأحاديث ، فعبِّرْ عنه بعبارة من جهتك ، وأخْبِرْ عنه بألفاظ من عندك ، حتى ترى فيما جئت به^(٦) النقصَ الظاهر، وتبينَ في نظم القرآن الدليلَ الباهر .

/ ولذلك^(٧) أعاد قصة موسى في سُورِ ، وعلى طرق شتى ، وفواصل مختلفة ، مع اتفاق المعنى . فلعلك ترجع إلى عقلك ، وتستر^(٨) ما عندك ، إن غلظت في أمرك ، أو ذهب في مذاهب وهمك ، أو سَلَطْتَ على نفسك وجه ظنِّك .

٢٩٠

- | | |
|-------------------------|----------------------------|
| (١) م « شأن هذه النبا » | (٢) م « في الكلام غاية » |
| (٣) الزيادة من م | (٤) م : « وحتى يتصور » |
| (٥) م : « لبديع » | (٦) م : « به من » |
| (٧) م : « وكذلك » | (٨) م : « إلى نفسك وتسير » |

متى تهيأ لبليغ أن يتصرف في قدر^(١) آية في أشياء مختلفة ، فيجعلها مؤتلفة ، من غير أن يبين على كلامه إعياء الخروج والتنقل ، أو يظهر على خطابه آثارُ التكلف^(٢) والتعمُّل ؟

وأحسبُ أنه لا يسلم من هذا - ومحال أن يسلم منه - متى^(٣) يظفر بمثل تلك الكلمات الأفراد ، والألفاظ الأعلام ، حتى يجمع بينها ، فيجلو^(٤) فيها فقرة من كلامه ، وقطعة من قوله . ولو اتفق لـ في أحرف معدودة ، وأسطر قليلة ، فمتى يستفق له في قدر ما نقول : إنه^(٥) من القرآن معجز ؟

هيهات هيهات ! إن الصبح يتطمسُ النجوم وإن كانت زاهرةً ، والبحرَ يغمر الأنهارَ وإن كانت زاحرةً .

٢٩١ / متى^(٦) تهيأ للآدمي أن يقول في وصف كتاب سليمان عليه السلام ، بعد ذكر العنوان والتسمية ، هذه الكلمة الشريفة العالية : ﴿ أَلَا تَعَلُّوْا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾^(٧) . والخلوص من ذلك إلى ما صارت إليه من التدبير ، واشتغلت به من المشورة ، ومن تعظيمها أمر المستشار ، ومن تعظيمهم أمرها وطاعتها^(٨) ، بتلك الألفاظ البديعة ، والكلمات العجيبة البليغة .

ثم كلامها بعد ذلك ، [ألا] تعلم^(٩) تمكن قولها : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ، مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾^(١٠) .

وذكر قولهم : ﴿ قَالُوا : نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسِّ شَدِيدٍ ، وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ ، فإَنْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾^(١١) ، لا تجد في صفتهم أنفسهم أربع^(١٢) مما وصفهم به .

وقوله : ﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ ﴾ ، تعلم براعته بنفسه ، وعجيب معناه ، وموضع

- | | |
|-------------------------|-----------------------------------|
| (٢) م : « التكليف » | (١) م : « في صدر » |
| (٤) م : « فيخلو » | (٣) م : « حتى » |
| (٦) م : « فتي » | (٥) م : « آية من القرآن معجزة » . |
| (٨) م : « وطاعتهم لها » | (٧) سورة النمل : ٣١ |
| (١٠) سورة النمل : ٣٢ | (٩) س : « بعد ذلك لتعلم » |
| (١٢) س : « أبداع » | (١١) سورة النمل : ٣٤ |

اتفاقه في هذا الكلام ، وتمكّن الفاصلة^(١) ، وملاءمته لما قبله ، وذلك قوله :
﴿فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ؟﴾ .

/ ثم إلى هذا الاختصار ، وإلى البيان مع الإيجاز . فإن الكلام قد يفسده الاختصار ، ويعميه التخفيف منه والإيجاز ، وهذا مما يزيد الاختصار بسطاً لممكنه ووقوعه ، ويتضمن الإيجاز منه تصرفاً يتجاوز محله وموضعه .

وكم جئت إلى كلام مبسوط يَضِيقُ عن الأفهام ، ووقعت على حديث طويل يقصر عما يراد به من^(٢) التام ، ثم لو وقع على الأفهام [والتام ، أخل بما]^(٣) يجب فيه من شروط الإحكام ، أو بمعاني القصة وما تقتضى من الإعظام .

ثم لو ظفرت بذلك كَلِمَةً ، رأيتَه ناقصاً في وجه الحكمة ، أو مَدْحُولاً في باب السياسة ، أو مَضْعُوفاً^(٤) في طريق السيادة ، أو مشترك الغبارات إن كان مستجود المعنى ، [أو مستجود العبارة مشترك المعنى]^(٥) ، أو جيد البلاغة مُسْتَجَلَبَ^(٦) المعنى ، أو مستجلب البلاغة جيد المعنى ، أو مستنكر اللفظ وحشي العبارة ، أو مستبهّم الجانب مستكره الوضع .

وأنت لا تجد في جميع ما تلونا عليك إلا ما إذا بُسِطَ أفاد ، وإذا اختصِرَ كمل في بابه وجاد ؛ وإذا سَرِحَ الحكيمُ في جوانبه طُرفَ / خاطره^(٧) ، وبعث العليم في أطرافه عيون مباحثه ، لَسَمَ يَقَعُ إلا على محاسن تتوالى ، وبدائع تترى^(٨) . ثم فكّر بعد ذلك في آية آية ، أو كلمة كلمة ، في قوله : ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا

دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ، وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ، وكذلك يَفْعَلُونَ^(٩) .
هذه الكلمات الثلاث ، كل واحدة منها كالنجم في علوه ونوره ، وكالياقوت

(١) م : « تمكّن ألفاظه »

(٢) م : « على »

(٣) م ، س ، ك : « أو مصفوقاً ! »

(٤) الزيادة من م ومكانها بياض في ك

(٥) م : « مستحيل المعنى أو مستحيل » .

(٦) الزيادة من م

(٧) م : « أو »

(٨) هذا الاستعمال من الباقلاني يكاد يوهم القارئ أن كلمة « تترى » فعل مضارع ، إذ جعلها زمالة لكلمة « تتوالى » ! و « تترى » اسم ، بمعنى : متواترين ، ولذلك يجوز تنوينها . ففي اللسان ١٣٧/٧ - ١٣٨ « وجاءوا تترى وتتراً ، أى متواترين . التاء مبذلة من الواو . قال ابن سيده : وليس هذا البديل قياساً ، إنما هو في أشياء معلومة »

(٩) سورة النمل : ٣٤

بتلاؤاً بين شدُّورِهِ . ثم تأملْ . تمكَّنْ الفاصلة - وهي الكلمة الثالثة - وحسن موقعها ، وعجيب حكمتها^(١) ، وبارع معناها .

وإن شِرتُ لك ما في كل آية طال عليك الأمر ، ولكني قد بيَّنتُ بما فسرت ، وقرَّرت بما فصَّلت - الوجهَ الذي سلكتُ . والنحوَ الذي قصدتُ ، والغرضَ الذي إليه رميتُ ، والسَّمْتَ الذي إليه دعوتُ .
ثم فكَّرْ بعد ذلك في شيء أدلك عليه :

وهو تعادُلُ هذا النظم في الإعجاز ، في مواقع الآيات القصيرة ، والطويلة ، والمتوسطة .

٢٩٤ / فأجِّلِ الرَّأْيَ في سورة سورة ، وآية آية ، وفاصلة فاصلة ، وتدبِّرِ الخَوَاتِمَ ،
والفَوَاتِحَ ، والبِوَادِيَّ^(٢) ، والمقاطع ، ومواضع الفِصْلِ والوصل ، ومواضع التنقل والتحول ، ثم اقضِ ما أنت قاض .
وإن طال عليك تأمل الجميع ، فاقتصر على سورة واحدة ، أو على بعض سورة^(٣) .

* * *

ما رأيك في قوله : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ . وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا . يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ . يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ . إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٥) ؟

هذه تشتمل على ست كلمات ، سناؤها وضياؤها على ما ترى ، وسلاستها وماؤها على ما تشاهد ، ورونقها على ما تعين ، وفصاحتها على ما تعرِّف .

وهي تشتمل على جملة وتفصيل : [وجامعة]^(٥) وتفسير : ذكر العلوِّ في الأرض باستضعاف الخلق بذبح الولدان وسبي^(٦) النساء ، وإذا تحكَّم في هذين الأمرين فما ظنك بما دونهما ! ؟ لأنَّ النفوس لا تطمئن على هذا الظلم ، والقلوب لا تقترُّ على هذا الجور .

(٢) م : « والبيادي »

(١) س : « حكمتها »

(٤) سورة القصص : ٤

(٣) س : « سور » م « أو بعض »

(٦) م : « لذبح الولدان ، واستحياء » .

(٥) الزيادة من م

/ ثم ذَكَرَ الفاصِلَةَ الَّتِي أُوغِلَتْ فِي التَّأْكِيدِ، وَكَفَّتْ فِي التَّظْلِيمِ، وَرَدَّتْ آخِرَ الْكَلَامِ عَلَى أَوَّلِهِ، وَعَطَفَتْ عَجْزَهُ عَلَى صَدْرِهِ.

ثم ذكر وعده تخليصهم بقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (١). وهذا من التأليف بين المؤتلف، والجمع بين المُستأنس.

كما أن قوله: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٢).

وهي خمس كلمات، متباعدة في المواقع: نائبةُ المَطَارِحِ، قد جعلها النَّظْمُ البديعُ أشدَّ تَأَلُفًا (٣) من الشيءِ المُؤْتَلَفِ في الأصل، وأحسن توافقاً من المِئْتَابِيقِ في أولِ الوَضْعِ.

ومثل هذه الآية قوله: ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ. سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٤).

ومثلها: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا، فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَنْسُكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا، وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥).

/ ومن المؤتلف قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ، فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (٦). وهذه ثلاث كلمات، كل كلمة منها أعزُّ من الكِثْرِيَّتِ الأَحْمَرِ.

ومن الباب الآخر (٧) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، لَهُ الْحُكْمُ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨).

* * *

كل سورة من هذه السور تتضمن من القَبَصِصِ ما لو تكلفت العبارة عنها بأضعاف كلماتها، لم تستوف ما استوفته. ثم تجد فيما تنظم ثِقَلِ النَّظْمِ،

(٢) سورة القصص : ٧٧

(٤) سورة القصص : ٦٨

(٦) سورة القصص : ٨١

(٨) سورة القصص : ٨٨

(١) سورة النمل : ٥

(٣) م : « تَأَلُفًا »

(٥) سورة القصص : ٥٨

(٧) كذا في ك، س وفي م : « ومن الباب قوله »

وَنُفُورَ الطَّيْعِ ، وَشِرَادَ^(١) الْكَلَامِ ، وَتَهَاوُتَ الْقَوْلِ . وَتَمَنُّعَ جَانِبِهِ ، وَقُصُورَ كَ فِي الْإِيضَاحِ عَنِ وَاجِبِهِ . ثُمَّ لَا تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تَنْتَقِلَ مِنْ قِصَّةٍ إِلَى قِصَّةٍ ، وَفَصَلَ إِلَى فَصَلٍ ، حَتَّى تَتَبَّرَ^(٢) عَلَيْكَ مَوَاضِعُ الْوَصْلِ ، وَتَسْتَصْعِبَ عَلَيْكَ أَمَاكِنَ الْفَصْلِ . ثُمَّ لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَصِلَ بِالْقِصَصِ مَوَاعِظَ زَاجِرَةٍ ، وَأَمْثَالَ سَائِرَةٍ وَحَكْمًا جَلِيلَةٍ ، وَأَدْلَةً عَلَى التَّوْحِيدِ بَيِّنَةٍ ، وَكَلِمَاتٍ فِي التَّنْزِيهِ وَالتَّحْمِيدِ^(٣) شَرِيفَةٍ .

٢٩٧ وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَتَحَقَّقَ مَا وَصَفْتُ لَكَ ، فَتَأْمَلْ شِعْرَ مَنْ شِئْتَ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمُفْلِحِينَ . هَلْ تَجِدُ كَلَامَهُ فِي الْمَدِيحِ وَالغَزْلِ وَالْفَخْرِ وَالْمَجْوَ بِجَرَى مَجْرَى كَلَامِهِ فِي ذِكْرِ الْقِصَصِ ؟

إِنَّكَ لَتَرَاهُ إِذَا جَاءَ إِلَى وَصْفِ وَقَعَةٍ^(٤) . أَوْ نَقَلَ خَبْرًا : عَامَى الْكَلَامِ ، سَوَقِيَّ الْخُطَابِ . مَسْتَرَسِلًا فِي أَمْرِهِ . مَتَسَاهِلًا فِي كَلَامِهِ . عَادِلًا عَنِ الْمَأْلُوفِ مِنْ طَبْعِهِ ، وَنَاكِبًا عَنِ الْمَعْرُودِ مِنْ سَجِيَّتِهِ . فَإِنْ اتَّفَقَ لَهُ فِي قِصَّةِ كَلَامٍ جَيِّدٍ . كَانَ قَدْرُ ثَنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ . وَكَانَ مَا زَادَ عَلَيْهَا حَشْوًا . وَمَا تَجَاوَزَهَا لُغْوًا . وَلَا أَقُولُ : إِنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ عَادَتِهِ عَفْوًا . لِأَنَّهُ يَقْصِرُ عَنِ الْعَفْوِ . وَيَقِفُ دُونَ الْعُرْفِ ، وَيَتَعَرَّضُ لِلرَّكَائِكَةِ .

فَإِنْ لَمْ تَقْنَعْ بِمَا قُلْتُ لَكَ مِنَ الْآيَاتِ^(٥) ، فَتَأْمَلْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ السُّورِ^(٦) ، هَلْ تَجِدُ الْجَمِيعَ عَلَى مَا وَصَفْتُ لَكَ ؟

لَوْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا سُورَةً وَاحِدَةً لَكُنْفَتَ فِي الْإِعْجَازِ : فَكَيْفَ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ؟

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا حَدِيثٌ مِنْ سُورَةِ لِكْنَفَتِي . وَأَقْنَعُ وَشَفَقَتِي . وَلَوْ عَرَفْتَ قَدْرَ قِصَّةِ مُوسَى وَحَدَّثَا مِنْ سُورَةِ الشُّعْرَاءِ ، لَمَا طَلَبْتَ بَيِّنَةً سِوَاهَا .

بَلْ قِصَّةٌ مِنْ قِصَصِهِ ، وَهِيَ قَوْلُهُ : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ،

٢٩٨ إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴾^(٧) إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْوُنٍ ، وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ

(١) م : « وشروء » (٢) كذا في ١ ، وفي س ، ك تبيين . وفي م « حتى تتمر »

(٣) م : « والتجويد » (٤) س : « واقعة »

(٥) كذا في م . وفي س ، ك : « من الآيات » (٦) أ : « من الشعر »

(٧) سورة الشعراء : ٥٢

كريم . كذلك وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ^(١) حتى قال : ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ . فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ﴾^(٢) .

ثم قصة إبراهيم عليه السلام .

ثم لو لم تكن إلا الآيات التي انتهى إليها القول في ذكر القرآن ، وهي قوله : ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٣) .

وهذه كلمات مفردة^٤ بفواصلها ، منها ما يتضمن فاتحة وفاصلة ، ومنها ما هي فاتحة وواسطة وفاصلة ، ومنها كلمة بفواصلها تامة .

دل على أنه نزل على قلبه ليكون نذيراً ، وبَيَّنَّ أَنَّهُ آيَةٌ لِكُونِهِ نَبِيًّا ، ثم وصل بذلك كيفية النذارة فقال: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ، وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤) .

فتأمل آية آية ، لتعرف الإعجاز ، وتبين التصرف البديع ، والتنقل في الفصول إلى آخر السورة .

ثم راعِ المقطع العجيب . وهو قوله : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٥) .

/ هل يُحَسِّنُ [أحد]^(٦) أن يأتي بمثل هذا الوعيد؟ وأن يَنْظِمَ^(٧) مثل هذا النظم ، وأن يجد مثل هذه النظائر السابقة ؟ ويُصَادَفُ^(٨) مثل هذه الكلمات المتقدمة ؟

ولولا كراهة الإملال ، لجئت إلى كل فصل ، فاستقرت على الترتيب كلماته . وبينت لك ما في كل واحدة منها من البراعة ، وعجيب^(٩) البلاغة .

(٢) سورة الشعراء : ٦٣

(١) سورة الشعراء : ٥٧ - ٦٠

(٤) سورة الشعراء : ٢١٤ - ٢١٥

(٣) سورة الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥

(٦) الزيادة من م .

(٥) سورة الشعراء : ٢٢٧

(٧) س ، ك : « وأن تنظم . . . وأن تجد . . . وتصادف »

(٩) س ، ك : « ومن عجيب »

(٨) م : « السابقة . . . مثل الكلمات »

ولعلك تستدل بما قلنا على ما بعده ، وتستضيء بنوره ، وتهتدى بهداه .

ونحن نذكر آيات آخر ، لتزداد استبصاراً ، وتيقن^(١) تيقناً :

تأمل من الكلام المؤلف قوله : ﴿ حَمِّ . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ، ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِلَهَ الْمَصِيرِ ﴾^(٢) .

أنت قد تدرّبت الآن بحفظ أسماء الله تعالى وصفاته ، فانظر متى وجدت في كلام البشر وخطبهم مثل هذا النظم في هذا القدر ، وما يجمع ما تجمع هذه الآية من شريف المعاني وحسن الفاتحة والخاتمة .

/ ثم اتل^(٣) ما بعدها من الآي ، واعرف وجه الخلوص من شيء إلى شيء : من احتجاج إلى وعيد ، ومن إعداء إلى إنذار ، ومن فنون من الأمر شيء ، مختلفة تأتلف بشريف النظم ، ومباعدة تتقارب^(٤) بعلى الضم .

ثم جاء إلى قوله : (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ، وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ، فَآخَذْتُهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ، وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ)^(٥) .

الآية الأولى أربعة فصول ، والثانية فصلان .

وجه الوقوف على شرف^(٦) الكلام : أن تتأمل موقع قوله :

﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ وهل تقع في الحسن موقع قوله : « لياخذوه » كلمة ؟ وهل تقوم مقامه في الجزالة لفظة ؟ وهل يفسد مسده في الأصالة نكته ؟ لو وُضِعَ موضع ذلك « ليقتلوه » ، أو « ليرجموه » . أو « لينفوه » ، أو « ليطرده » ، أو « ليهلكوه » ، أو « ليلذوه » ، ونحو هذا ، ما كان ذلك بديعاً^(٧) ولا بارعاً ، ولا عجيبيّاً ولا بالغاً .

(١) كذا في م . ففس « وتقدم » ولك : « ويتقدم » (٢) سورة غافر : ١ - ٣

(٣) س ، لك : « واتل » (٤) كذا في س ، لك . ففس : « تتقارب بعلى الكلام »

(٥) سورة غافر : ٥ - ٦ م : « على شريف »

(٧) كذا في م . وفي س ، لك : « بديعاً »

/ فانقُذَ موضع هذه الكلمة ، وتعلّم بها ما تذهب إليه من تخير^(١) الكلام ،
[وانتقاء]^(٢) الألفاظ ، والاهتداء للمعاني .

فإن كنت تقدّر أن شيئاً من هذه الكلمات التي عددها^(٣) عليك أو غيرها ،
[يقوم مقام هذه اللفظة - لم تَقِيفْ]^(٤) على غرضنا من هذا الكتاب ، فلا سبيل
لك إلى الوقوف على تصاريف الخطاب ، فافزع إلى التقليد ، واكف نفسك
مؤونة التفكير .

وإن فطنت ؛ فانظر إلى ما قال من ردّ عجز الخطاب إلى صدره ، بقوله :
﴿ فأخذتهم ، فكيف كان عقاب ﴾ ثم ذكر عقبيها العذاب في الآخرة ، وأتلاها
تلوّ العذاب في الدنيا ، على الإحكام الذي رأيت^(٥) .

ثم ذكر المؤمنين بالقرآن ، بعد ذكر المكذّبين بالآيات والرسل ، فقال :
﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾^(٦)
إلى أن ذكر ثلاث آيات .

/ وهذا كلام مفصول ، تعلم^(٧) عجب اتصاله بما سبق ومضى ، وانتسابه إلى
ما تقدم وانقضى ، وعظم موقعه^(٨) في معناه ، ورفع ما يتضمن من تحميدهم
وتسبيحهم ، وحكاية كيفية دعاء الملائكة بقوله : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ
رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾^(٩) .

هل تعرفُ شرفَ هذه الكلمة لفظاً ومعنى ، ولطيفَ هذه الحكاية ، وتلاؤمَ
هذا الكلام ، وتشاكلَ هذا النظام ؟ فكيف^(١٠) يهتدى إلى وضع هذه المعاني
بشّريّ ، وإلى تركيب ما يلائمها من الألفاظ إنسيّ ؟
ثم ذكر ثلاث آيات في أمر الكافرين على ما ترى .

ثم نبّه على أمر القرآن ، وأنه من آياته ، بقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ

(١) س ، ك : « من نخب » . (٢) الزيادة من م ، ومكانها بياض في ك

(٣) مكان هذه الكلمة بياض في ك

(٤) الزيادة من م ، وفي س ، ك « عليك أو غيرها لا تقف بك على غرضنا » .

(٥) سورة غافر : ٧

(٦) م : « على الأحكام التي رادت »

(٧) س ، ك : « وتقفى وعظم موضعه »

(٨) ك : « يعلم »

(٩) سورة غافر : ٧

(١٠) س ، ك : « وكيف »

آيَاتِهِ ، وَيُنزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ، وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١١﴾
 وإنما ذكر هذين الأمرين اللذين يختص بالقدرة عليهما ، لتناسبهما في أنهما
 من تنزيله من السماء ، ولأن الرزاق الذي لو لم (٢) يرزق لم يمكن بقاء النفس ،
 تَجِبُ طَاعَتُهُ وَالنَّظَرُ فِي آيَاتِهِ .

٣٠٣ / ثم قال : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، رَفِيعُ
 الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ، يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ،
 لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ، يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ، لِمَنِ
 الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٣﴾ .

قف على هذه الدلالة (٤) ، وفكر فيها ، وراجع نفسك في مراعاة معاني هذه
 الصفات العالية ، والكلمات السامية ، والحكم البالغة ، والمعاني الشريفة —
 تَعَلَّمْ وُرُودَهَا عَنِ الْإِلَهِيَّةِ ، ودلائلها على الربوبية ، وتحقق أن الخطب
 المنقولة عنهم ، والأخبار الماثورة في كلماتهم الفصيحة ، من الكلام الذي تعلق
 به الهمم البشرية ، وما تحوُّم عليه الأفكار الآدمية ، وتعرف مسألتها لهذا
 الضرب من القول .

أى خاطر يتشوف إلى أن يقول : ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ
 مِنْ عِبَادِهِ . لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ . يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ ؟
 وأى لفظ يدرك هذا المضمار ؟ وأى حكيم يهتدى إلى ما لهذا من الغور ؟
 وأى فصيح يهتدى إلى هذا النظم ؟

ثم استقرئ الآية إلى آخرها ، واعتبر كلماتها ، وراع بعدها قوله :
 ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ . لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ﴿٥﴾ .

٣٠٤ / مَنْ يَقْدِرُ عَلَى تَأْلِيفِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ ، عَلَى قَرْبِهَا ، وَعَلَى خَفْتِهَا فِي
 النِّظْمِ ، وَمَوْقِعِهَا مِنَ الْقَلْبِ ؟

(٢) م : « الذي لم »

(١) سورة غافر : ١٣

(٣) سورة غافر : ١٤ - ١٦ (٤) م : « الآية » (٥) سورة غافر : ١٧

ثم تأمل قوله : وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ
مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ، يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي
الْصُّدُورُ ، وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ،
إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ .

كل كلمة من ذلك على ما قد وصفتها (٢) : من أنه إذا رآها الإنسان
في رسالة كانت عينها ، أو في خطبة كانت وجهها ، أو قصيدة كانت (٣) غرّة
غرّتها ، وبيت قصيدتها ، كالياقوتة التي تكون فريدة العقد ، وعين
القلادة ، ودرة الصدر ، إذا وقع بين كلام وشحه ، وإذا ضمن (٤) في
نظام زينه ، وإذا اعترض في خطاب تميز عنه ، وبأن بحسنه منه .

ولست أقول هذا لك في آية ، دون آية ، وسورة دون سورة ، وفصل دون فصل ،
وقصة دون قصة ، ومعنى دون معنى ؛ لأنني قد شرحت لك أن الكلام في حكاية
القصص والأخبار ، وفي الشرائع / والأحكام ، وفي الديانة والتوحيد ، وفي الحجج
والتشبيات ، هو خلاف الكلام فيما عدا هذه الأمور .

ألا ترى أن الشاعر المفلّق إذا جاء إلى الزهد قصر ، والأديب إذا تكلم في
بيان الأحكام وذكر الحلال والحرام ، لم يكن كلامه على حسب كلامه في غيره .
ونظم القرآن لا يتفاوت في شيء ، ولا يتباين في أمر ، ولا يختل في حال ؛
بل له المثل الأعلى ، والفضل الأسنى .

وفيا شرحناه لك كفاية ، وفيما بيناه بلاغ .

* * *

ونذكر في الأحكاميات وغيرها آيات آخر :

منها قوله : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ؟ قُلْ : أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا
عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ ، تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ، فَكُلُوا مِمَّا
أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ، وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥﴾ .

(٢) م : « على قدر ما وصفها » .

(٤) م : « وإذا نظم »

(١) سورة غافر : ١٨ - ٢٠

(٣) م : « وكانت غرّتها »

(١) سورة المائدة : ٤

أنت تجد في هذه الآية من الحكمة والتصرف العجيب ، والنظم البارع [الغريب] (١) ، ما يدلک - إن شئت - على الإعجاز ، مع هذا الاختيار والإيجاز ، فكيف إذا بلغ ذلك آيات (٢) ، أو كانت سورة ؟ .

٣٠٦

ونحو هذه الآية قوله : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

وكالآية التي بعدها في التوحيد وإثبات النبوة، وكالآيات الثلاث في الموارث . أي بارع يقدر على جمع أحكام الفرائض في قدرها من الكلام ؟ ثم كيف يقدر على ما فيها من بديع النظم (٤) ؟

وإن جئت إلى آيات الاحتجاج ، كقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ، لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (٥) .

وكالآيات في التوحيد ، كقوله : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦) .

٣٠٧

وكقوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا . الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (٧) .

وكقوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٨) ، إلى آخرها .

وكقوله : ﴿ وَالصَّافَاتِ صَفًّا ، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ،

(٢) س ، ك : « وكانت »

(١) الزيادة من م

(٤) م : « على مثل ما فيها من بليغ النظام »

(٣) سورة الأعراف : ١٥٧

(٦) سورة غافر : ٦٥

(٥) سورة الأنبياء : ٢٢ - ٢٣

(٨) سورة الملك : ١

(٧) سورة الفرقان : ١ - ٢

إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ،
 إِنَّا زَيْنًا لِّلْمَاءِ الدُّنْيَا بَزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ،
 لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، دُحُورًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ
 وَأَصِيبٌ ، إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٧﴾ .

هذه من الآيات التي قال فيها الله تعالى ذكره : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ
 كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي ، تَتَشَعَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلِينُ
 جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ
 يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (١٧) .

[ارفع طرف قلبك] (٣) ، وانظر بعين عقلك ، وراجع جليسة بصيرتك ،
 إذا تفكرت في كلمة كلمة مما نقلناه إليك ، وعرضناه / عليك ، ثم فيما ينتظم من
 الكلمات ، ثم إلى أن يتكامل فصلاً وقصةً ، أو يتيم حديثاً وسورة .

٣٠٨

لا ، بل فكثر في جميع القرآن على هذا الترتيب ، وتدبره على نحو هذا
 التنزيل ، فلم ندع ما ادعيناه لبعضه ، ولم نصف ما وصفنا (٤) إلا في كَلَمَةٍ ، وإن
 كانت الدلالة في البعض أبين وأظهر ، والآية أكشفت وأبهر .

وإذا تأملت على ما هديناك إليه ، ووقفناك عليه ، فانظر هل تجد وقوع (٥)
 هذا النور في قلبك ، واشتماله على لُبِّكَ ، وسريانه في حِسِّكَ ، ونفوذَه في
 عروقك ، وامتلاءك به إيقاناً وإحاطة ، واهتدائك به إيماناً وبصيرة ؟ أم هل
 تجد الرعب يأخذ منك مأخذَه من وجه ، والهزة تعمل في جوانبك (٦) من لون ،
 والأريحية تستولى عليك من باب ؟

وهل تجد الطرب يستفزك للطيف ما فطنت له ، والسرور يحركك من
 عجب ما وقفت عليه ، وتجد في نفسك من المعرفة التي حدثت لك - عِزَّةً ، وفي
 أعطافك ارتياحاً وهِزَّةً ، وترى لك في الفضل تقدماً وتسريراً ، وفي اليقين
 سبقاً وتحقيقاً ، وترى مطارح الجهال تحت / أقدام الغفلة ، ومهاتأ وبهتهم

٣٠٩

(٢) سورة : الزمر ٨

(٤) س : « ما وصفناه »

(٦) م : « في جوارحك »

(١) سورة الصافات : ١ - ١٠

(٣) الزيادة من م

(٥) كذا في ا ، م ، وفي س ، ك : « هل ترى »

في ظلال^(١) القِلَّةِ والذَّلَّةِ ، وأقدَّارَهم بالعين التي يجب أن تُنلحَظَ بها ،
ومراتبهم بحيث يجب^(٢) أن ترتبها ؟

هذا كلُّه في تأمل الكلام ونظامه ، وعجيب معانيه وأحكامه .

فإن جئت إلى ما انبسط في العالم من بركته وأنواره ، وتمكن في الآفاق من
يمنه وأضوائه ، وثبَّت في القلوب من إكباره وإعظامه ، وتقرر في النفوس
من حَسَم أمره ونهيه ، ومضى في الدماء^(٣) من مَقْرُوضِ حكمه ، وإلى أنه جُعِلَ
عماد^(٤) الصلاة التي هي تلُو الإيمان في التأكيد ، وثانية التوحيد في الوجوب .
وقرِض^(٥) حفظه ، ووَكَلَ الصغار والكبار بتلاوته ، وأمر عند افتتاحه بما أمر به
لتعظيمه ، من قوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(٦)
لم يؤمر بالتعوذ لافتتاح أمر كما أمر به لافتتاحه ، فهل يدل ذلك هذا على عظيم شأنه ،
وراجح ميزانه ، وعالي مكانه .

وجُمَلَةُ الأمر أن نقد الكلام شديد ، وتمييزه صعب .

وما كتب إلى الحسن بن عبد الله العسكري : [قال]^(٧) أخبرني / أبو بكر
ابن دريِّد قال : سمعت أبا حاتم يقول : سمعت الأصمعي يقول : فرسان الشعر^(٨)
أقلُّ من فرسان الحرب .

وقال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : العلماء بالشعر أعزُّ من الكبريت
الأحمر .

وإذا كان الكلام المتعارف المتداول بين الناس ، يشقُّ تمييزه ، ويصعب نقده ،
ويذهب عن محاسنه الكثير^(٩) ، وينظرون إلى كثير من قبيحه بعين الحسن ، وكثير من
حسنه بعين القبح ، ثم يختلفون في الأحسن منه اختلافاً كثيراً ، وتباين آرائهم في تفضيل
ما يفضل منه — فكيف لا يتحIRON فيما لا يحيط به علمهم ، ولا يتأتى في مقدورهم ،
ولا يمثُلُ بخواطيرهم ؟ وقد حَيَّرَ القوم الذين لم يكن أحدٌ أفصح منهم .

(١) كذا في س ، ك ، وفي م : « في أطلال »

(٢) م : « في الدنيا »

(٣) م : « وقروض »

(٤) م : « في الزيادة من م »

(٥) م : « في الشعراء »

(٦) م : « في الشعراء »

(٧) م : « في الشعراء »

(٨) م : « في الشعراء »

(٩) م : « في الشعراء »

ولا أتمّ بلاغةً ، ولا أحسن براعةً ، حتى دُهِشوا حين ورّد عليهم ، وولّهِتْ عقولُهم ، ولم يكن عندهم فيه جوابٌ غير ضربِ الأمثال ، والتخترُص^(١) عليه ، والتوهم فيه ، وتقسيمه أقساماً ، وجعله عِصِينَ .

وكيف لا يكون أحسن الكلام ، وقد قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا ، تَقَشُّعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾^(٢) .

استغفم فهم هذه الآية ، وكفاك ، استفد علم هذه الكلمات ، وقد أغناك ، فليس يُوقَفُ على حسن الكلام بطوله ، ولا تُعرف براعته بكثرة فصوله ، إن القليل يدل على الكثير ، والقريب قد يهتجم بك على البعيد .

ثم إنه سبحانه وتعالى لمّا علم من عظم شأن هذه المعرفة ، وكبر محلها^(٣) ، وذهابها على أقوام - ذكر في آخر هذه الآية ما ذكر ، وبَيَّنَّ ما بَيَّنَّ ، فقال : ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . فلا تعلم^(٤) ما وصفنا لك إلا بهداية من العزيز الحميد . وقال : ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ وقال : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ﴾^(٥) .

وقد بسطنا لك القول رجاء إفتها منك . وهذا « المنهاج » الذي رأيته ، إن سلكته ، يأخذ بيدك ، ويدلك على رشدك ، ويفنيك عن^(٦) ذكر براعة^(٧) آية آية لك .

واعلم أنّا لم نقصد فيما سطرناه من الآيات ، وسميناه من السور / والدلالات ، ذكراً الأحسن^(٨) والأكشَف والأظْهر ؛ لأننا نعتقد في كل سورة ذكرناها أو^(٩) أضربنا عن ذكرها اعتقاداً واحداً في الدلالة على الإعجاز ، والكفاية في التمتع والبرهان . ولكن لم يكن بُدٌّ من ذكر بعض ، فذكرنا ما تيسر ، وقلنا فيما اتجه

(٢) سورة الزمر : ٢٣

(١) كذا في ك ، وفي م ، س : « والتخترص »

(٤) س ، ك : « فلا يعلم »

(٣) م : « وكبر محلها »

(٦) م : « ويعضك على »

(٥) سورة البقرة : ٢٦

(٨) ا ، م : « ذكر الأعجز »

(٧) س : « براعته »

(٩) س ، ك : « وضربنا »

في الحال وخطر ، وإن كنا نعتقد أن الإعجاز في بعض القرآن أظهر ؛ وفي بعضه ^(١) أدق وأعمق . والكلام في هذا الفصل يجيء بعد هذا .
فاحفظ عنا في الجملة ما كررنا ، والسيرُ بعد ذلك في التفصيل إليك ،
وحصل ما أعطيناك من العلامة ، ثم النظر عليك .

* * *

قد اعتمدنا على أن الآيات تنقسم إلى قسمين :
أحدهما : ما يتمُّ بنفسه ، أو بنفسه وفاصلته ، فيسيرُ في الكلام إنارة السَّجم
في الظلام .

والثاني : ما يشتمل على كلمتين أو كلمات ، إذا تأملتها وجدت كل كلمة
منها في نهاية البراعة ، وغاية البلاغة .

وإنما يبينُ ذلك بأن تتصور هذه الكلمة مُضمَّنةً بين أضغاث كلام
كثير ، أو خطاب طويل ، فتراها ما بينها ^(٢) تدلُّ على نفسها . / وتعلو على ما قرين
بها ^(٣) لعلو جنسها ، فإذا ضُمَّت إلى أخواتها ، وجاءت في ذواتها ، أرتكَّ
القلائد منظومة ، كما كانت تُريك - عند تأمل الأفراد منها - اليواقيت مششورةً ،
والجواهر مبشورةً ^(٤) .

ولولا ما أكره من تضمين القرآن في الشعر لأنشدتك ألفاظاً وقعت مُضمَّنةً ،
لتعلم كيف تلوح ^(٥) عليه ، وكيف ترى بهجتها في أثنائه ، وكيف تمتاز منه ، حتى
إنه لو تأمله من لم يقرأ القرآن لتبين أنه أجني من الكلام الذي تضمنه ، والباب
الذي توسطه . وأنكر مكانه ، واستكبر موضعه .

ثم تناسبها في البلاغة والإبداع ، وتماثلها في السلاسة والإغراب ، ثم انفرادها
بذلك الأسلوب . وتخصصها بذلك الترتيب ، ثم سائر ما قدمنا ذكره ، مما نكره
إعادته .

وأنت ترى غيره من الكلام يضطرب في مجاريه ، ويختل تصرفه في معانيه ،

(١) س : « وفي بعض » (٢) م : « ما بينهما »

(٣) كذا في ا ، م . وفي س ، ك : « على ما قد قرن منها »

(٤) م : « مبشورة مششورة » (٥) م : « يلوح »

ويتفاوت التفاوت الكثير في طرقه ، ويضيق به النطاق في مذاهبه ، ويرتبك^(١) في أطرافه وجوانبه ، ويُسلمه للتكلف^(٢) الوحش كثرة تصرفه ، ويحيله على التصنع الظاهر موارِدُ تنقله وتخلصه .

٣١٤

/ ونظم القرآن في مؤتلفه ومختلفه ، وفي فصله ووصله ، وافتتاحه واختتامه ، وفي كل نهج يسلكه ، وطريق يأخذ فيه ، وباب يتهجم عليه ، ووجه يؤمُّه ، على ما وصفه الله تعالى به — لا يتفاوت ، كما قال : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^(٣) . ولا يخرج عن تشابهه وتمثله ، كما قال : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾^(٤) . وكما قال : ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾^(٥) ولا يخرج عن إبانته ، كما قال : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾^(٦) .

وغيره من الكلام كثير اللون ، دائم التغير ، [والتنكر]^(٧) ، يقف بك على بدیع مستحسن ، ويعقبه بقبيح^(٨) مستهجن ، ويطلع عليك بوجه الحسنة ، ثم يعرض للهجر بخد القبيحة الشوهاء ، ويأتيك باللفظة المستنكرة بين الكلمات التي هي كاللآلي الزهر .

وقد يأتيك باللفظة الحسنة بين الكلمات البهيم ، وقد يقع إليك منه الكلام المُشَبَّحُ^(٩) ، والنظم المشوش ، والحديث المشوه .

٣١٥

وقد تجد منه ما لا يتناسب ولا يتشابه ، ولا يتألف ولا يتأثر / وقد قيل في وصف ما جرَى هذا المجرى :

وشعرٍ كبعير الكباشِ فرَّقَ بينه

لسانُ دَعَى في القريرِضِ دَخِيلِ^(١٠)

(١) م : « ويرتبك »

(٢) م : « ويسلبه التكلف الوحش كثير »

(٣) سورة النساء : ٨٢

(٤) سورة الزمر : ٢٨

(٥) سورة الزمر : ٢٣

(٦) سورة الشعراء : ١٩٥

(٧) الزيادة من م

(٨) س « قبيح »

(٩) في اللسان ٤٣/٣ « الشج : اضطراب الكلام » .

(١٠) في البيان والتبيين ٦٦/١ « قال أبو العاصي : وأنشدني في ذلك أبو البيداء الرياحي :

شعر إلخ . . . وأما قوله : « كبعير الكباش » فإنما ذهب إلى أن بعر الكباش يقع متفرقا غير مؤتلف ولا =

وقال آخر :

وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَوْلَادُ عِلَّةٍ
يَكْدُ لِسَانَ النَّاطِقِ الْمُتَحَفِّظِ^(١)

فإن قال قائل : فقد نجد في آيات [من] ^(٢) القرآن ما يكون نظمه بخلاف ما وصفت . ولا تتميز الكلمات بوجه البراعة . وإنما تكون البراعة عندك منه في مقدار يزيد على الكلمات المفردة . وحدّ يتجاوز حدّ الألفاظ المستندة ، وإن كان الأكثر على ما وصفته به ؟

٣١٦ قيل له : نحن نعلم أن قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ ﴾ . إلى آخر الآية — ليس من القبيل الذي يمكن إظهار البراعة فيه ، وإبانة النصيحة [عليه] ^(٣) وذلك يجرى عندنا مسجّري ما يحتاج إلى ذكره من الأسماء والألقاب . فلا يمكن إظهار البلاغة ^(٤) فيه . فطلبها في نحو هذا ضرب من الجهالة . بل الذي يعتبر في نحو ذلك تنزيل الخطاب . وظهور الحكمة في الترتيب والمعنى . وذلك حاصل في هذه الآية — إن تأملت .

ألا ترى أنه بدأ بذكر الأم ، لعظم حرمتها . وإدلائها بنفسها . ويمكن بتعضيبتها . فهي أصل لكل من يُدلى بنفسه منهن . ولأنه ^(٥) ليس في ذوات الأنساب أقرب منها .

ولما جاء إلى ذوات الأسباب . ألحق بها ^(٦) حكم الأم من الرضاع ؛ لأن

= متجاوز . وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملساء ، ولينة المعاطف سهلة ، وتراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة ، تشق على اللسان وتكد ، والأخرى تراها سهلة لينة ، ورطبة مواتية ، سلسة النظام ، خفيفة على اللسان ، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد .

(١) البيت خلقت الأحمر . قال الجاحظ في البيان والتبيين ١/٦٦ « أما قول خلف » وبعض قريض القوم أولاد علة » فإنه يقول : إذا كان الشعر مستكرهاً ، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها ماثلاً لبعض ، كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات . وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أخيها مرضياً موافقاً ، كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة »

(٢) الزيادة من م (٢) الزيادة من م (٣) (٤) م : « البراعة »

(٥) س ، ن : « لأنه »

(٦) س ، ن : « لها »

اللحم ينشره اللبن بما يَغْدُوهُ ، فيتحصَّل بذلك أيضاً لها حكم البَعْضِيَّة ، فنشر (١)
الجُرْمَةَ بهذا المعنى ، وألحقها بالوالدة .

وذكر الأخوات من الرضاعة ، فنبه بها على كل من يُدلى بغيرها ، وجعلها
تَلَوَّ الأم من الرضاع .

/ والكلام في إظهار حكم هذه الآية وفوائدها يطول ، ولم نضع كتابنا لهذا ،
وسبيل هذا أن نذكره في كتاب « معاني القرآن » إن سهل الله لنا إملأه وجمعه .

فلم تنفك هذه الآية من الحكم التي تسخلفُ حكمة الإعجاز في النظم
والتأليف ، والفائدة التي تنوب مناب العدول عن البراعة في وجه الترشيف .

فقد علم السائل أنه لم يأت بشيء ، ولم يهتد للأغراض (٢) في دلالات الكلام ،
وفوائده ومتصرفاته ، وفنونه ومتوجهاته .

وقد يتفق في الشعر ذكر الأسمى فيحسن موقعه ، كقول أبي ذؤاب الأسدي (٣) :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُمْ

بُعْتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ (٤)

بَأَشْدَهُمْ كَلْبِيًّا عَلَى أَعْدَائِهِ

وَأَعَزَّهُمْ فَقَدًّا عَلَى الْأَصْحَابِ (٥)

وقد يتفق ذكر الأسمى ، فيفسد النظم ، ويقبح الوزن .

/ والآيات الأحكاميات التي لا بد فيها من أمر (٦) البلاغة ، يُعتبر فيها من

الألفاظ (٧) ما يعتبر في غيرها ، وقد يمكن فيها ، وكل موضع أمكن ذلك فقد
وُجد في القرآن في باب ما ليس عليه مزيد في البلاغة وعجيب النظم . ثم في جملة

الآيات ما إن لم تراع البديع البليغ في الكلمات الأقراد والألفاظ الآحاد ، فقد
تجد ذلك مع تركب الكلمتين والثلاث ، ويطرد ذلك في الابتداء ، والخروج ،

والفواصل ، وما يقع بين الفاتحة والخاتمة من الوساطة ، أو باجتماع ذلك أو في

(١) م : « فنتشر » (٢) م : « للاعراض » ، ك : « للأعراض »

(٣) في العقد الفريد ٣٤٩/٥ الشعر لربيعة الأشتر ، والد ذؤاب بن ربيعة ، قاتل عتيبة بن

الحارث بن شهاب (٤) في العقد : « فقد هتكت بيوتهم »

(٥) في العقد : « بأحجمهم فقداً إلى أعدائه » وأشدهم فقداً

(٦) م : « من ذكر » (٧) م : « من اللفظ »

بعض ذلك - ما يخلف الإبداع في أفراد الكلمات ، وإن كانت الجملة والمعظم على ما سبق الوصف فيه .

وإذا عرف ما يجرى إليه الكلام ، وينهى إليه الخطاب ، ويقف عليه الأسلوب ، ويختص به القبيل - بآن عند أهل الصنعة تميزُ بابيه ، وانفرادُ سبيله ، ولم يشكَّ البليغُ في انتمائه إلى الجهة التي ينتمى إليها . ولم يرتب الأديبُ البارِع في انتسابه إلى ما عرّف من نهجه .

وهذا كما يعرف طريقة مترسّل في رسالته ، فهو لا يخفى عليه بناءُ قاعدته وأساسه ، فكأنه يرى^(١) أنه يعد عليه مجارىَ حركاته وأنفاسه .

/ وكذلك في الشعر^(٢) واختلاف ضروبه ، يعرف المتحقق به طبع كل أحد ، ٣١٩
وسبيل كل شاعر .

وفي « نظم القرآن » أبواب كثيرة لم نستوفِها ، وتفصّلها يطول ، وعجايبها لا تنقضى ؛ فنّها الكلام [المغلق]^(٣) والإشارات .

وإذا بلغ الكلام من هذا القبيل مبلغاً ربما زاد الإفهام به على الإيضاح ، أو ساوى مواقع التفسير والشرح ، مع استيفائه شروطه - كان النهاية في معناه .

وذلك كقوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ، لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٤) . فصول هذه الآية وكلماتها على ما شرحنا من قبل^(٥) البلاغة واللفظ في التقدم ، وفي تضمن هذا الأمر العظيم ، والمقام الكريم .

ويتلو هذه قوله : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ، وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(٦)
هذا خروج لو كان في غير هذا الكلام لتصوّر في / صورة المنقطع ، وقد تمثل ٣٢٠
في هذا النظم لبراعته وعجيب أمره وموقع ما لا ينفك منه القول^(٧) .

(٢) م : « في الشعر مع اختلاف »

(٤) سورة الإسراء : ١

(٦) سورة الإسراء : ٢

(١) م : « يراه »

(٣) الزيادة من م ومكانها بياض في ك

(٥) م : « من قبيل »

(٧) م : « وموقع لا ينفك » .

وقد يتبرأ الكلام المتصلُ بعضه من بعض ، ويظهر عليه التَّشْبِيحُ (١) والتَّبَايُنُ ، للخلل الواقع في النظم .

وقد تصوّر هذا الفصلُ لطفه وصلاهُ ، ولم يبنْ عليه تميزُ الخروج .

ثم انظر كيف أجرى هذا الخطاب إلى ذكر نوح ، وكيف أتى عليه ؟

وكيف تليق صفته بالفاصلة ويتم النظم بها ، مع خروجها مخرج البُرُوز من الكلام الأول ، إلى ذكره ، وإجرائه إلى مدحه بشكره ، وكونهم من ذريته يُوجِبُ عليهم أن يسيروا بسيرته ، وأن يستنوا بسنته ، في أن يشكروا كشكره ، ولا يتخذوا من دون الله وكيلًا ، وأن يعتقدوا تعظيمَ تخليصه إياهم من الطوفان ، لَمَّا (٢) حملهم عليه ونجّاهم فيه ، حين أهلك من عداهم به ، وقد عرفهم أنه إنما يؤاخذهم بذنوبهم وفسادهم ، فيما سلَّطَ عليهم من قبلهم وعاقبهم ، ثم عاد عليهم بالإفضال والإحسان ، حتى يتذكروا ويعرفوا قدر نعمة الله عليهم وعلى نوح الذي ولد لهم وهم من ذريته ، فلما عادوا إلى جهالتهم ، وتمردوا في طغيانهم ، عاد عليهم بالتعذيب .

/ ثم ذكر الله عز وجل في ثلاث آيات بعد ذلك معنى هذه القصة التي كانت لهم ، بكلمات قليلة في العدد ، كثيرة الفوائد ، لا يمكن شرحها إلا بالتفصيل الكثير ، والكلام الطويل .

ثم لم يخل تضاعيف الكلام مما ترى من الموعظة ، على أعجب تدرّيج ، وأبدع تأريخ (٣) ، بقوله : ﴿ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ، وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ (٤) . ولم ينقطع بذلك [نظام] (٥) الكلام ، وأنت ترى الكلام يتبدّد مع اتصاله ، وينتشر مع انتظامه ، فكيف بإلقاء ما ليس منه في أثنائه ، وطرح ما يعدّوه (٦) في أدراجِه ؟

إلى أن خرج إلى قوله : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم ، وَإِنْ عُدتُمْ عُدنَا ﴾ (٧) .
يعنى : إن عدتم إلى الطاعة عدنا إلى العفو .

(١) م : « عليه القبح » . (٢) م : « بما » ، ا : « وما »

(٣) كذا في م ، ك ، و في س : « تاريخ » . والتأريخ : التهجيج ، كما في اللسان ٢٩/٣

(٤) سورة الإسراء : ٧ (٥) الزيادة من م . ومكانها بياض في ك .

(٦) كذا في م . و في س ، ك : « ما بعده » (٧) سورة الإسراء : ٨ .

ثم خرج خروجاً آخر إلى ذكر القرآن .

وعلى هذا فقيسٌ بِحُثِّكَ عن^(١) شرف الكلام ، وما لَه من علو الشان ،
لا يطلب مطلباً إلا انفتح ، ولا يسلك قلباً إلا انشرح ، ولا / يذهب مذهباً إلا
استنار وأضاء ، ولا يضرب مضرباً إلا بلغ فيه السواء ، لا تقع منه على فائدة
فقدرت أنها أقصى فوائدها - إلا قصرت ، ولا تظفر بحكمة فظننت أنها زُبْدَةٌ
حكما - إلا وقد أخلت .

* * *

إن الذي عارض القرآن بشعر امرئ القيس لأضلُّ من حمارٍ بآهله^(٢) ،
وأحمتقُ من هبنة^(٣) .

لو كان شعره كله كالأبيات المختارة التي قدمناها ، لأوجب البراءة منه^(٤)
قولُه :

وَمِنْ كُسْنَيْقٍ سِنَاءٌ وَسُنْمًا ذَعَرْتُ بِمِدْلَاجِ الْهَجِيْزِ نَهْوِضٍ^(٥)
قال الأصمعي : لا أدري ما السنُّ ، ولا السنينقُ ، ولا السنمُ ؟ ! وقال
بعضهم : السنيق : أكمة .

(١) م : « على »

(٢) كذا في م . وفي س ، ك : « من حمار أهله » . وكذلك ورد في الحيوان ٢/٢٥٧ ولست أعرف وجه الصواب فيهما

(٣) هو ذو الودعات : يزيد بن ثروان ، أحد بني قيس بن ثعلبة . راجع مجمع الأمثال ١/٢٢٧

(٤) كذا في م ، ك ، ولكنها غيرت في س إلى « من قوله » !

(٥) ديوانه ص ٨٢ وفي اللسان ٣١/١٢ « لم يفسر أبو عمرو قول امرئ القيس . . . ويروى :

سناما وسنما . وفسره غيره فقال هو : جبل . التهذيب : وسنيق : اسم أكمة معروفة وأورد بيت امرئ القيس .

شمر : سنيق : جمع سنيقات وسنانيق ، وهي الآكام . وقال ابن الأعرابي : لا أدري ما سنيق » .

وقال ابن قتيبة في المعاني الكبير ٢/٧٧٣ « لم يعرفه الأصمعي . وقال غيره : سن : ثور ، وسنيق جبل .

سناء : ارتفاعاً . وسنم : بقرة ، مدلاج : من دلج ، إذا مشى ، وليس هو من ادلاج ولا ادلاج ، وكيف

يدلج في الهجير أو يدلاج ؟ » . وفي م : « بمدلاج الهدير » . والهير : الحمار الوحشي .

/ وقال فيها :

له قَصْرِيًّا عَيْرٍ وَسَاقًا نَعَامَةً

كفَحَلِّ الهِجَانَ القَيْسِرِيَّ العَضُوضِ (١)

وقوله :

عَصَافِيرُ وَذَبَّانٌ وَدُودٌ وَأَجْرًا مِنْ مُجَلِّحَةِ الذَّنَابِ (٢)

وزاد في تقييح ذلك وقوعه في أبيات فيها :

فقد طَوَّفْتُ فِي الآفَاقِ حَتَّى رَضِيتَ مِنَ الغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

وَكُلُّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ صَارَتْ إِلَيْهِ هِمَّتِي وَبِهَا اِكْتِسَابِي (٣)

وكقوله في قصيدة قالها في نهاية السقوط :

أَزْمَانَ فُوهَا كُلَّمَا نَبَّهْتَهَا كَالْمَسْكَ فَاحَ وَظَلَّ فِي الْفَدَامِ (٤)

أَفْلا تَرَى أَطْعَانَهُنَّ بَوَاكِرًا كَالنَّخْلِ مِنْ شَوْكَانَ حِينَ صِرَامِ (٥)

/ وَكَانَ شَارِبَهَا أَصَابَ لِسَانَهُ مُومٌ يَخَالِطُ جِسْمَهُ بِسِقَامِ (٦)

وكقوله :

لَمْ يَفْعَلُوا فِعْلَ آلِ حَنْظَلَةَ إِنَّهُمْ جَيْرٌ بِشَمَا انْتَمَرُوا (٧)

(١) قبل هذا البيت في الديوان :

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد عبل اليبدين قبيض

والقصرى ، والقصيرى : الضلع التي تل الشاكلة بين الجنب والبطن . وفي س ، ك : « الهجان

القصيرى »

(٢) كذا في م والديوان ص ٢٨ ، وفي ك : « من مجلبة الذباب » ولكن الكلمة الأخيرة غيرت في

س إلى « الذباب » ! ! وفي اللسان ٢٤٩/٣ « وذئب مجلح : جرى والأثني بهاء ، قال امرؤ القيس ... »

(٣) س ، ك : « سارت إليه همتي ونما اكتسابي » . وفي الديوان « وبه اكتسابي »

(٤) في الديوان ص ١٣٦ « وظل فيه الفدام »

(٥) في الديوان « أو ما ترى » ، وفي م ، ا « أظمانهن بعائل » . والصرام : « قطع الثمرة واجتناؤها

من النخلة » كما في اللسان ٢٢٨/١٥ .

(٦) الموم : المرض . وفي م « يخالط خبله » وهي رواية أخرى . وبين هذا البيت وسابقه هنا ثلاثة

أبيات في الديوان .

(٧) بنو حنظلة ، هم الذين خذلوا شرحبيل عم امرئ القيس . وجير معناها : حفاً كما في اللسان

٢٢٨/٥ وفي م « إنهم خير »

لا حَمِيرِيَّ وفي ولا عُدَسٌ
 إن بنى عوف ابتنوا حسباً
 ولا أمتٌ غيرٌ يحكُّها الثَّنْفَرُ^(١)
 ضيَّعَهُ الدُّخْلُونَ إذْ غَدَرُوا^(٢)
 / وكقوله :

٣٢٥

أبلغ شهاباً [بل] وأبلغ عاصماً
 أنا تركنا منكم قتلى بخو
 [ومالكا] هل أتاك الخبيرُ مالٍ^(٣)
 عى وسبياً كالسعالِ^(٤)
 يمشين بين رحالِنسا مع
 ترَفَاتٍ بجوع وهزال

* * *

ولم يقع مثل ذلك له وحده ؛ فقد قال الأعشى :

فأدخلك الله برَدَ الجِنَا
 نِ جَدْلَانَ في مَدخَلِ طَيِّبٍ^(٥)
 وقال أيضاً :
 فرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَن شَاتِهِ
 فَنَاصَبْتُ حَيَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالِهَا^(٦)
 وقال في فرسه :
 ويأمرُ لليَحْمُومِ كُلِّ عَشِيَّةٍ
 بَقَمْتُ وتَعْلِيْقِي فقد كاد يَسْتَنُقُ^(٧)

(١) حميرى وعدس : رجلا من بنى حنظلة تولوا الغدر بعمه شرحبيل . والثنفر : السير الذى فى مؤخر السرج و يجعل تحت ذنب الدابة ، كما فى اللسان ١٧٣/٥
 (٢) هذا البيت الذى أخره المؤلف عن موضعه ، وهو أول الأبيات التى مدح بها الشاعر عوير بن شجعة العوفى ، وبعده فى الديوان ص ٦٤ :

أدوا إلى جارهم خفارته ولم يضع بالمغيب إذ نصروا
 وبنو عوف : هم قبيلة عوير ، الذى أجار هند بنت حجر ، أخت امرئ القيس ، ثم ردها سالمة مع ما أودعه من مال . وفى م ، س « ضيعة الداخلون » والداخلون هنا : الخاصة ، وهذه الكلمة من الأضداد ، قال أبو عبيدة : يقال للصديق والخليل دخل ، ويقال للحشو ومن يدخل نفسه فى قوم ليس منهم : دخل قال امرئ القيس . . . ويقال : فلان دخل فلان : أى من خاصته ، ويقال : بينهم دخل ودخل ، أى إخاء ومودة ، وهو مأخوذ فى هذا المعنى من الدخيل والمداخل « راجع الأضداد لابن الأنبارى ص ٢٠٤ » .
 (٣) الزيادة من ديوانه المخطوط ، رواية الطوسى . والخبر : العلم ، ومال : مرخم مالك .

(٤) خوعى : اسم موضع . وسبى : جمع سبى . والسعالى : الغفيلان ومعنى معرفات : مصططرات ،
 والمعارف : الصابر (٥) ديوانه ص ٢٨ (٦) ديوانه ص ٢٩ والموشح ص ٥٣

(٧) اليعحوم : الفرس ، وفى اللسان ٣١/١٢ « السنق : البشم . . . سنق الحمار وكل دابة سنقاً : إذا أكل من الرطب حتى أصابه كالبشم ؛ والفصيل إذا أكثر من اللبن يكاد يمرض ؛ قال الأعشى . . . »

شَاوٍ مِشَلٍّ شَلُولٍ شَلْشَلٍ شَوْلٍ^(١)

وهذه الألفاظ في معنى واحد .

وقد وقع لزهير نحوه كقوله :

فَمَا قَسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مِئِيٍّ وَمَا سُجِّفَتْ فِيهِ الْمَقَادِيمُ وَالْقَمَلُ^(٢)

كيف يقول^(٣) هذا في قصيدة يقول فيها :

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيَّ إِلَّا وَشِيجُهُ وَتُغْرُسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ^(٤)

/ وكقول الطرمّاح :

سَوْفَ تُدْنِيكَ مِنْ لَمِيْسٍ سَبْنَتَا ةٌ أَمَارَتْ بِالْبَوْلِ مَاءَ الْكِرَاصِ^(٥)

السَّبْنَتَاةُ : الناقة الصُّلْبِيَّةُ . وَالْكَرَاصُ : ماء الفحل ، أسالت ماء الفحل

مع البول ، فلم تعقد عليه ، ولم تحمل ، فتضعف والمائر : السائل .

* * *

(١) الجمهرة ١/١٥٣ وفي اللسان ١٣/٣٨٥ « ورجل مثل وشلول ، وشلشل وشول : خفيف سريع

قال الأعشى :

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاو مثل شلول شلشل شول

وقال أبو بكر في بيت الأعشى : الشاوي : الذي شوى ، والشلول : الخفيف ، والمشلل : المطرد ،

والشلشل : الخفيف القليل ، وكذلك الشول ، والألفاظ متقاربة ، أريد بذكرها والجمع بينها المبالغة «

وانظر المعاني الكبير لابن قتيبة ١/٣٧٩

(٢) كذا في ديوانه ص ٩٩ . وفي م ، ك ، س : « وما سفحت » . س ، ك : « المقادم » .

وقال ثعلب في شرحه : « سفحت : حلققت . والمنازل : حيث ينزل الناس من مئى . والمقاديم : مقاديم

الروس ، والقمل : يريد الشعر الذي فيه القمل .

(٣) س ، ك : « يقال » .

(٤) ديوانه ص ١١٥ وقال ثعلب في شرحه : « الخطى : الرماح ، نسبا إلى الخط ، وهي جزيرة

ترسى إليها سفن الرماح . يقول : لا تنبت القنأة إلا القنأة . والشويج : القنأ ، واحدها وشيجة ، والشويج :

دخول الشيء بعضه في بعض . يعنى أنهم كرام ولا يولد الكرام إلا في موضع كريم » .

(٥) في اللسان ٩/٩٣ « قال ابن برى : الكراض في شعر الطرمّاح : ماء الفحل ، فيكون على هذا

القول من باب إضافة الشيء إلى نفسه . . . وصف هذه الناقة بالقوة ، لأنها إذا لم تحمل كان أقوى لها . . .

وقال ابن الأعرابي : الكراض : ماء الفحل في رحم الناقة . وقال الجوهري : الكراض ماء الفحل تلفظه الناقة

من رحمها بعد ما قبلته ، وقد كرضت الناقة إذا لفظته « وانظر هناك تفصيل الخلاف في ذلك بن العلماء .

والكامل للمبرد ١/٩٧ .

فإن قال قائل : أجدك تحاملت على امرئ القيس ، ورأيت أن شعره يتفاوت بين اللين والشَّرَاسَةِ ، وبين اللطف والشَّكَّاسَةِ ، وبين التوحُّش والاستئناس ، والتفاوت والتباعد ، ورأيت الكلامَ الأعدلَ أفضلَ ، والنظام المُستوثقُ^(١) أكمل ، وأنت تجد البُحْثُرِيَّ يسبق^(٢) في هذا الميدان ، ويفوت الغايةَ في هذا الشأن ، وأنت ترى^(٣) الكتابَ يُفضَّلونَ كلامه على كل كلام ، ويقدمون رأيه في البلاغة على كل رأى ، وكذلك تجد^(٤) لأبي نُؤَاسٍ من بهجة اللفظ، ودقيق المعنى / ما يتحير فيه أهل الفضل^(٥) ، ويقدمه الشُّطَّارَ والظَّرَافُ^{٣٢٨} على كل شاعر ، ويرون لنظمه روعةً لا يرون لنظم غيره ، وزِيْرَجًا لا يَتَّفِقُ لسواه ؛ فكيف يعرف فضل ما سواه عليه ؟

فالجواب : أن الكلام في أن الشعر لا يجوز أن^(٦) يوازن به القرآن قد تقدم .

وإذ كنا قد بينا أن شعر امرئ القيس - وهو كبيرهم الذي يُقَرِّونَ بتقدمه ، وشيخهم الذي يعترفون بفضله ، وقائدهم الذي يأتمون به^(٧) ، وإمامهم الذي يرجعون إليه - كيف سبياه ، وكيف^(٨) طريق [سقوط]^(٩) منزلته عن منزلة نظم القرآن ، وأنه لا يلحظ^(١٠) شعره غُبارَ ذلك ، وهو إذا لَحَظَ ذلك كان كما قال^(١١) .

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْسَى الْغَدَاةَ كَنَاطِرٍ

مع الصُّبْحِ فِي أَعْجَازِ نَجْمٍ مُغْرَبٍ^(١٢)

/ وكما قال أيضاً :

رَاحَتْ مَشْرِقَةً وَرُحْتُ مُغْرَبًا فَمَتَى التَّقَاءُ مُشْرِقٍ وَمُغْرَبٍ

(١) ك : « المستوثق »

(٢) م : « سترى »

(٣) م : « سقت من م »

(٤) كذا في ا ، م . وفي س ، ك : « أهل اللفظ »

(٥) م : « الشعر لا يوازن به »

(٦) م : « طريقة »

(٧) م : « لا يخلط بشعره »

(٨) نسبة في اللسان ١٢٩/٢ لقيس بن الملوح ، ثم قال : وقد نسب المبرد هذا البيت إلى

« أبي حية النخيري » لكنه في الكامل ١٧٢/١ لقيس

(٩) في اللسان « في أعقاب نجم » . والمغرب : الذي يأخذ في ناحية المغرب

وإذا كنا قد أبنّا في القاعدة ما علمت ، وفصلنا لك في شعره ما عرفت — لم نحتاج إلى أن نتكلم على شعر [كل]^(١) شاعر ، وكلام بليغ ، والقليل يدل على الكثير .

وقد بينّا — في الجملة — مُباينةَ أسلوب نظم القرآن جميع الأساليب ، ومزيتة عليها في النظم والترتيب ، وتقدّمه عليها في^(٢) كل حكمة وبراعة ، ثم تكلمنا على التفصيل — على ما شاهدت^(٣) — فلا يبقى علينا بعد ذلك سؤال .

ثم نقول : أنت تعلم أن من يقول بتقدم البُحْتَرِيّ في الصنعة ، به من الشغل في تفضيله على ابن الروميّ أو تسوية ما بينهما ما لا يطمع معه في تقديمه على امرئ القيس ومن في طبقته .

كذلك أبو نُوّاس ، وإنما يُعدّلُ شعره بشعر أشكاله ، ويقابلُ كلامه بكلام أضرابه من أهل عصره .، وإنما يقع بينهم التباين اليسير ، والتفاوت القليل .

فأما أن يظنّ ظانٌّ ، أو يتوهم متوهم أن جنس الشعر مُعارضٌ / لنظم^(٤) القرآن فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الرياح في مكانٍ سحيقٍ^(٥) .

وإنما هي خواطر يُغيّرُ بعضها على بعض ، ويقشدي فيها بعضٌ ببعض ، والغرض الذي يرمى إليه ، ويصح^(٦) التّوّافِي عليه ، في الجملة ، فهو قبيلٌ متداول ، وجنسٌ مُتنازع ، وشريعةٌ مَورُودَةٌ ، وطريقةٌ مسلوكة .

ألا ترى إلى ما روى عن الحسين بن الضحّاكِ ؛ قال : أنشدت أبا نُوّاس قصيدتي التي فيها :

وَسَاطِرِيّ اللِّسَانِ مُخْتَلِقِ التَّكْرِيمِ شَابَ المَجُونِ بالنُّسْكِ^(٧)

(١) الزيادة من م

(٢) كذا في م ، ك ، وفي س : « التفصيل على ما شهدت ولا »

(٣) م : « يعارض بنظم »

(٤) م : « ترى إليه يصح »

(٥) كذا في ا ، م والأغاني ١٧٥/٦ . وفي س ، ك : « زان المجون »

كَانَهُ - نَضَبَ كَأْسِهِ - قَمْرٌ يَكْرَعُ فِي بَعْضِ أَنْجُمِ الْفَلَكَ^(١)
قال : فأنشدني أبو نُوَاس بعد أيام قصيدته التي يقول فيها :

٣٣١

/ أَعَاذَلْ أَعْتَبْتُ الْإِمَامَ وَأَعْتَبَا
وَأَعْرَبْتُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ وَأَعْرَبَا^(٢)

وَقَلْتُ لِسَاقِيهَا : أَجْزَاهَا فَلِمَ أَكُنُّ
لِيَابِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَشْرَبَا^(٣)

فَجَوَّزَهَا عَنِّي عُقَّارًا تَرَى لَهَا
إِلَى الشَّرَفِ الْأَعْلَى شُعَاعًا مُطَنَّبَا

إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خِلْتَهُ
يُقْبَلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكَبَا
قال : فقلت له : يَا أَبَا عَلِي ، هَذِهِ مُصَالَتَةٌ^(٤) . فقال : أَتَظُنُّ أَنَّهُ يُرَوَى^(٥)

لك معنى وأنا حتى ؟

فتأمل هذا الأخذ ، وهذا الوضع ، وهذا الاتباع^(٦) .

أما الخلتيج فقد رأى الإبداع في المعنى ، فأما العبارات فإنها ليست على ما ظنَّه ؛ لأن قوله : « يَكْرَعُ » ليس بصحيح ، وفيه ثقل بين / وتفاوت ، وفيه ٣٣٢ إحالة ؛ لأن القمر لا يصح تصوُّراً^(٧) أن يكرع في نجم .

(١) م : « كأنما » وقد ورد هذا البيت في الأغاني بروايتين : الأولى :

وتخالها نصب كأسه قمرًا يكرع في بعض أنجم الفلك

والثانية :

كأنما نصب كأسه قمر حاسده بعض أنجم الفلك

وفي العمدة بعد ذلك : « ففتر ففرة منكرة ، فقلت : مالك فقد أفرعتني ؟ فقال : هذا معنى مليح ،

وأنا أحق به ، وسترى لمن يروى . . . » إلخ

(٢) ديوانه ص ٢٤٤ والإمام : يقصد به الأمين

(٣) كذا في م ، ك وفي الأغاني « مصالبه » (٥) س : « يرى »

(٦) في الأغاني عن ابن مهرويه « قال : لما أنشدت إبراهيم بن المدبر قول حسين بن الضحاك . . .

قال لي : إن الحسين كان يزعم أن أبا نواس سرق منه هذا المعنى ، فإن كان سرقه منه فهو أحق به ،

لأنه قد برز عليه ، وإن كان حسين سرقه منه فقد قصر عنه »

(٧) م : « يصح أن يتصور » . س « لا يصح تصور »

وأما قول أبي نواس : « إذا عبَّ فيها » ، فكلمة قد قصد فيها المتانة ، وكان سبيله أن يختار سواها من ألفاظ الشرب^(١) ، ولو فعل ذلك كان أملح .
وقوله : « شاربُ القوم » ، فيه ضرب من التكلف الذى لا بد له منه أو من مثله ، لإقامة الوزن .

ثم قوله : « خَلِيتَهُ يُقْبَلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَتَوَكَّبَا » ، تشبيه بحالة واحدة من أحواله ، وهى أن يشرب حيث لا ضوء هناك ، وإنما يتناوله ليلاً ، فليس بتشبيهه مُستوفى ، على ما فيه من الوقوع والملاحاة [والصنعة]^(٢) .
وقد قال ابن الرومى ما هو أوقع منه وأملح وأبدع :

وَمُهَفِّهَفٍ تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ حَتَّى تَجَاوَزَ مُنِيَةَ النَّفْسِ^(٣)
تَصْبُوُ الْكُؤُوسُ إِلَى مَرَاشِفِهِ وَتَحْنُ فِي يَدِهِ إِلَى الْحَبْسِ
أَبْصَرْتُهُ وَالْكَأْسُ بَيْنَ فَمِّهِ مِنْهُ وَبَيْنَ أَنْامِلِ خَمْسِ
وَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَمْرٌ يَقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ^(٤)

/ ولا شك فى أن تشبيه ابن الرومى أحسن وأعجب^(٥) ، إلا أنه [لم] يتمكن من إيراده [إلا] فى^(٦) بيتين ، وهما - مع سبقهما إلى المعنى - أتتيا به فى بيت واحد .

وإنما أردت بهذا أن أعرفك أن هذه أمور متقاربة^(٧) ، يقع فيها التنافس والتعارض ، والأطماع تتعلق^(٨) بها ، والهمم تسمو إليها ، وهى إلف طباعينا ، وطوع مداركنا ، ومجانس^(٩) لكلامنا .
وإعجاب قَوْمٍ بنحو هذا وما يجرى مجراه ، وإيثار أقوام لشعر البحرى

(١) س « الشراب »

(٢) الزيادة من م

(٣) ديوانه ص ٢٤٤ والعمدة ١٧٣/٢

(٤) م : « فكأنها »

(٥) وفى العمدة ١٧٣/٢ : « وقد أربى ابن الرومى عليهما جميعاً بقوله : أبصرته . . . »

وكانها . . . ولكن بيت أبي نواس أملاً للفم والسمع ، وأعظم هيبه فى النفس والصدر ، ولذلك كان أسير »

(٦) س ، ك : « إلا أنه تمكن من إيراده فى بيتين »

(٧) م : « هذه الأمور المتقاربة »

(٨) س : « ملققة »

(٩) م : « وهى إلف طباعها ، وطوع مداركها ، ومجانس لكلامنا »

على أبي تَمَام ، وَعَبْد الصَّمَدِ ، وابن الرومي ، وتقديم قوم كل هؤلاء أو بعضهم عليه وذهاب قوم عن المعرفة - ليس بأمر يضر بنا ولا سبب^(١) يعترض على أفهامنا .

* * *

ونحن نعلم إلى بعض قصائد «البُحْتَرِيَّ» فتكلم عليها^(٢) ، كما تكلمنا على قصيدة امرئ القيس ، ليزداد الناظر في كتابنا بَصِيرَةً ، ويستخلص / من سر المعرفة ٣٣٤ سريرة^(٣) ، ويعلم كيف تكون الموازنة ، وكيف تقع المشابهة والمقاربة . ونجعل تلك القصيدة التي نذكرها أجود شعره .
سمعت الصَّاحِبَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبَّادٍ يَقُولُ : سمعت أبا الفَضْلِ بن العَمِيدِ يقول : سمعت أبا مسلم الرُّسْتَمِيَّ يقول : سمعت البَحْتَرِيَّ يَذْكُرُ^(٤) أَنَّ أَجْوَدَ شِعْرَهُ شِعْرُ قَالِهِ :

* أَهْلًا بِذَلِكُمْ الْخِيَالِ الْمُقْبِلِ *

قال : وسمعت أبا الفضل بن العميد يقول : أجود شعره هو قوله :

* فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ^(٥) *

قال : وسئلت عن ذلك ؟ فقلت : البحتري أعرف بشعر نفسه من غيره .

فنحن الآن نقول في هذه القصيدة ما يصلح في مثل هذا :
/ قوله^(٥) :

٣٣٥

أَهْلًا بِذَلِكُمْ الْخِيَالِ الْمُقْبِلِ
فَعَلَ الَّذِي نَهَوَاهُ أَوْ لَمْ يَتَمَعَّلِ

(١) م : « يضرنا ، ولا بسبب » (٢) م : « عليه »

(٣) م : « يقول إن »

(٤) في س وضع قوله : « زجر له لو كان ينزجر » في سطر وحده ، على أنه شطر بيت !

وقد جاء في ديوانه ٦٧٣/٢ وقال يمدح على بن مر الأرمي :

في الشيب زجر له لو كان ينزجر وبالغ منه لولا أنه حجر
وهي قصيدة جيدة ؛ عدد أبياتها ٤١ بيتاً . ومنها البيتان المشهوران :

إذا محاسن اللاتي أدل بها كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر

على نحت القوافي من مقاطعها وما على لم أن تفهم البقر

(٥) مدح البحتري بهذه القصيدة محمد بن علي بن عيسى القمي ، الكاتب ، وهي في ديوانه

٧٣٠/٢ - ٧٣٤ (طبع بيروت سنة ١٩١١ م) .

بَرِّقُ سَرَى فِي بَطْنِ وَجْرَةَ فَاهْتَدَتْ

بِسَنَاهُ أَغْنَأُ الرِّكَابِ الضُّلَّلِ (١)

البيت الأول ، في قوله : « ذلكم الخيال » ، ثقل روح ، وتطويل وحشو ،
وغيره أصلح له (٢) . وأخف منه قول الصنوبري :

أَهْلًا بِذَلِكَ الزَّوْرِ مِنْ زَوْرِ شَمْسٍ بَدَتْ فِي فَلَكَ الدَّوْرِ
وعذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف أو نقصان حرف ، فيصير إلى الكترآزة ،
وتعود ملاحظته بذلك ملوحة ، وفصاحته عيباً ، وبراعته تكلفاً ، وسلاسته تعسفاً ،
وملاسته تلويحاً وتعقداً . فهذا فصل .

وفيه شيء آخر ، وهو : أن هذا الخطاب إنما يستقيم مهما خوطب به
الخيال حال إقباله ، فأما أن يحكى الحال التي كانت وسلفت على هذه العبادة
٣٣٦ ففيه عهدة ، وفي تركيب الكلام عن هذا المعنى عهدة (٣) ، وهو / - لبراعته
وحذقه في هذه الصنعة - يعلتق (٤) نحو هذا الكلام ، ولا ينظر في عواقبه ؛
لأن ملاحظة قوله تغطي على عيون الناظرين فيه نحو هذه الأمور .
ثم قوله : « فَعَلَّ الذي نَهَوَاهُ أو لم يفعل » ليست بكلمة رشيقة ، ولا
لفظة ظريفة ، وإن كانت كسائر الكلام .

فأما بيته الثاني ، فهو عظيم الموقع في البهجة ، وبديع المأخذ (٥) ، حسن الرواء
أنيق المنظر والمسمع ، يملأ القلب والفهم ، ويفرح خاطر ، وتسرى (٦) بشاشته
في العروق .

وكان البعثري يسمي نحو هذه الأبيات : « عُرُوقَ الذهب » وفي نحوه
ما يدل على براعته في الصناعة ، وحذقه (٧) في البلاغة .

ومع هذا كله فيه ما نشرحه من الخلل ، مع الديباجة الحسنة ، والرواق المليح .

(١) م : « فاهتدت بسراه »

(٢) كذا في ك . وفي م : « على هذه العبارة ففيه عهدة ، ومن ركب الكلام غير هذا المعنى عقده »

(٣) ك : « تعلق » . م : « يعلم بنحو »

(٤) م ، ا ، : « وبديع الماء »

(٥) كذا في ك ، م ، ا ، وفي س : « وتري »

(٦) م : « وفي نحوه ما يدل على البراعة في الصناعة ، وحذق » . ك : « وفي نحوه من الخلل مع

الديباجة الحسنة »

وذلك : أنه جعل الخيال كالبرق لإشراقه في مَسْرَاه، كما يقال : إنه يسرى^(١) كنسيم الصَّبَا ، فيطيب ما مرَّ به ، كذلك يضيء ما مرَّ حوله ، وينور ما مرَّ به . وهذا غلو في الصنعة ، إلا أن ذكره « بطن / وجرة » حشو ، وفي ذكره خلل ؛ لأن ٣٣٧ النور القليل يؤثر في بطون الأرض وما اطمان منها ، بخلاف ما يؤثر في غيرها ، فلم يكن من سبيله أن يربط ذلك ببطن وجرة .

وتحديده المكان - على الحشو - أحمد من تحديد امرئ القيس من ذكر « سقط اللوى بين الدخول فحومل ، فتوضح فالمقراة » لم يقنع بذكر حد ، حتى حدّه بأربعة حدود ، كأنه يريد بيع المنزل فيخشى - إن أخلَّ بحد - أن يكون يبعه فاسداً أو شرطه باطلاً !! فهذا باب .

ثم إنما يُذكر^(٢) الخيال بخفاء الأثر ، ودقة المطلب ، ولطف المسلك ، وهذا الذي ذكر يضادُّ هذا الوجه ، ويخالف ما وضع^(٣) عليه أصل الباب .

ولا يجوز أن يقدر مقدرٌ أن البحترى قطع الكلام الأوّل ، وابتدأ بذكر برق لسمع من ناحية حبيبه من جهة بطن وجرة ؛ لأن هذا القطع إن كان فعلمه كان خارجاً به عن النظم المحمود ، ولم يكن مبدعاً ، ثم كان^(٤) لا تكون فيه فائدة ؛ لأن كل برق شعل^(٥) وتكرر^(٦) وقع الاهتداء به في الظلام ، وكان^(٧) لا يكون بما نظمه مفيداً ولا متقدماً . / وهو على ما كان من مقصده فهو ذو لفظ محمود ، ٣٣٨ ومعنى مُسْتَجَلَب^(٨) غير مقصود ، ويعلم بمثله أنه طلب العبارات ، وتعليق القول بالإشارات .

وهذا من الشعر الحسن^(٩) ، الذي يحلو لفظه ، وتقل فوائده ، كقول القائل^(١٠) :

وَلَمَّا قَصَمِينَا مِنْ مِيْنَى كُلِّ حَاجَةٍ
وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَا سِجُ

(١) م : « يقال سرى كنسيم » (٢) م : « ثم إنا نذكر »

(٣) س ، ك : « ما يوضع » (٤) ا : « ثم كان لا يكون بما نظمه مفيداً . . . »

(٥) م : « سعل » (٦) ب : « وتكررى » . (٧) م : « فكان »

(٨) كذا في م ، ا . وفي س : « مستحب » . ك : « مستجلب »

(٩) كذا في م ، ا وفي س ، ك : « من الشعر الحسن الذي »

(١٠) هو كثير كما في ديوانه ص ٧٩ وزهر الآداب ٢/٦٦ وقد ورد في أمالي الشريف المرتضى =

وَسُدَّتْ عَلَى حُدْبِ الْمَهَارَى رِحَالَنَا

وَلَا يَنْظُرُ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحٌ^(١)

٣٣٩ / أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا

وَسَأَلْتُ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحِ^(٢)

هذه ألفاظ بديعة^(٣) المطالع والمقاطع ، حلوة المسجاني^(٤) والمواقع ، قليلة المعاني والفوائد^(٥) .

* * *

فأما قول البحري بعد ذلك :

مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمَنَعُ نَيْلَهَا فَلَوْ أَنَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْدُلْ

كالبدر غير مخيل ، والغصن غير ر مُمَيَّل ، والدعص غير مَهَيَّل^(٦)

فالبيت الأول - على ما تكلف فيه من المطابقة ، وتجسّم الصنعة -

٣٤٠ ألفاظه أوفر من معانيه ، وكلماته أكثر من فوائده ، وتعلم أن القصد / وضع العبارات

= ١١٠/٢ « أخبرنا أبو عبيد الله : محمد بن عمران المرزباني قال : أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال :

أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب ، عن ابن الأعرابي المصرب ، وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمة : ...

فلما قضينا من منى ... » وانظر معاهد التنصيص ١٣٤/٢

وقد ورد هذا الشعر غير منسوب في نقد الشعر ص ١٠ وخصائص ص ٢٦ ، ٢٢٥ ونوادر القالي

ص ١٦٦ والصناعتين ص ٤٢ ومصارع العشاق ص ٣٦٩ وأسرار البلاغة ص ١٦ - ١٨ والشعر والشعراء

١١/١ ومعجم البلدان ١٥٩/٨ ونظام الفريب ص ١٣٦

(١) في م : « فلا ينظر » . وفي نقد الشعر وأسرار البلاغة « على دم المهارى ولم ينظر »

وفي اللسان ٩٩/٥ « فرس أدم : أسود ، والعرب تقول : ملوك الخيل دهمها »

(٢) قال القالي في النوادر ص ١٦٦ : « أطراف الأحاديث : ما يستطرف منها ويؤثر »

(٣) س ، ك : « بعيدة » (٤) م : « المجارى »

(٥) قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء ص ١١ « وضرب منه حسن لفظه وحلا ؛ فإذا أنت فتشته لم

تجد هناك فائدة في المعنى ، كقول القائل : ولما قضينا إلخ . . . هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء نخرج

ومطالع ومقاطع ، وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان ، وعالينا

إبلنا الأنضاء ؛ ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح ، ابتدأنا في الحديث ، وسارت المطى في الأبطح .

(٦) غير مخيل : غير محبوب بغير . وفي س ، ك : « غير مخيل » والتصحيح من الديوان .

والدعص : الكتيب من الرمل .

في مثله ! ولو قال : هي ممنوعة مانعة ، كان ينوب عن تطويله ، وتكثيره الكلام وتهويله . ثم هو معنى متداول مكرّر على كل لسان .

وأما البيت الثاني ، فأنت تعلم أن التشبيه بالبدر والغصن والدّعص ، أمرٌ منقول متداول^(١) ، ولا فضيلة في التشبيه بنحو^(٢) ذلك .

وإنما يبقى تشبيهه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء في البيت ، وهذا أيضاً قريب ؛ لأن المعنى مكرر .

ويبقى له بعد ذلك شيء آخر ، وهو تعمُّله للتَّرصيع في البيت كله ، إلا أن هذه الاستثناءات فيها ضرب من التكلف ؛ لأن التشبيه بالغصن كاف ، فإذا زاد فقال : كالغصن غير مُعَوَّج ، كان ذلك من باب التكلف خللاً ، وكان ذلك زيادةً يُستغنى عنها .

وكذلك قوله : « كالدعص غير مهيل » ؛ لأنه إذا انهال خرج عن أن يكون مطلق التشبيه مصروفاً إليه ، فلا يكون لتقييده معنى .

وأما قوله :

ما الحُسْنُ عندك يا سَعَادُ بِمُحْسِنٍ فيما أَتَاهُ ولا الجَمَالُ بِمُجْمِلٍ^(٣)
عُذِلَ المَشْمُوقُ وَإِنَّ مِنْ سِيبَا الهوى في حيث يَجْهَلُهُ لَجَاجُ العُذْلِ^(٤) ٣٤١
قوله في البيت الأول : « عندك » ، حشو ، وليس بواقع ولا بديع ، وفيه كسُلفه .

والمعنى الذي قصدّه ، أنت تعلم أنه متكرر على لسان الشعراء .

وفيه شيء آخر ؛ لأنه يذكر أن حسنهما لم يُحسِن في تهيج وجدّه وتَهْنِيم قلبه ، وضدُّ هذا المعنى هو الذي يميل إليه أهل الهوى والحب .

(٢) م : « بمثل »

(١) في م : « متداول بين ضعفاء الشعراء »

(٣) في ديوانه « عندك يا إمام بمحسن »

(٤) في ديوانه « وإن من سيبا الهوى » ، م ، ك « تجهله »

وبيتُ كشاجم^(١) أسلمُ من هذا ، وأبعد من الخلل ، وهو قوله :
 بحياة حُسْنِكِ أَحْسَنِ ، وبحقِّ مَنْ

جَعَلَ الْجَمَالَ عَلَيْكَ وَقَفًّا أَجْمَلِي^(٢)

وأما البيت الثاني فإنّ قوله : « في حيث » ، حشا بقوله في كلامه ، ووقع ذلك مستنكراً وحشياً ، نافرأ عن طبعه ، جافياً في وضعه ، فهو كرقعة من جلد في ديباج حسن ! فهو يمحو حسنه ، ويأتى على جماله .

ثم في المعنى شيء ، لأن لَجَاجَ العُدَّلَ لا يدل على هوى مجهول ، ولو كان مجهولاً لم يهتدوا للعدل عليه . فعلم أن المقصد استجلابُ العبارات دون المعاني .

٣٤٢ / ثم لو سلم من هذا الخلل لم يكن في البيت معنى بديع ، ولا شيء يفوت قول الشعراء في العُدَّلَ ؛ فإنّ ذلك جَمَمَتُهُمُ الذَّلُولُ ، وقولهم المَكْرَرُ [المَقُولُ]^(٣)

* * *

وأما قوله :

ماذا عليك مِنْ انتظارٍ مُتِّيمٍ
 بَلْ مَا يَضُرُّكَ وَقَفَّةٌ فِي مَنْزِلِ

إِنْ سَبِيلَ عَمَى عَنِ الْجَوَابِ فَلَمْ يُطِقْ

رَجَعاً ، فكيف يكون إن لم يُسأل !؟

لست أنكر حسين البيتين وظرفهما ، ورشاقتهما ولطفهما ، وماءهما وبهجتهما ، إلا أنّ البيت الأول منقطع عن الكلام المتقدم ضرباً من الانقطاع ؛ لأنّه لم يجر لمشافهة العاذل ذِكْرٌ ، وإنما جرى ذكر العُدَّلَ على وجه لا يتصل هذا البيت به ولا يلائمه^(٤) .

ثم الذي ذكّره من الانتظار - وإن كان مليحاً في اللفظ - فهو في

(١) لقب الشاعر محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك ، طباح سيف الدولة . وهو الذي لقب نفسه بهذا اللقب ، فمثل عن ذلك فقال : الكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والميم من جواد ، والميم من منجم
 (٢) في ديوانه ١٤٣ « حَسْنِكِ أَحْسَنِ »
 (٣) الزيادة من أ ، ب ، م
 (٤) س : « ولا يلائم »

المعنى متكلف ؛ لأن الواقف في الدار لا ينظر أمراً ، وإنما يقف تحسراً وتكلاًدًا^(١) وتحيراً .

/ والشطر الأخير من البيت واقع ، والأول مُستَجَلَب ؛ وفيه تعليق على أمر لم ٣٤٣
يَجْرِي له ذكر ؛ لأن وضع البيت يقتضى تَقَدُّمَ عَدْلٍ على الوقوف ، ولم يحصل
ذلك مذكوراً في شعره من قبل .

وأما البيت الثاني ، فإنه معلق بالأول ، لا يستقل إلا به ؛ وهم يعيرون وقوف
البيت على غيره ، ويرون أن البيت التام هو الحمود ، والمصراع التام بنفسه - بحيث
لا يقف على المصراع الآخر - أفضل وأتم وأحسن .

وقوله : « فكيف يكون إن لم يسأل » ، مليح جداً ، ولا تستمر^(٢) ملاحظة
ما قبله عليه ، ولا يطرد فيه الماء اطرآده فيه .
وفيه شيء آخر ؛ لأنه لا يصح^(٣) أن يكون السؤال سبباً لأن يتعيماً عن
الجواب ، وظاهر القول يقتضيه .

* * *

فأما قوله :

لا تَكْلُفَنَّ لِي الدَّمُوعَ فَإِنَّ لِي
دَمْعاً يَنْسُمُ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَفْضُلِ^(٤)
ولقد سَكَنْتُ إِلَى الصَّدُودِ مِنَ النَّوَى
وَالشَّرَى أَرَى عِنْدَ أَكْلِ الحَنْظَلِ^(٥)
/ وكذاك طَرْفَةٌ حِينَ أَوْجَسَ ضَرْبَةً
فِي الرَّأْسِ هَانَ عَلَيْهِ فَضْدُ الأَكْحَلِ^(٦)

٣٤٤

(١) س : « وتذللًا » . وفي اللسان ٣٩٥/٤ « وتلدد : تلفت يمينا وشمالا وتحير متبداً »

(٢) م : « ولا تستم » .

(٣) كذا في ا ، م وفي ب ، ك ، س : « لا يصلح »

(٤) كذا في س ، ك . وفي الديوان : « يتم عليه » . وفي م : « يعم عليه »

(٥) في اللسان ١٥٩/١٩ « والشري بالتسكين الحنظل » . وفي ٢٩/١٨

« والأرى : العسل » . وفي س ، ك « عند طعم » . وفي ا . « عند أكل » و م « عند أهل » .

(٦) يشير إلى قصة مقتل طرفة بن العبد ، وهم يذكرون أن الربيع بن حوثة سقاه الخمر حتى أمثله ، =

فالببيت الأول مخالف لما عليه مذهبهم ، في طلب الإسعاد^(١) بالدموع ، والإسعاف بالبكاء ، ومُخَالَفٌ لِأَوَّلِ كَلَامِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَفِيدُ مَخَاطَبَةَ الْعُدْلِ ، وَهَذَا يَفِيدُ مَخَاطَبَةَ الرَّفِيقِ .

وقد بينت لك أن القوم يسلكون حفظ الألفاظ وتصنيعها ، دون ضبط المعاني وترتيبها ؛ ولذلك^(٢) قال الله عز وجل : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ،

٣٤٥ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ / . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾^(٣) فأخبر سبحانه أنهم يتبعون القول حيث توجه بهم ، واللفظ كيف أطاعهم ، والمعاني كيف تتبع ألفاظهم . وذلك خلاف ما وضع عليه الإبانة عن المقاصد بالخطاب ، ولذلك كان طلب الفصاحة فيه أسهل وأمكن ، فصار بهذا أبلغ خطابهم . ثم لو أن هذا البيت وما يتلوه من البيتين سلم من نحو هذا ، لم يكن في ذلك شيء يفوت شعر شاعر ، أو كلام متكلم .

وأما قوله : « والشري أرى » ، فإنه وإن كان قد تصنع له من جهة الطباق ، ومن جهة التجنيس المقارب ، فهي كلمة ثقيلة على اللسان ، وهم يذمّون نحو هذا ، كما عابوا على أبي تمام قوله :

كريمٌ متى أمدحه أمدحه والورى معى ، ومتى ما لُمته لُمته وحدى^(٤)
ذكر لى الصاحب [إسماعيل]^(٥) بن عباد : أنه جارى أبا الفضل بن العميد فى محاسن [هذه]^(٥) القصيدة ، حتى انتهى إلى هذا البيت ، فذكر له فى أن قوله : « أمدحه أمدحه » معيب ، لثقله من جهة تدارك حروف الحلق .

ثم فصد أكحله . والأكحل - كما فى اللسان ١٠٥/١٤ « عرق فى اليد يفصد ، وفصده : شقه وقطعه » . وفى م ، ا « قطع الأكحل » . وقال أبو العلاء الممرى فى عبث الوليد ص ١٨٥ « سكن راء طرفه متبعا لأبى تمام فى قوله : والأعشىين وطرفة وليدا . وذلك ليس يحسن . . . وتغيير الاسم بالتصغير أحسن من هذا التسكين . وبعض الناس ينشد : « وكذا عبيد حين أوجس ضربة » وبعضهم يقول « وكذا طريفة » ولم يضعه البحرى إلا على أن طرفه الذى قد خاف القتل فاختر قطع الأكحل . ومن رواه « وكذا عبيد » حمله على أنه عبيد بن الأبرص ، قتله بعض ملوك الحيرة ، قيل ، عمرو بن هند ، وقيل : النعمان فى يوم بؤساء ، فكأنه لما أشرف على القتل هان عليه ما لاقى طرفه ، أى ذلك يسير عند ما فعل به »

(١) : « الإسعاف » (٢) م : « وكذلك »

(٣) سورة الشعراء : ٢٢٤ - ٢٢٦

(٤) ديوانه ص ١٢٩ من قصيدة يمدح بها موسى بن إبراهيم الراقى

(٥) (وه) الزيادة من ا ، م

ثم رأيت بعد ذلك المتقدمين قد تكلموا في هذه النكتة ، فعلمت أن ذلك شيء عند أهل الصنعة معروف .

٣٤٦ / ثم إن قوله : « عند أكل الخنظل » ، ليس بحسن ولا واقع .

وأما البيت الثالث ، فهو أجنبي من كلامه ، غريب في طباعه ، نافر من جملة شعره ، وفيه كترآزة وفجاجة ، وإن كان المعنى صالحاً .

فأما قوله :

وَأَغْرَ فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ مُحَجَّلٍ قَدْ رُحْتُ مِنْهُ عَلَى أَغْرٍ مُحَجَّلٍ (١)
كَالْهَيْكَلِ الْمَبْنِيِّ إِلَّا أَنَّهُ فِي الْحُسْنِ جَاءَ كَصُورَةٍ فِي هَيْكَلِ
فالبيت الأول لم يتفق له فيه خروجٌ حسن ، بل هو مقطوع عما سلف من الكلام .

وعامةٌ خروجُه نحو هذا ، وهو غير بارع في هذا الباب ، وهذا مذموم معيب منه ؛ لأن (٢) من كان صناعته الشعر ، وهو يأكل به ، وتغافل عما يدفع (٣) إليه في كل قصيدة ، واستهان بإحكامه وتجويده ، مع تتبعه لأن (٤) يكون عامة ما به يُصدَّر أشعاره من النسب عشرة أبيات ، وتبته للصنعة الكثيرة ، وتركيب العبارات ، وتنقيح الألفاظ وتزويرها — كان ذلك أدخل في عيبه ، وأدل على تقصيره أو قصوره ، وإنما (٥) يقع له الخروج [الحسن في مواضع يسيرة / وأبو تمام ٣٤٧ أشدّ تتبّعاً لتحسين الخروج] (٦) منه .

وأما قوله : « وأغر في الزمن البهيم محجل » ، فإن ذكر التَّحْجِيل في الممدوح قريب ، وليس بالحييد ، وقد يمكن أن يقال : إنه إذا قُرِنَ بالأغر حَسُنَ ، وجَرَى مجراه ، وانخرط في سلكه ، وأهْوَى إلى مِضْمَارِهِ ، ولم يُنْكَرْ لمكانه من جِوَارِهِ . فهذا عذر ، والعدول عنه أحسن .

(٢) م : « لأن كل من »

(٤) م : « بأن »

(٦) الزيادة من ا ، ب ، م

(١) ابن أبي الحديد : ٢ - ٢٤٤

(٣) كذا في م ، ا ، و في س ، ك : « يرفع »

(٥) س : « وأنه لا يقع »

وإنما أراد أن يرُدَّ العَجْزَ على الصَّدْر ، ويأتي بوجه [في] ^(١) التجنيس .
وفيه شيء ؛ لأن ظاهر كلامه يوهم أنه قد صار ممتطياً ^(٢) الأغر الأول
وراثحاً عليه .

ولو سلم من ذلك لم يكن فيه ما يفوت حدود الشعراء ، وأقاويل الناس .
فأما ذكر الهيكل في البيت الثاني ، وردّه عجز البيت عليه ، وظنه أنه قد
ظفر بهذه اللفظة وعمل شيئاً ، حتى كررها ، فهي كلمة فيها ثقل ، ونحن نجدهم
إذا أرادوا أن يصفوا بنحو ^(٣) هذا قالوا : « ما هو إلا صورة » ، و « ما هو إلا
نَسْ » ، و « ما هو إلا دُمِيَّة » ، و « ما هو إلا ظبية » ، ونحو ذلك من
الكلمات الخفيفة على القلب واللسان .

٣٤٨ / وقد استدرك ^(٤) هو أيضاً على نفسه ، فذكر أنه كصورة في هيكل ، ولو اقتصر
على ذكر الصورة وحذف الهيكل ، كان أولى وأجمل .
ولو أن هذه الكلمة كررها أصحاب العزائم على الشياطين ، لمرّ أعزهم بها ،
وأفزعهم بذكرها ! وذلك من كلامهم ، وشبيه بصناعتهم ^(٥) .

• • •

وأما قوله :

وَإِ فِي الضُّلُوعِ يَشْدُ عَقْدَ حَزَامِهِ يَوْمَ اللِّقَاءِ عَلَى مِعْمٍ مُخْوِلِ
أَخْوَالُهُ لِلرُّسْتَمِينَ بِفَارِسِ وَجُدُّهُ لِلتَّبَعِينَ بِمَوْكِلِ
نُبْلُ الْمَحْزَمِ مِمَّا يمدح به الخليل ، فهو لم يأت فيه ببديع .

وقوله : « يشد عقد حزامه » ، داخل في التكلف والتعسف ، لا يقبل من
مثله وإن قبلناه من غيره ، لأنه يتبع الألفاظ وينقدّها نقداً شديداً ، فهلا
قال : « يشد ^(٦) حزامه » ، أو يأتي بحشو آخر سوى العقد ؟ فقد عقد هذا البيت
بذكر العقد .

ثم قوله : « يوم اللقاء » ، حشو آخر لا يحتاج إليه .

(٢) م ، ك : « ممتطى »

(٤) م : « استدرك أيضاً »

(٦) م : « شد »

(١) الزيادة من م ، ك ، ا

(٣) كذا في ا ، م ، ك وفي س : « يصنموا نحو »

(٥) م : « بفظاعتهم »

وأما البيت الثاني فعناه أصلح من ألفاظه ؛ لأنها غير مجانسة لطباعه ، وفيها غلظ ونفار .

* * *

/ وأما قوله :

يَهْوَى كَمَا تَهْوَى الْعُقَابُ وَقَدْ رَأَتْ
صَيْدًا وَيَنْتَصِبُ انْتِصَابَ الْأَجْدَلِ (١)
مُتَوَجِّسٌ بِرِيقَتَيْنِ كَأَنَّهَا
تُرْيَانٌ مِنْ وَرَقٍ عَلَيْهِ مُوَصَّلٍ (٢)
مَا إِنْ يَعَافُ قَدَى ، وَلَوْ أوردته
يَوْمًا خَلَائِقَ حَمْدَوِيهِ الْأَحْوَالِ (٣)

البيت الأول صالح ، وقد قاله الناس ولم يسبق إليه ، ولم يقل ما لم يقولوه ، بل هو منقول . وفي سرعة عدو الفرس تشبيهات ليس هذا بأبدعها ، وقد يقولون : « يفوت الطَّرف » ، و « يسبق الريح » ، و « يجارى الوهم » و « يكد^(٤) النظر » ولو لأن الإتيان على محاسن ما قالوه في ذلك يخرج الكلام عن غرض الكتاب ، لنقلت^(٥) لك جملة مما ذهبوا إليه في هذا المعنى . فتتبع تعلم أنه لم يأت فيها بما ٣٥٠ يسجل^٦ عن الوصف ، أو يفوت منتهى الحد .

على أن الهويّ يذكر عند الانقضااض خاصة ، وليس للفرس هذه الصفة في الحقيقة ، إلا أن يشبه حدّه^(٦) في العدوّ بحالة انقضااض البازي والعُقَاب ، وليست تلك الحالة بأسرع أحوال طيرانها .

وأما البيت الثاني ، فقولوه : إن الأذنين كأنهما من ورق موصل ، وإنما أراد

(١) كذا في الديوان وم ، ا . وفي س ، ك ، ب « وينقض انقضااض الأجدل »

(٢) في اللسان ١٤٠/٨ « والتوجس : التسمع إلى الصوت الخفي » برقيقتين : أي بأذنين

(٣) في ابن أبي الحديد ٢/٢٤٤ « ألا تراه كيف استطرد بذكر حمدويه الأحوال الكاتب ، وكأنه لم يقصد ذلك ولا أراد ، وإنما جرته القافية ، ثم ترك ذكره وعاد إلى وصف الفرس ، ولو أقسم لإنسان أنه ما بنى القصيدة منذ افتتاحها إلا على ذكره ، ولذلك أتى بها على روى اللام - لكان صادقاً »

(٤) س ، ك : « ويكر »

(٥) م : « نقلت »

(٦) م : « حدته »

بذلك حِدَّتَهُمَا ، وسرعة حركتهما ، وإحساسهما بالصوت ، كما يحس الورق بِحَفِيفِ الرِّيحِ . وظاهر التشبيه غير واقع ، وإذا ضمن ما ذكرنا من المعنى كان المعنى حسناً ، ولكن لا يدل عليه اللفظ ، وإنما يجري مجرى الْمُضْمَنِّ .

وليس هذا البيت برائق اللفظ ، ولا مشاكل فيه لطبعه ، غير (١) قوله :
« مُتَوَجِّسٌ بِرَفِيقَتَيْنِ » ، فإن هذا القدر هو حسن (٢) .

وأما البيت الثالث ، فقد ذكرنا فيما مضى من الكتاب أنه من باب الاستطراد (٣) ونقلنا نظائر ذلك من قول أبي تمام وغيره ، وقطعة أبي تمام في نهاية الحسن في هذا المعنى .

والذي وقع للبحرئى في هذا البيت عندى (٤) ليس بجيد في لفظ ولا معنى ، وهو بيت وَحِشٌ جَدًّا ، قد صار قَدَّيْ في عين هذه القصيدة ، بل وَخَزًّا فيها وَوَبَالًا عليها ، قد كدَّرَ صَفَاءَهَا ، وأذهب بَهَاءَهَا وماءَهَا ، وطَمَسَ بِظُلْمَتِهِ سِنَاءَهَا .

وما وجه مدح الفرس بأنه لا يعاف قَدَّيْ من المياه إذا وَرَدَهَا ؟ ! كأنه أراد أن يسلك مسلك بَشَّارٍ في قوله :

* وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ (٥) *

وإذا كان لهذا الباب مجازياً ، وعن هذا السَّمَّتِ بعيداً ، فهلاً وصفها بعزة الشرب ؟ كما وصفها المتنبي في قوله :

وَصُولٌ إِلَى الْمُسْتَضْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ

فلو كان قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَأَوْرَدَا (٦)

وهلاً (٧) سلك فيه مسلك القائل :

وَإِنِّي لِلْمَاءِ الَّذِي شَابَهُ الْقَدَى إِذَا كَثُرَتْ وَرَادَهُ لَعِيُوفٌ ؟ ! (٨)

(٢) م : « الحسن »
(٤) سقطت هذه الكلمة من م

(١) م : « ثم قوله »

(٣) راجع ص ١٢٩

(٥) صدره : « فتى لا يبيت على دمنة »

(٦) ديوانه ١٨٧/١ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة

(٧) م : « وهذا »

(٨) غير منسوب في زهر الآداب ١٩٤/٢ وفيه : « للماء المخالط للقذى »

ثم قوله : « ولو أوردته يوماً ، حشو بارد ! ! »

ثم قوله : « حَمْدَ وَيَه الأَحْوَالِ » ، وحش جدياً ، فما أَمَقَّتَ هذا / البيت ٣٥٢
وأبغضه ، وما أثقله وأسخفه ! وإنما غَطَّى على عينه عيبه ، وزين له إيرادَه طمعه
في الاستطراد^(١) ، وهلاً طمع فيه على وجه لا يفض من بهجة كلامه ،
ولامعنى^(٢) ألفاظه ؟ ! فقد كان يمكن ذلك ولا يتعذر .

فأما قوله :

ذَنبٌ كَمَا سُحِبَ الرَّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ عُرْفٍ وَعُرْفٌ كَالقِنَاعِ المُسْبِلِ
تَنَوَّهُمُ الجَوَزَاءُ فِي أَرْسَاغِهِ وَالبَدْرُ فَوْقَ جَبِينِهِ المُتَهَلِّلِ
فالبيت الأول وحشُ الابتداء ، منقطع عما سبق من الكلام . وقد ذكرنا
أنه لا يهتدى لوصل الكلام ، ونظام بعضه إلى بعضه ، وإنما يتصنع لغير
هذا الوجه .

وكان يحتاج أن يقول : ذنب كالرداء ، فقد حذف^(٣) [و] الإوصل غير
متسق ولا مليح ، وكان من سيئه أن لا يخفى عليه ، ولا يذهب عن مثله .

ثم قوله : « كما سُحِبَ الرَّدَاءُ » ، قبيح في تحقيق التشبيه ، وليس بواقع
ولا مستقيم في العبارة ، إلا على إضمار أنه ذنب يسحبه كما يُسحَبُ الرَّدَاءُ !

/ وقوله : « يَذُبُّ عَنْ عُرْفٍ » ، ليس بحسن ولا صادق . والمحمود ما ذكره ٣٥٣
امرؤ القيس ، وهو قوله :

* فُوَيْقَ الأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزَلِ^(٤) *

وأما قوله : « تنوهم الجوزاء في أرساغه » ، فهو تشبيه مليح ، ولكنه لم
يسسبق إليه ، ولا انفرد به .

(٢) م : « ولا يعمى »

() انظر معجم الأدباء ٢٥٠/٩

(٤) في المعاني الكبير لابن قتيبة ١/١٤٩ :

(٣) س ، ك : « حذف الوصل »

بضاف فوق الأرض ليس بأعزل

ضليح إذا استدبرته سد فرجه

ضاف : سابق . سد فرجه : أي فرج ما بين فخذه ، يريد كثرة الذنب . والعزل : أن يعزل ذنبه في أحد
الجانبين ، وذلك عادة لا تخلقه »

ولو نسختُ لك ما قاله الشعراء في تشبيه الغرّة بالهلال والبدر والنجم وغير ذلك من الأمور ، وتشبيه الحجلول – لتعجبت من بدائع قد وقعوا عليها ، وأمور مليحة قد ذهبوا إليها ، وليس ذلك موضع كلامنا ، فتتبع ذلك في أشعارهم ؛ تعلم ما وصفتُ لك .

واعلم أننا تركنا بقية كلامه في وصف الفرس ؛ لأنه ذكر عشرين بيتاً في ذلك . والذي ذكرناه في هذا المعنى يدل على ما بعده ، ولا يعدو ^(١) ما تركناه أن يكون [حسناً مقولاً ، وبديعاً منقولاً ؛ أو يكون] ^(٢) متوسطاً إلى حد لا يفوت طريقة الشعراء .

٣٥٤ / ولو تتبعنا أقاويل الشعراء في وصف الخيل ، علمت أنه وإن جمع فأوعى ، وحشّر فنادى ، ففهم من سبقه في ميدانه ، ومنهم من ساواه في شأوه ، ومنهم من داناه فالقبيل واحد ، والنسيج متشاكل . ولولا كراهة التطويل لنقلت جملة من أشعارهم في ذلك ، لتقف على ما قلت . فتجاوزنا إلى الكلام على ما قاله في المدح في هذه القصيدة .

* * *

قال :

لمحمد بن علي الشرف الذي لا يلحظ الجوزاء إلا من عل
وسحابة لولا تتابع مزينها فينا لراح المزن غير مبخل ^(٣)
والجود يعذله عليه حاتم سرفاً ولا جود لمن لم يعذل
البيت الأول منقطع عما قبله ، على ما وصفنا به شعره : من قطعته ^(٤)

(١) ك : « ولا بعده ما تركناه » (٢) الزيادة من م

(٣) كذا في الأصول ، وفي ديوانه ، « وسحابة لولا . . . غير منخل » وفي عبث الوليد ص ١٨٨ « وسحابة » قال المعري : « الرواية غير ، بالراء ، وهو المعنى المتعارف الذي يتردد في الشعر ، أي أنه جاد جوداً عزيزاً بخل معه الغمام ، إذا كان قد يمسك في بعض الأعوام ، وطالما هلكت السائمة والأنيس لفقد المطر . وهذا المدوح ليس كذلك ؛ إذ كان يجود في كل الأوقات والسنين . وإن رويت « عين مبخل » فله معنى يصح على بعد ، وذلك أنه يراد أنه عين المزن يجوده ، فلا نحفل أصاب فينا المطر أم حقب ، فهذا وجه . ويحتمل أنه لما جاد فأحسبنا بالنائل كرهنا أن يبخل الغمام ؛ إذ كان نسبة جوده في بعض الأحيان ، فكأنه شفع إلينا في ترك تبخيله » . ومعنى حقب – بكسر ففتح – : احتبس . وأحسبنا : أي أعطانا حتى قلنا له : حسبنا

(٤) م : « في قطعه »

/ المعاني ، وفصله بينها ، وقلة تأتية لتجويد الخروج والوصل ، وذلك ^(١) نقصان ٣٥٥
في الصناعة ، وتختلف في البراعة ، وهذا إذا وقع في مواضع قليلة عُدِرَ فيها ، وأما
إذا كان بناءُ الغالب من كلامه على هذا ، فلا عُدِرَ له .

وأما المعنى الذي ذكره ، فليس بشيء مما سبق إليه ، وهو شيء مشترك فيه ،
وقد قالوا في نحوه : إن مجده سماءُ السماءِ ، وقالوا في نحوه الكثير الذي يصعب
نقل جميعه ، وكما قال المُستَنبِي :

وَعَزَمَةٌ بَعَثَتْهَا هِمَّةٌ زُحَلٌ

مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانِ التُّرْبِ مِنْ زُحَلٍ ^(٢)

وحدثني إسماعيل بن عباد : أنه رأى ^(٣) أبا الفضل بن العميد قام لرجل ،
ثم قال لمن حضره : أتدري من هذا ؟ هذا ^(٤) الذي قال في أبيه البحري :
* محمد بن علي الشرف الذي ^(٥)

فذلك يدل على استعظامه للميت ^(٦) ، بما مدح به من البيت .

/ والبيت الثاني في تشبيه جوده بالسحاب قريب ، وهو حديث مكرر ، ليس ٣٥٦
ينفك مديح شاعر منه ، وكان من سبيله أن يبدع فيه زيادة إبداع ، كما قد يقع لهم
لهم في نحو هذا ، ولكنه لم يتصنع له ، وأرسله إرسالاً .

وقد وقع في المصراع الثاني ضربٌ من الخلل ، وذلك : أن المزن إنما يُسَخَّلُ
إذا منع نيله ، وذلك ^(٧) موجود في كل نيل ممنوح ، وكلاهما محمود مع الإسعاف ،
فإن أسعف أحدهما ومنع الآخر لم يمكن التشبيه ، وإن كان إنما شبه غالب [حال] ^(٨)
أحدهما بالآخر ، وذكر قصور أحدهما عن صاحبه ، حتى إنه قد يبخل في وقت

(١) س ، ك : « ذلك »

(٢) في ديوانه ٣٨/٢ من قصيدة مدح بها سيف الدولة . وقيله :

مثل الأمير بنى أمراً فقربه طول الرياح وأيدى الخيل والإبل

يقول : وقربها عليه عزمة حركتها تملو على زحل - الكوكب المعروف - بقدر علو زحل عن

التراب «

(٣) م : « أنه روى »

(٤) ك : « قال : هذا » س : « هو الذي »

(٥) س : « لمحمد بن القاسم الشرف » ! (٦) ا ، ك ، م : « للبيت » م : « البيت »

(٧) س ، ك : « فذلك » (٨) الزيادة من م

والآخر لا يبخل بحال - فهذا جيد ، وليس في حمل الألفاظ على الإشارة إلى هذا شيء .

والبيت الثالث ، وإن كان معناه مكرراً ، فلفظه مضطرب بالتأخير والتقديم ، يشبه ألفاظ المبتدئين .

وأما قوله :

فَضْلٌ وَإِفْضَالٌ وَمَا أَخَذَ الْمَدَى بَعْدَ الْمَدَى كَالْفَاضِلِ الْمُتَفَضِّلِ
سَارٍ إِذَا ادَّلَجَ الْعُقَاةُ إِلَى النَّدَى لَا يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ غَيْرَ مُعَجَّلٍ
فالبيت الأول منقطع عما قبله ، وليس فيه شيء غير التجنيس الذي ليس
بيديع ، لتكرره على كل لسان .

٣٥٧ / وقوله : « ما أَخَذَ الْمَدَى [بعد المدى] ^(١) » ، فإنه لفظ مليح ، وهو كقول
القائل :

* قَدْ أَرْكَبُ الْآلَةَ بَعْدَ الْآلَةِ ^(٢) *

وروى ^(٣) : « الحالة بعد الحالة » . وكقول امرئ القيس :

* سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ ^(٤) *

ولكنها طريقة مذللة ، فهو فيها تابع .

وأما البيت الثاني فقريب في اللفظ والمعنى .

وقوله : « لَا يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ » ليس بلفظ محمود .

وأما قوله :

عَالٍ عَلَى نَظَرِ الْحُسُودِ كَأَنَّمَا جَذَبْتَهُ أَفْرَادُ النُّجُومِ بِأَخْبِلٍ ^(٥)
أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ

(١) الزيادة من ا ، ب ، م .

(٢) في اللسان ٤١/١٣ « والآلة : الحالة ، والجمع الآل ، يقال : هو بآلة سوء ، قال الراجز :

قد أركب الآلة بعد الآله واترك العاجز بالجداله

(٣) م : « وأروى »

(٤) صدره كما في ديوانه ص ١٠٨ • سموت إليها بعد ما نام أهلها •

(٥) في الديوان : « نظر العيون »

فالبیت الأول منكر جداً في جر النجوم بالأرسان^(١) [من]^(٢)/موضعه إلى ٣٥٨
العلو ! والتكلف فيه واقع .

والبيت الثاني أجنبي عنه ، بعيد منه ، وافتتاحه ردىء . وما وجه الاستفهام
والتقرير والاستبانة والتوقيف ؟

والبيتان أجنبيان من كلامه ، غريبان في قصيدته .

ولم يقع له في المدح في هذه القصيدة شيء جيد .

ألا ترى أنه قال بعد ذلك .

نفسى فداؤك يا محمدٌ من فتى يُوفى على ظلمِ الخطوبِ فتَنجَلِي^(٣)
إِنِّي أريدُ أبا سعيد ، والعدى بيئى وبين سحابه المتهلل
كان هذا ليس^(٤) من طبعه ولا من سبكه .
وقوله :

مُضِرُّ الجزيرةِ كُلُّها وربيعه الـ خَابُورِ تُوَعِدُنِي وَأَزِدُّ المَوْصِلِ
قد جُدَّتْ بِالطَّرْفِ الجَوَادِ فَتَنَّبِهْ لِأَخِيكَ من أَدَدِ أَبِيكَ بِمُنْصَلِ
البيت الأول حسن المعنى ، وإن كانت ألفاظه بذكر الأماكن لا يتأق في
التحسين .

وهذا المعنى قد يمكن إيراداه بأحسن من هذا اللفظ وأبداع منه وأرق منه ،

كقوله :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ رَأَيْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابًا^(٥) ٣٥٩
والبيت الثاني قد تعذر عليه وصله بما سبق من الكلام على وجه يلفت^(٦) ، وهو
قبيح اللفظ ، حيث يقول فيه : « فَتَنَّنَهْ لِأَخِيكَ من أَدَدِ أَبِيكَ » ، ومن أخذه
بهذا التعرض^(٧) لهذا السجع ، وذكر هذا النسب ، حتى أفسد به شعره !

(١) م : « بالانسان » (٢) الزيادة من م ، ك . (٣) قبله في الديوان :

ضيف لهم يقرى الضيوف ونازل متكفل فيهم ببر النزل

(٤) م : « كان هذا شيء ليس »

(٥) البيت لجرير ، يهجو به العباس بن يزيد الكندي ، كما في معجم الشعراء ص ٢٦٤

(٦) م : « تلفت » (٧) م : « ومن أخذه بالتعرض »

وأما قوله بعد ذلك في وصف السيف ، يقول :

يَتَنَاوَلُ الرُّوحَ البَعِيدَ مَنَالُهَا عَفْوًا وَيَفْتَحُ فِي القَضَاءِ المُقْفَلِ
بِإِبَانَةٍ فِي كُلِّ حَتْفٍ مُظْلِمٍ وَهِدَايَةٍ فِي كُلِّ نَفْسٍ مَجْهَلٍ (١)
مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُمَضِّهِ يَدُ فَارِسٍ بَطْلٍ وَمَصْقُولٍ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلِ (٢)

ليس لفظ البيت الأول بمضاهٍ لديباجة شعره ، ولا له بهجة نظمه ؛ لظهور أثر التكلف عليه ، وتبين ثقل فيه .

وأما « القَضَاءِ المُقْفَلِ » وفتحها ، فكلام غير محمود ولا مرضى ! واستعارة لو لم يستعرها كان (٣) أولى به ! وهلاَّ عيبَ عليه كما عيب على أبي تمام قوله :

٣٦٠ / فُضِّرَبْتُ الشِّتَاءَ فِي أَخْضَعِيهِ ضَرْبَةً غَادَرْتُهُ عَوْدًا رَكُوبًا (٤)
وقالوا : يستحق بهذه الاستعارة أن يصفع في أخدعيه ! وقد اتبعه البُحْتَرِيُّ في استعارة الأَخْدَعِ ، وكَوَّعًا باتباعه ، فقال في الفتح بن خاقان :

وَإِنِّي وَإِنْ أَبْلَغْتَنِي شَرَفَ العُلَا
وَأَعْتَقْتِ مِنْ ذُلِّ المَطَامِعِ أَخْدَعِي (٥)

إنَّ شيطانه حيث زيين له هذه الكلمة ، [و] تابعه حين حسن عنده (٦) هذه اللفظة - لحيثُ ماردٌ ، وَرِدِيءٌ مُعَانِدٌ ، أَرَادَ أَنْ يُطْلِقَ أَعِينَةَ الذَّمِّ فِيهِ ، وَيُسْرِّحَ جِيوشَ العتبِ إليه ! ولم يقنع بِقُفْلِ القَضَاءِ ؛ حتى جعل لِلحَتْفِ ظُلْمَةً تُجَلِّي بالسيف ، وجعل السيف هاديًا في النفس المَسْجُهَلِ الذي لا يهتدى إليه ! وليس في هذا مع تحسين (٧) اللفظ وتبنيقه شيء ؛ لأن

(١) في الديوان : « إبانة في كل » (٢) س : « يمضه »

(٣) س ، ك : « كانت »

(٤) ديوانه ص ٢٧ وفيه « غادرته قودا » ، والقود والعود : الجملة . والأخدعان : عرقان في جازي

العتق ، كما في اللسان ٤١٩/٩

(٥) كذا في الديوان ، وفي ك ، س ، م « وإني وقد بلغتني الشرف العلاء »

(٦) من قوله : « إن شيطانه » إلى هنا - سقط من م . والزيادة من أ ، ك

(٧) م : « تحيس »

السلاح وإن كان معيياً ، فإنه يهتدى إلى النفس .

وكان يجب أن يبدع في هذا إبداع المْتَسَبِي في قوله :

كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عِيُونٌ وَقَدْ طُبِعَتْ سَيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ (١)

وقد صُغَتِ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَخْطُرَنَّ إِلَّا فِي فُؤَادٍ (٢)

٣٦١

/ فالاهتداء على هذا الوجه في التشبيه بديع حسن .

وفي البيت الأول شيء آخر : وذلك أن قوله : « ويفتح في القضاء » ؛

في هذا الموضع حشورديء ، يلحق بصاحبه اللكنة ، وَيَلْزِمُهُ الْهَجْنَةَ .

وأما البيت الثالث ، فإنه أصلح (٣) هذه الأبيات ، وإن كان ذكر الفارس

حشوراً ، وتكلفاً ولغوياً ؛ لأن هذا لا يتغير بالفارس والراجل . على أنه ليس

فيه بديع .

وأما قوله :

يَغْشَى الْوَعَى وَالتَّرْسُ لَيْسَ بِجُنَّةٍ

مِنْ حَدِّهِ وَالذَّرْعُ لَيْسَ بِمَعْقِلٍ (٤)

مُضْغٍ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى ، فَإِذَا مَضَى

لَمْ يَلْتَفِتْ ، وَإِذَا قَضَى لَمْ يَعْدِلْ

مُتَوَقِّدٌ يَبْرِي بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ

مَا أَدْرَكَتْ ، وَلَوْ أَنَّهَا فِي يَدْبَلٍ (٥)

البيتان الأولان من الجنس الذي يكثر كلامه عليه ، وهي طريقته / التي ٣٦٢

يَجْتَبِيهَا (٦) ، وذلك من السبك الكتابي والكلام المعتدل ، إلا أنه لم يبدع

فيهما (٧) بشيء ، وقد زيد عليه فيهما .

(١) ديوانه ٢٢٨/١ من قصيدة يمدح بها علي بن إبراهيم التنوخي

(٢) س : « في الفؤاد »

(٣) م : « فإنه أملح »

(٤) في الديوان : « فالترس »

(٥) في الديوان : « متائق يفرى » . ويذبل : اسم جبل في بلاد نجد

(٦) كذا في أ ، ب . وفي س ، ك : « طريقته الذي يجتنبها » . وفي م « طريقته التي لم يبدع فيها

(٧) س : « فيها . . . فيها »

ومن قصد إلى أن يكمل عشرة أبيات في وصف السيف ، فليس من حكمه أن يأتي بأشياء منقولة ، وأمور مذكورة ، وسبيله أن يُغرب ويُبدع ، كما أبدع المتنبي في قوله :

سَلَّهُ الرَّكْضُ بَعْدَ وَهْنٍ بِنَجْدٍ فَتَصَدَّى لِلغَيْثِ أَهْلُ الْحِجَازِ (١)

هذا في باب صِقَالِهِ وَأَصْوَانِهِ وَكَثْرَةِ مَائِهِ ، وكقوله :

رِيَّانٌ لَوْ قَدَفَ الَّذِي أَسْقَيْنَتْهُ

لَجَرَى مِنَ الْمُهْجَاتِ بَحْرٌ مُزِيدٌ (٢)

وقوله : « مُصْغٍ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى » - إن تأملته - مقلوب ، كان ينبغي

أن يقول : يصغى الردى إلى حكمه ، كما قال الآخر :

* فَالسَّيْفُ بِأَمْرٍ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ (٣) *

/ وقوله : « وإذا قضى لم يعدل » ، متكرر على ألسنتهم في الشعر خاصة ، في

٣٦٣

نفس هذا المعنى .

والبيت الثالث سليم ، وهو كالأولين في خلوه عن البديع .

فأما (٤) قوله :

فَإِذَا أَصَابَ فِكْلُ شَيْءٍ مَقْتَلٌ وَإِذَا أُصِيبَ فَمَا لَهُ مِنْ مَقْتَلٍ

وَكَانَ مَا سُودُ النِّمَالِ وَحُمْرُهَا دَبَّتْ بِأَيْدٍ فِي قَرَاهُ وَأَرْجُلٍ

البيت الأول يقصد بمثله صنعة (٥) اللفظ ، وهو في المعنى متفاوت ، لأن

(١) ديوانه ٣٧٤/١ من قصيدة يمدح بها علي بن صالح الروذباري الكاتب

(٢) ديوانه ٢١٥/١ من قصيدة يمدح بها شجاع بن محمد الطائي المنبجي

(٣) ذكر الطبري ٨٦/١٠ في مقتل أنس بن أبي شيخ كاتب البرامكة سنة ١٨٧ أن شاعراً قال :

تلمعظ السيف من شوق إلى أنس فالموت يلحظ والأقدار تنتظر

وأشده أبو تمام في ألوحشيات لبعض بني ثعل ص ٣٨ وبعده :

أظله منك حتف قد تجلله حتى يؤامر فيه رأيك القدر

أفضى من السيف إلا عند قدرته وليس للسيف عفو حين يقتدر

والأبيات في عيون الأخبار ١٣٠/١ غير منسوبة ، العقد الفريد ١٨١/٢ لمسلم بن الوليد في

(٤) م : « وأما »

قصة طويلة

(٥) كذا في ١ ، ب ، م . وفي س ، ك « يقصه به صنيعه »

المضرب قد لا يكون مقتلاً ، وقد يطلق الشعراء ذلك ، ويرون أن هذا أبداع من قول المتنبي ، وأنه بضده (١) :

القَاتِلِ السِّيفِ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ

وَلِلسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ أَجَالٌ (٢)

وهذه طريقة لهم يتمدحون بها في قَصْفِ الرمح طَعْنًا ، وتقطع السيف ضربًا .

٣٦٤ وفي قوله : « وَإِذَا أُصِيبَ فَمَا لَهُ مِنْ مَقْتَلٍ » تعسفٌ ؛ لأنه يريد بذلك أنه لا ينكسر ، فالتعبير بما عبَّرَ به عن المعنى الذي ذكرناه يتضمن التكلّف وضربًا من المحال ، وليس بالنادر ، والذي عليه الجملة ما حكيناه عن غيره .

ونحوه قال بعضُ أهل الزمان :

يُقَصِّفُ فِي الْفَارِسِ السَّمْهَرِيِّ وَصَدَرَ الْحُسَامِ فَرِيْقًا فَرِيْقًا (٣)

والبيت الثاني أيضًا هو معنى (٤) مكرر على السنة الشعراء .

وأما تَصْنِيعُهُ سُودَ (٥) النَّمَالِ وَحُمْرُهَا ، فليس بثىء ، ولعله أراد بالحمز الذرّ ، والتفصيل بارد ! والإعْرَابُ بِهِ مُنْكَرٌ ! وهو — كما حُكِيَ عن بعضهم أنه قال — : كان كذا حين كانت الثريا بحذاء رأسي على سواء ، أو منحرفًا قَدَرُ شِبْرٍ ، أو نصف شبر ، أو إصبعًا ، أو ما يقارب ذلك ! فقيل له : هذا من الورع الذي يبغضه الله ، ويمقتته الناس ! !

ورُبَّ زِيَادَةٍ كَانَتْ نَقْصَانًا .

وصفة النمل بالسواد والحمرة في هذا من ذلك الجنس ، وعليه خرج بقية البيت في قوله :

* دَبَّتْ بِأَيْدِي فِي قَرَاهُ وَأَرْجُلِ *

وكان يكفي ذكر الأرجل عن ذكر الأيدي .

(١) م : « وإنه لضده »

(٢) كذا في الديوان . وفي م : « ويقتل » . وس ، ك : « يقتل »

(٣) م : « ويقصف »

(٤) م : « هو بيت »

(٥) م : « وأما تصريفه سود »

/ ووصف^(١) الفيرنند بمدب النمل شئ لا يشد عن أحد منهم^(٢) .
وأما قوله :

وَكَاَنَّ شَاهِرُهُ إِذَا اسْتَصْوَى بِهِ الزَّرَّ حَفَانٍ يَعْصِي بِالسَّمَاءِ الْأَعَزَّلِ^(٣)
حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بِقَسْلَةٍ مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةٌ لَمْ تَذْبُلِ
البيت الأول منهما فيه ضرب من التكلف ، وهو منقول من أشعارهم وألفاظهم ،
وإنما يقول :

[وترأه في ظلم الوغى فتحخاله قمرأ يشد على الرجال بكوكب]^(٤)
فجعل ذلك الكوكب السَّمَاءَ ، واحتاج إلى أن يجعله أعزَّل ، للقفية !
٣٦٦ ولولم يحتاج إلى ذلك كان خيراً له ؛ لأن هذه الصفة^(٥) في هذا الموضع / تغض
من الموصوف^(٦) ؛ وموضع^(٧) التكلف الذي ادعيناها ، الحشوشو الذي ذكره من
قوله : « إذا استصوى به الزحفان » وكان يكفي أن يقول : كأن صاحبه
يعصى بالسَّمَاءِ ؛ وهذا ، وإن كان قد تعدل فيه للفظ ، فهو لغو^(٨) ، على
ما بيننا .

وأما البيت الثاني ففيه لغو من جهة قوله : [« حمائله القديمة » ، ولا يوصف
السيف بأن]^(٩) حمائله قديمة ، ولا فضيلة له في ذلك .

(١) م : « ويصف »

(٢) في ديوان المعاني ٥٧/٢ « ويشبه الفيرند بمدب النمل ، فن قديم ما قيل فيه قول امرئ القيس :

متوسداً عصباً مضاربه في متنه كسدية النمل

(٣) كذا في النسخ ، وفي الديوان :

وكان شاهره إذا استعصى به في الروع يعصى بالسماك الأعزل

وفي اللسان ٢٩٤/١٩ « وعصى بسيفه وعصابه يعصو عصباً : أخذه أخذ العصا ، أو ضرب به ضربه

بها » .

وفي اللسان ٣٢٨/١٢ « والسماكان : نجمان نيران ، أحدهما السماك الأعزل ، والآخر السماك
الرامح . . . وسمي أعزل لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب ، كالأعزل الذي لا رمح معه ، ويقال : سمي
أعزل لأنه إذا طلع لا يكون في أيامه ريح ولا برد ، وهو أعزل منها » .

(٤) الزيادة من م . وفي س ، ك : « وإنما يقول : قمر يشد على الرجال بكوكب » .

(٥) م : « هذه القصة » . (٦) م : « نقص » س : « تغضه » .

(٧) م ، ك : « من الموضع » . (٨) م : « فيه بلفظ فهو لغو » .

(٩) الزيادة من م .

ثم تشبيه السيف بالبقلة من تشبيهات العامة ، والكلام الرذل النذل ؛ لأن العامة (١) قد يتفق منها تشبيهه وأقع حسن .

ثم انظر إلى هذا المقطع الذي هو بالعبي أشبه منه بالفصاحة ، وإلى اللكنة أقرب منه إلى البراعة .

وقد بينا أن مراعاة الفواتح والخواتم ، والمطامع والمقاطع ، والفصل والوصل ، بعد صحة الكلام ، ووجود الفصاحة فيه - مما لا بد منه ، وأن الإخلال بذلك يخل بالنظم ، ويذهب رونقه ، ويحيل بهجته ، ويأخذ ماءه وبهائه (٢) .

* * *

/وقد أطلت عليك فيما نقلت ، وتكلف ما سطرت ؛ لأن هذا القبيل قبيل ٣٦٧ موضوع ، متعمل مصنوع (٣) .

وأصل الباب في الشعر على أن ينظر إلى جملة القصة ، ثم يتعمل الألفاظ ، ولا ينظر بعد ذلك إلى مواقعها ، ولا يتأمل مطارحها . وقد يقصد تارة إلى تحقيق الأغراض ، وتصوير المعاني التي في النفوس ، ولكنه يلحق بأصل بابه ، ويميل بك إلى موضوعه ، وبحسب الاهتمام بالصنعة يقع فيها (٤) التفاضل .

وإن أردت أن تعرف وصاب الفرس ، فقد ذكرت لك أن الشعراء قد تصرفوا في ذلك بما يقع إليك - إن كنت من أهل الصنعة - مما يطول علمتي نقله ، وكذلك في السيف .

وذكر لي بعض أهل الأدب : أن أحسن قطعة في السيف قول أبي الهول الحميري (٥) :

(١) م : تشبيهاً العامة البذل ، لأن العامة « (٢) سقطت هذه الكلمة من م

(٣) س ، ك : « إلى موضعه » (٤) م : « فيه »

(٥) اسمه عامر بن عبد الرحمن ، مدح المهدي والهادي والشيد والأمين . وكان خبيث اللسان ، هجا خلقاً كثيراً ، منهم : جعفر بن يحيى البرمكي . راجع تاريخ بغداد ١٢ / ٢٣٧ - ٢٣٨ وفي ديوان المعاني ٥٢ / ٢ « ومن بليغ ما قيل في وصف السيف قول ابن يامين . قال محمد بن داود بن الجراح عن أبي هفان عن الإياضي القاضي ، عن الهيثم بن عدي قال : لما صار سيف عمرو بن معدي كرب - الذي يسمى : الصمصامة - إلى الهادي ، وكان عمرو وهبه لسعيد بن العاص ، فتوارثه ولده إلى أن مات ، فاشتراه موسى الهادي منهم بمال جليل ، وكان موسى من أوسع بني العباس خلقاً وأكثرهم عطاء للمال . قال : فجرده ووضعه = إعجاز القرآن

- ٣٦٨ / حَاَزَ صَمَامَةَ الزُّبَيْدِيَّ مِنْ بَيْتِ
سَيْفِ عَمْرُو وَكَانَ - فِيمَا سَمِعْنَا -
أَخْضَرَ اللَّوْنِ بَيْنَ بُرْدِيهِ حَدِّ
أَوْقَدَتْ فَوْقَهُ الصَّوَاعِقُ نَارًا
فَإِذَا مَا شَهَرْتَهُ بِهَرَّ الشَّمَّةِ
يَسْتَطِيرُ الْأَبْصَارَ كَالْقَبَسِ الْمُشَّةِ
٣٦٩ / وَكَأَنَّ الْفِرْنِدَ وَالرُّوْتَقَ الْجَا
نِعْمَ مِخْرَاقُ ذِي الْحَفْمِيظَةِ فِي الْهَيْدِ
ن جميع الأنام موسى الأمين^(١)
خير ما أطبقت عليه الجفون^(٢)
من ذعاف تميمس فيه المنون^(٣)
ثم شابت له الذعاف القيون^(٤)
س ضياء فلم تكذ تستبين^(٥)
عل لا تستقيم فيه العيون^(٦)
رى في صفحته ماء معين^(٧)
جاء يعصى به ، ونعم القرين^(٨)

= بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا ودعا بمكثل فيه دنانير فقال: قولوا في هذه السيف، فبدرهم ابن يامين فقال: حاز ، ، إلخ . وكذلك نسب هذا الشعر لابن يامين البصرى فى وفيات الأعيان ١٥٩/٥ ومروج الذهب ٢٤٥/٣ وهو لأبى الهول الحميرى فى الحيوان ٨٧/٥ وقد ذكر المعافى بن زكريا فى الجليس والأنيس أن موسى الهادى أمر بإحضار الشعراء فكان بالبواب منهم أبو الهول ، وأبو الغول التميمى ، وسلم الخاسر . . . فأما أبو الهول فلم يصف شيئاً ، وأما سلم فلم يرض ما قال ، وأما أبو الغول فوصف فأحسن وأخذ الصلة : عشرة آلاف درهم والحملان والخلع وانصرف . وأمر لأبى الهول وسلم الخاسر بخمسة آلاف ، خمسة آلاف وانصرفا ، فكان الشعر لأبى الغول حيث يقول : حاز ، إلخ . وانظر كتاب التشبيهات لابن أبى عون ص ١٤٢ - ١٤٣

(١) فى اللسان ٢٤٠/١٥ «الصمصام والصمصامة : السيف الذى لا ينثى ، والصمصامة : سيف عمرو بن معدى كرب»

(٢) كذا فى الحيوان . وفى الجليس والأنيس ، وديوان المعافى ، ومروج الذهب ، ووفيات الأعيان «خير ما أغمدت»

(٣) فى وفيات الأعيان «بين حديه برد من ذباح تميمس»

(٤) فى وفيات الأعيان «شابت فيه» . وديوان المعافى «شابت به» . وفى الحيوان «ثم ساطت به الزعاف المنون» . والذعاف : سم ساعة ، كما فى اللسان ٨/١١

(٥) فى م ، ا ، ب ووفيات الأعيان وديوان المعافى «فإذا ما سلته» .

(٦) فى ديوان المعافى ووفيات الأعيان «ما تستقر»

(٧) فى المرجعين السابقين : «والجوهر الجارى» . وفى م : «على صفحته» . و س «فى صفحته» . وفى اللسان ٣/٣٤٤ «وصفح السيف وصفحه : عرضه ، والجمع : أصفاح . وصفحتا السيف وجهاه» .

(٨) م : «يقضى» . وفى ديوان المعافى : «فى الهيجا بمضاتها»

ما يُبَالِي إِذَا انْتَحَاهُ بِضَرْبِ أَشْمَالٍ سَطَّتْ بِهِ أُمُّ يَمِينٍ^(١)

* * *

وإنما يُوازن شعر البُحْتَرِيِّ بِشعر شاعر من طبقتَه ، ومن أهل عصره ، ومن هو في مضماره أو في منزلته .

ومعرفةُ أَجْنَاسِ الكلام ، والوقوف على أسراره ، والوقوف على مقداره ، شيءٌ — وإن كان عزيزاً ، وأمرٌ — وإن كان بعيداً — فهو سهل على أهله ، مستجيب لأصحابه ، مطيع لأربابه ، يتقنون الحروف ، ويعرفون الصُرُوفَ .
وإنما تبقى الشبهة في ترتيب الحال بين البُحْتَرِيِّ ، وأبي تَمَّامٍ ، وابن الرومي ، وغيره .

ونحن وإن كنا نفضِّل البُحْتَرِيَّ بديباجة شعره ، على ابن الرومي / وغيره من ٣٧٠ أهل زمانه — نقدّمه بحسن عبارته ، وسلاسة كلامه^(٢) ، وعدوبة ألفاظه ، وقلة تعقد قوله .

والشعرُ قَسِيلٌ مُلْتَمَسٌ مستدرَكٌ ، وأمرٌ ممكنٌ مطيعٌ^(٣) .
ونظم القرآن عال عن أن يعلق به الوهم ، أو يسمو إليه الفكر ، أو يطمع فيه طامع ، أو يطلبه طالب : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾^(٤) .

وكنت قد ذكرت لك قبل هذا : أنك إن كنت بصنعة علم اللسان مُتدرباً ، وفيه متوجهاً متقدماً ، أمكنك الوقوف على ما ذكرنا ، والنفوذ فيما وصفنا ، وإلا فاجلس في مجلس المقلدين ، وأرض بمواقف المتحيرين .

ونصحتُ لك حيثُ قلتُ : انظر ، هل تعرفُ عُرُوقَ الذهب ، ومحاسن الجوهر ، وبدائع الياقوت ، ودقائق^(٥) السحر ، من غير معرفة بأسباب هذه الأمور ومقدماتها ؟ وهل يُقطع سَمَتُ البلاد من غير اهتداء فيها ؟

(١) في ديوان المعاني : « إذا انتضاه » . وبعده فيه :

وكان المتنون نيطت إليه فهو من كل جانيه منون
أخذ عليه من هذه الأبيات تشبيهه السيف بالشمس ثم بالقبس ؛ لأنه قد حطه درجات

(٢) م : « عبارته ، وعدوبة ألفاظه » (٣) م : « منطبع »

(٤) سورة فصلت : ٤٢ (٥) م : « ودقائق »

ولكل شيء طريق يُتَوَصَّلُ إليه به ، وباب يُؤخذ نحوه فيه ، ووجه
يؤتى منه .

٣٧٠ / ومعرفة الكلام أشد من المعرفة بجميع ما وصفت^(١) لك ؛ وأغمض وأدق
والطيف .

وتصوير ما في النفس ، وتشكيل ما في القلب ، حتى تعلمه وكأنك مشاهده ،
وإن كان قد تيقع بالإشارة ، ويحصل بالدلالة والأمانة ، كما يحصل بالنطق
الصريح ، والقول الفصيح — فللإشارات أيضاً مراتب ، وللسان^(٢) منازل . ورب
وصف يُصوِّر لك الموصوف كما هو على جهته لا خُلف فيه ، ورب وَصَفَ
ببِرٍّ^(٣) عليه^(٤) ويتعداه ، ورب وصف يقصر عنه .

ثم إذا صدق الوصف ، انقسم إلى صحة وإتقان ، وحسن وإحسان ، وإلى
إجمال وشرح ، وإلى استيفاء وتقريب ، وإلى غير ذلك من الوجوه .

ولكل مذهب وطريق ، وله^(٥) باب وسبيل :

فوصف الجملة الواقعة ، كقوله تعالى : ﴿لَوْ اَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾^(٦) .

٣٧٢ والتفسير كقوله : ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً/ وَحَشَرْنَاهُمْ
فَلَمْ نَعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٧) إلى آخر الآيات في هذا المعنى .

وكنحو قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ
عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ
حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(٨) .
هذا مما يصوِّر الشيء على جهته ، ويمثل أهواز ذلك اليوم .

ومما يصوِّر لك الكلام الواقع في الصفة ، كقوله حكاية عن السحرة لما
توعدهم فرعون بما توعدهم به حين آمنوا : ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ ، إِنَّا إِلَى رَبِّنَا

(١) م : « ما ذكرت » (٢) ا ، ب : « ومنازل »

(٣) كذا في ا ، ب ، م ، ك . وفي س : « يربو » (٤) م : « علته » !

(٥) س : « وكل مذهب وطريق له باب » (٦) سورة الكهف ١٨

(٧) سورة الكهف : ٤٧ (٨) سورة الحج ٢ - ٢

مُنْقَلِبُونَ ، إِنَّا فَطَمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ .
وقال في موضع آخر : ﴿ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ . وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ
أَمَّنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٢﴾
وهذا ينبئ عن كلام الحزين لِمَا ناله ، الجازع لما مسه .

ومن باب التسخير والتكوين ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا
أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٣﴾ .

٣٧٣

/ وقوله : ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ ﴿٤﴾ .

وكقوله : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ
كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٥﴾ .

وتقصي أقسام ذلك مما يطول ، ولم أقصد استيفاء ذلك ، وإنما ضربت لك
المثل بما ذكرت لتستدل ، وأشرت إليك بما أشرت لتأمل .

* * *

وإنما اقتصرنا على ذكر قصيدة البحري ؛ لأن الكتاب يفضلونه على أهل
دهره ، ويقدمونه على من في عصره ؛ ومنهم من يدعي له الإعجاز علوًّا ، ويزعم
أنه يُتَأَغَى النَّجْمَ فِي قَوْلِهِ عَلُوًّا ؛ وَالْمُلْحِدَةُ تَسْتَظْهَرُ بِشَعْرِهِ ، وَتَتَكَثَّرُ
بِقَوْلِهِ ﴿٦﴾ ، وترى كلامه من شبهاتهم ، وعباراته مُضَافَةٌ ﴿٧﴾ إلى ما عندهم من
تُرَاهَاتِهِمْ . فبَيِّنَا قَدْرَ دَرَجَتِهِ وَمَوْضِعَ رَتْبَتِهِ ، وَحَدَّ كَلَامِهِ .

وهيهات أن يكون المطموع فيه كالمأيوس منه ﴿٨﴾ ، وأن يكون الليل كالنهار ،
والباطل كالحق ، وكلام رب العالمين ككلام البشر ﴿٩﴾ .

* * *

/ فإن قال قائل: فقد قدح الملحد « في نظم » القرآن ، وادعى عليه الخلل في ٣٧٤

(٢) سورة الأعراف: ١٢٥ - ١٢٦

(٤) سورة البقرة: ٦٥

(٦) كذا في م ، ك وفي س « وتدعى »

(٨) م : « كالمعجوز عنه » :

(١) سورة الشعراء: ٥١ - ٥٢

(٣) سورة يس: ٨٢

(٥) سورة الشعراء: ٦٣

(٧) س : « مضافاً »

(٩) م : « ككلام الآدميين »

البيان ؛ وأضاف إليه الخطأ في المعنى واللفظ ، [وزعم ما زعم]^(١) ، وقال ما قال فهل من فضل ؟

قيل : الكلام على مطاعن الملحدة في القرآن مما قد سبقنا إليه ، وصنّف أهل الأدب في بعضه ، فكفّفوا ، وأتى المتكلمون على ما وقع إليهم ، فشّفّوا ؛ ولولا ذلك لاستقصينا القول فيه في كتابنا .

* وأما الغرض الذي صنّفنا فيه في التفصيل والكشف عن إعجاز القرآن^(٢) ، فلم نجده على التقريب الذي قصدنا ، وقد رجونا أن يكون ذلك مُغْنِيًا ووافيًا .

وإن سهل الله لنا ما نوبناه : من إملاء « معاني القرآن »^(٣) ذكرنا في ذلك ما يشبه من الجنس الذي ذكروه ؛ لأن أكثر ما يقع من الطعن عليه ، فإنما يقع على جهل القوم بالمعاني ، أو بطريقة كلام العرب .

وليس ذلك من مقصود كتابنا هذا ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :
٣٧٥ « فضلُ كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه »^(٤) .

وقد قصدنا فيما أمليناه الاختصار ، ومهدنا الطريق ، فمن كمل طبعه للوقوع^(٥) على فضل أجناس الكلام استدرك ما بيننا . ومن تعذر عليه الحكم بين شعر جرير والفرزدق والأخطل ، والحكم بين فضل زهير والنابغة ، أو الفضل^(٦) بين البحترى وأصحابه ، ولم يعرف سُخْف^(٦) مُسَيْلَمَةَ في نظمه ، ولم يعلم أنه من الباب الذي يُهزأ به ويُسخرُ منه ، ك شعر أبي العنبيس^(٧) في جملة

(١) الزيادة من ا ، ب ، م (٢) ما بين الرقمين ساقط من م

(٣) يقول الشيخ أحمد محمد شاکر في تخريجه لهذا الحديث : رواه الترمذی من حديث أبي سعيد الخدري (٤ : ٥٧ من شرح المباركفوري) ، ضمن حديث ، وقال الترمذی : « هذا حديث حسن غريب » وكذلك رواه الدارمی في سننه (٢ : ٤٤١ طبعة دمشق) . ونقله الحافظ ابن حجر في فتح الباری (٩ : ٥٨ - ٥٩) عن الترمذی ، وقال : « ورجالہ ثقات إلا عطية العوفي ، ففيه ضعف »

(٤) كذا في م ، ك ، وفي س « للوقوف »

(٥) م : « والفصل »

(٦) م : « فضل مسيلمة » !!

(٧) كذا في م ، ك . وفي ا : « أبي العميس » . و س : « أبي العيس » . وأبو العنيس :

هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي العنيس بن المغيرة بن ماهان ، أحد الأدباء الملحاه ، كان خبيث اللسان ، هاجى أكثر من شعراء زمانه ، وفادم المتوكل ، وله مع البحترى خبر مشهور ، توفي سنة خمس وسبعين ومائتين . راجع تاريخ بغداد ٢٣٨/١ ومعجم الشعراء ص ٤٤٢ والأغاني ١٨/١٧٣ - ١٧٥ .

الشعر، وشعر على بن صلاة^(١) - : فكيف يمكنه النظر فيما وصفنا ، والحكم على ما بيننا ؟ !

* * *

/ فإن قال^(٢) قائل : فاذكر لنا من هؤلاء الشعراء الذين سميتهم الأشعر ٣٧٦ والأبلغ .

قيل له : هذا أيضاً خارج عن غرض هذا الكتاب ، وقد تكلم فيه الأدباء . ويحتاج أن يجرّد^(٣) لنحو هذا كتاب^(٤) ، ويفرد له باب ؛ وليس من قبيل ما نحن فيه بسبيل .

وليس لقائل أن يقول : قد يسلم بعض الكلام من العوارض والعيوب ، ويبلغ أمدّه^(٥) في الفصاحة والمنظم العجيب ؛ ولا يبلغ عندكم حدّ المعجز ؛ فلم قضيت بما قضيت به في القرآن دون غيره من الكلام ؟

وإنما لم يصح^(٦) هذا السؤال ، وما نذكر فيه من أشعار في نهاية الحسن ، وخطب ورسائل في غاية الفضل - لأننا قد بيننا أن هذه الأجناس قد وقع التنازع^(٧) فيها ، والمساماة عليها ، والتنافس في طرقها ، والتنافس في بابها . وكان البسوت بين البعض والبعض في الطبقة الواحدة قريباً ، والتفاوت خفيفاً ، وذلك القدر من سبق إن ذهب عنه^(٨) الواحد ، لم يبا من الباقي ، ولم ٣٧٧ ينقطع الطمع في مثله .

وليس كذلك سميت القرآن ؛ لأنه قد عرف أن الوهم ينقطع دون مجاراته ، والطمع يرتفع عن مباراته ومساماته ؛ وأن الكل في العجز عنه على حدّ واحد .

وكذلك قد يزعم زاعمون^(٩) : أن كلام الجاحظ من السميت الذي لا يؤخذ^(١٠) فيه ، والباب الذي لا يذهب^(١١) عنه ؛ وأنت تجد قوماً يرون كلامه قريباً ،

(١) كذا في أ . وفي م « على بن صلابه » . و س ، ك « على بن صلاة »

(٢) أ ، ب « قال لنا » (٣) كذا في م ، ب . وفي أ « يوجد » . و س ، ك « يجدد »

(٤) أ : « كتابا » (٥) م : « أمره »

(٦) م : « يصحح » (٧) س : « النزاع »

(٨) س : « عن » (٩) م : « زاعم »

(١٠) م : « لا يوجد » (١١) كذا في ب ، ك . وفي م : « الذي يذهب عنه »

ومِنْهَا جَه مَعْبِيَّآ ، ونطاق قوله ضيقًا ، حتى يستعين بكلام غيره ، ويفزع إلى ما يُوشَّحُ به كلامه : من بيت سائر ، ومثَّل (١) نادر ، وحكمة مُمهَّدة منقولة ، وقصة عجبية مأثورة : وأما كلامه في أثناء ذلك فسطورٌ قليلة ، وألفاظٌ يسيرة ، فإذا أحوَجَ إلى تطويل الكلام خاليًا عن شيء يستعين به - فيحفظ بقوله من قول غيره - كان كلامًا (٢) ككلام غيره .

فإن أردت أن تحقق هذا ، فانظر في كتبه في «نظم القرآن» وفي «الرد» على النَّصَارَى» وفي «خبر الواحد» وغير ذلك مما يجرى / هذا المجرى ، هل تجد في ذلك كله ورقة [واحدة] (٣) تشتمل على نظم بديع ، أو كلام مليح ؟ على أن متأخرى الكتاب قد نازعوه في طريقته ، وجأذَّبوه على منهجه ، فمنهم من ساواه حين ساماه ، ومنهم من أبرَّ عليه إذ باراه .

هذا «أبو الفضل بن العميد» قد سلك مسلكه (٤) ، وأخذ طريقه ، فلم يُقتصر عنه ، ولعلَّه قد بانَ تَمَقُّدُهم عليه (٥) ، لأنَّه يأخذ في الرسالة الطويلة فيستوفيها على حدود مذهبه ، ويكملها على شروط صناعته ، ولا يقتصر على أن يأتي بالأسطر من نحو كلامه ، كما ترى «الجاحظ» يفعل في كتبه ، متى ذكَّرَ من كلامه سطرًا أتبعه من كلام الناس (٦) أوراقًا ؛ وإذا ذكَّر منه صفحةً بنى عليه من قول غيره كتابًا .

وهذا يدلُّك على أن الشيء إذا استُحسِنَ اتَّبِعَ ، وإذا استُملِحَ قُصِدَ له وتُعْمِدَ (٧) . وهذا الشيء يرجع إلى الأخذ بالفضل ، والتنافس في التقدم . فلو كان في مقدور البشر معارضة القرآن لهذا الغرض وحده - لكثرت المعارضات ، ودامت المنافسات .

٣٧٩ فكيف وهناك دواع لا انتهاء لها ، وجَوَالِبُ لا حُدَّ لكثرتها / لأنهم لو كانوا عارضوه لتوصلوا إلى تكذيبه ، ثم إلى قَطْعِ المحامين دونه عنه ، أو تنفيرهم عليه ، وإدخال الشبهات (٨) على قلوبهم ، وكان القومُ يكتفون بذلك عن بذل

(١) كذا في ا ، ب ، م . وفي س : « ويتصل » . وك : « ومثَّل بيت نادر »

(٢) سقطت هذه الكلمة من م (٣) الزيادة من ا ، م ، ب

(٤) م ، ا ، ب : « سلك مذهبه » (٦) م : « من كلام غيره »

(٥) معاذ الترق أن نوافق الباقلاني على هواه هذا (٧) م : « وتعمل »

(٨) م : « أو بقلوبهم عليه بإدخال الشبه »

النفوس ، ونَصَب الأرواح ، والإخْطَارِ بالأموال والذَّرَارِي ، فِي وَجْهِ عَدَاوَتِهِ
وَيَسْتَغْنُونَ بِكَلَامٍ - هُوَ طَبَعُهُمْ وَعَادَتُهُمْ وَصِنَاعَتُهُمْ - عَنِ مَحَارِبَتِهِ ، وَطَوْلِ
مُنَاقَشَتِهِ^(١) وَمَجَادِبَتِهِ .

وهذا الذي عرضناه على [عقلك ، وجلوناه على]^(٢) قلبك ، يكفي إن
هُدَيْتَ لِرُشْدِكَ ، وَيَشْفِي إِنْ دُلِّمْتَ عَلَى قَصْدِكَ .
وَنَسْأَلُ اللَّهَ حُسْنَ التَّوْفِيقِ ، وَالْعِصْمَةَ وَالتَّسَدِيدَ ؛ إِنَّهُ لَا مَعْرِفَةَ إِلَّا بِهَدَايَتِهِ
وَلَا عِصْمَةَ إِلَّا بِكِفَايَتِهِ ؛ وَهُوَ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .

/ فصل

فإن^(١) قال قائل : قد يجوز أن يكون أهلُ عصر النبي صلى الله عليه وسلم قد عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن ، وإن كان مَنْ بعدهم من أهل الأعصارِ لم يعجزوا .

قيل : هذا سؤال معروف ، وقد أجيب عنه بوجوه ، منها ما هو صواب ، ومنها ما فيه^(٢) خلل :

لأنَّ من كان يجيب عنه : بأنهم^(٣) لا يقدرّون على معارضته في الإخبار عن الغيوب إن قدروا على مثل نظمه - فقد سلّم المسألة ؛ لأننا ذكرنا أن نظمه معجز لا يُقدر عليه ، فإذا أجب بما قدمناه فقد وافق السائل على مراده .
والوجه أن يقال : فيه طرق :

منها : أنّا إذا علمنا أن أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله ، فمَنْ بعدهم أعجزُ ؛ لأن فصاحة أولئك في وجوه ما كانوا يتفننون^(٤) فيه من القول ، مما لا يزيد عليه فصاحة مَنْ بعدهم ، / وأحسن^(٥) أحوالهم أن يُقارِبوهم أو يُسأروهم ، فأما أن يتقدموهم أو يسبقوهم ، فلا .

ومنها : أنّا قد علمنا عجز سائر أهل الأعصارِ كعلمنا بعجز أهل العصر الأول ، والطريق في العلم بكل واحد من الأمرين طريق واحد ؛ لأنَّ التحدّي في الكلِّ على جهة واحدة ، والتنافس^(٦) في الطباع على حدّ [واحد]^(٧) ، والتكليف^(٨) على منهاج لا يختلف . ولذلك قال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾^(٩) .

(٢) م : « ما هو »

(٤) م : « يتقنون »

(٦) س : « والتنافر »

(٨) كذا في ا ، م ، ب وفي س ، ك « والتكلف »

(١) ا : « إن »

(٣) م : « لأنهم »

(٥) م : « من بعدهم ، فإذا أحسن »

(٧) الزيادة من م

(٩) سورة الإسراء : ٨٨

فصل / في التحدّي

يجب أن تعلم أن من حكم المعجزات إذا ظهرت على الأنبياء أن : يدَّعوا فيها أنها من دلالتهم وآياتهم ؛ لأنه لا يصح بعثة النبي من غير أن يؤتَى دلالة ، ويؤيدَ بآية ؛ لأن النبي لا يتميز من الكاذب بصورته^(١) ، ولا يقول نفسه ، ولا بشيء آخر ، سوى البرهان الذي يظهر عليه ، فيستدل به على صدقه .

فإذا ذكّرَ لهم أن هذه آيتي ، وكانوا عاجزين عنها - صح له ما ادّعاه .
ولو كانوا غير عاجزين عنها - لم يصح أن يكون برهانتا له .

وليس يكون معجزاً إلا بأن يتحداهم إلى أن يأتوا بمثله . فإذا تحداهم وبأن عجزهم - صار ذلك معجزاً .

وإنما احتيج في باب القرآن إلى التحدّي ؛ لأن من الناس من لا يعرف كونه معجزاً ، فإنما يُعرف أولاً إعجازه بطريق^(٢) ؛ لأن الكلام المعجز لا يتميز من غيره بحروفه^(٣) وصورته ، وإنما يحتاج إلى علم وطريق يتوصل به إلى معرفة كونه معجزاً .

/ فإن كان لا يعرف بعضهم إعجازه ، فيجب أن يعرف هذا ، حتى يمكنه أن ٣٨٣
يستدل به .

ومتى رأى أهل ذلك اللسان قد عجزوا عنه بأجمعهم ، مع التحدّي إليه ، والتفريع به ، والتمكين^(٤) منه - صار حينئذ بمنزلة من رأى اليد البيضاء ، وانقلاب العصي ثعباناً تتساقف ما يأفكون .

وأما من كان من أهل صنعة العربية ، والتقدّم في البلاغة ، ومعرفة فنون^(٥) القول ، ووجوه المنطق - فإنه يُعرف - حين يسمعه - عجزه عن الإتيان بمثله ،

(٢) س : « بطريقة »

(٤) ا : « والتمكن »

(١) م : « في صورته »

(٣) م : « من صورته »

(٥) م : « والمعرفة بفنون »

ويعرف أيضاً أهل عصره ، ممن هو في طبقتهم أو يدانيه في صناعته ، عجزهم عنه ، فلا يحتاج إلى التحدّي حتى يعلم به كونه مُعجزاً .

ولو كان أهل الصنعة الذين صفتهم ما بسينا لا يعرفون كونه معجزاً حتى يعرفوا عجز غيرهم عنه — لم يجوز أن يعرف النبي صلى الله عليه وسلم ، أن القرآن معجز حتى يرى عجز قريش عنه بعد التحدّي إليه ، وإذا عرّف عجز قريش لم يعرف عجز سائر العرب عنه حتى ينتهي إلى التحدى إلى أقصاهم ، وحتى يعرف عجز مُسَيِّلمة الكذاب عنه ، ثم يعرف حينئذ كونه مُعجزاً .

وهذا القول — إن قيل — أفحش ما يكون من الخطأ !!

384 / فيجب أن تكون منزلة أهل الصنعة في معرفة إعجاز القرآن بأنفسهم منزلة من رأى اليد البيضاء وفتلق البحر ، بأن ذلك معجز .

وأما من لم يكن من أهل الصنعة ، فلا بد له من مرتبة قبل هذه المرتبة ، يعرف بها كونه معجزاً ، فيساوى حينئذ أهل الصنعة ، فيكون استدلالها في تلك الحالة به على صدق من ظهّر ذلك عليه على سواه^(١) ، إذا ادّعاها — دلالة على نبوته ، وبرهانتاً على صدقه .

فأما من قدر أن القرآن لا يصير معجزاً إلا بالتحدى إليه ، فهو كتقدير من ظن أن جميع آيات موسى وعيسى ، عليهما السلام ، ليست بآيات حتى التحدى إليها والحض عليها ، ثم يقع العجز عنها ، فيعلم حينئذ أنها معجزات^(٢) .

وقد سلف من كلامنا في هذا المعنى ما يغني عن الإعادة .

وبيين ما ذكرناه في غير البليغ : أن الأعجمي الآن لا يعرف إعجاز القرآن إلا بأمور زائدة على الأعجمي الذي كان في ذلك الزمان مشاهدًا له ؛ لأن من هو من أهل العصر يحتاج أن يعرف أولاً أن العرب عجزوا عنه ، وإنما يعلم عجزهم عنه بنقل الناقله إليه أن^(٣) النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى العرب إليه فعجزوا عنه ، ويحتاج في النقل إلى شروط ، وليس يصير القرآن بهذا النقل

(١) س : « سواه »

(٢) م : « معجزة »

معجزاً، كذلك لا يصير معجزاً بأن / يعلم العربى الذى ليس ببلغ أنهم قد عجزوا ٣٨٥
 عنه بأجمعهم^(١)، بل هو معجز فى نفسه ، وإنما طريق معرفة هذا^(٢) وقوفهم على
 العلم بعجزهم عنه .

(١) س : « بأبلغهم »

(٢) س : « ... »

/ فصل

في قدر المعجز من القرآن

الذي ذهب إليه عامة أصحابنا - وهو قول [الشيخ]^(١) أبي الحسن الأشعري في كتبه - أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة ، قصيرة كانت أو طويلة ، أو ما كان بقدرها .
قال : فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة^(٢) ، وإن كانت سورة الكواثر ، فذلك معجز .

قال : ولم يقدّم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر .
وذهبت^(٣) « الْمُعْتَزِلَةُ » إلى أن كل سورة برأسها فهي معجزة .
وقد حكى عنهم نحو قولنا ، إلا أن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة ، بل شترط الآيات الكثيرة .

وقد علمنا أنه تحداهم تحدياً إلى السور كلها ، ولم يخص . ولم يأتوا لشيء منها بمثل ، فعلم أن جميع ذلك معجز .

وأما قوله عز وجل : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾^(٤) فليس بمخالف

لهذا ؛ لأن الحديث التام لا تحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة .

وهذا يؤكد ما ذهب إليه أصحابنا ويؤيده ، وإن كان قد يتأول قوله : ﴿ فَلْيَأْتُوا

بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾ على أن يكون راجعاً إلى التيسيل دون التفصيل .

وكذلك يُحتملُ قوله تعالى : ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن

يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ﴾^(٥) على القبيل ؛ لأنه لم يجعل الحجة عليهم عجزهم عن الإتيان بجميعة من أوله إلى آخره .

فإن قيل : هل تعرفون إعجاز السور القصار بما تعرفون إعجاز السور الطوال ؟

(٢) س : « السورة »

(١) الزيادة من م

(٤) سورة الطور : ٥٢

(٣) س : « وذهب »

(٥) سورة الإسراء : ٨٨

وهل تعرفون إعجاز كل قَدَرٍ من القرآن بلغ الحدَّ الذي قدرتموه بمثل ما تعرفون به إعجاز سورة البقرة ونحوها ؟

فالجواب : أن [شيخنا]^(١) أبا الحسن الأشعري ، رحمه الله^(٢) ، أجاب عن ذلك : بأن كلَّ سورة قد علِّمَ كَوْنُهَا مُعْجَزَةً بعجز العرب عنها . وسمعت بعضَ الكبراءِ من أهل هذا الشأن ، يقول : إن ذلك يصح أن يكون علم ذلك توقيفًا .

والطريقة الأولى أسدٌ . وليس هذا الذي ذكرناه أخيرًا بمناف له ؛ لأنَّه / لا يمتنع ٣٨٨ أن يعلم إعجازه بطرق مختلفة تتوآفَى عليه وتجتمع فيه .

واعلم أنَّ تحت اختلاف هذه الأجوبة ضرباً من الفائدة .

لأنَّ الطريقةَ الأولى تبين أن ما علم به كون جميع القرآن معجزاً — موجودٌ في كل سورة ، صغرت أو كبرت ، فيجب أن يكون الحكم في الكل واحداً . والطريقةُ الأخيرةُ تتضمن تَعَدُّرَ معرفة إعجاز القرآن بالطريقة التي سلكتها في كتابنا^(٣) من التفصيل الذي بيَّننا ، فيما تعرف به في الكلام الفصاحة ، وتبيين به^(٤) البلاغة ، حتى يعلم ذلك بوجه^(٥) آخر ، فيستوى في هذا القَدَرِ البليغ وغيره في أن لا يعلمه معجزاً حتى يستدلَّ به من وجه آخر سوى ما يعلمه البلاءُ من التقدّم في الصنعة ، وهذا غير ممتنع .

ألا ترى أن الإعجاز في بعض السور والآيات أظهرٌ ، وفي بعضها أغمض [وأدق ؟ فلا يفتقر البليغ]^(٦) في النظر في حال بعضها إلى تأمُّل كثير ، ولا بحث شديد ، حتى يتبين له الإعجاز .

ويفتقر في بعضها إلى نظر دقيق وبحث لطيف ، حتى يقع على الحليَّة ، ويصل إلى المطلب .

/ ولا^(٧) يمتنع أن يذهب عليه الوجهُ في بعض السور ، فيحتاج أن يفرع فيه إلى ٣٨٩ إجماع أو توقيف ، أو ما علمه من عجز العرب قاطبةً عنه .

(٢) م : « رحمة الله عليه »

(٤) س ، ك : « فيه »

(١) الزيادة من م

(٣) س : « في بناء من التفصيل »

(٥) م : « توجه »

(٦) الزيادة من ا ، ب ، م ، ك وفي س « أغمض وقد لا يحتاج في النظر »

(٧) م : « فلا »

فإن ادعى ملحدٌ ، أو زعم زنديقٌ ، أنه لا يقع العجزُ عن الإتيان بمثل
السور القصار أو الآيات بهذا المقدار !

قلنا له : إن الإعجاز قد حصل بما بيناه ، وعُرف بما وقفنا عليه^(١) من
عجز العرب عنه .

ثم فيه شيء آخر ، وهو : أن هذا سؤال لا يستقيم للملحد^(٢) ، لأنه يزعمُ
أنه ليس في القرآن كله إعجاز ، فكيف يجوز أن نناظره على تفصيله^(٣) ؟ !

وإذا ثبت لنا معه إعجازه في السور الطوال ، قامت الحجة عليه ، وثبتت
المعجزة ، ولا معنى لطلبه لكثرة الأدلة والمعجزات . ونحن نعلم أن^(٤) إعجاز البعض
بما بيناه ، والبعض الآخر بأنه^(٥) إذا ثبت الأصل لم يبق بعد ذلك إلا قولنا ؛ لأنا
عَرَفْنَا في البعض^(٦) الإعجاز بما بينا ، ثم عَرَفْنَا في الباقي بالتوقيف ،
ونحو ذلك .

٣٩٠ / وليس بمتنع اختلافُ حالِ الكلام ، حتى يكون الإعجازُ على بعضه أظهر ،

وفي بعضه أغمض ؛ ومن آمن ببعض دون بعض كان مذموماً ، على ما قال الله
تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾^(٧) وقال : ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ
الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٨) فظاھره عند بعض أهل التأويل
كالدليل على أن الشفاء^(٩) ببعضه أوقع ، وإن كُننا نقول : إنه يدل على أن
الشفاء^(٩) في جميعه .

واعلم أن الكلام يقع فيه الأبلغ والبلغ ، ولذلك كانوا يسمون الكلمة :
« يتيمة » ، ويسمون البيت الواحد : « يتيمًا »^(١٠) .

سمعتُ إسماعيل بن عبيد^(١١) يقول : سمعتُ أبا بكر بن مقسم^(١٢) يقول :

(١) م : « بما وصفناه من »

(٢) م : « على تفضله »

(٣) م : « لأنه »

(٤) م : « في بعض »

(٥) م : « بما وصفناه من م »

(٦) م : « بيتاً »

(٧) س : « عبادة » وقد توفى الصحاب إسماعيل بن عباد سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، كما في وفيات

الأعيان ٢٩٠/١

(٨) م : « عبادة » وقد توفى الصحاب إسماعيل بن عباد سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، كما في وفيات

(٩) م : « بيتاً »

(١٠) م : « بيتاً »

(١١) م : « بيتاً »

(١٢) م : « بيتاً »

٣٩١ سمعت ثعلبياً يقول : [سمعت ساسمة^(١) يقول]^(٢) : سمعت الفراء / يقول : العرب تسمى البيت الواحد يتيماً ، وكذلك يقال^(٣) : « الدرة اليتيمة » ، لانفرادها ، فإذا بلغ البيتين والثلاثة فهي « نتفة » ، وإلى العشرة تسمى « قطعة » ، وإذا بلغ العشرين استحقَّ أن يسمى « قصيداً » ، وذلك مأخوذ من المخَّ القصيدِ ، وهو المُتَرَاكِمُ بعضُه على بعض ، وهو ضد الرار^(٤) ، ومثله الرثيد^(٥) .
انتهت الحكاية ، ثم استشهد بقول لبيد^(٦) :

٣٩٢ فَتَذَكَّرًا ثَقَلًا رَثِيدًا بَعْدَمَا أَلْقَتْ ذُكَاءً يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ^(٧)
/ يريد بيض النعام ، لأنه ينضد بعضه على بعض .

وكذلك يقع في الكلام البيت الوَحْشِيُّ والنَّادِر ، والمثل السائر ؛ والمعنى الغريب ، والشئ الذي لو اجتهد له لم يقع عليه ، فَيَتَّفَقُ له ويصادفه .
قال لى بعض علماء هذه الصنعة - وجاريتُه في ذلك - إن هذا مما

(١) هولسة بن عاصم النحوى ، وراق الفراء ، راجع ترجمته في بغية الوعاة ص ٢٦٠ ومعجم

الأدباء ١١/٢٤٢ - ٢٤٣ وتاريخ بغداد ٩/١٣٤

(٢) الزيادة من ا ، ب ، م . وفي س ، ك «ثعلبياً يقول سمعت الفراء» وهو خطأ فإن الفراء مات سنة سبع ومائتين ، عن سبع وستين سنة ، وقد ولد ثعلب سنة مائتين ، وتوفى سنة إحدى وتسعين ومائتين . كما في بغية الوعاة ص ٤١١ ، ١٧٣

(٣) م : « تقول » .

(٤) في اللسان ٤/٣٥٤ « وأصله من القصيد وهو المخ السمين الذى يتقصد ، أى يتكسر لسمته ،

وضده الرير والرار ، وهو المخ السائل الذائب الذى يميع كالماء ولا يتقصد »

(٥) س : « الرثيد »

(٦) في اللسان ٤/١٥٢ « وقال ثعلبة بن صغير المازنى - وذكر الظلم والنعامة ، وأههما تذكرتا

بيضمها في أحدهما فأسرعا إليه - فتذكر ثقلًا إلخ والرثد بالتحريك : متاع البيت المنضود بعضه فوق بعض والمتاع رثيد ومرثود» ونسبه لثعلبة أيضاً في ٦/٤٦٣ ، كما نسبه له أيضاً ابن قتيبة في الشعر والشعراء ١/٢٤٣ وهو لثعلبة من قصيدة في المفضليات ص ١٣٠

(٧) س : « رثيدا » م : « في كفار » وفي اللسان ٦/٤٦٣ « وذكره : اسم للشمس . ألفت

يمينها في كافر : أى بدأت للسقيب . قال الجوهري : ويحتمل أن يكون أراد الليل ، وذكر ابن السكيت أن لبيدا سرق هذا المعنى فقال :

حتى إذا ألفت يداً في كافر وأجن عورات الثغور ظلامها»

وانظر الشعر والشعراء ١/٢٤٣

لا سبب له يخصه ، وإنما سببه الغزارة^(١) في أصل الصنعة . والتقدم في عيون^(٢) المعرفة ؛ فإذا وجد ذلك وقع له من الباب ما يطرد عن حساب ، وبما يشدّ عن تفصيل الحساب .

فأما ما قلنا : من أن ما بَلَغَ قَدْرَ السورة مُعْجَزٌ ، فإنّ ذلك صحيح .

(١) كذا في س ، ك ، م ، ب وفي «القرارة»

(٢) كذا في س ، ك وفي ا ، ب ، م «في عنوان»

/ فصل

في أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة ؟

ذهب [الشيخ]^(١) أبو الحسن الأشعري إلى أن ظهور ذلك عن^(٢) النبي صلى الله عليه وسلم ، يُعلم ضرورةً ، وكونه معجزاً يعلم باستدلال^(٣) .

وهذا المذهب محكى عن المخالفين .

والذى نقوله فى هذا: إن الأعجمى لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالاً ، وكذلك من لم يكن بليغاً .

فأما البليغ الذى قد أحاط بمذاهب العربية وغرائب الصنعة — فإنه يعلم من نفسه ضرورةً عجزةً عن الإتيان بمثله ، ويعلم عجز غيره بمثل ما يعرف عجز نفسه ؛ كما أنه إذا علم الواحد متاً أنه لا يقدر على ذلك ، فهو^(٤) يعلم عجز غيره استدلالاً .

(١) الزيادة من م

(٢) م ، ك : « على »

(٣) م : « بالاستدلال »

(٤) م : « فقد » . ك : « وهو » . ا : « وقد »

! فصل

فيما يتعلق به الإعجاز

إن قال قائل: بيّنوا لنا ما الذي وقع التحدى إليه؟ أهو الحروف المنظومة؟
أو الكلام القائم بالذات؟ أو غير ذلك؟

قيل: الذى تحدّاهم به: أن يأتوا بمثل الحروف التى هى نظم القرآن، منظومة
كنظمها، متتابعةً كتتابعها، مُطَرِّدَةً كاطِّرادها؛ ولم يتحدّهم إلى أن يأتوا
بمثل الكلام القديم الذى لا مثل له.

وإن كان كذلك فالتحدى واقع إلى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة، التى هى
عبارة عن كلام الله تعالى فى نظمها وتأليفها، وهى حكاية لكلامه، ودلالات
عليه، وأمّارات^(١) له، على أن يكونوا مستأنفين لذلك، لا حاكين بما أتى به النبى
صلى الله عليه وسلم.

ولا يجب أن يُقَدَّرَ مقدر أو يظنَّ ظانُّ أنّا حين قلنا: إن القرآن معجز،
وإنّه^(٢) تحدّاهم إلى أن يأتوا بمثله - أردنا غير ما فسّرناه، من العبارات عن
الكلام القديم القائم بالذات.

وقد بيّنّا قبل هذا أنه لم يكن ذلك معجزاً، لكونه عبارة عن/الكلام^(٣) القديم،
لأن التوراة والإنجيل عبارة عن الكلام^(٤) القديم. وليس ذلك بمعجز فى النظم
والتأليف. وكذلك ما دون الآية - كاللفظة - عبارة عن كلامه، وليست بمنفردتها
بمعجزة.

وقد جرّز بعض أصحابنا: أن يتحدّاهم إلى مثل كلامه القديم القائم بنفسه!
والذى عول عليه مشايخنا ما قدّمنا ذكره، وعلى ذلك أكثر مذاهب
الناس.

(٢) س: «فإنه»
(٤) ك، م: «كلام»

(١) م: «ودلالة... وأمارة»
(٣) م، ك: «كلام»

ولم نُحِبَّ أن نفسّر ونذكر مُوجِبَ هذا المذهب الذى حكيناها وما يتصل به ؛ لأنه خارج عن غرض كتابنا ، لأن الإعجاز واقع^(١) فى نظم الحروف التى هى دلالات وعبارات عن كلامه . وإلى مثل هذا النظم وقع التحدى ، فبيننا وجه ذلك ، وكيفية ما نتصور^(٢) القول فيه ، وأزلنا تنوهم^(٣) من يتوهم^(٤) أن القديم حروف منظومة ، أو حروف غير منظومة ، أو شىء مؤلف^(٤) ، أو غير ذلك ، مما يصح أن يتوهم على ما سبق من إطلاق القول فيما مضى .

(٢) س ، ك : « ما يتصور »

(٤) ا ، م : « مؤلف أو نحو »

(١) س : « وقع »

(٣) س ، ك : « من يتوهم »

/ فصل

فى وصف وجوه من البلاغة

ذكر بعض أهل الأدب والكلام^(١) : أن البلاغة على عشرة أقسام^(٢) :
الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ،
والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان^(٣) .
فأما « الإيجاز » فإنما يحسن مع ترك الإخلال باللفظ والمعنى ، فيأتى باللفظ
القليل الشامل لأمور كثيرة .

وذلك ينقسم إلى حذف ، وقصر :

/ فالحذف : الإسقاط للتخفيف ، كقوله : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾^(٤) . وقوله :
﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾^(٥) .

وحذف الجواب كقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ
بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَى ﴾^(٦) . كأنه قيل : لكان هذا القرآن .
والحذف أبلغ من الذكر ؛ لأن النفس تذهب كل مذهب فى القصد من
الجواب^(٧) .

(١) هذا البعض الذى لم يشأ المؤلف أن يصرح باسمه هو معاصره أبو الحسن : على بن عيسى الرمانى ،
المعتزلى (٢٩٦ - ٣٨٤ هـ) صاحب كتاب النكت فى إيجاز القرآن ، الذى نقل عنه المؤلف هذا الفصل
الطويل . راجع ترجمة الرمانى فى ابن خلكان ٤٦١/٢ ، وبقية الوعاة ٣٤٤ والإمتاع والمؤانسة ١٣٣/١
ومعجم الأدباء ٧٣/١٤ - ٧٨ وفهرست ابن النديم ص ١٤ ، ٧٣ ، ٧٨ ونزهة الألبا ص ٣٨٩ - ٣٩٢
(٢) النكت ص ١

(٣) قال الرمانى بعد ذلك : « ونحن نفسرها باباً باباً : الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال
بالمعنى ، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة فالألفاظ القليلة إيجاز . والإيجاز على وجهين :
حذف وقصر ، فالحذف إسقاط كلمة للإجزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام . والقصر :
بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف . »

(٤) سورة يوسف : ٨٢

(٥) سورة محمد : ٢١

(٦) سورة الرعد : ٣١

(٧) فى النكت بعد ذلك : « ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذى تضمنه البيان . »

- والإيجازُ بالقصر^(١) كقوله : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾^(٢) .
 وقوله : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ ﴾^(٣) .
 وقوله : ﴿ إِنَّمَا بِعَاقِبَتِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾^(٤) .
 وقوله : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^(٥) .
 /والإطناب^(٦) فيه بلاغة ، فأما التطويل ففيه عبي^(٧) .

٣٩٨

/وأما التشبيه ، فهو العقد^(٨) على أن أحد الشيتين يسدُّ مسدَّ الآخر في ٣٩٩

- (١) قال الرماني ص ٢ : « وأما الإيجاز بالقصر دون الحذف فهو أغمض من الحذف ، وإن كان الحذف غامضاً للحاجة إلى العلم بالمواضع التي تصلح من المواضع التي لا تصلح »
 (٢) سورة البقرة : ١٧٩
 (٣) سورة المنافقون : ٤
 (٤) سورة يونس : ٢٣
 (٥) سورة فاطر ٤٣ . وقال الرماني بعد استشهاده بالآيات السابقة :

« وهذا الضرب من الإيجاز في القرآن كثير . وقد استحسنت الناس من الإيجاز قوهم : القتل أنفي للقتل . وبينه وبين لفظ القرآن تفاوت في البلاغة والإيجاز . وذلك يظهر من أربعة أوجه : أنه أكثر في الفائدة ، وأوجز في العبارة ، وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة ، وأحسن تأليفاً بالحروف المتلازمة . أما الكثرة في الفائدة ففيه كل ما في قوهم : القتل أنفي للقتل ، وزيادة معان حسنة : منها إيانة العدل لذكره القصاص ، ومنها إيانة الغرض المرغوب فيه لذكر الحياة ، ومنها الاستدعاء بالرغبة والرغبة لحكم الله به ، وأما الإيجاز في العبارة ، فإن الذي هو نظير : القتل أنفي للقتل - قوله تعالى « القصاص حياة » والأول أربعة عشر حرفاً ، والثاني عشرة حروف . وأما بعده عن الكلفة بالتكرير الذي فيه على النفس مشقة ، فإن في قوهم : القتل أنفي للقتل - تكريراً غيره أبلغ منه ، ومتى كان التكرير كذلك فهو مقصر في باب البلاغة عن أعلى طبقة . وأما الحسن بتأليف الحروف المتلازمة فهو مدرك بالحس ، وموجود في اللفظ ، فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة ؛ لبعد الهمزة من اللام ، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام . فاجتماع هذه الأمور التي ذكرناها صار أبلغ منه وأحسن ، وإن كان الأول بليغاً حسناً »

(٦) سن : « وإطناب »

(٧) قال الرماني ص ٣ : « والإيجاز بلاغة والتقصير عبي ، كما أن الإطناب بلاغة والتطويل عبي . والإيجاز لا إخلال فيه بالمعنى المدلول عليه ، وليس كذلك التقصير ، لأنه لا بد فيه من الإخلال . فأما الإطناب فإنما يمكن في تفصيل المعنى وما يتعلق به في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل . . . فأما التطويل فعيب وعبي ، لأنه تكلف الكثير فيما يكفي فيه القليل ، فكان كالتسلك طريقاً بعيداً جهلاً منه بالطريق القريب . وأما الإطناب فليس كذلك ؛ لأنه كمن سلك طريقاً بعيداً لما فيه من الزهدة الكثيرة والفوائد العظيمة ، فيحصل له في الطريق إلى غرضه من الفائدة نحو ما يحصل له بالغرض المطلوب »

(٨) س ، ك : « التشبيه بالعقد » . والتصحيح من م والنكت ص ٥

حسن أو عقل ، كقوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِتَمِيمَةٍ يَحْسَبُهُ
الظَّمَانُ مَاءً ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ
فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ ٤٠
نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا

وَأَزْيِنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ، فَجَعَلْنَاهَا
حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ .

تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ (٥) .

(١) سورة النور : ٣٩ . وقال الرماني بعد ذكره لهذه الآية ص ٦ : « وهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة ، إلى ما تقع عليه الحاسة ، وقد اجتمعا في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة . ولو قيل : يحسبه الرائي ماء ، ثم يظهر أنه على خلاف ما قد رأى لكان بليغاً ، وأبلغ منه لفظ القرآن ؛ لأن الظمان أشد حرصاً عليه ، وتعلق قلبه به . ثم بعد هذه الحية حصل على الحساب النوى يصيره إلى عذاب الأبد في النار ، نعوذ بالله من هذه الحال . وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه ، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم ، وعذوبة اللفظ ، وكثرة الفائدة ، وصحة الدلالة »

(٢) سورة إبراهيم : ١٨ . وقال الرماني ص ٧ : « فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة . فقد اجتمع المشبه والمشبه به في الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات ؛ وفي ذلك الحسرة العظيمة ، والموعظة البليغة »

(٣) سورة الأعراف : ١٧١ . وقال الرماني ص ٧ : « وهذا بيان قد أخرج ما لم تجربه عادة إلى ما قد جرت به العادة ، وقد اجتمعا في معنى الارتفاع في الصورة . وفيه أعظم الآية لمن فكر في مقدرات الله تعالى عند مشاهداته لذلك أو علمه به ؛ ليطلب الفوز من قبله ، ونيل المنافع بطاعته » .

(٤) سورة يونس : ٢٤ . وقال الرماني ص ٧ : « وهذا بيان قد أخرج ما لم تجربه عادة إلى ما قد جرت به العادة . وقد اجتمع المشبه والمشبه به في الزينة والبهجة ، ثم الهلاك بعده . وفي ذلك العبرة لمن اعتبر . والموعظة لمن تفكر في أن كل فان حقيق وإن طال مدته ، وصغير وإن كبر قدره » .

(٥) سورة القمر : ١٩ ، ٢٠ . وقال الرماني ص ٨ : « وهذا بيان قد أخرج ما لم تجربه عادة إلى ما قد جرت به العادة . وقد اجتمعا في قلع الريح لها ، وإهلاكها إياها . وفي ذلك الآية الدالة على عظيم القدرة ، والتخويف من تعجيل العقوبة » .

وقوله : ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ . كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ/ نَبَاتُهُ ، ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُضْفَرًا . ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ، إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ ﴾ (٥) .

وقوله : ﴿ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (٦) .

وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ/ اتَّخَذَتْ ٤٠٢

(١) سورة الرحمن : ٣٧ . وقال الرماني : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به ، وقد اجتمعا في الحمرة وفي لين الجواهر السيالة ، وفي ذلك اندلالة على عظيم الشأن ونفوذ السلطان ، لتصرف الهمم إلى ما هنالك بالأمل » .

(٢) سورة الحديد : ٢٠ . وقال الرماني ص ٨ : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به . وقد اجتمعا في شدة الإعجاب ، ثم في التغير بالانقلاب . وفي ذلك الاحتقار للدنيا ، والتحذير من الاعتزاز بها والسكون إليها » .

(٣) سورة الحديد : ٢١ . وقال الرماني : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبدية إلى ما يعلم بالبدية وفي ذلك البيان العجيب بما قد تقرر في النفس من الأمور ، والتشويق إلى الجنة بحسن الصفة مع ما لها من السعة » .

(٤) سورة الجمعة : ٤ . وقال الرماني ص ٨ : « وهذا تشبيه قد أخرج فيه ما لا يعلم بالبدية إلى ما يعلم بالبدية . وقد اجتمعا في الجهل بما حملا . وفي ذلك العيب لطريقة من ضيغ العلم بالاتكال على حفظ الرواية من غير دراية » !

(٥) سورة الأعراف : ١٧٦ . وقال الرماني ص ٧ : « فهذا بيان قد أخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه . قد اجتمعا في ترك الطاعة على كل وجه من وجود التدبير ، وفي التخصيس ، فالكلب لا يطعمك في ترك اللهم حملت عليه أو تركته . وكذلك الكافر لا يطعمك بالإيمان على رفق ولا عنف . وهذا يدل على حكمة الله سبحانه في أنه لا يجمع اللطف » .

(٦) سورة الحاقة : ٧ . وقال الرماني ص ٩ : « وهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبدية إلى ما يعلم بالبدية . وقد اجتمعا في خلو الأجساد من الأرواح . وفي ذلك الاحتقار لكل شيء يؤول به الأمر إلى ذلك المال » .

بَيْتاً ، وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنْكَبُوتِ ﴿١﴾ .
 وقوله : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ ﴿٢﴾
 وقوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ ﴿٣﴾ . ونحو ذلك

* * *

ومن ذلك : « باب الاستعارة » وذلك يُباين^(٤) « التشبيه » .
 كقوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ ﴿٥﴾ .
 / وكقوله : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿٦﴾ .
 وكقوله : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ ﴿٧﴾ .
 وقوله : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ ﴿٨﴾ .

٤٠٣

(١) سورة العنكبوت: ٤١ . وقال الرماني : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبدئية إلى ما يعلم بالبدئية . وقد اجتمعا في ضعف المعتمد وهي المستند . وفي ذلك التحذير من حمل النفس على الفرور بالعمل على غير يقين ، مع الشعور بما فيه من التوهين »

(٢) سورة الرحمن: ٢٤ . وقال الرماني: « فهذا تشبيه قد أخرج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له القوة فيها . وقد اجتمعا في العظم ، إلا أن الجبال أعظم . وفي ذلك العبرة من جهة القدرة فيما سخر من الفلك الجارية مع عظمها ، وما في ذلك من الانتفاع بها وقطع الأقطار البعيدة فيها »

(٣) سورة الرحمن: ١٤ . وقال الرماني: « وهذا تشبيه قد أخرج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له القوة . وقد اجتمعا في الرخاوة والحناف ، وإن كان أحدهما بالنار والآخر بالرياح »

(٤) كذا في ا ، م . وفي ك ، س : « لاستعارة وهو بيان التشبيه »

(٥) سورة الفرقان: ٢٣ . وقال الرماني ص ١٠ : « حقيقة "قدما" هنا : عمدنا . وقدما أبلغ منه ، لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفر ؛ لأنه من أجل إمهاله لهم كعامة الغائب عنهم ثم قدم فرأهم على خلاف ما أمرهم . وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال . والمعنى الذي يجمعهما العدل ؛ لأن العمد إلى إبطال الفاسد عدل . القدوم أبلغ لما بينا . وأما هباء منثوراً فبيان قد أخرج ما لا تقع عليه حاسة إلى ما تقع عليه حاسة »

(٦) سورة الحجر: ٩٤ . وقال الرماني ص ١١ : « حقيقته : بلغ ما تؤمر به . والاستعارة أبلغ من الحقيقة ؛ لأن الصدع بالأمر لا بد له من تأثير كتأثير صدع الزجاج . والتبليغ قد يضعف حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع . والمعنى البني يجمعهما الإيصال ، إلا أن الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاج أبلغ » .

(٧) سورة الحاقة: ١١ . وقال الرماني ص ١١ : « حقيقته علا . والاستعارة أبلغ ، لأن طغى علا قاهراً . وهو مبالغة في عظم الحال »

(٨) سورة الأعراف: ١٥٤ . وقال الرماني ص ١٢ : « حقيقته انتفاء الغضب . والاستعارة بسكت أبلغ ؛ لأنه انتهى انتفاء مراد بالعودة ، فهو كالسكوت على مرادة الكلام بما توجه الحكمة في الحال ، فانقضى الغضب بالسكوت عما يكره . والمعنى الجامع بينهما الإمساك عما يكره »

وكقوله : ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾^(١) .
 وقوله : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾^(٢)

فالدمغ والقذف مستعار .

٤٠٤

أ / وقوله : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾^(٣) .
 وقوله : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾^(٤) .
 وقوله : ﴿ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٌ ﴾^(٥) .
 وقوله : ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾^(٦) .
 وقوله : ﴿ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾^(٧) .
 وقوله : ﴿ مَسَّتْهُمُ الْبِيَاسَةُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾^(٨) .

(١) سورة الإسراء : ١١ . وقال الرماني ص ١٢ : « فبصرة هاهنا استعارة . وحيثقتها : مضية . وهي أبلغ من مضية ؛ لأنه أدل على موقع النعمة ، لأنه يكشف عن وجه المنفعة . وقيل هو بمعنى ذات إبصار ، وعلى هذا يكون حقيقة »

(٢) سورة الأنبياء : ١٢ . وقال الرماني ص ١٣ : « القذف والدمغ هاهنا مستعار . وهو أبلغ ، لأن في القذف دليلاً على القهر ، لأنك إذا قلت : قذف به إليه ، فإنما معناه ألقاه إليه على جهة الإكراه والقهر . فالحق يلقي على الباطل فيزيله على جهة القهر والاضطرار لا على جهة الشك والارتياب . ويدمغه أبلغ من يدهبه ، لما في دمهغه من التأثير فيه ، فهو أظهر في النكأة وأعلى في تأثير القوة »

(٣) سورة يس : ٣٧ . وقال الرماني : « نسلخ مستعار ، وحيثته : نخرج . والاستعارة أبلغ ؛ لأن السلخ إخراج الشيء مما لا يسهه وعسر انزاعه منه لالتحامه به ، فكذلك قياس الليل »

(٤) سورة الأنفال : ٧ . وقال الرماني ص ١٣ : « اللفظ هاهنا باشوكة مستعار ، وهو أبلغ . وحيثته : السلاح ، فذكر الحد الذي به تقع المخافة واعتمد على الإيماء إلى النكته ، وإذا كان السلاح يشتمل على ما له حد وما ليس له حد ، فشوكة السلاح هي التي تبقى »

(٥) سورة فصلت : ٥١ . وقال الرماني : « عريض هاهنا مستعار . وحيثته : كثير . والاستعارة فيه أبلغ ، لأنه أظهر بوقوع الحاساة عليه ، وليس كذلك كل كثرة . وقيل : عريض لأن المرض أدل على الطول »

(٦) سورة محمد : ٤ . وقال الرماني ص ١٤ : « وهذا مستعار . وحيثته : حتى يضع أهل الحرب أثقالها ، فجعل وضع أهلها الأثقال وضعاً لها على جهة التفتيح لشأنها »

(٧) سورة التكاوير : ١٨ . وقال الرماني ص ١١ : « وتنفس هاهنا مستعار . وحيثته : إذا بدأ انتشاره . وتنفس أبلغ منه . ومعنى الابتداء فيهما ، إلا أنه في التنفس أبلغ ؛ لما فيه من الترويح عن النفس » .

(٨) سورة البقرة : ٢١٤ . وقال الرماني ص ١٤ : « هذا مستعار . وزلزلوا أبلغ من كل لفظ كان يعبر به عن غلظ ما ناهم . ومعنى حركة الإزعاج فيهما ، إلا أن الزلزلة أبلغ وأشد . »

وقوله : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾^(١) .

وقوله : ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾^(٤) .

وقوله : ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ وَكَلِّدِي قَنَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾^(٧) .

وقوله : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ ﴾ يريد : أن لا إحساس بأذانهم من غير صمم^(٨) .

(١) سورة آل عمران : ١٧٨ . وقال الرماني : « حقيقته : تعرضوا للغفلة عنه . والاستعارة أبلغ ؛

لما فيه من الإحالة على ما يتصور »

(٢) سورة يونس : ٢٤ . وقال الرماني ص ١٦ : « أصل الحصيد للنبات . وحقيقته : مهلكة .

والاستعارة أبلغ ؛ لما فيه من الإحالة على إدراك البصر »

(٣) سورة الأنبياء : ١٥ . وقال الرماني : « أصل الحمد للنار ، وحقيقته : هادئين . والاستعارة أبلغ ؛

لأن خود النار أقوى في الدلالة على الهلاك ، على حد قولهم : طغى فلان كما يطفأ السراج »

(٤) سورة الشعراء : ٢٢٥ . وقال الرماني ص ١٦ : « واد هاهنا مستعار . وكذلك الهيمان . وهو من

أحسن البيان ، وحقيقته : يخلطون فيما يقولون ، لأنهم ليسوا على قصد الطريق الحق . والاستعارة أبلغ ،

لما فيه من البيان بالإخراج إلى ما يقع عليه الإدراك من تخليط الإنسان بالهيمان في كل واد يمن له فيه الذهاب »

(٥) سورة الأحزاب : ٤٦ . وقال الرماني ص ١٦ : « السراج هاهنا مستعار ، وحقيقته : مبيئاً ،

والاستعارة أبلغ ، للإحالة على ما يظهر بالحاسة »

(٦) سورة الإسراء : ٢٩ . وقال الرماني ص ١٧ : « حقيقته : لا تمتنع نائلك كل المنع . والاستعارة

أبلغ ، لأنه جعل منع النائل بمنزلة غل اليد إلى العنق ، وذلك مما يحس الحال ، والتشبيه فيه بالمنع فيما ،

إلا أن حال المغلول اليد أظهر وأقوى فيما يكرر »

(٧) سورة السجدة : ٢١ . وقال الرماني ص ١٧ : « حقيقته : لنعذبهم . والاستعارة أبلغ ،

لأن إحساس الذائق أقوى لأنه طالب لإدراك ما يدوقه ولأنه جعل بدل إحساس الطعام المستلد إحساس

الآلام لأن الأسبق في الذوق ذوق الطعام »

(٨) سورة الكهف : ١١ . وقال الرماني ص ١٧ : « حقيقته : منعناهم الإحساس بأذانهم من غير

صمم . والاستعارة أبلغ لأنه كالضرب على الكتاب فلا يقرأ ، كذلك المنع من الإحساس فلا يحس .

وإنما دل على عدم الإحساس بالضرب على الآذان دون الضرب على الأبصار لأنه أدل على المراد من حيث

كان قد يضرب على الأبصار من غير عى فلا يبطل الإدراك رأساً ، وذلك بتغميض الأجفان ، وليس

كذلك منع السماع من غير صمم في الآذان ؛ لأنه إذا ضرب عليها من غير صمم دل على عدم الإحساس من

كل جارية يصح بها الإدراك ، ولأن الأذن لما كانت طريقاً إلى الانتباه ثم ضرب عليها لم يكن سبيل إليه .

وقوله : ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾^(١) .
وهذا أوقع من اللفظ الظاهر ، وأبلغ من الكلام الموضوع [له]^(٢) .

* * *

/وأما «التلاؤم» ، فهو: تعديل الحروف في التآليف . وهو نقيض «التنافر» ٤٠٧
[الذي هو]^(٣) كقول الشاعر :

وَقَبْرٌ حَرْبٌ بِمَكَانٍ قَفَّرَ وَيَسَّ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ^(٤)
قالوا : هو من شعر الجن ! وحروفه متنافرة ، لا يمكن إنشاده إلاَّ بِتَتَعْتَعُ فيه !^(٥) . « والتلاؤم » على ضربين :
أحدهما في الطبقة الوسطى ، كقوله^(٦) :

رَمْتَنِي وَسْتَرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ^(٧)
رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لَجَارَاتِ بَيْتِهَا : ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَهُيمُ^(٨)
/أَلَا رُبَّ يَوْمٍ أَوْ رَمْتَنِي رَمِيَّتُهَا وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالنُّضَالِ قَدِيمٌ^(٩) ٤٠٨

(١) سورة الأعراف : ١٤٩ . وقال الرماني ص ١٧ : « هذا مستعار . وحقيقته : ندموا لما رأوا من أسباب الندم . إلا أن الاستعارة أبلغ للإحالة فيه على الإحساس لما يوجب الندم بما سقط في اليد ، فكانت حاله أكشف في سوء الاختيار لما يوجب الوبال »

(٢) الزيادة من ا ، ك ، م (٣) الزيادة من م

(٤) البيت مجهول النسبة ، بل نسب إلى الجن ، وحرب : هو حرب بن أمية بن عبد شمس ، والد أبي سفيان بن حرب : راجع البيان والتبيين ١/٦٥ والحيوان ٦/٢٠٧ وشرح شواهد الشافية ص ٤٨٧ ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي ص ٢٦ والبداية والنهاية لابن كثير ٢/٢٧٧

(٥) نص عبارة الرماني ص ١٨ : « وذكروا أن هذا من أشعار الجن ، لأنه لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات فلا يتتبع . وإنما السبب في ذلك ما ذكرناه من تنافر الحروف »

(٦) هو أبو حية النيمري كما في الكامل للمبرد ص ١٩ وأمالى الشريف ٢/١٠٢ وحجاسة ابن الشجري ص ١٥٣ وأمالى القالي ٢/٢٨٠

(٧) في الكامل ص ١٩ : « قيل : في ستر الله : الإسلام ، وقيل : إنه الشيب ، وقيل ما حرم الله » . وفي الأمالى : « عشية أحجار الكناس » وكذلك في اللسان ١٥/١٤٨ وفيه : « أراد بأحجار الكناس : رمل الكناس » والكناس : الموضع الذي تأوى إليه الظباء . ورميم اسم جارية ، مأخوذ من العظام الرميم ، وهي البالية ، كما قال الأخفش في زياداته على الكامل ص ١٩ وفي اللسان : « ورميم من أسماء الصبا وبه سميت المرأة ، ثم أنشد البيت شاهداً على ذلك » (٨) سقط هذا البيت من ا ، م

(٩) قال أبو العباس المبرد : « يقول : رميت بطرفها وأصابني بحماسها ، ولو كنت شاباً لرميت كما رميت ، وقتنت كما فتنت ، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب »

قالوا^(١): «والتلاؤم في الطبقة العليا : القرآن كله ، وإن كان بعض الناس أحسن إحساساً له من بعض ، كما أن بعضهم يفتن للموزون بخلاف بعض .
و«التلاؤم»^(٢) : حسن الكلام في السمع ، وسهولته في اللفظ ، ووقع المعنى في القلب . وذلك كالخط الحسن والبيان الشافي ، والمتنافر/ كالخط القبيح ، فإذا انضاف إلى التلاؤم حسن البيان وصحة البرهان في أعلى الطبقات — ظهر الإعجاز لمن كان جيد الطبع ، وبصيراً بجواهر^(٣) الكلام ، كما يظهر له أعلى طبقة الشعر^(٤) .

و«المتنافر» ، ذهب الخليل إلى أنه من بُعد شديد ، أو قرب شديد ؛ فإذا بُعد فهو كالطفر^(٥) . وإذا قرب جداً كان بمنزلة مثنى المقيد . ويبين بقرب مخارج الحروف وتباعدها .

* * *

وأما « الفواصل » : فهي حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها إفهام المعاني وفيها بلاغة . والأسجاع عيب ؛ لأن السجع يتبعه^(٦) المعنى ، والفواصل تابعة

(١) نص عبارة الرماني بعد الأبيات : «والتلاؤم في الطبقة العليا القرآن كله ، وذلك بين لمن تأمله ، والفرق بينه وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف ، على نحو الفرق بين التلاؤم والمتنافر في الطبقة الوسطى . وبعض الناس أشد إحساساً بذلك وفتنة له من بعض ، كما أن بعضهم أشد إحساساً بتبنيز الموزون في الشعر من المكسور ، واختلاف الناس في ذلك من جهة الطباع كاختلافهم في الصور والأخلاق . والسبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف ، فكلمة كان أعدل كان أشد تلاؤماً»

(٢) قال الرماني ص ١٨ : «والفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع ، وسهولته في اللفظ ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليه من حسن الصورة وطريق الدلالة . ومثل ذلك مثل قراءة الكتاب في أحسن ما يكون من الخط والظرف ، وقراءته في أقيح ما يكون من الظرف والخط ، فذلك متفارت في الصورة وإن كانت المعاني واحدة . . . والتلاؤم في التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد ، وذلك يظهر بسهولته على اللسان ، وحسنه في الأسماع ، وتقبله في الطباع . فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات — ظهر الإعجاز للجيد الطباع ، البصير بجواهر الكلام ، كما يظهر له أعلى طبقات الشعر من أدناها إذا تفاوت ما بينهما»

(٣) س ، ك : « بجودة الكلام »

(٤) قال الرماني ص ١٨ : «وأما المتنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد ، أو القرب الشديد ، وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر ، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مثنى المقيد ، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه ، وكلاهما صعب على اللسان ، والسهولة من ذلك في الاعتدال ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال»

(٥) س ، ك : « يتبع »

(٦) س ، ك : « كالظفر »

للمعاني^(١) . والسجع كقول « مسيلمة » .

٤١٠ / ثم الفواصل قد تقع على حروف متجانسة ، كما قد تقع على حروف متقاربة ؛ ولا تحتل القوافي ما تحتل الفواصل ، لأنها ليست في الطبقة العليا في البلاغة ، لأن الكلام يحسن فيها بمجانسة القوافي وإقامة الوزن^(٢) .

وأما « التَّجَانُسُ » ، فهو : بيان بأنواع الكلام الذى يجمعه أصل واحد . وهو على وجهين : مُزَاوَجَةٌ ، ومناسبة .

المُزَاوَجَةُ كقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾^(٣) .

٤١١

/ وقوله : ﴿ وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ ﴾^(٤) .
وكقول عَمْرُو بن كَلْبِشُوم^(٥) :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ^(٦)

(١) قال الرماني ص ١٩ : « والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها ، وهو قلب ما توجيه الحكمة في الدلالة ، إذ كان الغرض الذى هو حكمة وإنما هو الإبانة عن المعاني التى الحاجة إليها ماسة ، فإذا كانت المشاكلة وصلته إليه فهو بلاغة ، وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولُكْنَةٌ ، لأنه تكلف من غير الوجه الذى توجيه الحكمة ، ومثله مثل من رضع تاجاً ثم ألبسه زنجياً ساقطاً ، أو نظم فلادة در ثم ألبسها كلباً ! وقبح ذلك وعيبه بين لمن له أدق فهم . . . وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة ؛ لأنها طريق إلى إظهار المعاني التى يحتاج إليها فى أحسن صورة يدل بها عليها »

(٢) قال الرماني ص ٢٠ : « وإنما حسن فى الفواصل الحروف المتقاربة لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد فى تمييز الفواصل والمقاطع لما فيه من البلاغة وحسن العبارة . وأما القوافي فلا تحتل ذلك ؛ لأنها ليست فى الطبقة العليا من البلاغة . وإنما حسن الكلام فيها إقامة الوزن ومجانسة القوافي ، فلو بطل أحد الشيتين خرج عن ذلك المنهاج ، وبطل ذلك الحسن الذى له فى الأسماع ، ونقصت رتبته فى الأنفهام . والفائدة فى الفواصل دلالتها على المقاطع ، وتحسينها الكلام بالتشاكل ، وإبداؤها فى الآتى بالنظائر »

(٣) سورة البقرة : ١٩٤ . وقال الرماني ص ٢١ : « فالمزوجة تقع فى الجزء كقوله تعالى : " فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه " أى جازوه بما يستحق على طريق العدل ، إلا أنه استعير للثانى لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة فى المقدار ، فجاء على مزوجة الكلام لحسن البيان . »

(٤) سورة آل عمران : ٥٤ . وقال الرماني ص ٢١ : « أى جازاهم على مكرمهم ، فاستعير للجزء على المكر اسم المكر لتحقيق الدلالة على أن وبال المكر راجع عليهم ومختص بهم »

(٥) من مملقته ، وهو فى شرح القصائد العشر ص ٢٣٨ وأما المرتضى ٨/٢ والصاحبى ص ١٩٦ وما اتفق لفظه واختلف معناه فى القرآن الكريم للمبرد ص ١٤ وأساس البلاغة ١٤٥/١ وجمع البيان ٥٢/١

(٦) قال الرماني ص ٢٢ : « فهذا حسن فى البلاغة ولكنه دون بلاغة القرآن ، لأنه لا يؤذن بالعدل كما أذنت بلاغة القرآن ، وإنما فيه الإيذان براجع الوبال فقط . . . »

* * *

وأما « المتأتمبة » ، فهي كقولها تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ﴾^(١) وقوله : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾^(٢) .

* * *

٤١٢ / وأما « التّصريف »^(٣) فهو : تصريف الكلام في المعاني ، كتصريفه في الدلالات المختلفة^(٤) ؛ كتصريف « الملك » في معاني الصفات ، فصُرف في معنى « مالك » و « ملك » و « ذى الملكوت » و « المليك » ، وفي معنى « التملك » و « التملك » و « الإملاك » ؛ وتصريف المعنى في الدلالات المختلفة ، كما كرر من قصة موسى في مواضع^(٥) .

* * *

وأما « التّضمين » فهو : حصول معنى فيه من غير ذكره له باسم أو صفة هي عبارة عنه^(٦) .

(١) سورة التوبة : ١٢٧ . وقال الرماني ص ٢٢ : « والثاني من التجانس وهو المناسبة ، وهي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد ، فن ذلك قوله : " ثم انصرفوا ... " فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير . والأصل فيه واحد ، وهو الذهاب عن الشيء ؛ أما هم فذهبوا عن الذكر ، وأما قلوبهم فذهب عنها الخير »

(٢) سورة النور : ٣٧ . وقال الرماني : « فجونس بالقلوب التقلب . والأصل واحد فالقلوب تتقلب بالخواطر ، والأبصار تتقلب في المناظر . والأصل التصرف »

(٣) بقية كلام الرماني بعد ذلك : « وهو عقدها به على جهة التعاقب . فتصريف المعنى في المعاني كتصريف الأصل في الاشتقاق في المعاني المختلفة ، وهو عقدها به على جهة المعاقبة كتصريف الملك » إلخ .

(٤) قال الرماني ص ٢٣ : « . . . وهذا الضرب من التصريف فيه بيان عجيب يظهر فيه المعنى بما يكتنفه من المعاني التي تظهره وتدل عليه » .

(٥) قال الرماني ص ٢٣ : « أما تصريف المعنى في الدلالات المختلفة فقد جاء في القرآن في غير قصة ، منها قصة موسى عليه السلام ، ذكرت في سورة الأعراف ، وفي طه ، والشعراء ، وغيرها ، لوجوه من الحكمة : منها التصرف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة . ومنها تمكين العبرة والمعظة . ومنها حل شبهة في المعجزة . . . »

(٦) قال الرماني بعد ذلك ص ٢٤ : « والتضمين على وجهين : أحدهما ما كان يدل عليه الكلام ما كان يدل عليه دلالة الإخبار . والآخر ما يدل عليه دلالة القياس . فالأول كذكرك الشيء بأنه محدث ، فهذا يدل على الحدث دلالة الإخبار ، فأما حادث فيدل على الحدث دلالة القياس دون دلالة الإخبار . والتضمين في الصفتين جميعاً ، إلا أنه على الوجه الذي بينا . . . »

/ وذلك على وجهين :

تضمنين "توجيبهُ البنية" ، كقولنا : « معلوم » ، يوجب انه لا بد من علم .
وتضمنين يوجبه معنى للعبارة من حيث لا يصح إلا به ، كالصفة بضارب ،
على مضروب^(١) .

والتضمنين كله إيجاز . [وذكر : أن] التضمنين الذي تدل عليه دلالات
القياس أيضاً إيجاز^(٢) .

وذكر : أن ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من باب التضمنين ؛ لأنه/تضمن ٤١٤
تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تبارك وتعالى ، أو التبرك
باسمه^(٣) .

* * *

وأما « المبالغة » ، فهي : الدلالة على كثرة المعنى . وذلك على وجوه :
منها مبالغة في الصفة المبينة لذلك ، كقولك : « رَحْمَانٌ » عدل عن « راحم »^(٤) .

(١) قال الرماني ص ٢٤ : « والتضمنين على وجهين : تضمنين توجبه البنية ؛ وتضمنين يوجبه معنى
العبارة من حيث لا يصح إلا به ، ومن حيث جرت العادة بأن يقصد به . فالذي توجبه نفس البنية فالصفة
بمعلوم توجب أنه لا بد من عالم وكذلك مكرم . وأما الذي يوجبه معنى العبارة من حيث لا تصح إلا به
فكالصفة بقاتل ، تدل على مقتول من حيث لا يصح معه معنى قاتل ولا مقتول ، فهو على دلالة التضمنين .
والتضمنين الذي يوجبه معنى العبارة من جهة جريان العادة فكقولهم : الكثرُ بستين ، المعنى فيه بستين ديناراً ،
فهذا ما حذف وضمن الكلام معناه لجريان العادة به » .

(٢) قال الرماني : « والتضمنين كله إيجاز استغنى به عن التفصيل ؛ إذ كان مما يدل دلالة الأخبار
في كلام الناس ، وأما التضمنين الذي يدل عليه دلالة القياس فهو إيجاز في كلام الله عز وجل خاصة ؛ لأنه
تعالى لا يذهب عليه وجه من وجوه الدلالة ، فنصبه لها يوجب أن يكون قد دل عليها من كل وجه يصح
أن يدل عليه ، وليس كذلك سبيل غيره من المتكلمين بتلك العبارة ؛ لأنه قد يذهب عنه دلالتها من جهة
القياس ، ولا يخرجها ذلك عن أن يكون قد قصد بها الإبانة عما وضعت له في اللغة من غير أن يلحقه فساد
في العبارة » .

(٣) قال الرماني : « وكل آية فلا تخلو من تضمنين لم يذكر باسم أو صفة ، فن ذلك : " بسم الله
الرحمن الرحيم " قد ضمن التعليم لاستفتاح الأمور على جهة التبرك به والتعظيم لله بذكره ، وأنه أدب من
آداب الدين وشعار المسلمين ، وأنه إقرار بالعبودية واعتراف بالنعمة التي هي من أجل نعمه ، وأنه ملجأ
الخاص ، وصعده المستنبح » .

(٤) س : « عدل عن ذلك للمبالغة » وقال الرماني بعد ذلك : « ولا يجوز أن يوصف به إلا الله
عز وجل ؛ لأنه يدل على معنى لا يكون إلا له ، وهو حتى وسعت رحمته كل شيء » .

للمبالغة ، وكقوله : « غَفَّارٌ » وكذلك فَعَّالٌ ^(١) وفَعَّولٌ ، كقوله : « شكور »
و « غفور » ، وفَعَّيلٌ ، كقوله : « رحيم » و « قدير » .

ومن ذلك أن يبالغ باللفظة التي هي صفة عامة ^(٢) ، كقوله : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(٣) وكقوله : ﴿ فَاتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ ^(٤) .

٤١٥ / وكقوله : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ^(٥)
وكقوله : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ^(٦) .
وقد يدخل فيه الحذف الذي تقدم ذكره للمبالغة ^(٧) .

* * *

وأما « حُسْنُ البَيَانِ » فالبيان على أربعة أقسام ^(٨) : كلامٌ ، وحالٌ ، وإشارةٌ ،
وعلامَةٌ .

٤١٦ / ويقع التفاضل في البيان ، ولذلك قال عزَّ من قائل : ﴿ الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ

(١) غفار مثال لفعال . وقد ترك المؤلف من الأوزان التي ذكرها الرمانى : مفعل كدعس ومطعن ،
ومفعال كمنحار ومطعام

(٢) قال الرمانى ص ٢٥ : « الضرب الثانى المبالغة بالصيغة العامة في موضع الخاصة » كقوله ، إلخ

(٣) سورة الزمر : ٦٢

(٤) سورة النحل : ٢٦ وهذه الآية قد مثل بها الرمانى للضرب الثالث من ضروب المبالغة ، وهو
إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة ثم قال : « أى أتاهم بعظيم بأسه فجعل ذلك إتياناً
له على المبالغة »

(٥) سورة الأعراف : ٤٠ وقد مثل بها الرمانى للضرب الرابع ، وهو إخراج الممكن إلى الممتنع للمبالغة

(٦) سورة سبأ : ٢٤ وقد مثل بها الرمانى للضرب الخامس ، وهو إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة

في العدل ، والمظاهرة في الحجاج .

(٧) قال الرمانى ص ٢٦ : « الضرب السادس حذف الأجوبة للمبالغة كقوله تعالى : (ولو ترى

إذ وقفوا على النار) و (لو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب) ومنه (ص والقرآن ذى الذكر) كأنه
قيل : بجاء الحق ، أو لعظم الأمر ، أو بجاء بالصدق . كل ذلك يذهب إليه الوهم لما فيه من التفتيم .
والحذف أبلغ من الذكر ؛ لأن الذكر يقصر على وجه ، والحذف يذهب بالوهم إلى كل وجه من وجوه التعظيم ،
لما قد تفسنه من التفتيم »

(٨) قال الرمانى ص ٢٦ : « البيان هو الإحضار لما يظهر به تمييز الشيء من غيره في الإدراك . والبيان

على أربعة أقسام . . . والكلام على وجهين : كلام يظهر به تمييز الشيء من غيره فهو بيان ، وكلام لا يظهر
به تمييز الشيء فليس ببيان ، كالكلام المخلط والمحال الذى لا يفهم به معنى . وليس كل بيان يفهم به المراد
فهو حسن ؛ من قبل أنه قد يكون على عى وفساد » ثم حكى ما حكى عن عى باقل وإفلات الظبي
من يده ، ثم قال : « فهذا وإن كان قد أكد للأفهام فهو أبعد الناس عن حسن البيان »

الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ^(١) .

[ونقيضه العبي ، ومنه]^(٢) قيل : أعيناً من بآقيل ، سئل عن ظبية في يده : بكم اشتراها ؟ فأراد أن يقول : بأحد عشر ، فأشار بيديه ماداً أصابعه العشر ، ثم أدلّع لسانه ، فأفلتت الظبية من يده ! !

* * *

ثم البيان على مراتب^(٣) .

قلنا^(٤) : قد كنا حكيمينا أن من الناس من يريد أن يأخذ إعجاز القرآن من وجوه البلاغة التي ذكرنا أنها تسمى « البديع » في أول الكتاب ، مما مضت أمثلته في الشعر .

ومن الناس من زعم : أنه يأخذ ذلك من هذه الوجوه التي عددناها في هذا الفصل .

/ واعلم أن الذي بيناه قبل هذا وذهبنا إليه هو شديد^(٥) ، وهو أن هذه الأمور ٤١٧ تنقسم :

فمنها ما يمكن الوقوع عليه ، والتعمّل له ، ويُدرّك بالتعلم ؛ فما كان كذلك فلا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن به .

وأما ما لا سبيل إليه بالتعلم والتعمّل من البلاغات ، فذلك هو الذي يدل على إعجازه ؛ ونحن نضرب لذلك أمثلة ، لتقف على ما ذهبنا إليه .

وذكرنا في هذا الفصل عن هذا « القائل » أن التشبيه تعرف به البلاغة . وذلك مسلم ، ولكن^(٦) إن قلنا : ما وقع من التشبيد في القرآن معجز - عرض^(٧) علينا

(١) سورة الرحمن : ١-٤ . وسبب استشهاد الرمان بهذه الآية أنه قال : ص ٢٧ « وليس يحسن أن يطلق اسم بيان على قبيح من الكلام ؛ لأن الله قد مدح البيان واعتد به في آياده الجسم فقال (الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان) ولكن إذا قيد بما يدل على أنه يعني به إلهام المراد جاز »

(٢) الزيادة من م

(٣) قال الرمان ص ٢٧ : « وحسن البيان في الكلام على مراتب : فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ، ويسهل على اللسان ، وتتقبله النفس تقبل البرهان ، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة . . . والقرآن كله في نهاية حسن البيان . . . »

(٥) ك : « شديد »

(٤) م : « فإننا قد »

(٧) م : « اعترض »

(٦) م : « وذلك إن »

من التشبيهات الجارية في الأشعار ما لا يخفى عليك ، وأنت تجد في شعر ابن المعتز من التشبيه البديع الذي يشبه السحر ، وقد تتبّع في هذا ما لم يتتبّع غيره ، واتَّفَقَ له ما لم يتفق لغيره من الشعراء .

وكذلك كثير من وجوه البلاغة ، قد بينّا أن تعلّمها يمكن ، وليس تقع البلاغة بوجه واحد منها دون غيره .

فإن كان إنما يعني هذا «القائل» أنه إذا أتى في كل معنى يتفق في كلامه بالطبقة العالية ، ثم كان ما يصل به كلامه بعضه ببعض ، وينتهي/منه إلى متصرفاته - : ٤١٨ على أتم البلاغة وأبدع البراعة - فهذا مما لا نأباه ، بل نقول به .

وإنما ننكر أن يقول قائل : إن بعض هذه الوجوه بانفرادها قد حصل فيه الإعجاز من غير أن يقارنه ما يصل به [من] (١) الكلام ويُفضي إليه ، مثل ما يقول (٢) : إن ما أقسم به وحده بنفسه معجز ، وإن التشبيه معجز ، وإن التجنيس معجز ، والمطابقة بنفسها معجزة .

فأما الآية التي فيها ذكر التشبيه ، فإن ادعى إعجازها لألفاظها ونظمها وتأليفها - فإني لا أدفع ذلك وأصححه ، ولكن لا أدعى إعجازها لموضع التشبيه .

وصاحب «المقالة» التي حكيناها ، أضاف ذلك إلى موضع التشبيه وما قرّن به من الوجوه ، ومن تارك الوجوه ما قد بينا أن الإعجاز يتعلق به كالبيان ، وذلك لا يختص بجنس من المبيّن (٣) دون جنس ، ولذلك قال : ﴿ هذا بيّانٌ لِلنَّاسِ ﴾ (٤) وقال : ﴿ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٥) وقال : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (٦) فكرر في مواضع [جمل] (٧) ذكره : أنه مبين .

٤١٩ / فالقرآن أعلى منازل البيان . وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحُسن وأسبابه ، وطرقه وأبوابه : من تعديل النظم وسلامته (٨) ، وحسنه وبهجته ، وحسن موقعه في السمع ، وسهولته على اللسان ، ووقوعه في النفس موقع القبول ، وتصوره تصور المشاهد ،

(٢) م « ما نقول »

(٤) سورة آل عمران : ١٣٨

(٦) سورة الشعراء : ١٩٥

(٨) م « وسلامته »

(١) الزيادة من م

(٣) م « بجنس دون جنس »

(٥) سورة النحل : ٨٩

(٧) الزيادة من م

وتشكله على جهته حتى يحل محل البرهان ودلالة التأليف ، مما لا ينحصر حسناً
وبهجةً وسناءً ورفعةً .

وإذا علا الكلام في نفسه ، كان له من الوقع في القلوب والتمكن في النفوس ،
ما يُذهل ويُبهج ، ويُقلق ويؤنس ، ويُطمع ويؤيس ، ويُضحك ويبكي ،
ويحزن ويُفرح ، ويُسكن ويُزعج ، ويُشجى ويطرب^(١) . ويَهزُّ الأعطاف ،
ويستميل نحوه الأسماع^(٢) . ويورث الأريحية والعزّة ، وقد يبعث على بتدل
المُهَجِّج والأموال شجاعةً وجوداً ، ويرى السامع من وراء رأيه مرمي^(٣) بعيداً .
وله مسالك في النفوس لطيفة ، ومداخل إلى القلوب دقيقة .

وبحسب ما يترتب في نظمه ، ويتنزّل في موقعه ، ويجرى على سمّتِ مَطْلَعِه
ومقطعه - يكونُ عَجِيبُ تأثيراته ، وبدِيعُ مقتضياته .
وكذلك على حسب مصادره ، يتصوّرُ وجوهَ مَسْأَرِدِه .

/ وقد^(٤) ينبيءُ الكلام عن محل صاحبه ، ويدل على مكان متكلّمه ، ويُنبئه ٤٢٠
على عظيم شأن أهله ، وعلى علوِّ محله .

ألا ترى أن الشعر في الغزل إذا صدر عن محبّ ، كان أرقّ وأحسن ؛ وإذا
صدر عن مُتَعَمِّلٍ^(٥) ، وحصل من متصنع - نادى على نفسه بالمُدْجَاة ،
وأخبر عن خبيثته في المرأة^(٦) ؟ !
وكذلك قد يصدر الشعر في وصف الحرب عن الشجاع ، فيعلم وجه صلوره ،
ويدل على كنهه وحقيقته .

وقد يصدر عن المتشبه ، ويخرج عن المتصنع ، فيعرف من حاله ما ظن أنه
يخفيه ، ويظهر من أمره خلاف ما يبديه .
وأنت تعرف^(٧) لقول المُتَسَبِّبِ :

فَالخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي

وَالْحَرْبُ وَالضَّرْبُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ^(٨)

(٢) م « وترى السامع من ورائه مرمي »

(١-١) ما بين الرقيمين ساقط من م

(٤) س ، ك : « متفزل »

(٣) م : « فقد »

(٥) ا : « خبيثه » م « جنسه في المرامات » (٦) كذا في ا ، م ، ك : وفي س « تجد » .

(٧) ديوانه ٢٦٢/٢ وهي رواية الواحدى ، وفي ك : « والحرب والطنن » ا « والطنن والضرب » .

من الوقع^(١) في القلب - لما^(٢) تعلم أنه من أهل الشجاعة - ما لا تجده
للبحرسي في قوله :

٤٢١ / وأنا الشجاعُ وقد بدأ لك موقفي بعقرقيس والمشرفية شهدي^(٣)
وتجد لابن المعتز في موقع شعره من القلب ، في الفخر وغيره ، ما لا تجده
لغيره ؛ لأنه إذا قال :

إذا شئت أوفرتُ البلادَ حوافراً وسارتُ ورأى هاشمٌ ونزارُ
وعمَّ السماءُ النقعُ حتى كأنه دخانٌ وأطرافُ الرِّيحِ شرارُ^(٤)
وقال :

قد ترديتُ بالكارمِ دهرًا وكفتني نفسي من الافتخار^(٥)
أنا جيشٌ إذا غزوتُ وحيدًا ووحيدٌ في الجحفلِ الجرارِ
وقال :

أيها السائلُ عن الحسبِ الأطأ يب ما فوقه ليخلقٍ مزيدُ^(٦)
نحن آلُ الرسولِ والعترةُ الحقُّ قُ وأهلُ القربي ، فماذا تريد ؟^(٧)
ولنا ما أضاء صبحُ عليه وأنته راياتُ ليلٍ سودُ^(٨)
وكما أنشدنا الحسنُ بن عبد الله ، قال : أنشدنا محمد بن يحيى لابن المعتز
قصيدته التي يقول فيها :

٤٢٢ / وأنا ابنُ الذي سادهمُ في الحيا ةِ وسادهمُ بي تحتَ الثرى^(٩)
وأومالي في أحدٍ مرغبٌ بلى في يرغبُ كلُّ الورى
وأسهرُ للمجدِ والمكرماتِ إذا اكتحلتُ أعينُ بالكرى^(١٠)

(١) م : «الموقع» . ك : «الواقع» (٢) م : «ما تعلم»

(٣) ديوانه ٤٦١ (٤) ديوانه ص ٣٧ وفي م ، ك : «وعم شماء النقع»

(٥) ديوانه ص ٣٩ وفي ا ، ك ، م : «بالمكارم حولي»

(٦) ديوانه ص ٣٠ (٧) ا ، م ، ك : «القربي» س : «القرى»

(٨) م : «وأنا ما أضاء» وفي الديوان : «أنته آيات»

(٩) ديوانه ص ٦ (١٠) م ، ك : «اكتحلت» س : «كحت»

فانظر في (١) التصيدة كلها ، ثم في جميع شعره ، تعلم أنه مَلِكُ الشعر ، وأنه يليق به من الفخر خاصةً ، ثم مما يتبعه مما يتعاطاه — ما لا يليق بغيره ، بل ينفر عن سواه .

ولم أحب أن أكثر عليك ، فأطوّل الكتاب بما يخرج عن غرضه .
وكما ترى من (٢) قول أبي فراس الحمداني في نفسك إذا قال :

ولا أَصْبِحُ الحَيَّ الخُلُوفَ بغارة

ولا الجيـش ما لم تَنَازَه قَبْلِي النُّذْرُ (٣)

وَيَا رَبَّ دَارٍ لِمَ تَخَفْنِي مَنِيعة

طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِالرَّدَى أَنَا وَالْفَجْرُ

وَسَاحِبَةِ الأَذْيَالِ نَحْوِي لَقَمِيئَتُهَا

فلم يلقها جاني اللقاء ولا وَعْرُ (٤)

وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ الجيـش كله

وَأَبْتُ ولم يُكشِف لأبياتها سِتْرُ (٥)

وما رَاحَ يُطْغِنِي بِأثوابه الغني

ولا بات يَشْنِينِي عن الكرم الفقْرُ

وما حاجتي في المال أَبْغِي وَفُورَهُ

إِذَا لَمْ أَفِرْ وَفَرِي فِلا وَفَرَ الوَفْرُ (٦)

والشئ إذا صدر من أهله ، وبدا من أصله ، وانتسب إلى ذويه — سلم في نفسه ، وبانت فخامته ، وشوهد (٧) أثر الاستحقاق فيه .

وإذا صدر من متكلف ، وبدا من متصنع — بان أثر الغربة (٨) عليه ،

(١) م « فانظر هذه »

(٢) م « في الديوان رواية أخرى هي : « جهم اللقاء »

(٣) ديوانه ٢١٢/٢ ، وهناك رواية أخرى وهي : « ورحت ولم يكشف لأثوابها ستر »

(٤) هذه رواية م والديوان . وفي س ، ك : « إذا لم أفر وفري » . وفي م : « وهبت له »

(٥) س : « وشواهد » (٦) م « العرمة » س « الغرابة »

وظهرت مخابيل الاستيحاش فيه ، وعُرف شمائل التَّخْيِير^(١) منه .
 إِنَّا نَعْرِفُ فِي شَعْرِ أَبِي نُوَاسٍ أَثَرَ الشَّطَارَةِ ، وَتَمَكَّنَ البَطَّالَةَ ، وَمَوْجِعَ ٤٢٤
 كَلَامِهِ فِي وَصْفِ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مِنْ أَمْرِ العِيَارَةِ^(٢) ، وَوَصْفِ / الخمر والحمار .
 كَمَا نَعْرِفُ مَوْجِعَ كَلَامِ ذِي الرِّمَّةِ فِي وَصْفِ المَهْتَامِهِ وَالبَوَادِي وَالجَمَالِ وَالأَنْسَاعِ
 وَالأَزْمَةِ .

وَوعَيْبُ أَبِي نُوَاسٍ التَّصْرُفُ فِي وَصْفِ الطَّلُولِ وَالرِّبَاعِ وَالوَحْشِ ،
 فَفَكَرَّ فِي قَوْلِهِ :

دَعِ الأَطْلَالَ تَسْفِيهَا الجَنُوبُ وَتُبَيْلِي عَهْدَ جِدَّتِهَا الخُطُوبُ^(٣)
 وَخَلْ لِرَاكِبِ الوَجْنَاءِ أَرْضاً تَخْبُ بِه النَّجِيصَةَ وَالنَّجِيبُ^(٤)
 بِبِلَادُ نَبَتْهَا عَشْرُ وَطْلُحُ وَأَكْثَرُ صَيْدِهَا ضُبُعٌ وَذَيْبُ^(٥)
 وَلَا تَأْخُذْ عَنِ الأَعْرَابِ لِهَوَاً وَلَا عَيْشاً . فَعَيْشُهُمْ جَدِيبُ
 دَعِ الأَلْبَانَ يَشْرِبُهَا رِجَالُ رَفِيقُ العَيْشِ عِنْدَهُمْ غَرِيبُ^(٦)
 إِذَا رَابَ الحَلِيبُ فَبَيْلٌ عَلَيْهِ وَلَا تَحْرَجْ ، فَمَا فِي ذَاكَ حُوبُ^(٧)
 فَطَاطِيبُ مِنْهُ صَافِيَةٌ شَمُولُ يَطُوفُ بِكَأْسِهَا سَاقِ أَدِيبُ^(٨)
 كَأَنَّ هَدِيرَهَا فِي الدَّنِّ يَحْكِي قِرَادَةَ القَسِّ قَابِلَهُ الصَّلِيبُ
 أَعَاذَلْ أَقْصِرِي عَن طُولِ لَوْمِي فَرَاجِي تَوْبَتِي عِنْدِي يَخِيبُ
 تَعْيِينِ الذُّنُوبِ ، وَأَيَّ حُرِّ مِنَ الفَتِيَانِ لَيْسَ لَهُ ذُنُوبُ !؟
 / وَقَوْلِهِ :

٤٢٥
 صِفَةُ الطَّلُولِ بِلَاغَةُ القَدَمِ فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لَابِنَةَ الكَرَمِ^(٩)

(١) س « شمائل التخيير » لك « بشمائل التخيير »

(٢) كذا في ١ ، ك . وفي م « من أمر العناية في وصف الخمر » س « من أمر المغازلة ووصف » .

وفي اللسان ٣٠٢/٦ « يقال غلام عيار : نشيط في المعاصي »

(٣) ديوانه ص ١٠٤ وفي « تسقيها » (٤) س : « تخب بها »

(٥) راجع وصف أبي حنيفة للعشر في اللسان ٢٥٠/٦ والطلع في اللسان ٣٦٥/٣

(٦) سقط هذا البيت من م « ولا تتجرجن في ذلك »

(٧) م : « ساق أريب » (٨) م : « ساق أريب »

(٩) ديوانه ٣٢٣

وسمعت الصحاح إسماعيل بن عباد يقول : سمعت براكويته^(١) الزنجاني يقول :

أنشد بعض الشعراء هلال بن يزيد قصيدة على وزن قصيدة الأعشى :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل ؟
وكان وصف فيها الطلل ، قال براكويه^(٢) : فقال لي هلال : فقلت
بديهاً :

إذا سمعت فتى يبكي على طللٍ من أهل زنجان ، فاعلم أنه طللٌ

* * *

وإنما ذكرت لك هذه الأمور ، لتعلم أن الشيء في معدنه أعزّ ، وإلى
مطانه أحسن^(٣) ، وإلى أصله أنزَع ، وبأسبابه أليق ؛ وهو^(٤) يدل على ما صدرَ
منه ، وينبه ما أنتج عنه ، ويكون قراره على موجب صورته ، وأنواره على حسب
محله ؛ ولكل شيء حدّ ومذهب . ولكل كلام سبيل ومنهج .
وقد ذكر أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كلام مسيئلمة ما أخبرتك
به ، فقال : إن هذا كلام لم يخرج من إل^(٥) . فدل على أن الكلام الصادر
عن عزة الربوبية ورفعة الإلهية ، يتميز عما لم يكن كذلك .

* * *

ثم رجع الكلام بنا إلى ما ابتدأنا به من عظيم شأن البيان^(٦) ، ولو لم يكن فيه
إلا ما من به الله على خلقه بقوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾^(٧) .

(١) في ل ، س : « برلكويه » . وفي م : « ابن راكويه » . وانظر ترجمة « براكويه » في يتيمة
الدهر للشعالي ٤٠٤/٣ - ٤٠٥

(٢) راجع التعليق السابق . وفي م : « فقال ابن زاكويه قال : ما تقول ؟ فقلت بديهاً »

(٣) كذا في ل ، م . وفي س : « وفي مطانه أحسن » (٤) م : « وهذا »

(٥) في اللسان ٢٦/١٣ عن ابن سيدة « والإل : الله عز وجل ، بالكسر ، وفي حديث أبي بكر
رضي الله عنه لما تلى عليه صحح مسيلمه : إن هذا شيء ما جاء من إل ولا بر ، فأين ذهب بكم ؟ أي من
ربوبية . وقيل : الإل : الأصل الجيد ، أي لم يجي من الأصل الذي جاء منه القرآن . وقيل : الإل :
النسب والقرباة . فيكون المعنى : إن هذا كلام غير صادر من مناسبة الحق ، ولا إدلاء بسبب بينه وبين
الصدق » . والذس في اللسان محرف ، صححناه بما يستقيم به

(٧) بل الحق إنه رجع إلى نقل كلام الرماني في البيان الذي سبق نقله لبعضه

فأما بيان القرآن فهو أشرف بيان وأهداه ، وأكمله وأعلاه ، وأبلغه وأسناه .

٤٢٧ / تأمل قوله تعالى : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾^(١) في شدة التنبيه على تركهم الحق والإعراض عنه . وموضع امتنانه بالذكر والتحذير^(٢) .

وقوله : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾^(٣) وهذا بليغ في التحسير .

وقوله : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾^(٤) وهذا يدل على كونهم مجبولين على الشر ، معودين لمخالفة النهي والأمر^(٥) .

وقوله : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾^(٦) هو في نهاية المنع^(٧) من الخلَّة إلا على التقوى .

وقوله : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾^(٨) . وهذا نهاية في التحذير من التفريط .

وقوله : ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

٤٢٨ / اعملوا ما شئتم ، إنه بما تعملون بصير ﴾^(٩) هو النهاية في الوعيد والتهديد^(١٠)

وقوله : ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ : هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ

(١) سورة الزخرف : ٥

(٢) نص عبارة الرماني ص ٢٨ . « فهذا أشد ما يكون من التفريع »

(٣) سورة الزخرف : ٣٩ . وقال الرماني : « فهذا أعظم ما يكون من التحسير »

(٤) سورة الأنعام : ٢٨

(٥) قال الرماني : « وهذا أدل دليل على العدل ، من حيث لم يقطعوا عما يتخلصون به من ضرر

الجرم ، ولا كانت قبائحهم على طريق الخير »

(٦) سورة الزخرف : ٦٧ . وقال الرماني : « وهذا أشد ما يكون له من التفريع عن الخلَّة إلا على التقوى »

(٧) س ، ك « الوضع »

(٨) سورة الزمر : ٥٦ . وقال الرماني : « فهذا أشد ما يكون من التحذير من التفريط »

(٩) سورة فصلت : ٤٠ (١٠) الرماني ص ٢٨

سَبِيلٍ . وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ . يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴿١﴾
نهاية في الوعيد .

وقوله : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ، وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢)
نهاية في الترغيب .

وقوله : ﴿ مَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ، وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ، إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ، وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (٣) ؛ وكذلك قوله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (٤) نهاية في الحجاج (٥) .

وقوله : ﴿ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، أَلَّا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٦) نهاية في الدلالة على علمه بالخفيات .

/ ولا وجه للتطويل ؛ فإن بيان الجميع في الرفعة وكبر المنزلة على سواء (٧) . ٤٢٩
وقد ذكرنا من قبل : أن البيان يصح أن يتعلق به الإعجاز ، وهو معجز من القرآن .

* * *

وما حكينا عن «صاحب الكلام» : من «المبالغة» في اللفظ — فليس ذلك بطريق الإعجاز ؛ لأن الوجوه التي ذكرها قد تتفق في كلام غيره ، وليس ذلك بمعجز ، بل قد يصح أن يقع في المبالغة في المعنى والصفة ، وجوه من اللفظ تثمر (٨) الإعجاز .

* * *

و«تضمنين المعاني» أيضاً (٩) قد يتعلق به الإعجاز إذا حصلت للعبارة طريق البلاغة في أعلى (١٠) درجاتها .

-
- | | |
|--|--------------------------|
| (١) سورة الشورى : ٤٤ - ٤٥ | (٢) سورة الزخرف : ٧١ |
| (٣) سورة المؤمنون : ٩١ | (٤) سورة الأنبياء : ٢١ |
| (٥) قال الرماني ص ٢٩ : « وهذا أبلغ ما يكون من الحجاج ، وهو الأصل الذي عليه الاعتماد في صحة التوحيد ؛ لأنه لو كان إله آخر لبطل الخلق بالتمانع بوجودهما دون أفعالهما . » | (٦) سورة الملك : ١٣ - ١٤ |
| (٧) سقطت من م | (٨) سقطت من م |
| (٨) س : « يشمر » | (٩) م : « وأيضاً » |
| (١٠) م : « بالعبارة ... من أعلى » . | |

وأما «الفَوَاصِلُ» فقد بينّا أنه يصح أن يتعلق بها الإعجاز، وكذلك قد بينّا في المقاطع والمطالع نحو هذا، وبينّا في «تلاؤم» الكلام ما سبق: من صحة تعلق الإعجاز به.

٤٣٠ / والتصرف في «الاستعارة» البديعة يصح أن يتعلق به الإعجاز، كما يصح مثل ذلك في حقائق الكلام؛ لأن البلاغة في كل واحد من البابين تجري مجرى واحداً وتأخذ مأخذاً مفرداً.

* * *

وأما «الإيجاز والبَسْطُ» فيصح أن يتعلق بهما الإعجاز^(١)، كما يتعلق بالحقائق.

* * *

و«الاستعارة» و«البيان» في كل واحد منهما ما لا^(٢) يضبط حدّه، ولا يقدر قدره، ولا يمكن التوصل إلى ساحل بحره بالتعلم، ولا يُتطرق إلى غوره بالتسبب. وكل ما يمكن تعلمه، وينتهي تَلَقُّنه، ويمكن تحصيله^(٣)، ويستدرك أخذه — فلا يجب أن يطلب وقوع الإعجاز به.

ولذلك قلنا: إن «السجع» ما ليس يلتمس فيه الإعجاز؛ لأن ذلك أمر محدود، وسبيل مسورود؛ ومتى تدرّب الإنسان به واعتاده لم يستصعب عليه أن يجعل جميع كلامه منه.

٤٣١ / وكذلك «التجنيس» و«التطبييق» متى أخذ أخذهما^(٤) وطلب وجههما، استوفى ما شاء، ولم يتعدّر عليه أن يملأ خطابه منه، كما أولع بذلك أبو تمام والبُحْتَرِيُّ، وإن كان البحترى أشغف بالمطابق، وأقل طلباً للمُجانَس.

فإن قال قائل: هلا قلت: إن هذين البابين يقع فيهما مرتبة عالية، لا يوصل إليها بالتعلم، ولا تملك بالتعمّل؛ كما ذكرتم في البيان وغير ذلك؟

قلنا: لو عمد إلى كتاب «الأجناس»، ونظر في كتاب «العين»؛ لم يتعدّر عليه التجنيس الكثير.

فأما «الإطباق» فهو أقرب منه. وليس كذلك البيان والوجوه التي رأينا الإعجاز فيها؛ لأنها لا تستوفى بالتعلم.

(٢) م «منها لا يضبط»

(١) س: «إعجاز»

(٣) كذا في ا، م. وفي ك، س «تخليصه».

فإن قيل : فالبيان قد يتعلم ؟

قيل : إن الذي يمكن أن يتوصل إليه بالتعلم يتقارب^(١) فيه الناس ، وتتناهى فيه العادات ، وهو كما يعلم من مقادير القوى في حمل الثقل ، وأن الناس يتقاربون^(٢) في ذلك ، فسيَرْمُون^(٣) فيه إلى حد ، فإذا تَجَاوَزُوهُ وقفوا بعده ولم يمكنهم التخطي ، ولم يقدرُوا على التعدّي ؛ إلا أن يحصل ما يخرق العادة ، وينقض العُرْف ؛ ولن يكون ذلك إلا للدلالة على النبوات ، على شروط في ذلك .

/ والقدرُ الذي يفوت الحدَّ في البيان ، ويتجاوز الوهم^(٤) ، ويشذَّ عن الصنعة ، ٤٣٢ ويقذفه الطبع في النادر القليل ، كالبيت البديع ، والقطعة الشريفة التي تتفق في ديوان شاعر^(٥) ، والقِصْرَةُ تتفق في رسالة^(٦) كاتب ، حتى يكون الشاعر ابنَ بيت أو بيتين ، أو قطعة أو قطعتين ؛ والأديبُ شهير^(٧) كلمة أو كلمتين - ذلك أمر قليل^(٨) .

ولو كان كلامه كله يطرّد على ذلك المَسَلَك ، ويستمر على ذلك المنهج ؛ أمكن أن يدعى فيه الإعجاز .

ولكنك إن كنت من أهل الصنعة : تعلم قلة الأبيات الشوّارد ، والكلمات الفرائد^(٩) ، وأمّهات القلائد .

فإن أردت أن تجد قصيدةً كلّها وحشية ، وأردت أن تراها مثل بيت من أبياتها مرضية - لم تجد ذلك في الدواوين ، ولم تظفر بذلك إلى يوم الدين .

ونحن لم ننكر أن يستدرك البشر كلمة شريفة ، ولفظة بديعة ؛ وإنما أنكرنا أن يقدرُوا على مثل نظم سورة أو^(١٠) نحوها ، وأحسنا أن/يتمكنوا من حدّ في ٤٣٣ البلاغة ، ومقدار في الخطابة .

وهذا كما قلناه : من^(١١) أن صورة الشعر قد تتفق في القرآن ، وإن لم يكن له حكم الشعر .

- | | |
|-------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) كذا في م ، ك . وفي س « يتفاوت » | (٢) كذا في ك . وفي م « يتفاوتون » |
| (٣) ك ، م « ويرمون » | (٤) م : « ويتجاوز الفهم . . . على » |
| (٥) م : « الشاعر » | (٦) س ، ك : « في رسالة » |
| (٧) س ، ك : « شهيد ! » | (٩) م : « قريب » . |
| (٨) م ، ا : « القوارد » | (١٠) م : « ونحوها » . |
| (١١) سقطت من م . | |

* * *

فأما قَدَرُ المعجز فقد بينّا أنها السورةُ ، طالت أو قصرت ، وبعد ذلك خلاف :

من (١) الناس من قال : مقدار كل سورة أو أطول آية ، فهو معجز .
وعندنا كل واحد من الأمرين معجز ، والدلالة عليه ما تقدم (٢) ، والبلاغة لا تتبين بأقل من ذلك ، فلذلك لم نحكم بإعجازه ، وما صح أن تتبين فيه (٣) .
البلاغة ؛ ومحصولها الإبانةُ في الإبلاغ عن ذات النفس على أحسن معنى وأجزل لفظ ، وبلوغ الغاية في المقصود بالكلام .

فإذا بلغ الكلامُ غايته في هذا المعنى ، كان بالغاً وبلغياً . فإذا (٤) تجاوز حد البلاغة إلى حيث لا يقدر عليه أهل الصناعة ، وانتهى إلى أمَد (٥) يعجز عنه الكامل في البراعة — صح أن يكون له حكم المعجزات ، وجاز أن يقع موقع الدلالات .

٤٣٤ / وقد ذكرنا أنه يجنس (٦) وأسلوبه مُباينٌ لسائر كلامهم ، ثم بما يتضمن من تجاوزه في البلاغة الحد الذي يقدر عليه البشر .

* * *

فإن قيل : فإذا (٧) كان يجوز عندكم أن يتفق في شعر الشاعر قطعةٌ عجيبة شاردة ، تبين جميع ديوانه في البلاغة ، ويقع في ديوانه بيتٌ واحد يخالف (٨) مألوف طبعه ، ولا يُعرفُ سببُ ذلك البيت ، ولا تلك القطعة في التفصيل ، ولو أراد أن يأتي بمثل ذلك أو يجعل (٩) جميع كلامه من ذلك النمط ، لم يجد إلى ذلك سبيلاً ، وله سبب في الجملة وهو التقدم في الصناعة ؛ لأنه (١٠) يتفق من المتأخر فيها — فهلاً قلم : إنه إذا بلغ في العلم بالصناعة مَبَالِغَهُ الْقُصْوَى (١١) ،

(١) م : « بين »

(٢) م : « فيه من »

(٣) م : « كذا في ا ، م . وفي ك ، س : « أمر »

(٤) م ، ك : « إذا »

(٥) س ، ك : « يجعل »

(٦) م : « لأنه لا يتفق »

(٧) س : « مبالغة قصوى » . م ، ا « الغاية القصوى »

(٨) م : « ما قد »

(٩) م : « وإذا »

(١٠) م : « لجنسه »

(١١) ا : « مخالف »

كان جميع كلامه من نمط ذلك البيت وسمت تلك القطعة؟ وهلاً قلم: إن القرآن من هذا الباب؟

فالجواب: أنا لم نجد أحداً بلغ الحد الذي وصفتم في العادة. وهذا الناس وأهل البلاغة أشعارهم عندنا محفوظة، وخطبهم منقولة، ورسائلهم مأثورة، وبلاغاتهم مـروية، وحكمهم مشهورة؛ وكذلك أهل الكهانة والبلاغة، مثل ٤٣٥ قس بن ساعدة، وسحبان وأئيل، ومثل (١) شق، وسطيح، وغيرهم - كلامهم معروف عندنا، وموضوع بين أيدينا، لا يخفى علينا في الجملة بلاغة بليغ، ولا خطابة خطيب، ولا براعة شاعر مفلح، ولا كتابة كاتب مدقق.

فلماً لم نجد في شيء من ذلك ما يداني القرآن في البلاغة، أو يشاكلة في الإعجاز، مع ما وقع من التحدى إليه المدة الطويلة، وتقدم من التقرير في المجازة (٢) الأمد المديد، وثبت له وحده خاصة قصص السبب، والاستيلاء على الأمد (٣)، وعجز الكل عنه، ووقفوا دونه حيارى، يعرفون عجزهم، وإن جهل قوم سببه، ويعلمون نقصهم، وإن أغفل قوم وجهه - رأينا أنه ناقض للعادة، ورأينا (٤) أنه خارق للمعروف في الجيلة (٥). وخرق العادة إنما يقع بالمعجزات على وجه إقامة البرهان على النبوات، وعلى أن من ظهرت عليه، ووقعت موقع الهداية إليه، صادق فيما يدعيه من نبوته، ومحقق في قوله، ومصيب في هـديـه، قد شهدت (٦) له الحججة البالغة، والكلمة التامة، والبرهان النيـر، والدليل البين.

(٢) كذا في ك، م. وفي س « والمجازة »

(٤) هنا خرم في ا

(١) سقطت من ا

(٣) كذا في م، ا. وفي س، ك « الأمر »

(٥) كذا في م، ب. وفي س، ك « في الحيلة »

(٦) كذا في ك، م، ب. وفي س « قد سادت »

/فصل

في حقيقة المعجز^(١)

معى قولنا : « إن القرآن معجز » على أصولنا : أنه لا يقدر العبادُ عليه . وقد ثبت أن المعجز الدال على صدق النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لا يصحُّ دخوله تحت قدرة^(٢) العباد ، وإنما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه ، ولا يجوز أن يعجز العباد عما تستحيل قدرتهم عليه ، كما يستحيل عجزهم عن فعل الأجسام ، فنحن لا نقدر على^(٣) ذلك وإن لم يصحَّ وصفنا بأننا عاجزون عن ذلك حقيقةً ، وكذلك معجزات سائر الأنبياء على هذا .

فلما لم يقدر عليه أحدٌ شُبّه بما يعجز عنه العاجز ، وإنما لا يقدر العباد على^(٤) الإتيان بمثله ؛ لأنه لو صح أن يقدروا عليه بطلت^(٥) دلالة المعجز ، وقد أجرى [الله]^(٦) العادة بأن يتعذر فعل ذلك منهم^(٧) ، وأن لا يقدروا عليه .

437 / ولو كان غير خارج عن العادة لأنوا بمثله ، أو عرضوا^(٨) عليه من كلام فصحاتهم وبلغائهم ، ما يعارضه .

فلما لم يشتغلوا بذلك ، علم أنهم فطنوا لخروج^(٩) ذلك عن أوزان كلامهم ، وأساليب نظامهم ؛ وزالت أطماعهم عنه .

وقد كنا بيننا أن التواضع ليس يجب أن يقع على قول الشعر^(١٠) ووجوه النظم المستحسنة في الأوزان المطربة للسمع ، لا يُحتاج في مثله إلى توقيف ، وأنه يتبين أن مثل ذلك يجري في الخطاب ؛ فلما جرى فيه فطنوا له واختاروه [وطلبوه]^(١١) ؛ وطلبوا أنواع الأوزان والقوافي ، ثم وقفوا^(١٢) على حسن ذلك وقدروا عليه ، بتوفيق الله عز وجل^(١٣) ، وهو الذي جمع خواطهم عليه ، وهداهم له^(١٤)

(١) م ، ب : « المعجزة »

(٢) م « الأجسام ثم لا يقدروا على » (٤) ك ، ب : « وإنما تعذر على العباد الإتيان »

(٥) م ، ك : « بطل » (٦) الزيادة من ب

(٧) س : « أن . منه » (٨) س : « عرضوا »

(٩) ك : « فطنوا لخروج » (١٠) م « الشعراء »

(١١) الزيادة من ب ، م (١٢) ك : « وقفوا » . م : « وطلبوا »

(١٣) ب : « وهذا » (١٤) ك : « وبدأ » . م : « وبدا »

وهيّا دواعيهم إليه . ولكنّه أقدرهم على حدّ محدود . وغاية في العُرفِ مَضْرُوبَةٌ .
لعلمه بأنّه^(١) سيجعل القرآن معجزاً . وذنّ على عظيم^(٢) شأنه بأنهم قدروا على
ما بينّا من التآليف ، وعلى ما وصفنا من النظم . / من غير تَوْقِيفٍ ولا اقتفاء^(٣) ٤٣٨
أثر . ولا تحدّ إليه ولا تَقْصِيرٍ .

فلو كان هذا من ذلك القَسْبِيلِ . أو من أجنس الذي عرفوه وألفوه — لم تَزَلْ
أطماعُهُم عنه . ولم يُدْهِشُوا عند وروده عليهم . فكيف^(٤) وقد أمهلهم وفسّح
لهم في الوقت . وكان يدعو إليه سنين كثيرة . وقال عز من قائل : ﴿ أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ
مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾^(٥) .

وبظهور العجز عنه بعد طول التقرّيع والتحدّي . بانّ أنّه خارج عن
عاداتهم ، وأنّهم لا يقدرّون عليه .

وقد ذكرنا أنّ العرب كانت تعرف ما يُباين عادتها^(٦) من الكلام البليغ ،
لأن ذلك طبعُهُم ولغتهم . فلم يحتاجوا إلى تجربة عند سماع القرآن ، وهذا في
البلغاء منهم ، دون المتأخرين في الصنعة .

والذي ذكرناه يدلّك على أنّه لا كلامَ أزيد في قدر البلاغة من القرآن .

وكل من جوز أن يكون للبشر قدرة على أن يأتوا بمثله في البلاغة — لم
يُمْكِنْهُ أن يعرف أن القرآن معجز بحال .

/ ولو لم يكن جرى في المعلوم^(٧) أنّه سيجعل القرآن معجزاً ، لكان^(٨) يجوز أن
تجرى عادات^(٩) البشر بقدر زائد على ما ألفوه من البلاغة ، وأمر يفوق ما عرفوه
من الفصاحة .

(١) س : « بأن »

(٢) كذا في م ، ا ، ك . وفي س « ولا اقتضاء » ! (٤) م ، ا ، ك « كيف »

(٥) سورة فاطر : ٤٥

(٦) س « العلوم »

(٧) م « عادة » . وبلى هذه الكلمة في سائر النسخ المطبوعة قبل طبعنا هذه ما يلى « الأولين وأخبار

المسليين ، وكذلك لا يوجد خلف فيما يتضمّنه من الإخبار عن الغيوب » — إلى قول المؤلف : « وكذلك من
يسمع القرآن يعلم أنّه كلام الله وإن اختلف الحال في ذلك » .

وهذا الكلام الطويل الذي تبلغ سطره : ٤١ سطرأ مقمّ هنا في غير موضعه ، وقد سبق بنصه وفسه
في ص ١٧ س ٩ إلى ص ١٩ س ١ من طبعة السلفية ، وهو في طبعنا هذه من ص ١٣ سطر ١٢ إلى
ص ١٥ ! وهذا من أعجب العجائب !!! .

وأما «نظم القرآن» فقد قال أصحابنا [فيه] ^(١): إن الله تعالى يقدرُ على نظم [هيئة أخرى تزيد في الفصاحة عليه، كما يقدر على مثله .

وأما بلوغ بعض ^(٢) [نظم ^(٣) القرآن الرتبة ^(٤) التي لا مزيد عليها، فقد ^(٥) قال مخالفاً: إن هذا غير ممتنع . لأن فيه من الكلمات الشريفة، الجامعة للمعاني البديعة، وانضمام ^(٦) إلى ذلك حسنُ الموقع، فيجب أن يكون قد بلغ النهاية، ^(٧) لأنه عندهم — وإن زاد على ما في العادة — فإن الزائد عليها وإن تفاوت، فلا بد ^(٧) من أن ينتهي إلى حدٍّ لا مزيد عليه .

والذي نقوله ^(٨): إنه لا يمتنع أن يقال: إنه يقدر الله تعالى على أن يأتي بنظم ^(٩) أبلغ وأبدع ^(١٠) من القرآن كله .

وأما قَدْرُ ^(١١) العباد فهي متناهية في كل ما يقدرون عليه، مما تصح قدرتهم عليه .

(٢) ب « بعضهم نظم »
 (٤) س « في الرتبة »
 (٦) م « فانضمام »
 (٨) س : « نقول »
 (١٠) م ، ا : « ووبرح »

(١) الزيادة من ا ، ك
 (٣) الزيادة من ا ، ي ، م
 (٥) س : « وقال »
 (٧) سقطت من م
 (٩) م : « بنظم القرآن »
 (١١) كذا في ا ، م . وفي س : « قدرة »

في كلام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأمور تتصل بالإعجاز

إن قال قائل : إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب - وقد قال هذا في حديث مشهور ، وهو صادق في قوله - فهلاً قاتم إن القرآن من نظمه لقدرته في الفصاحة على مقدار لا يبلغه غيره ؟

قيل : قد علمنا أنه لم يتحدّهم إلى مثل قوله وفصاحته . والقدر الذي بينه وبين كلام غيره من الفصحاء^(١) ، كقدر ما بين شعر الشعراء ، وكلام الخطيبين في الفصاحة^(٢) ، وذلك مما لا يقع به الإعجاز .

وقد بيننا قبل هذا : أنا إذا وازناً بين خطبه ورسائله وكلامه المنشور ، وبين نظم القرآن - تَبَيَّنَ من البَيِّنِ بينهما مثل ما بين كلام الله عز وجل و [بين]^(٣) كلام الناس ، فلا^(٤) معنى لقول من ادعى أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم معجز ، وإن كان دون القرآن في الإعجاز .

فإن^(٥) قيل : لولا أن كلامه معجز لم يَشْتَبِهْه على ابن مسعود الفصلُ بين المعوَّذَتَيْنِ وبين غيرهما من القرآن^(٦) ؟

(١) كذا في س ، ك . وفي م . : « والقدر الذي بين كلامه وكلامهم من الفصاحة كقدر »

(٢) م : « وذلك ما لا يقع الإعجاز به » (٣) الزيادة من م

(٤) س : « ولا » (٥) م : « فلو »

(٦) يزعم بعض الرواة عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي أنه قال : « كان عبد الله بن مسعود يحك

المعوذتين من مصاحفه ويقول : إنها ليستا من كتاب الله » !!! وقال السيوطي في الإتيان ١٣٧/٢ :

« وقال النووي في شرح المذهب : أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن ، وأن من جحد منها

شيئاً كفر ، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح . وقال ابن حزم في كتاب القدر المحلى ،

تنميم المحلى : هذا كذب على ابن مسعود وموضوع . « وقد أبى ابن حجر إلا تصحيح تلك الرواية ، فقال في

شرح البخارى : « فقول من قال إنه كذب عليه مردود ، والظن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل

بل الرواية صحيحة ، والتأويل محتمل » . ثم لم يستطع تأويلاً مقبولاً ، والله يغفر لنا وله . وانظر تأويل

مشكل القرآن ص ٢٠ ، ٢١ ، ٣٣ - ٣٥ .

وكذلك لم يشته دعاءُ القنوت^(١) في أنه هل هو^(٢) من القرآن أم لا ؟
[قيل : هذا من تخليط الملحدين ؛ لأن عندنا أن الصحابة لم يخف عليهم
ما هو من القرآن]^(٣).

ولا يجوز أن يخفى عليهم القرآن من غيره: وعددُ السورِ عندهم محفوظ
مضبوط .

وقد يجوز أن يكون شذءٌ عن مصحفه، لا لأنه نَفَاهُ من القرآن ، بل عَوَّلَ
على حفظ الكلِّ إِيَّاهُ .

٤٤٣ / على أن الذي يروونه خَبَرٌ واحدٌ ، لا يُسَكَّنُ إليه في مثل هذا ،
ولا يعمل عليه .

ويجوز أن يكتبَ على ظهر مصحفه دُعَاءَ الْقُنُوتِ لثَلَاثٍ ينساه ، كما يكتب
الواحد منا بعضَ الأدعية على ظهر مصحفه .

وهذا نحو ما يذكره الجهال : من اختلاف كثير بين مصحف ابن مسعود ،
وبين مصحف عثمان رحمة الله عليهما .

ونحن لا ننكر أن يَغْلَطَ في حروف معدودة ، كما يَغْلَطُ الحافظُ في حروف
وَيَنْسَى ، وما لا نجيزه^(٤) على الحفظ مما لم نجزه عليه .

ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادَّعَوْا ، لكانت الصحابة تناظره على
ذلك ، وكان يظهر وينتشر ؛ فقد تناظروا في أقل من هذا ، وهذا أمر يوجب
التكفير والتضليل ، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه ؟ ! وقد^(٥) علمنا إجماعهم
على ما جمعوه في المصحف ، فكيف يُقَدِّحُ بمثل^(٦) هذه الحكايات الشاذة
المولدة^(٧) في الإجماع المُقَرَّرَ ، والاتفاق المعروف ؟ !

٤٤٤ ويجوز^(٨) أن يكون الناقل اشتبه^(٩) عليه ، لأنه خائف في النظم / والترتيب ،

(١) م « هل بين من القرآن هذا من تخليط الملحدين »

(٢) اشتبه ذلك على أبي فزادة في مصحفه على أنه قرآن ؛ لأنه - كما قال ابن قتيبة في تأويل مشكل
القرآن ص ٣٣ - « رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به في الصلاة دعاء دائماً ، فظن أنه من
القرآن ، وأقام على ظنه ، ومخالفة الصحابة جميعاً ، كما أقام على التطبيق »

(٣) الزيادة من ا ، ب (٤) « وما لا يجيزه » م « وما لا يجيزه الحفظ منا لم نجزه عليه »

(٥) م « لقد » (٦) م « تقدح مثل »

(٧) م « الشاذة المؤلفة » . س « بالإجماع » (٨) م « فيجوز »

(٩) كذا في ا ، م ، ك . وفي س « أشبه »

فلم يثبتهما في آخر القرآن ، والاختلاف بينهم في موضع الإثبات غير الكلام في الأصل ، ألا تَرَى أَنَّهُمْ قَدِ اخْتَلَفُوا فِي أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ :

فمنهم من قال : قوله : ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ^(١) .

ومنهم من قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ^(٢) .

ومنهم من قال : فاتحة الكتاب ^(٣) .

واختلفوا أيضاً في آخر ما أنزل ^(٤) :

فقال ابن عباس : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ ^(٥) .

وقالت عائشة : سورة المائدة .

وقال البراء بن عازب ^(٦) : آخر ما أنزل سورة براءة .

/وقال سعيد بن جبيرة ^(٧) : آخر ما أنزل قوله تعالى : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ ٤٤٥

فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ ^(٨) .

وقال السدي ^(٩) : آخر ما أنزل : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ ^(١٠) .

(١) سورة الملق: ١ وهذا القول هو الصحيح ، وهو أول قول أورده السيوطي في الإتيان ٣٩/١

(٢) سورة المدثر: ١ وهذا القول في الإتيان ٤٠/١ (٣) انظره في الإتيان ٤٠/١

(٤) راجع أقوال العلماء في ذلك في الإتيان ٤٤/١ - ٤٨

(٥) سورة النصر: ١

(٦) هو أبو عمارة البراء بن عازب بن الحارث بن عدى بن جشم بن مجدعة الأوسي الأنصاري ،

استصفه الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر فرده ، ثم غزا معه خمس عشرة غزوة . وتوفي سنة اثنتين وسبعين

وقيل : سنة إحدى وسبعين . راجع تاريخ الإسلام ٣/١٣٩ و خلاصة تذهيب الكمال ص ٣٩ والمعارف

ص ١٤٢

(٧) كتب سعيد بن جبيرة لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، ثم كتب لأبي بردة وهو على القضاء وبيت

المال . وخرج مع ابن الأشعث ، فلما انهزم أصحاب ابن الأشعث من دبر الجماجم ، هرب سعيد إلى مكة ،

فأخذه خالد بن عبد الله القسري ، وكان والي الوليد بن عبد الملك على مكة ، فبعث به إلى الحجاج ،

فأمر الحجاج فضربت عنقه سنة أربع وتسعين ، راجع المعارف ص ١٩٧

(٨) سورة البقرة : ٢٨١

(٩) هو إسماعيل بن عبد الرحمن ، مولى قريش حجازي الأصل ، رأى ابن عمر وابن عباس .

وروى عن أنس بن مالك . توفي سنة سبع وعشرين ومائة ، في إمارة ابن هبيرة على العراق . انظر اللباب

١٢٩/١ و خلاصة تذهيب الكمال ص ٣٠

(١٠) سورة التوبة: ١٢٩

ويجوز أن يكون في مثل هذا خلاف^(١)، وأن يكون كل واحد ذكراً آخر ما سمع .

* * *

ولو كان القرآن من كلامه ؛ لكان البتّون بين كلامه وبينه مثل ما بين خطبة وخطبة ينشئهما^(٢) رجل واحد ، وكانوا يعارضونه ؛ لأننا قد علمنا أن القدر الذي بين كلامهم وبين كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج إلى حد الإعجاز . ولا يتفاوت التفاوت الكثير ، ولا يخفى كلامه^(٣) من جنس أوزان كلامهم ؛ وليس كذلك نظم القرآن ، لأنه خارج من جميع ذلك . فإن قيل : لو كان على ما ادّعيتم ، لعرفنا بالضرورة أنه معجز^(٤) دون غيره ؟

قيل : معرفة الفصل بين وزن الشعر [أو غيره من أوزان الكلام لا يقع ضرورة ، ويحتاج في معرفة ذوق الشعر]^(٥) ووزنه ، والفرق بينه وبين غيره من الأوزان يحتاج^(٦) إلى نظر وتأمل ، وفكر وروية واكتساب . وإن كان النظم المختلف الشديد التباين إذا وجد أدرك اختلافه بالحاسة . إلا أن كل وزن وقبيل إذا أردنا تمييزه من غيره احتجنا فيه^(٧) إلى الفكرة والتأمل^(٨) .

فإن قيل : لو كان معجزاً لم يختلف أهل اللغة^(٩) في وجه إعجازه ؟ قيل : قد يثبت الشيء دليلاً وإن اختلفوا في وجه دلالة البرهان . كما قد يختلفون في الاستدلال على حدوث^(١٠) العالم من الحركة والسكون ، والاجتماع والافتراق .

٤٤٧ / فأما المخالفون ، فإنه يتعذر عليهم أن يعرفوا أن القرآن كلام الله ، لأن مذهبهم أنه لا فرق بين أن يكون القرآن من قبل الرسول أو من قبل الله عز وجل في كونه معجزاً ، لأنه إن خصّه بقدر من العلم لم تسجّر العادة بمثله ،

(٢) س : « ينشأ »

(٤) م « لعرفنا أنه معجز ضرورة »

(٦) س « تحتاج إلى »

(٨) ا « الفكر »

(١٠) م « حدث »

(١) م : « اختلاف »

(٣) ج س « كلام »

(٥) الزيادة من ا ، م

(٧) سقطت من م

(٩) م « الملل »

أمكنه أن يأتي بما له هذه الرتبة ، وكان متعذراً على غيره ، لفقد علمه بكيفية النظم .

وليس القوم بعاجزين عن الكلام ، ولا عن النظم والتأليف . والمعنى المؤثر عندهم في تعذر مثل نظم القرآن علينا : فقَدُ العلم بكيفية النظم ، وقد بيَّنا قبل هذا أن المانع هو أنهم لا يقدرُونَ عليه .

والمُنْصَحَمُ قد يعلم كيفية الأوزان واختلافها ، وكيفية التركيب ، وهو لا يقدر على نظم الشعر .

وقد يعلم الشاعران ^(١) وجوه الفصاحة . وإذا قالوا الشعر جاء شعرُ أحدهما في الطبقة العالية ، وشعرُ الآخر في الطبقة الوضيعة .

وقد يطرد ^(٢) في شعر المبتدى والمتأخر في الحدق - القطعة الشريفة والبيت النادر ، مما لا ^(٣) يتفق للشاعر المتقدم .

والعلمُ بهذا الشأن في التفصيل لا يعني ، ويحتاج معه إلى مادة من الطبع ، وتوفيق من الأصل .

/ وقد يتساوى العالمان بكيفية الصناعة والنساجة ، ثم يتفق لأحدهما من ٤٤٨ اللطف في الصناعة ، ما لا يتفق للآخر ^(٤) .

وكذلك أهل نظم الكلام - يتفاضلون . مع العلم بكيفية النظم ؛ وكذلك أهل الرمى يتفاضلون في الإصابة ، مع العلم بكيفية الإصابة .

وإذا وجدت للشاعر بيتاً أو قطعةً أحسن من شعر امرئ القيس ، لم يدل ^(٥) ذلك على أنه أعلم بالنظم منه . لأنه لو كان كذلك كان يجب أن يكون جميع شعره على ذلك الحد ، وبحسب ذلك البيت في الشرف والحسن والبراعة ، ولا يجوز أن يعلم نظم قطعة ويجهل نظم مثلها . وإن ^(٦) كان كذلك ، علم أن هذا لا يرجع إلى قدره ^(٧) من العلم . ولسنا نقول : إنه يستغنى عن العلم في النظم ، بل يكفي علم به في الجملة ، ثم يقف الأمر على القدرة .

(١) م «الشاعرين» س «الشاعر» (٢) كذا في ا ، م ، ك . وفي س «ترد»

(٣) م ، ا ، ك : «وما لا يتفق» (٤) س : «في الآخر»

(٥) كذا في ك ، م . وفي س «لا يدل» (٦) م : «فإذا» . س «وإن»

(٧) كذا في ك ، ب . وفي ا ، م «ما قدره» . س «إلى قدرة»

وهذا يبين لك بأنه قد يعلم الخط فيكتب سطرًا ، فلو أراد أن يأتي بمثله بحيث لا يغادر منه شيئًا لتعذر ، والعلم حاصل .
وكذلك قد يحسن^(١) كيفية الخط ، ويميز^(٢) الجيد منه من الرديء ، ولا يمكنه أن يأتي بأرفع درجات الجيد .

٤٤٩ / وقد يعلم قوم كيفية إدارة^(٣) الأقلام ، وكيفية تصوير الخط ، ثم يتفاوتون في التفصيل^(٤) ، ويختلفون في التصوير .

وألزمهم أصحابنا أن يقولوا بقدرتنا على إحداث الأجسام ، وإنما يتعذر وقوع ذلك منّا بأننا^(٥) لا نعلم الأسباب التي إذا عرفنا إيقاعها على وجوه اتفق لنا فعل الأجسام .

وقد ذهب بعض المخالفين إلى أن العادة انتقضت بأن أنزله جبريل^٦ ، فصار القرآن معجزاً لنزوله على هذا الوجه ، ومن قبله لم يكن معجزاً !!
هذا قول أبي هاشم^(٦) ، وهو ظاهر الخطأ ، لأنه يوجب^(٧) أن يكونوا قادرين على مثل القرآن ، وأنه لم [يكن]^(٨) يتعذر عليهم فعل مثله ، وإنما تعذر بإنزاله ، ولو كانوا قادرين على مثل ذلك كان قد اتفق من بعضهم مثله .
وإن كانوا في الحقيقة غير قادرين قبل نزوله ولا بعده على مثله ، فهو قولنا .

٤٥٠ / وأما قول كثير من المخالفين ، فهو على ما بيننا ، لأن معنى المعجز عندهم تعذر فعل مثله ، وكان ذلك متعذراً قبل نزوله وبعده .

فأما الكلام في أن التأليف هل له نهاية ؟

فقد اختلف المخالفون من المتكلمين فيه :

فمنهم من قال : ليس لذلك نهاية ، كالعدد ، فلا^(٩) يمكن أن يقال : إنه

(١) سقطت هذه الكلمة من م (٢) سقطت هذه الكلمة من ك

(٣) سقطت هذه الكلمة من م

(٤) كذا في ك ، س . وفي م ، ا « يتقاربون في التشكيل » . و ب « في التشكيل »

(٥) س « لأننا »

(٦) هو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي (٢٤٧ - ٣٢١) ، وكان يعتبر أن الواجب

على المكلف هو الشك ؛ لأن النظر العقلي من غير سابقة شك تحصيل حاصل

(٧) كذا في ا ، ب ، ك ، م . وفي س « يلزم »

(٨) س : « وإن لم يتعذر » (٩) م : « ولا »

لا يتأتى قول قصيدة إلا وقد قيلت من قبل .

ومنهم من قال : إن ما جرت به العادة فله نهاية ، وما لم تتجسّر به العادة فلا يمكن أن تُعلم^(١) نهاية الرتبة فيه .

وقد بيّنا : أن على أصولنا قد تقرر لكلامنا [ونظّمنا]^(٢) حدّ في العادة ، ولا سبيل إلى تجاوزه ، ولا يقدر [عليه]^(٣) ، فإن القرآن خرق العادة فزاد عليها .

(٢) م : « يقدر » . س « قد تقدر لكلامنا حد »

(١) س : « نعلم » . م « يعلم »

(٣) س : « ولا يقدر فإن »

/ فصل

إن قيل : هل من شرط المعجز أن^(١) يعلم أنه أتى به من ظَهَرَ عليه ؟
 قيل : لا بد من ذلك ؛ لأننا إن^(٢) لم نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم
 هو الذى أتى بالقرآن ، وظهر ذلك من جهته - لَمْ يُمْكِن أن نستدل به على
 نبوته .

وعلى هذا لو تَلَقَّى رجلٌ منه سورةً ، فأتى بها بلدًا ، وادَّعَى ظُهُورَهَا
 عليه ، وأنها معجزةٌ له - لم تقم الحجة عليهم حتى يبحثوا وَيَتَسَبَّبُوا أَنهَا
 ظهرت عليه .

وقد تحققنا^(٣) أن القرآن أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، وظهر
 من جهته ، وجعلناه علمًا على نبوته ، وعلمنا ذلك ضرورةً فصار حجةً
 علينا .

(١) م « وأنه »

(٢) سقطت من ك

(٣) كذا في م ، أ ، ب ، ك . وفي س « حققنا »

قد ذكرنا في الإبانة عن معجز القرآن وجيزاً من القول ، رجّوْنَا أن يكفي ، وأملنا أن يُقنِع . والكلام في أوصافه - إن استقصيَ - بعيدُ الأطراف ، واسع الأكتاف ؛ لعلو شأنه ، وشريف مكانه .

والذي سطرناه في الكتاب ، وإن كان موجزاً ، وما أملينَا فيه ، وإن كان خفيفاً - فإنه يُنبِهُ على الطَّريقة . ويدلُّ على الوجه ، ويهدى^(١) إلى الحجة .

ومتى عَظُمَ محلُّ الشيءِ فقد يكون الإسْهَابُ فيه عيباً ، والإكْثَارُ في وصفه تقصيراً .

وقد قال الحكيم [وقد]^(٢) سئل عن البليغ : متى يكون عيباً ؟ فقال : متى وصف هوَّى أو حبيباً .

وضلَّ أعرابي في سفر له ليلاً ، وطلع القمر فاهتدى به ، فقال : ما أقول لك ؟ أقول^(٣) : رفعتك الله ؟ وقد رفعتك ، أم أقول : نَوَّرَكَ الله ؟ وقد نَوَّرَكَ ، أم أقول : جَمَلَّكَ الله ؟ وقد جَمَلَّكَ !

ولولا أن العقول تختلف ، والأفهام تتباين ، والمعارف تتفاضل - لم نَحْتَجِجْ إلى ما تكلفنا ، ولكن الناس يتفاوتون في المعرفة ، ولو اتفقوا / فيها لم يسْجُرْ أن يتفقوا ٤٥٣ في معرفة هذا الفن ، أو يجتمعوا في الهداية إلى هذا العلم ؛ لاتصاله بأسباب [خفية] وتعلقه بعلوم غامضة الغور . عميقة القعر^(٤) ، كثيرة المذاهب ، قليلة الطُّلاب ، ضعيفة الأصحاب . وبحسب تأتتى^(٥) مواقعه تَنَقَّعُ الأفهام دونه . وعلى قدر لطف مسألكه يكون القصورُ عنه .

أنشدني أبو القاسم الزعفراني ، قال : أنشدني المتنبى ، لنفسه ، القطعة التي يقول فيها :

(٢) الزيادة من م ، ك

(٤) الزيادة من م

(١) م : « ويهديك »

(٣) سقطت من م

(٥) م : « تنامى »

وكم من عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَأَفْتُهُ مِنْ الْفَهْمِ السَّمِيمِ^(١)
 ولكنْ تَأْخُذُ الْآذَانَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ
 وأنشدني الحسن بن عبد الله . قال : أنشدنا بعضُ مشايخنا ، للبحرِيِّ :
 أَهْزُ بِالشَّعْرِ أَقْوَامًا ذَوِي سِنَةٍ لَوْ أَنَّهُمْ ضَرَبُوا بِالسَّيْفِ مَا شَعَرُوا^(٢)
 عَلَى نَحْتِ الْقَوَائِي مِنْ مَقَاطِعِهَا وَمَا عَلَى لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَتَمَرُ^(٣)
 ٤٥٤ فإذا كان نقدُ الكلام كله صعباً ، وتمييزه شديداً ، والوقوع على / اختلاف
 فنونه^(٤) متعذراً ؛ وهذا في كلام الأدميين^(٥) — فما ظنك بكلام ربِّ
 العالمين ؟ !

* * *

قد أبتأ لك أن من قَدَّرَ أنْ البلاغة في عشرة أوجه من الكلام ، لا يعرفُ
 من البلاغة إلا القليل^(٦) ، ولا يفتن منها إلا للسير .
 ومن زعم أن البديع يقتصر على ما ذكرناه من قبل عنهم^(٧) في الشعر ، فهو
 متطرف .

بَلَى ، إن كانوا يقولون : إن هذه من وجوه البلاغة وغرر البديع وأصول
 اللطيف ، وإن ما يجري مجرى ذلك ويشاكله مُلْحَقٌ بالأصل ، ومردودٌ على
 القاعدة — فهذا قريب .

وقد بينا في نظم القرآن : أن الجملة تشتمل على بلاغة منفردة ، والأسلوب
 يختصُّ بمعنى آخر من الشرف .
 ثم القَوَائِحُ وَالخَوَاتِمُ ، وَالْمَسْبَادِيُّ وَالْمَثَانِي^(٨) ، وَالطَّوَالِعُ وَالْمَقَاطِعُ ،
 وَالْوَسَائِطُ وَالْفَوَاصِلُ .

(١) في ديوانه ٣٧٩/٢

(٢) ديوانه ٦٧٣ « ذوى ومن في الجهل لو ضربوا »

(٣) م : « من معادنها »

(٤) س ، ك « الأذى »

(٥) م : « ما قلناه من قيل عنهم »

(٦) م : « نعوته »

(٧) م : « إلا قليلا »

(٨) م : « والمثاني والمباني »

ثم الكلام في نظم السور والآيات، ثم في تفاصيل التفاصيل، / ثم في الكثير ٤٥٥
والقليل (١).

ثم الكلام الموشَّح والمُرصَّع ، والمُفصَّل والمُصرَّع ، والمُجَنَّس
والمُوشَّع (٢)؛ والمُحَلَّى والمُكَلَّل ، والمُطَوَّق والمُتَوَّج؛ والمَوْزُون والخارج
عن الوزن ، والمعتدل في النظم والمتشابه فيه .

ثم الخروج من فصل إلى فصل ، ووصل (٣) إلى وصل ، ومعنى إلى معنى ،
ومعنى في معنى ؛ والجمع بين المؤتلف والمُختلِف ، والمتَّفِق والمُتَسِّق .

وكثرة التصرف ، وسلامة (٤) القول في ذلك كله (٥) من التعسف ، وخروجه
عن التعمق (٦) والتشدُّق ، وبعده من التَّعَمُّل والتَّكَلُّف ، والألفاظ المفردة ،
والإبداع في الحروف والأدوات ، كالإبداع في المعاني والكلمات . والبسط (٧)
والقبض ، والبناء والنقص ، والاختصار (٨) والشرح ، والتشبيه (٩) والوصف .

/ وتمييز الابتداء (١٠) من الاتباع ، كتمييز المطبوع عن المصنوع (١١) ، والقول ٤٥٦
الواقع عن غير تكلف ولا تعمل .

* * *

وأنت تتبين (١٢) في كل ما تصرَّف فيه من الأنواع أنه على سَمَت شريف ،
ومرَّقِب مُنِيف ، يبهر إذا أخذ في النوع الرَّبِّي (٣) ، والأمر الشرعي ، والكلام
الإلهي ، الدال على أنه يصدر عن عِزَّة المَلَكُوت ، وشرف الجِبَرُوت ،
وما لا يبلغ الوهم مَوَاقِعَه : من حكمة (١٤) وأحكام ، واحتجاج وتقرير ،
واستشهاد وتقرير ، وإعذار وإنذار ، وتبشير وتحذير ، وتنبيه وتلويح ، وإشباع (١٥)
وتصريح ، وإشارة ودلالة ، وتعليم أخلاق زَكِيَّة ، وأسباب رُضِيَّة ، وسياسات

(٢) كذا في ا ، ب ، م ، ك . وفي س « والموشى »

(٤) م : « وسلامة »

(٦) م : « العمق »

(٨) م : « والاقتصار »

(١٠) س : « وتمييز الإبداع . . كتمييز »

(١٢) م : « ترى . . ك « تتبينه »

(١٣) م ، ا « الدينى » . وفي اللسان ٣٨٨/١ « والرئى : منسوب إلى الرب »

(١٥) م : « واتساع »

(١) م : « والقريب »

(٣) م : « ومن وصل »

(٥) م : « كله وسلامته من . . وا « عن »

(٧) م : « والكلمات والاقتصار والبسط »

(٩) م : « والتشبيه والأمثال والوصف »

(١١) م : « عن المصبوغ »

(١٤) م ، ا « الدينى » . وفي اللسان ٣٨٨/١ « والرئى : منسوب إلى الرب »

(١٥) م : « من حكم »

جامعة ، ومواعظ نافعة ، وأوامر صادقة ، وقصص مفيدة ، وثناء على (١) الله عز وجل بما هو أهله ، وأوصاف كما يستحقه ، وتحميد كما يستوجه ، وأخبار عن كائنات في التأني صدقت ، وأحاديث عن المؤتلف تحققت ، ونواه ٤٥٧ / زاجرة عن القبائح والفواحش ، وإباحة الطيبات ، وتحريم المضار والخبائث ، وحث على الجميل والإحسان .

تجد فيه الحكمة وفصل الخطاب ، مَجْلُوءَةٌ عَلَيْكَ فِي مَنْظَرٍ بِهِجٍ ، ونظم أتيق ، ومعرض رشيق ، غير مُعْتَصِصٍ (٢) عَلَى الْأَسْمَاعِ وَلَا مُتَلَوٍّ (٣) عَلَى الْأَفْهَامِ ، وَلَا مُسْتَكْرَهٍ فِي اللَّفْظِ ، وَلَا مُسْتَوْحَشٍ (٤) فِي الْمَنْظَرِ . غريب في الجنس غير غريب في القَبِيلِ ، مُسْتَلْبِي مَاءٍ وَنَضَارَةٍ ، وَلَطْفًا وَغَضَارَةً ، يَسْرِي فِي الْقَلْبِ كَمَا يَسْرِي السَّرُورُ ؛ وَيَمْرُؤٌ إِلَى مَوَاقِعِهِ كَمَا يَمْرُؤُ السَّهْمِ ، وَيَضِيءُ كَمَا يَضِيءُ الْفَجْرُ ، وَيَزْخَرُ كَمَا يَزْخَرُ الْبَحْرُ . طَمُوحِ الْعُبَابِ ، جَمُوحِ عَلَى الْمُتَنَاوِلِ الْمُنتَابِ ، كَالرُّوحِ فِي الْبَدَنِ ؛ وَالنُّورِ الْمُسْتَطِيرِ فِي الْأَقْ ، وَالغَيْثِ الشَّامِلِ ، وَالضِّيَاءِ الْبَاهِرِ ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٥) .

٤٥٨ من تَوَهَّمُ أَنْ الشَّعْرَ يَلْحَظُ (٦) شَنَاوَةَ بَانَ ضَلَالُهُ ، وَوَضَحَ (٧) جَهْلُهُ ؛ إِذِ الشَّعْرُ سَمَّتْ قَدْ تَنَاوَلَتْهُ الْأَلْسُنُ ، وَتَدَاوَلَتْهُ الْقُلُوبُ ، وَأَنْثَالَتْ عَلَيْهِ الْهُوَاجِسُ ، وَضَرَبَ الشَّيْطَانُ فِيهِ بِسَهْمِهِ ، وَأَخَذَ مِنْهُ بِحِظِّهِ . وَمَا دُونَهُ مِنْ كَلَامِهِمْ فَهُوَ أَذْنَى مَحَلًّا ، وَأَقْرَبُ مَأْخِذًا ، وَأَسْهَلُ مَطْلَبًا ، وَلِذَلِكَ / قَالُوا : فَلَانَ مُفْحَمًا ، فَأَخْرَجُوهُ مَخْرَجَ الْعَيْبِ ، كَمَا قَالُوا : فَلَانٌ عَيْبِي (٨) ، فَأُورِدُوهُ مَوْرِدَ النِّقْصِ .

* * *

والقرآن كتابٌ دل على صدق مُتَحَمِّلِهِ ، ورسالةٌ دلت على صحَّةِ قَوْلِ الْمُرْسَلِ بِهَا ، وبرهانٌ شهد له برهانُ الْأَنْبِيَاءِ (٩) الْمُتَقَدِّمِينَ ، وبينت على طريقة مَنْ

(١) م : « عن »

(٢) م : « متعاص »

(٣) م : « ولا مفلق »

(٤) م : « ولا متوحش »

(٥) م : « ولا ملحق »

(٦) م : « ولا ملحق »

(٧) م : « ولا ملحق »

(٨) م : « ولا ملحق »

(٩) م : « ولا ملحق »

سلف من الأولين^(١). حيرهم^(٢) فيه ، إذ كان من جنس القول الذى زعموا أنهم أدركوا فيه النهاية ، وبلغوا فيه الغاية ؛ فعرفوا عجزهم ، كما عرف قوم عيسى نقصانهم فيما قدروا من بلوغ أقصى الممكن فى العلاج ، والوصول إلى أعلى مراتب الطب ، فجاءهم بما بهتروهم : من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ؛ وكما أتى موسى بالعصا التى تلففت ما دققوا^(٣) فيه من سحرهم ، وأتت على ما أجمعوها عليه من أمرهم ، وكما سخر لسليمان الريح^(٤) والطير والجن . حين كانوا يولعون به من فائق الصنعة ، وبدائع اللطف^(٥). ثم كانت هذه المعجزة / مما يقف عليها^(٦) الأول والآخر وقوفاً واحداً ، ويبقى حكمها إلى يوم القيامة . ٤٥٩

* * *

انظر وفقك الله لما هديناك إليه ، وفكر فى الذى دللناك عليه ؛ فالحق منهج واضح ، والدين ميزان راجح ؛ والجهل لا يزيد إلا عمى^(٧) ، ولا يورث إلا ندماً .

قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^(٨)

وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾^(٩).

وقال : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً ﴾^(١٠) .
وعلى حسب ما أتى من الفضل ، وأعطى من الكمال والعقل — تتقع الهداية والتبيين ؛ فإن الأمور تم^(١١) بأسبابها ، وتحصل بآلتها ، ومن سلبه

(١) كذا فى م ، ب . وفى ك « ما سلف إلى الأولين »

(٢) كذا فى ك ، م ، ا . وفى س « تحدام »

(٣) م : « التى تلفت » . س « تلففت ما برعوا »

(٤) س ، ل « لسليمان من الرياح »

(٥) ل ، م « يولعون بدقائق الحكمة وبدائع من اللطف »

(٦) س : « الإغما »

(٧) س ، ك « عليه »

(٨) سورة الشورى : ٥٢

(٩) سورة الزمر : ٩

(١٠) م : « تستمر »

(١١) سورة البقرة : ٢٦

٤٦٠ / التوفيق ، وحرمة الإرشاد^(١) والتسديد - ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ
الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(٢) ، ﴿لَا يَسْتَتِيعُونَ حِيلَةً
وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾^(٣) .

فأحمد الله على ما رزقك من الفهم إن فهمت^(٤) ، ﴿وقل : رَبِّ زِدْنِي
عِلْمًا﴾^(٥) ، [إن أنت علمت]^(٦) ؛ ﴿وقل : رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ
الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾^(٧) .

وإن ارتبت فيما بيته فازدد في تعام الصنعة ، وتقدم في المعرفة ؛ فسيع بك
على الطريق^(٨) الأرشد ، وستقف^(٩) بك على الوجه الأحمد ؛ فإنك إذا فعلت
ذلك أحطت علماً ، وتيقنت فهماً .

ولا^(١٠) يوسوس إليك الشيطان بأنه قد كان ممن^(١١) هو أعلم منك بالعربية ،
وأدرب^(١٢) منك في الفصاحة ؛ أقوام^(١٣) [وأى] أقوام ، ورجال^(١٤) [وأى] رجال ،
فكذبوا ، وارتابوا ؛ لأن القوم لم يذهبوا عن الإعجاز ، ولكن اختلفت أحوالهم ؛

٤٦١ فكانوا بين جاهل وجاحد ، وبين/ كافر نعمة وحاسد^(١٥) ؛ وبين ذاهب عن طريق
الاستدلال بالمعجزات ، وحائد^(١٥) عن النظر في الدلالات ؛ وناقص في باب
البحث ، ومُختل الآلة^(١٦) في وجه الفحص ، ومستهن بأمر الأديان ،
وغاوا^(١٧) تحت حبال الشيطان ، ومقدوف بخذلان الرحمن . وأسباب
الخذلان والجهالة كثيرة ، ودرجات الحرمان مختلفة .

وهل جعلت بإزاء الكفرة ، مثل « لبيد بن ربيعة العامري » في حسن

- | | |
|---|--------------------------|
| (١) س : « وحرمة الرشاد » | (٢) سورة الحج : ٣١ |
| (٣) سورة النساء : ٩٨ | (٤) سقطت إن فهمت من م |
| (٥) سورة طه : ١١٤ | (٦) الزيادة من ب |
| (٧) سورة المؤمنون : ٩٧ - ٩٨ | (٨) م : « السبيل » |
| (٩) س : « ويقف » . م « وستقف على الوجه الأحمد » | |
| (١٠) م : « فلا » | (١١) م : « من » |
| (١٢) كذا في م . وفي س ، ك « وأرجح » . وفي ا ، ب « وأدهى » . | |
| (١٣) الزيادة من م | (١٤) ك : « وحامد » |
| (١٥) س : « وحائر » | (١٦) م : « ونخيل الآلة » |
| (١٧) م : « وعار » | |

إسلامه ، و « كعب بن زهير » في صدق إيمانه ، و « حسان بن ثابت »^(١) وغيرهم : من الشعراء والخطباء الذين أسلموا ؟

على أن الصدر الأول ما فيهم إلا نجم زاهر ، أو بحر^(٢) زاخر .

وقد بيننا : أن لا اعتصام إلا بهداية الله^(٣) ، ولا توفيق إلا بنعمة الله .

﴿ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾^(٤) .

فتأمل ما عرفناك في كتابنا ، وفرغ له قلبك ، واجمع عليه^(٥) لبك ؛

/ ثم اعتصم بالله يهْدِيكَ ، وتوكل عليه يُعِينِكَ^(٦) ، ويُجْرِكَ ، واسترشد^(٧) ٤٦٢
يرشِدُكَ ؛ وهو حَسْبِي وحسبُكَ ، ونِعْمَ الوكيل^(٧) .

(١) م : « في سلامة أنبيائه » (٢) م : « وبحر »

(٣) م : « الله تعالى » (٤) سورة الجمعة : ٤

(٥) كذا في ا ، م . وفي ك ، ب ، س « له »

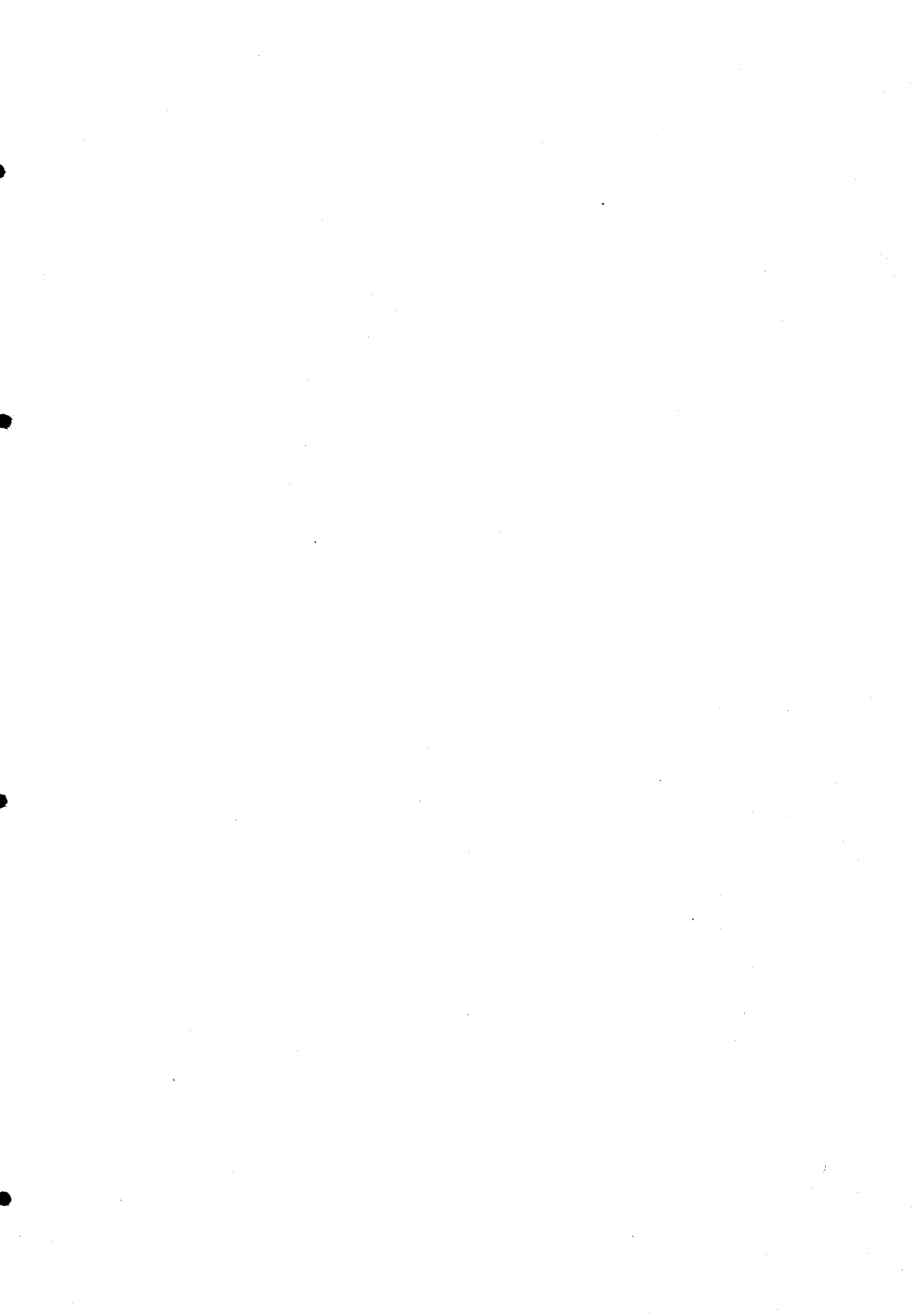
(٦) كذا في م ، ب . وفي س ، ك « يفتك »

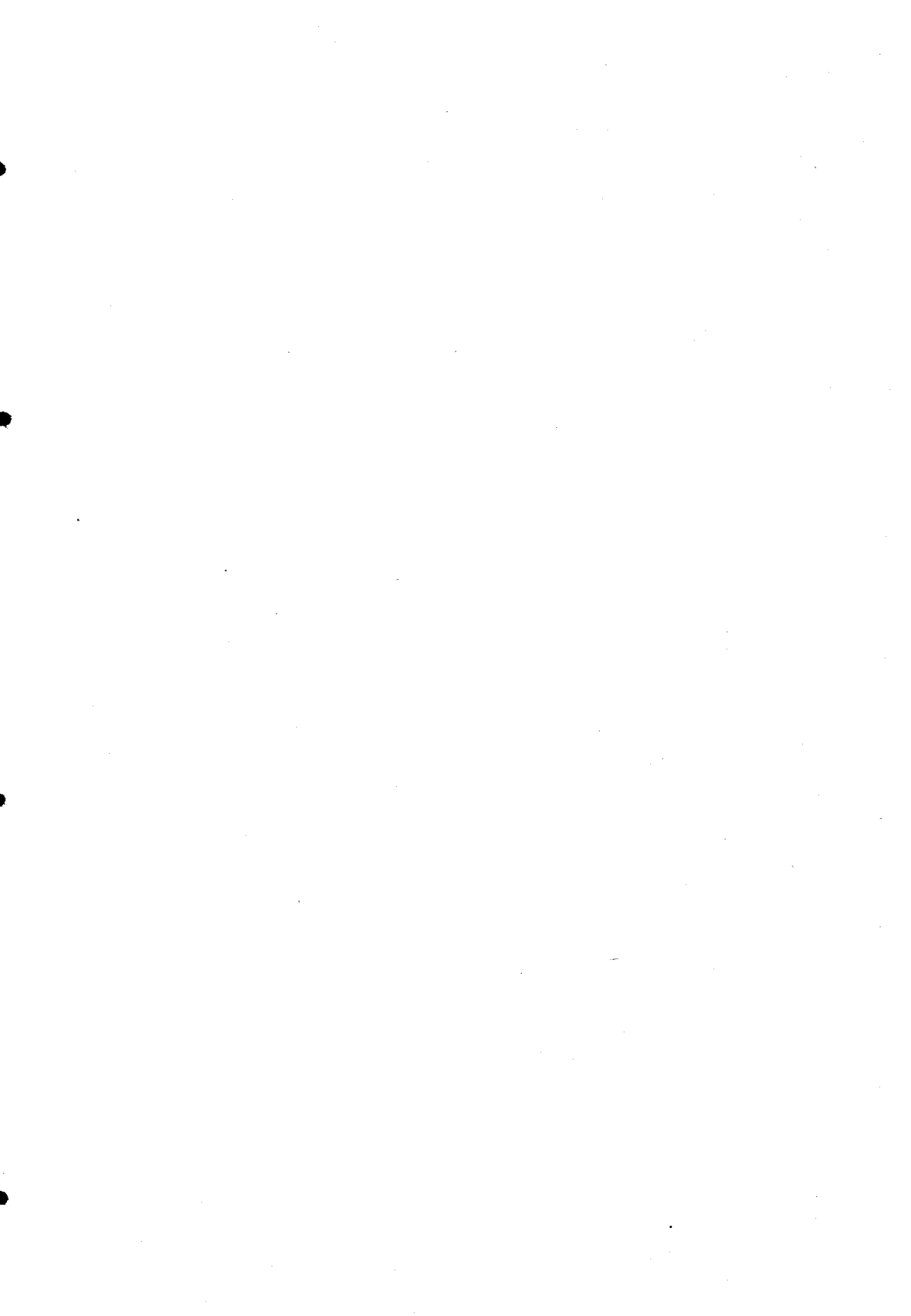
(٧) جاء في آخر م ، ا ، ك بعد ذلك ما يلي :

ا - في م : « تم كتاب الإعجاز ، والحمد لله على نعمه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، وسلم تسليماً كثيراً » . وبعد ذلك بخط مغاير : « هذا ما كتبه المؤلف لخزانة كتب عضد الدولة ، وطالع فيه الحسن ابن المؤلف ، سنة تسع وتسعين بعد الثلاثمائة . . . »

ب - في ا : « والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين . وكان الفراغ منه في غرة ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة . نسخته من أصل الفقيه الإمام أبي الحجاج يوسف بن عبد العزيز اللخمي ، الذي عليه خط شيخه عمدة أهل الحق ، أبي عبد الله التيمي ، وأخبرني أنه نسخها من نسخة صحيحة ، عليها مكتوب : فرغ من نسخها في جمادى الآخرة سنة إحدى وأربع مائة . وقال لي : توفي القاضي المؤلف ، رحمه الله ، سنة أربع وأربع مائة . وعارضت نسختي هذه بالأصل ، وقرأتها عليه وهو يمسك أصله ، والحمد لله رب العالمين »

ج - وجاء في ك : « تم كتاب الإعجاز في القرآن العظيم . وكان الفراغ من نسخه سلخ الشهر المعظم رجب سنة ثمانية عشر وسبعمائة . علقه الشريف حسن ، ابن الشريف محمد ، ابن الشريف علي ، ابن الشريف حسين الحسيني ، السمرقندي ، الناسخ . وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً » .





١ - فهرس الآيات

رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية
٢٦٨	١٧٨		٢ - سورة البقرة
	٤ - سورة النساء	٢٣	٢
٢٠٦، ١٧١، ٣٦	٨٢	٧٧	١٦
٣٠٤	٩٨ (اقتباس)	١٧	٢٣-٢٤
	٥ - سورة المائدة	٣٠٣، ٢٠٤	٢٦
٢٠٠	٤	٢٤٥	٦٥
١٠١	٣٨	٢٥٦	٨٥
١٠١، ٩٢	٣٩	٤٩	٩٤-٩٥
	٦ - سورة الأنعام	٧٧	١٣٨
٣	٧	٢٧٤	١٦٥ وصوابها (ولو يرى الذين ظلموا)
٨٤	٢٦	٨٠	١٧٥
٢٧٤	٢٧	٢٦٢، ٨٠، ٦٦	١٧٩
٢٨٢	٢٨	٢٦٣ هـ	
٨٤	٨٢	٢٧١	١٩٤
١٨٨	٩٦	٢٦٧	٢١٤
٣٤	١٠٥	٩٥ - ٩٤	٢٥٧
	٧ - سورة الأعراف	١٣١	٢٧٩ (اقتباس)
٢٧٤	٤٠	٢٩٣	٢٨١
٢٤٥	١٢٥ - ١٢٦		٣ - سورة آل عمران
٢٦٨	١٤٩	٣٤	١٢
٢٦٦	١٥٤	٦٠	٤٨ - ٤٩
٢٠١	١٥٧	٢٧١	٥٤
٢٦٤	١٧١	٤٩	٦٠
		٢٧٦	١٣٨

رقم الصفحة	اسم السورة . ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة . ورقم الآية
	١٢ - سورة يوسف	١٠١	١٧٥
٦٦	٨٠	٢٦٥-١٠١	١٧٦
٢٦٢	٨٢	٩٦	٢٠٢-٢٠١
٨٣	٨٤		
	١٣ - سورة الرعد		٨ - سورة الأنفال
		٤٨-٣٤	٧
٢٦٢-١٨٥-٩١	٣١	٥٤	٢١
	١٤ - سورة إبراهيم	٤٣-٢١-١٩	٣١
	٢-١		٩ - سورة التوبة
٩	١٨	٢٨-٩	٦
٢٦٤	٢٠-١٩	٥٢	١٤
١٠١		٤٩	٢٣
	١٥ - سورة الحجر	٦٠	٢٤
٢١	٦	٣٣	٣٣
٢٣	٩	١٣١	٣٦ (اقتباس)
٣	١٥	٤٨	٨٣
٢٢	٨٨	٢٧٢	١٢٧
٢٢	٩١	٢٩٣	١٢٩
٢٦٦	٩٤		
	١٦ - سورة النحل		١٠ - سورة يونس
٢٣	٢	١٠١	٢٢
٢٩	٤	٢٦٣	٢٣
٢٧٤	٢٦	٢٦٨-٢٦٤	٢٤
٦٠	٢٧		
١٠٦	٤٨-٤٩		
٨٨٠٦٦	٥٣		١١ - سورة هود
٨٨	٥٤	١٧	١٣-١٤
٢٧٦	٨٩	٥٠	٤٩

رقم الصفحة	اسم السورة . ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة ، ورقم الآية
٢٦٧	١٢	٢٠٣	٩٨
٢٦٨	١٥		
٢٨٧	٢١		١٧ - سورة الإسراء
٢٠١	٢٢ - ٢٣	٢١٠	٨ - ٨
٨٧	٣٧	٢٦٧	١١
		٦٠	١٦
	٢٢ - سورة الحج	٩٣	٢١
٢٤٤	١ - ٢	٦٦	٢٤
٢١٦	٣١	٢٦٨	٢٩
٣٠٤	٣١ (اقتباس)	٢٥٦	٨٢
٦٦	٥٥	١٨٥ - ٣٨ ، ٢٢ ، ١٨	٨٨
٩٩ ، ٨٠	٦١	٢٥٤ ، ٢٥٠	
	٢٣ - سورة المؤمنون		١٨ - سورة الكهف
٥١	٣٦	٢٦٨	١١
٢٨٣	٩١	٢٤٤	١٨
٣٠٤	٩٧ - ٨٩ (اقتباس)	٢٤٤	٤٧
	٢٤ - سورة النور		١٩ - سورة مريم
٦٦	٣٥	٦٦ ، ٦٠	٤
٢٧٢	٣٧	٢١	٩٧
٢٦٤	٣٩		
٤٨	٥٥		٢٠ - سورة طه
	٢٥ - سورة الفرقان	١٨٩	١٠
٢٠١ ، ١٤	١ - ٢	٣٠٤	١١٤
٢٢	٤		
٢٢ ، ٤	٥		٢١ - سورة الأنبياء
٢٢	٨	١٤	٣
٧٨	١٢	٥٤	٥

رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية
٢٢	٣٦	٢٦٦	٢٣
٤٩	٤٦، ٤٤		
١٩٤	٧٧، ٦٨، ٥٨		٢٦ - سورة الشعراء
١٩٤	٨٨، ٨١	٢٤٥	٥١
		٢٤٥، ١٩٥	٥٢
	٢٩ - سورة العنكبوت	١٩٦	٦٠ - ٥٧
١٠٠	٢٤، ١٧، ١٦	٢٠٥، ١٩٦	٦٣
٢٦٦	٤١	٣١، ٩	١٩٥ - ١٩٢
٤٩، ٣٤	٤٨	٢٧٦، ٢٠٦	
١٤	٥١ - ٥٠	١٩٦	٢١٥ - ٢١٤
	٣٠ - سورة الروم	٢٢٦، ٥١	٢٢٤
٤٨	٤ - ١	٢٦٨، ٢٢٦، ٥٠	٢٢٥
٨٠	١٩	٢٢٦	٢٢٦
٨٣	٤٢	١٩٦	٢٢٧
	٣١ - سورة لقمان		٢٧ - سورة النمل
٩٥	٣٤	١٩٤	٥
		١٨٩	٦
	٣٢ - سورة السجدة	١٨٩	٨
٢٦٨	٢١	١٩١	٣٢ - ٣١
		١٩٢، ١٩١	٣٤
	٣٣ - سورة الأحزاب	٨٣	٤٤
٢٦٨	٤٦	٦٦	٩١
	٣٤ - سورة سبأ		٢٨ - سورة القصص
٥١	١٣	١٩٣، ١٠٣	٤
٢٧٤	٢٤	١٠٣	٨ - ٥
٥٤	٤٣	١٨٩	٢٩

رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية
	٤٠ - سورة غافر		٣٥ - سورة فاطر
١٩٧٠٩	١ - ٣	٥٢	١٨
٩	٤	٢٦٣	٤٣
١٩٧٠٩	٥ - ٦	٢٨٩	٤٥
١٩٩٠١٩٨٠٩	٧		
١٩٩٠٩	١٣		٣٦ - سورة يس
١٩٩	١٤	٢٦٧٠١٨٨٠٦٦	٣٧
١٩٩٠١٣	١٥	١٨٨	٣٩ - ٣٨
١٩٩٠١٠٢	١٦	٥١	٦٩
٢٠٠	١٨ - ٢٠	٢٤٥	٨٢
٩	٢١ - ٣٥		
٢٠١	٦٥		٣٧ - سورة الصافات
١١٠١٥	٦٩٠٧٠٠٧٨٠٨٥	٢٠٢	١٠ - ١
	٤١ - سورة فصلت	٢٢٠٥٤	٣٦
		٧٣	٤٩
٢٧٠١٢	١ - ٢		
٢٧٠١٢٠٧	٣		٣٨ - سورة ص
٢٧٠١٣٠١٢	٤	٥٢٧٤	١
١٢	٦٠٨٠١٣	١٩	٧
١٣	١٩٠٢٦٠٣٠٠٣٦٠٤١		
٢٨٢٠١٣	٤٠		٣٩ - سورة الزمر
٣٠٢٠٢٤٣٠١٨٥	٤٢	٢٠٢	٨
١٨٥	٤٢ (اقتباس)	٣٠٣	٩
١٣	٤٤٠٥٢	٨٧	١٤ - ١٥
٢٦٧	٥١	٢٠٦٠٢٠٤٠٣٦٠٢٣	٢٣
	٤٢ - سورة الشورى	٢٠٦	٢٨
١٤	٢٤	١٤٤	٣٣
٢٨٣	٤٤ - ٤٥	٢٨٢	٥٦
		٢٧٤	٦٢

رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية
٥٣	٥١ - سورة الذاريات ٣-١	٣٠٣، ١٨٧ ١٨٧	٥٢ ٥٣
٩٦	٥٢ - سورة الطور ٢-١	٧	٤٣ - سورة الزخرف ٣
١٨	٣٣	٦٦	٤
١٨٩، ٦٢، ١٨	٣٤	٢٨٢	٥
٢٥٤	٥٢	٥٥٣	١٣
	٥٤ - سورة القمر	٢٨٢	٣٩
		٧٧، ٢٣	٤٤
٢٦٤	٥٤ - سورة القمر ٢٠ - ١٩	٢١	٥٨
٤٨	٤٥	٢٨٢	٦٧
	٥٥ - سورة الرحمن	٢٨٢	٧١
٢٧٥	٤ - ١		٤٦ - سورة الأحقاف ٢٩
٢٦٦	١٤	٤١	
٢٦٦، ٧٣	٢٤		٤٧ - سورة محمد ٤
٢٦٥	٣٧	٢٦٧	٢١
	٥٧ - سورة الحديد	٢٦٢	
٢٦٥	٢١ - ٢٠		٤٨ - سورة الفتح ٤٥، ١٦
	٥٩ - سورة الحشر	٤٨	
١٨٥	٢١		٤٩ - سورة الحجرات ١٣
	٦٢ - سورة الجمعة	١٣٢	
٣٠٥	٤ (اقتباس)		٥٠ - سورة ق ٣٠
٢٦٥	٥	٧٨	

رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية
٩٦	٧٩ - سورة النازعات ٤ - ٣	٢٦٣	٦٣ - سورة المنافقون ٤
٢٦٧	٨١ - سورة التكويد ١٨	٥٢	٦٥ - سورة الطلاق ٣ - ٢
٨٩	٨٥ - سورة البروج ٣ - ١	٢٠١	٦٧ - سورة الملك ١
١٠٦	٩٤ - سورة الانشراح ٦ - ٥	٧٨	٨
٢٩٣	٩٦ - سورة العلق ١	٢٨٣	١٣ - ١٤
٥٣	١٠٠ - سورة العاديات ٢ - ١	٩٦	٦٨ - سورة القلم ٣ - ٢
٩٦	٧ - ٨	٢٦٥	٦٩ - سورة الحاقة ٧
٥٢	١٠٧ - سورة الماعون ١٤	٢٦٦	١١
١٠٦	١٠٩ - سورة الكافرون ١	٥١	٤١
٢٩٣	١١٠ - سورة النصر ١	١٨٥	٧٢ - سورة الجن ٢ (اقتباس)
٥٥٤	١١١ - سورة المسد ١	٢٩٣	٧٤ - سورة المدثر ١
		١٦٩، ٨٠	٤
		٣٠	١٨ - ٢٥
		٥٢	٧٦ - سورة الإنسان ١٤

٢ - فهرس الأحاديث

رقم الصفحة	الحديث
٥٨:٥٧	« أسجاعةٌ كسجاعة الكهان »
٨٤	« أسلمُ سلمها اللهُ ، وغفارٌ غفر اللهُ لها ، وعُصيةٌ عصت اللهُ ورسوله ، وتُجيبُ أجابَ اللهُ ورسوله »
٢٩١	« أنا أفصحُ العرب (إشارة)
٨١	« إنكم تكثرون عند الفرع ، وتقلون عند الطمع »
٦٧	« إن مما يُنبئُ الربيعُ ، ما يُقتلُ حبطاً أو يلم »
	* * *
	قوله صلى الله عليه وسلم - حين سُئِلَ عن المخرج من افتتان أمته من بعد وفاته :
١٨٥	« بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ؛ تنزيلٌ من حكيم حميد »
٢٠٢	« ثلاث لا يغفل عليهن قلب المؤمن »
	* * *
٦٧	« خيرُ الناس رجلٌ : ممسكٌ بفرسه في سبيل الله ، كلما سمع هَيْعَةً طار إليها »
	* * *
٦٧	« ربنا : تَقْبَلُ تَوْبَتِي ، واغسل حَوْبَتِي »
	* * *
٨٤	« الظلمُ ظُلُماتٌ يوم القيامة »
٦٧	« غلبَ عليكم داءُ الأمم قبلكم : الحسدُ والبغضاء ، وهي حالقة الدين ، لا حالقةُ الشعر »
٦٨	« غيرُ والشيب ، ولا تشبهوا باليهود »
	* * *
٢٤٦	« فضلُ كلام الله على سائر الكلام ، كفضل الله على خلقه »
١٨٦	« من قرأ ثلث القرآن أعطى ثلث النبوة »

* * *

٨٤

« لا يكون ذو الوجهين وجيها عند الله »

* * *

٦٧

« الناس كإبل مائة : لا تجدُ فيها راحلةً »

* * *

٧٦

« نصرتُ بالرب ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ؛ وليدخانُ
هذا الدين على مادخل عليه الليلُ »

* * *

٦٧

« هل يسكب الناس على مناخرهم في نار جهنم ، إلا حصائدُ
ألسنتهم »

٣ - فهرس الشعر

١ - الأبيات

(ب)

رقم الصفحة			
		... في الضمير وأعربا	أعادل أعتبتُ الإمام
٢١٧	أبو نواس	... وأبَّ ليدهبا	صرمتُ ولم أصرمكمُ
١٠٢	الأعشى	... فوفه الكسربنا	قومٌ إذا عقدوا
١٠٣	الخطيئة	... * * *	إذا غضبتُ عليك
٢٥٣	جرير	... عتوداً ركوبا	فصربتُ الشتاء
٢٣٦، ١١٠	أبو تمام	... في مفترى الكذبِ	إن النجومَ أَعْطَى
١٠٢	المبرد	... نُضِجَ التينِ والعنبِ	تسعون ألفاً
١٠٩	أبو تمام	... مشرق ومغربِ	راحتُ مشرقة
٢١٥	امرؤ القيس	... في مدخل طيبِ	فأدخلك الله
٢١٣	الأعشى	... أعجاز نجم مغربِ	فأصبحتُ من ليل الغداة
٢١٥	امرؤ القيس أو النميرى أو ابن الملوخ	... نحسه متغيبِ	فظل لنا يومٌ
٩٠	طرفة أو امرؤ القيس		

...	لم يُثَقِّبْ	...	كأن عيون الوحش
٩٢، ٧٢	امرؤ القيس أو علقمة الفحل	...	وتراه في ظلم الوغى
٢٤٠	الرجال بكوكب غير منسوب	...	وسامعتان يعرف
٧	وسط ربرب امرؤ القيس أو علقمة	...	وعينان كالمأويتين
٧٣، ٥٧	الصفوح المنصب امرؤ القيس	...	
* * *			
...	بطيء الكواكب	...	كليتي لهم يا أميمة
١١١	النابعة الذبياني	...	وصدر أراح الليل
٧٤	من كل جانب النابعة الذبياني	...	ولا عيب فيهم
١٠٧	من قراع الكتائب النابعة الذبياني	...	ولا يحسبون الخير
٨٢	ضربة لازب النابعة الذبياني	...	يقدر السلوق
١٤٤، ٧٧	نار الحباحب النابعة الذبياني	...	يمدون من أيدٍ
٨٧	قواض قواضب أبو تمام	...	أجعل دارمًا
* * *			
...	الغنيمة كالركاب	...	إن يقتلوك فقد تثلت
٥٩٠	الفرزدق	...	عصافير وذبان
٢٠٨	الحارث بن شهاب أبو ذؤاب الأسدي أو ربيعة الأشتر	...	فخية من يخيب
٢١٢	مجلحة الذئاب امرؤ القيس	...	
٩٠	أعصر والرباب زيد الخيل	...	

رقم الصفحة	...	من الغنيمة بالإياب	فقد طوفتُ
٢١٢	...	امرؤ القيس	

٥٩٠	...	أسرى كلاب	وأدى الغنمُ
	...	زيد الخيل	

١٠٦	...	من يرمى به	نزع الوش لنا
	...	السرى الرفاء	

٧٦	...	ولا هربُ	فأنت كالأهر
	...	سليم الخاسر	
٧٠	...	خفارتة الحبُ	لما منظرٌ سيدُ
	...	أبو تمام	
٧٦	...	بأسك مهربُ	ولو أنهم ركبوا
	...	البحرئى	

٧٧	...	عليك الحقائقُ	فعاوجوا فأنثوا
	...	نصيبُ	

١٠٧	...	في عين العدو مهيبُ	حليمٌ إذا ما الحلمُ
	...	عريقة بن مسافع العبسى	
٢٨٠	...	جدتها الخطوبُ	دع الأطلال تشفيها
	...	أبو نواس	

١٢٥	...	كتابٌ وحسابُ	للحرب والضرب أقوامُ
	...	غيرُ منسوبُ	

٧٢	...	تتهوى كواكبُه	كأنَّ ميثارَ النقع
	...	بشار بن برد	

	... وعقدَ الكَرَبُ	إذا ما عقدنا له
١٠٣	أبو دُوَا	

	(ت)	
	... الرماحَ أجمرتِ	فلو أن قومي
٧٩	عمرو بن معديك	

	... يعرأ صُجبتِه	رُبَّ أخ
٥٦	غير منسو	

	(ج)	
	... بالجهل مُسرحُ	ولي فرسٌ للحلم
٩٥	محمد بن وهيب الحميد	

	(ح)	
	... وسطَ ريجِ	مرفوعُها زولٌ
٥٩٠	طرفة بن العبد	

	... والمطى طلوحُ	وقالوا : حمامات
٨٥	أبو حية النما	

	... من هوَ ماسحُ	ولما قضينا من منى
٢٢١	كثير عزة أو المض	

	... يريثَ نجاحه	فلراهب أن لا
٩٧	ابن الـ	
	إعجاز القرآن	

رقم الصفحة	(د)	
	... سلكه فتبدد آ	إذا ما الثريا
١٧٥	ابن الطرية	وصول إلى التصعبات
٢٣٠	المتنبى	وإن يأكلوا -
٩٤	المقنع الكندى	... بنيت لهم مجداً

١٢٢	عدى بن الرقاع	وقصيدة قد بتجمع

١١٠	أبو تمام	ألا لا يمد الدهر
١٠٢	ابن أدمينة	بكل تداوينا
١٠٩	أبو تمام	سرت تستجير الأ
٢٢٦	أبو تمام	كريم متى أمد
١٠٩	أبو تمام	لعمري لقد حرر
٢٧٨	المتنبى	وأنا الشجاع وقد
١٠٠	أبو تمام	وأنجدتم من بعد
١٧٤	ابن المعتز	وتسرى الثريا
٧٢	طرفة	وسامعتان يعرف
٥٧٢	طرفة	وعينان كاذبة يتين

	... أَسَى وَتَجَلَدُ	وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي
٥٤	طرفة	
	... نِظَامٌ فُرِيدُ	فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ
١١٥	البحرَى	
	... أَثَرُهُ بَادِي	أَبْقَى الْحَوَادِثُ
٧٧	النمرُ بنُ تَوَلِّبُ	
	... وَالرَّهَانُ جَوَادُ	بِمُقْلَصٍ عَتَدَ
٧٠	الأسودُ بنُ يَعْفَرُ	
	... النَّصِيحَةُ وَالْوَدَادُ	تَنْصَلُ رَبِّهَا
١٠٧	أبو تمام	
	... مِنْ رُقَادُ	كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا
٢٣٧	المتنبى	
	... بِالْمُودَةِ قَاصِدُ	أَصْدُ بِأَيْدِي الْعَيْسِ
٩٣	غير منسوب	
	... بِحَجْرٍ مُزِيدُ	رِيَانٌ لَوْ قَدَفَ الَّذِي
٢٣٨	المتنبى	
	... أَوْ مَجْدَهُمْ قَعَدُوا	لَوْ كَانَ يَتَّقَعُدُ
٩١	زهيرُ أو أبو الجويرة	
	... نَخْلَقُ مُزِيدُ	أَيُّهَا السَّائِلُ عَنِ
٢٧٨	ابن المعتز	
	... تَحْتَ الثَّرَى	أَنَا ابْنُ الَّذِي سَادَهُمْ
٢٧٨	ابن المعتز	
	... ذَلِكَ مَظْهَرًا	بَلَّغْنَا السَّمَاءَ
٩١	النايفة الجعدى	

رقم الصفحة	...	وكانت فِرَارَةٌ تَصَلَّى
١٠٦	أولى فِرَارًا عوف بن عطية الربابي	...
	***	أخشى الفواحش
٨٨	ناشئًا للمكبر عبد الله بن سليم الأزدي	...
١٠٠	وأيسك ناصر جرير	طرب الحمام
٢٥٧	ليد ييمينها في كافر	فتذكر ثقلاً
٤٠	خائف متقفر عبيد بن أيوب	فله در الغول
٤٠	أصوات سامر ذو الرمة	وكم عرس
٨٨	سرنى لم أبشر (أو أشرر) عبد الله بن سليم الأزدي	وإذا حديث ساعى
	***	فبت أفرش خدى
١٧٧	ابن المعتز ولم يتغير	وفؤادى كعبيده
٥٣	غير منسوب	...
	***	أهلاً بذاك الزور
٢٢٠	في فلك الدور الصنوبرى	...
٨٧	بالساكنين وبالقطر ابن المعتز	سأئنى على عهد
٢٩	ويحك ما ندرى نصيب	فقال فريق القوم
٩٢	أجل من الدهر حسان بن ثابت أو بكر بن النطاح	له همم لا منتهى

	... صَوَادِرَ عَنْ غَدِيرِ	مثلُ الظباءِ سَمَتُ
١٧٩	أبو نواس	

	... ثَمَّةَ إِزَارِي	أَلَا أَبْلَغُ أَبَا حَفْصِ
٨٠	أبو المنهال	
	... مِنْ النَّارِ	إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي
١١٤	سَحِيمٌ	
	... هُنَّ مِنْهُ عَوَّارٌ	دِيَارُ نَوَّارِ
٩٦، ٨٧	أبو نواس	
	... مِنْ الْإِفْتِخَارِ	قَدْ تَرَدَيْتُ بِالْمَكَارِمِ
٢٧٨	ابن المعتز	
	... يَوْمًا بِإِكْثَارِ	مَا شَقَوَةُ الْمَرْءِ
١١٤ هـ	سحيم	

	... سَكَنَ الدَّهْرُ	عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ
٩٣	أبو صخر الهذلي	
	... وَأَنْهَمُ سَفْرُ	هِيَ الدَّارُ إِلَّا
٨٧	ابن المعتز	
	... بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ	وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
٧٦	الأخطل	
	... حَرْبِ قَبْرِ	وَقَبْرِ حَرْبِ
٢٦٩	أحد الجن	
	... قَبْلِي النَّذْرِ	وَلَا أَصْبِحُ الْحَيَّ
٢٧٩	أبو فراس	
	... مِنْ عِنْدِكَ النَّصْرُ	وَمَا بِي أَنْتِصَارُ
١٠٢	أبو البيداء الرياحي	
	... لَهَا الشُّكْرُ	يَا مَنَّةً إِمْتَنَّنَهَا
٩٦	أبو نواس	

رقم الصفحة	...	إذا محاسنى اللأنى
٢١٩ هـ	فقل لى : كيف أعندر ؟ البحترى	

٢٣٨ هـ	رأيتك القدرُ بعض بنى ثعل	أظله منك حتفُ
٣٠٠	بالسيف ما شعروا البحترى	أهزُّ بالشعر أقواماً
٢٣٨ هـ	والأقدارُ تنتظرُ بعض بنى ثعل أو مسلم بن الوليد	تلمظُ السيفُ
٢١٩ هـ	لولا أنه حَجِرُ البحترى	فى الشيب زجر لهُ
٨٧ هـ	مَنْ قد يُسرُّ ابن المعتز	للأمانى حديثُ
٢١٢	بئسما ائتمروا امرؤ القيس	لم يفعلوا فعلَ

٧٧	خزبانُ ينظرُ تأبط شرا	فخالط سهلَ الأرض
٨٣	والجدُ مدبرُ تمثل به الحسن بن على	فلا الجودُ يفنى
٧٨	إليك المنبرُ البحترى	ولو ان مشتاقاً
٩٦	*** معاً حريرُ ابن الرومى	أبدانهُنَّ وما
٢٨٧	*** هاشم ونزارُ ابن المعتز	إذا شئتُ أوفرتُ
٩٧	تفَاع وَضَرَارُ الخنساء	حامى الحقيقة

رقم الصفحة

	... للجيش جبرارُ	حَمالُ ألوية
٥٩٧	الخنساء	لولا الحياءُ
١١٧	جرير	والشيبُ ينهضُ
٨٢	الفرزدق	... بجانبه نهارُ

٥٧٦	الفرزدق	فأيقنت أني
	... شئ - أحاذرُه	
٧٦	الفرزدق	ولو حملتني الريحُ
	... أدركتني - مقادرُه	

٨٩	خالد بن محبث أو ابن زهير الخدلي	فلا تنجز عن من سنة
	... من يسيرُها	

١٥٢	قس بن ساعدة	في الذاهبين
	... لنا بصائرُ	
١٧٤	ابن المعتز	قد سقاني المدام
	... بالليل مؤتزرُ	

	(ز)	
٢٣٨	المتنبي	سَلَمَةُ الركنُ
	... أهل الحجاز	

	(س)	
٢١٨	ابن الرومي	ومُهفوف، تمت
	... منية النفس	

رقم الصفحة	...	مُستأنس عتريس	وأقطع الهوجلّ
٨١	...	الأفوه الأودي	
	...	***	
	...	مثل أمسه	كل يوم
٥٢	...	غير منسوب	
	...	***	
	...	(ض)	
	...	القيصري العضوض	له قُصْرِيَا عَيْرِ
٢١٢	...	امرؤ القيس	
	...	عَبِلَ الْيَدِينِ قَبِيضِ	وقد أعتدى والطير
٥٢١٢	...	امرؤ القيس	
	...	بمدلاج الهجيز نهوض	وسن كسنيق
٢١١	...	امرؤ القيس	
	...	ماء الكراض	سوف تُدْنِيكَ مِنْ لَيْسِ
٢١٤	...	الطرمّاح	
	...	***	
	...	أو لجام مُفضض	كأنّ الثريا
١٧٤	...	ابن المعتز	
	...	***	
	...	(ط)	
	...	أرادته وقد سقطا	وقد هوى النجم
١٧٤	...	ابن المعتز	
	...	***	
	...	بجانب الغرب قُرط	طيب ريقه
١٧٤	...	ابن الرومي	

- (ظ)
 وبعضُ قَرِيضِ القومِ ... الناطق المتحفظ
 ٢٠٧ خَلَفَ الأحمرُ * * *
- (ع)
 أبيتُ بأبوابِ القوافي ... من الوحشِ نُزَعَا
 ١٢٢ سويدُ بن كراعِ
 إذا أنتَ لم تَسْفَعْ ... يَضُرُّ وَيَنْفَعَا
 ٨٣ قيسُ بن الحطيمِ أو عبد الأعلى بن عبد الله
 * * *
 ولما رَدَّها في الشولِ ... لها لِفَاعَا
 ٨٦ القطامي
 * * *
 رجالٌ إذا لم يَقْبَلُوا ... بالسيوفِ القواطعِ
 ٩٥ نافعُ بن خليفة
 * * *
 وإني وإنْ أبلغتني ... المطامعِ أَخْدَعِي
 ٢٣٦ البحري
 * * *
 بانَ الخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ ... لِبَيْنِ تَسْجِرَعُ
 ١٧٧ جرير
 وتقولُ بوزَعُ ... بغيرنا يا بوزعُ
 ١٧٧ جرير
 * * *
 أفضى نهارِي ... بالليلِ جامعُ
 ٧٤ ابن الدمينه
 فإنك كالليلِ الذي ... عنكَ واسعُ
 ٧٥ النابغة الذبياني

رقم الصفحة			
٥٧	غير منسوب	... غصونٌ نَوَانِعُ	طربت فأبكتك
		* * *	
٧٦	على بن جبلة	... الدهاء المطالعُ	وما لامرئٍ حاولته
		* * *	
٩٤	عمرو بن معدى كرب	... ما تَسْتَطِيعُ	إذا لم تَسْتَطِعْ شيئاً
		* * *	
٦٠	البحرئى	... مَرَاتٌ بَقِيعُهَا	تشكى الوجى
		* * *	
		(ف)	
٨٥	التوزى	... لا تَعْرِفُ الْأَنْفَعَا	وذاكم أن ذلّ
		* * *	
٨٦	البحرئى	... الصبابة شافِ	هل لما فات من
		* * *	
٢٣٠	غير منسوب	... وَرَادُ دُ لِعِوْفُ	وإني للما الذى
		* * *	
		(ق)	
٢٣٩	بعض معاصرى الباقلانى	... فَرِيقًا فَرِيقًا	يُقَصِّفُ فِي الْفَارَسِ
		* * *	
١٤٣	الممزق العبدى	... ولما أمزقِ (مضمن)	فإن كنت ما كولا

رقم الصفحة

	... ابنُ ماءٍ مُحَلَّقٌ	وردتُ اعتسافاً
١٧٣	ذو الرمة	

	... حَيًّا الندائى به الساقى	فناولنيها والثريا
١٧٤	ابن المعتز	

	... بعدَ ذاكَ لَقَوْا	حتى يَسْجَىءَ بحال
٥١٥٢	قس بن ساعدة	
	... أعجازهن مُعَلَّقُ	وإنَّ عتاقَ العيس
٧٧	الأعشى	
	... فقد كَادَ يَسْتَقُ	ويأمرُ لليحموم
٢١٣	الأعشى	
	... بَزَّهمُ حَرَقُ	يا ناعى الموت
١٥٢	قس بن ساعدة	

	(ك)	
	... بالهجان الأوارك	أهزُ به في تدوة
٨٨	تأبط شراً	

	... شابَ المِجُونُ بالنسك	وشاطرى اللسان
٢١٦	الحسين بن الضحاك	

	... مِن عَصَاك	فإن هم طَاوَعوكِ
٩٠	خُلَيْد مولى العباس بن محمد	

	(ل)	
	... العهدَ ولا	تَمَسْكَا مِنى
٥٦	غير منسوب	

رقم الصفحة	...	وأدهمَ قد جُبْتُ
٣٩	الكاعبُ الخيعلا تأبطُ شرا	ونحنُ حفزنا
٨٤	الجوفُ أشكلا قيس بن عاصم المنقري	عهدتُ لها منزلاً
٨١	يَحْمَلْنَ آلا أبو دُواد	لوآنَ الباذلينَ
١٠٠	مثك المطالا كثير عزة	ونكرمُ جارنا
٩١	حيثُ مالا عُمير بن الأيهم أو غيره	لوكان كلفها عبيدٌ
١١٠	شَدَّ قَمًّا ولى جَدِيلا أبو تمام	وفتية في مجلس
٥٢	عدموا التثقيلا أبو نواس	فرميتُ غفلة عينه
٢١٣	الاعشى الاعشى	لى حيلةٌ فيمن
١٠٢	الكذاب حيله بشار أو غيره	قد أركبُ الآلة
٥٢٣٤	العاجزَ بالجدالة راجز	سقى الرملَ
٩٣	حسَلُ بالرملِ جرير	فلو شاء قوى
٨٩	أعدائهم جهلى جرير	متوسداً عَضْباً
٥٢٤٠	كذبة النملِ امرؤ القيس	

	... المغنين بالطبل	ورمل عزيفُ الجن
٤١	ذو الرمة	تعرضتُ لى
١٧٣ هـ	منظور بن مرثد الأسدي أو زهير	تعرضتُ لى
١٧٣	منظور بن مرثد الأسدي أو زهير	تمسكاً منى
	... ذى أمّيل	
٥٦	غير منسوب	مثلُ الأمير بغي
٢٣٣ هـ	المتنبى	وعزوة بعثتها همة
٢٣٣	المتنبى	وقد أراى الشبابُ
٨٧	المتنبى	يحولُ عنه
٥٦	غير منسوب	أحواله للرسامين
٢٢٨	البحترى	إذا قامتا تَضَوَّعَ
٢٢٨	امرؤ القيس	إذا ما بكى من خلفها
١٧٧	امرؤ القيس	إذا ما الثريا
١٧٢	امرؤ القيس	أغرك منى
١٦٨، ١٦٨ هـ	امرؤ القيس	أفاطم مهلاً
١٦٨	امرؤ القيس	

رقم الصفحة

	... فيكَ بأمثل	ألا أيها الليلُ الطويلُ
١٨١	امرؤ القيس	ألا رُبَّ يوم
١٦٣	امرؤ القيس	إن سِيلَ عَيَّ عن الجواب
٢٢٤	البحترى	... إن لم يُسألِ
١٠٠	حسان بن ثابت	... لم تُقتل
٢٣٥	البحترى	... سحابه المنتهلل
٢١٩	البحترى	... أو لم يفعلِ
٢٣٤	البحترى	... ثم لم يتحولِ
٢٣٦	البحترى	... نفسى مَسْجَهِل
٢٢٤	كشاجم	... وقفاً أجملِ
٢٢٠	البحترى	... الركاب الضلَّلِ
٢٣١	البحترى	... فوقَ جبينه المنتهلل
١٧١	امرؤ القيس	... لو يُسرونَ مَقْتَلِ
١٧٨	امرؤ القيس	... وحشٍ وجرة مَطْفَلِ
١٦٦	امرؤ القيس	... يا امرأ القيس فانزل
٢٤٠	البحترى	... غَضَّةٌ لم تُذبلِ

	... كالقناع المسبيل	ذنبٌ كما سُحِبَ الرداءُ
٢٣١	البحترى	
	... غير مُعجَّل	سار إذا ادلج العفأةُ
٢٣٤	البحترى	
	... ليس بأعزل	ضَلِيعٌ إذا استدْبَرْتَهُ
٥ ٢٣١	امرؤ القيس	
	... النجوم بأحبل	عال على نظر الحسود
٢٣٤	البحترى	
	... لجأح العذَل	عُذَل المشوقُ
٢٢٣	البحترى	
	... من مَقْتَل	فإذا أصابَ فكل
٢٣٨	البحترى	
	... من ثيابك تنسل	فإن كنت قد ساءتكَ
١٦٩	امرؤ القيس	
	... جَنُوبٍ وشَمَّال	فتوضَّحَ فالمرأة
١٥٩	امرؤ القيس	
	... لبسة المتفضل	فَجَنَّتْ وقد نَضَّتْ
١٧٦	امرؤ القيس	
	... إذا لم أنزل	فدَعُوا نَزَال
١٠٣	ربيعة بن مقروم الضبي	
	... كالفاضل المتفضل	فَضْلٌ وإِفْضَالٌ
٢٣٤	البحترى	
	... الدمقس المقتل	فظل العذارى
١٦٤	امرؤ القيس	
	... بَلِّ دَمْعِي محملي	ففاضتْ دموعُ العين
١٦٣	امرؤ القيس	
	... عنك انغواية تنجلي	فقلت : يمين الله
١٧٦	امرؤ القيس	
	... مِن جَنَّاك المعلن	فقلتُ لها : سيري
١٦٦	امرؤ القيس	

رقم الصفحة			
	... وناءً بكلكل	فقلتُ له لما تمطى	
١٨١	امرؤ القيس	... مرطٌ مُرجَلٌ	فقمْتُ بها أمشي
١٧٦	امرؤ القيس	... ذى حَقافٍ عَقَنقَلٌ	فلما أجزنا
١٧٦	امرؤ القيس	... ذى تَمائمٍ مُحَوَّلٌ	فذاكِ حَبلي
١٦٦	امرؤ القيس	... أيبكِ بِمَنصُلٍ	قد جُدتَ بِالطَرَفِ
٢٣٥	البحرئى	... اللُخولُ فَحَوَّوْ مَلٌ	ففا نَبكِ منْ ذَكَرِي
١٥٩	امرؤ القيس	... غَيْرَ مُهَيَّلٍ	كَالْبَدْرِ غَيْرَ مُخَيَّلٍ
٢٢٢	البحرئى	... أم الرِبابِ بِمَأْسَلٍ	كَدَأْبِكِ منْ أمِ الحَوِيرِثِ
١٦٢	امرؤ القيس	... كَصُورَةٍ فِي هَيَّكَلٍ	كَاهِنِكِلِ المَبْنى
٢٢٧	البحرئى	... إِنْ لَمْ يَفْضُلْ	لَا تَكْلِفْنِ لِي الدَموعَ
٢٢٥	البحرئى	... إِلا منْ عَمَلٍ	لِمحمدِ بنِ عَلى الشَّرَفِ
٢٣٢	البحرئى	... وَتَقْرِيبُ تَنْفُئِلٍ	لَهُ أَيُّ طَلاظِبِي
١٨٢، ٧٣	امرؤ القيس	... حَمَدَ وَيَه الأَحولُ	مَا إِنْ يَبَاعَفُ قَدَّيْ
٢٢٩، ١٠٥	البحرئى	... وَلَا الجَمالِ بِمُجَمَلٍ	مَا الحَسَنُ عِنْدَكَ يَا سَعادِ
٢٢٣		... وَقَفَةٌ فِي مَنزَلٍ	مَاذا عَلَيكَ
٢٢٤	البحرئى		

رقم الصفحة

		... وإن لم يُصقل	ماض وإن لم تُحمضه
٢٣٦	البحترى	... عليه مُوصل	مُتوجسٌ برقيقتين
٢٢٩	البحترى	... فى يَدُبُل	مُتوقِّدٌ يبرى
٢٣٧	البحترى	... لم يعدل	مُصنغٌ إلى حُكم الردى
٢٣٧	البحترى	... وأزُدُّ الموصِل	مُضرُّ الجزيرة كلها
٢٣٥	البحترى	... حطه السيلُ من عَلى	مكر مفر
١٨٢	امرؤ القيس	... لم تبدُل	من عادةٍ دُنعتُ
٢٢٢	البحترى	... مَصْقولةٌ كالسجنجل	مُهفهفةٌ بيضاءُ
١٧٨	امرؤ القيس	... الخطوب فتنجلى	نفسى فداؤك يا محمدُ
٢٣٥	البحترى	... رِيّاً المخلخل	هَصرتُ بغصنى دَوْحة
١٧٨	امرؤ القيس	... على أغرٍ مُحجل	وأغر فى الزمن البهيم
٢٢٧	البحترى	... من مُعول	وإن شفانى عبرةٌ
١٦٢	امرؤ القيس	... على مُعمٍ مُخول	واقى الضلوع
٢٢٨	البحترى	... لمن لم يُعدَل	والجودُ يبعُدُه عليه
٢٣٢	البحترى	... غير مُعجل	وبيضة خدر
١٧١	امرؤ القيس		

رقم الصفحة

١٧٨	امرؤ القيس	... ولا بمُعطل	وجيد كجيد الريم
٢٣٢	البحترى	... غير مُبختَل	وسحابة لولا تتابعُ
١٨١، ٦٩	امرؤ القيس	... الأوبد هَيْكَل	وقد أعتدى والطيرُ
١٦٢، ٥٤	امرؤ القيس	... أسى وتحمَل	وُقوفاً بها صحبى
٢٤٠	البحترى	... بالسماك الأعزل	وكانَ شاهرةً إذا
٢٣٨	البحترى	... فراه وأرجل	وكانما سودُ النمال
٢٢٥	البحترى	... فَصَدُّ الأكل	وكذاك طَرْفةٌ
٢٢٥	البحترى	... عند أكل الخنظل	ولقد سكنتُ إلى الصدود
١٨٠، ٧٤	امرؤ القيس	... الهموم لبيتلى	وليل كموج البحر
١٦٩، ٧٩	امرؤ القيس	... أعشار قلب مُقتل	وما ذرفتُ عينك
١٨٠	امرؤ القيس	... عن تفضل	ويضحى فتيبتُ المسك
١٦٧	امرؤ القيس	... حلفةً لم تُحلل	ويوماً على ظهر الثيب
١٦٦	امرؤ القيس	... إنك مُرجلى	ويومَ دخلتُ الخدرَ
١٦٤	امرؤ القيس	... من رَحَلها المتحمل	ويوم عَقَرْتُ للعذارى
٢٣٦	البحترى	... فى القضاء المقفل	يتناولُ الروحَ البعيد

	... ليس بمعقل	يفشى الوغى والترسُ
٢٣٧	البحترى	يهوى كما تهوى العقابُ
	... انتصاب الأجدال	
٢٢٩	البحترى	
	... * * *	
	... وآثارُ محول	ألمَ تنجزعَ على
٩٦	ابن المعتز	وشعر كبعر الكبش
	... في القريض دَحيل	
٢٠٦	أبو البيداء الرياحي	
	... * * *	
	... أتاك الخبيرُ مال	أبلغ شهاباً بلُ
٢١٣	امرؤ القيس	ساكنُ الريح
	... مُنحل العزالي	
٥٢	غير منسوب	سليمُ الشظا
	... على الفال	
٨٩	امرؤ القيس	سَموتُ إليها
	... على حال	
٧٤	امرؤ القيس	قريبُ المدى
	... حتى تكونَ معالي	
٦٠	البحترى	كأن قلوبَ الطير
	... والحشَفُ البالي	
٧٢	امرؤ القيس	وأجملُ إذا ما كنتَ
	... * * *	
	... وهو مُجَمَلُ	
١٠١	عبد الله بن معاوية	ولاحت يساريها الثريا
	... قُرطٌ مُسلسلُ	
١٧٤	الأشهب بن رُميلة	وما بلغتُ كف امرئ
	... حيثما نلتَ أطولُ	
٩٢	الخنساء	يود الفتى
	... طَوَل السلامة يفعلُ	
٩٣	النمر بن تَوَلب	

رقم الصفحة

	***	...	إذا سمعتُ فتىً يبكي
٢٨٩	هلال بن يزيد	فاعلم أنه طللُ	ودعْ هريرةَ إن
٢٨١	الأعشى	أيها الرجلُ	
	***	...	بعزمة مأمورٍ
٨٢	زهير	لحزمهمُ مثلُ	توهمتها في كأسها
٩١	أبو نواس	يدركه العقلُ	فأقسمتُ جهداً بالنازل
٢١٤	زهير	المقاديمُ والقملُ	وقد غدوتُ إلى الخانوت
٥٢١٤	الأعشى	شكشكشُ شَوولُ	وهل يُنبئُ الخطى
٢١٤	زهير	في منابتها النخلُ	
	***	...	إذا أنت لم تقصرْ
٨٩	زهير	أو أصابك جاهلُ	متى أنت عن ذهليته
١٠٨	أبو تمام	مدة الدهر آهلُ	
	***	...	أليس قليلاً نظرةً
١٠١	يزيد بن الطثرية	ليس منك قليلُ	وأحمر كالديباج
٩٨	الغنوي	أرضه فمحولُ	وإنا لقومٌ لا نرى
١٠٤	السموأل	عامرٌ وسلولُ	وما ضرنا أنا قليلُ
٨٣	السموأل	الأكثرين ذليلُ	

رقم الصفحة

- وَنُكْرُ إِنْ شَتْنَا ... حِينَ نَقُولُ
 ٩٨ غير منسوب
- * * *
- القَاتِلِ السَّيْفِ فِي ... لِلنَّاسِ آجَالُ
 ٢٣٩ المتنبي
- * * *
- صَحَابَةَ الْقَلْبِ عَنْ سَلَمَى ... الصَّبَا وَرَوَّاحِلَهُ
 ٧٤ زهير
- * * *
- وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَعَلُّ ... نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا
 ٩٣ ذو الرمة
- (م)
 صُبَّ الْفِرَاقُ عَلَيْنَا ... يَوْمَ الرَّوْعِ مُتَقِمَا
 ١٠٥ أبو تمام
- * * *
- وَقَرَأَ مُعَلَّنًا ... الْفُؤَادَ السَّقِيمَا
 ٥٢ أبو نواس
- * * *
- عَشَوْنَا نَارِي فَقَلْتُ ... عَمُوا ظِلَامًا
 ٤٠ شُمَيْرِ بْنِ الْحَارِثِ الضَّبِّيِّ
- وَتَسْرُومُ ... السَّمَاءِ مَرَامَا
 ١٧٤ ابن المعتز
- * * *
- فَلَا صَرْمُهُ يَبِيدُو ... لَنَا فَنُكَارِمُهُ
 ١٠٠ ابن ميادة
- * * *
- فَازَرَّ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا ... بَعْبَرَةٌ وَتَحَمَّحُمُ
 ٧٧ عنزة بن شداد

رقم الصفحة	...	ثم تُرضع فتتقطيم.	فنتج لكم علمان أشام
١٧٢ هـ	زهير	***	
	...	الحاضر المتخيم	فلما وردن الماء
٧٦	زهير	...	لقد كنت فيها يا فرزدق
١٠٣	جرير	تابع للقوادم	وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ
٧٩	زهير	كل لخدم	ومهما تكن عند امرئ
٨٩	زهير	على الناس تعلم	يا أخت بن سامة
١١٧	الفرزدق	إن طلبوا دى	صفة الطلول بلاغة
	...	لابنة الكرم	لو يعلم الركن من قد جاء
٢٨٠	أبو نواس	مسطى القدم	أزمان فوها فلما
٧٨	أبو تمام	***	...
	...	في الفدّام	إن كنت كاذبة الذى
٢١٢	امرؤ القيس	الحارث بن هشام	فليس الذى حللته
١٠٤	حسان بن ثابت	...	فما ذر قرن الشمس
٩٢	البحرئى	حرمته بجرام	وهم تركوك أسلح
	...	أحمد بن هشام	...
١٠٤	إسحق الموصلى	من نعام	...
٩١	أوس بن خلفاء

	***	... الفهم السقيم	وكم من عائب قولاً
٣٠٠	المتنبي		
	***	... وَصَفُ أَسْحَمُ	بيضاء تُسَحَّبُ من قيام
٥٩٤	بكر بن النطاح		
	***	... عليها مُظلمُ	فكأنها فيه نهارُ
٩٤	بكر بن النطاح		
	***	... على علاته هَرَمُ	إن البخيلَ مَلُومُ
١٠٤	زهير		
	***	... وانقرطاسُ والقلمُ	فإن الخيلُ واللَّيلُ
٢٧٧	المتنبي		
	***	... الأرواحُ والدِّيسمُ	قف بالديار التي
١٦١، ١٠١	زهير		
	***	... إذا ما استلحموا وحيماً	هم يَضْرَبون حَبِيكَ البيضِ
٨٦	زهير		
	***	... عبدُ شمسٍ وهاشمُ	بعيدةُ مَهْوَى القرطِ
٧١	عمر بن أبي ربيعة		
	***	... يا لَهْمَدانَ ظالمُ	وكنتُ إذا قومٌ غَزَوْنِي
١٥٠	عمرو بن برة الهمداني		
	***	... أيتها الخيامُ	متى كان الخيامُ
٩٩	جرير		
	***	... كاهلُ سَنامُ	ونبتهم يَسْتَنْصرونَ
٨١	زياد الأعجم		
	***	... الكناسِ رَمِيمُ	رَمَتني وسرُّ الله
٢٦٩	أبو حية النميري		

- رقم الصفحة
- قد أعسفُ النَّازِحَ المجهول ... يَدْعُو هَامَهُ البومُ
٤٠ ذو الرمة
- ***
- حتى إذا أَلْقَتْ يَدَا ... الثغور ظلامُها
٢٥٧ هـ لييد
- ***
- إذا أيقظتكَ حُرُوبُ ... عُمراً تُنم نَمُ
٩٧ بشار
- ***
- (ن)
- ليتَ حظيَ كَلْحِظَةِ العَيْنِ ... القليل المَهْتَنَّا
١٠١ ابن هرمة
- هلا سألتَ جُمُوعَ ... أينَ آينا ؟
١٠٦ عبيدُ بن الأبرص
- وإذا الدر زانَ حُسْنِ ... وجهك زِينَا
٩٩ مالك بن أسماء
- ***
- يَسْجُرُونَ من ظَلُمِ ... السوء إحساننا
٨٢ قُرَيْطُ بن أنَيْف
- يَسْمِشِينَ هَيْبَلِ النقا ... الثرى حيننا
٨٦ ابن مُقبل
- ألا دارها بالماء ... حتى تُهينَها
٨٧ أبو نواس
- ***
- لولم يمتَ بينَ أطرافِ الرماحِ ... من شدة الحزنِ
١٠٩ أبو تمام
- ***
- ألا زعمتَ بنو سعد ... كبيرُ السن فاني
٩٩ النابغة الجعدى

رقم الصفحة

	عانياً لفداني ...	عن لو أراه عانياً
٩٤	عروة بن حزام	مخشش مجشش
	الحلب العدوان ...	
٩٦	امرؤ القيس	وتردي على صم صلاب
	ليئات متان ...	
٨٢	امرؤ القيس	وسابح هطل التعداء
	غير خيوان ...	
١٠٥	أبو تمام	

	موسى الأمين ...	حاز صمصامة الزبيدي
	أبو الهول الحميري ، أو ابن يامين البصري أو أبو الغول	
٢٤٢	التميمي	خليل من كعب أعينا
	إن الكريم معين ...	
١٠٤	بشار	وكان المنون نيطت
	كل جانبيه منون ...	
٥٢٤٣	ابن يامين أو غيره	

	التي لا تهينها ...	أهين لهم نفسى
٨٢	أعرابي	

	له مقرنين ...	سبحان من سخّر هذا
٥٣	أبو نواس	
	لما توعدون ...	قد قلت لما حاولوا
٥١	غير منسوب	

	(هـ)	
	طريف يتعداه ...	الحاظه قديد عيون
٧٠	غير منسوب	

رقم الصفحة

* * *

(ى)

- أقولُ وقدْ شدُّوا لسانى ... أطلقوا عن لسانى
- ٨٠ عبد يغوث الحارثى
- بني عمنا لا تذكروا الشعرَ ... الغمير القوافيا
- ٧٩ الشمندر الحارثى أو سويد المرثدى
- فتى تمَّ فيه ما يسر ... ما يسوءُ الأعاديا .
- ١٠٧، ٨٨ النابغة الجعدى أو جندل بن جابر الفزارى
- فتى كملت أخلاقه ... من المال باقيا
- ١٠٧ النابغة الجعدى
- فسرى كما علانى ... مثل ضوء نهاريا
- ٨٣ غير منسوب
- وباسطُ خير فيكمُ ... عنكمُ بشماليا
- ٨٢ جرير
- لنا غمٌّ نسوقها ... جلتها عصى
- ٥٢ امرؤ القيس

* * *

٢ أنصاف الأبيات

(ب)

- شمو عباب الماء جاشت غواربه • أبو تمام
- ٧٥

* * *

(ت)

- ولا مثل يوم فى قناران ظلتُهُ • امرؤ القيس
- ٥٧٥

* * *

(د)

٢٣٣ البحرى * محمد بن عليّ الشرفُ الذي *

* * *

(ر)

١٣٠ جليح بن شُميد * أقبلنَ من مصرَ يَبَارين البرى *

٧٥ امرؤ القيس * كَأني وَأصحابي على قرن أعفراً *

* * *

* فالسيف يأمرُ والأقدارُ تنتظرُ *

٢٣٨ بعض بني ثعل أو مسلم بن الوليد

٢١٩ البحرى * في الشيب زَجْرٌ له لو كان يتزجرُ *

* * *

(ش)

٥٧١ امرؤ القيس * ويضحى فَنيتُ المسكُ فوق فراشها *

* * *

٧٠ غير منسوب * قَبِيدَ الحسنُ عليه الحدّقا *

٩٨ امرؤ القيس * عودٌ على عودِ على عودِ خَلَّتْ *

* * *

(ل)

٥٧٤ ابن الدمينه * أظل نهارى فيكمُ مُتعللاً *

٥٨٦ جليح بن شُميد * يَشكون قَرَحًا بالدفوف والكلى *

* * *

٧١ امرؤ القيس * وليل كوج البحر أرخى سُدوله *

٢٣٤ راجز * قد أركبُ الآلةَ بعدَ الآله *

رقم الصفحة

- ***
- ٢١٩ البحرى * أهلاً بذككم الخيال المقبل *
 ٧١ امرؤ القيس * على بأنواعِ الهموم لبيتلى *
 ١٦١ امرؤ القيس * فهل عند رسم دارس من معول *
 ٢٥٣ امرؤ القيس * فويق الأرض ليس بأعزل *
 ٦٣ ، ٤٦ امرؤ القيس * قفا نبيك من ذكرى حبيب ومَنْزل *
 ٧١ امرؤ القيس * نَوْمُ الضحى لم تستطق عن تفضل *

- ٢٣٤ امرؤ القيس * سُمُو حَبَابِ الماءِ حالاً على حالِ *

- ٢١٤ الأعشى * شاوٍ مِشَلٍ شَلُولٍ شُلْشُلٍ شَوْلٍ *

- ٧٤ امرؤ القيس * سَمَوَتْ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا *

- (م)
- ١٦٣ امرؤ القيس * إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمَسْكُ مِنْهُمَا *
 ٧٥ أبو تمام * سَمَا لِلْعَلَا مِنْ جَانِبَيْهَا كَلَيْمَاهَا *

- ٢٣٠ بشار * وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بَدَمٌ *

- (ن)
- ١١٠ أبو تمام * خَشِنَتْ عَلَيْهِ أَحْتَى بِنَى خُشِينِ *
 ١١٠ أبو تمام * وَأَنْجَحَ فَيْكَ قَوْلُ الْعَاذِلِينَ *

- ٨٥ تميم بن أبي بن مقبل * أَلَا يَا دِيَارَ الْحَى بِالسَّبْعَانَ *
 ٨٥ تميم بن أبي بن مقبل * أَمَلَّ عَلَيْهَا بِالْبَلَى الْمَلْوَانَ *
 |

•••

(و)

• له علاماتٌ على حدِّ الصوى • جليح بن شميذ • ٥٨٦

•••

(ى)

• عُميرةَ ودَغْ إنْ تَجهزتَ غاديا • سُحيمَ • ١١٤ هـ
• كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهياً • سُحيمَ • ١١٤

٤ - فهرس الأعلام

آدم عليه السلام : ٣٤ ، ١٣٢

إبراهيم عليه السلام : ٣٤ ، ١٠٠ ، ١٥٣ ، ١٩٥

إبراهيم بن المدبر : ٢١٧ هـ

أبوه = عروة بن الزبير

ابن الأثير : ٢٠٢ هـ

أحمد بن حنبل : ١٣٣ هـ

أحمد بن أبي دؤاد : ١٠٧ هـ

أحمد بن عبيد الله بن عمار : ١٠٩

أحمد بن عثمان أبو عبد الرحمن : ١٨٥

أحمد بن علي بن الحسن : ١٨٥ - ١٨٦

أحمد بن محمد بن الحسين القزويني : ١٨٥

أحمد محمد شاكر : ١٨٦ هـ ، ٢٤٦ هـ

أحمد بن هشام : ١٠٤

أحمد بن يحيى أبو العباس = ثعلب

الأخطل : ٧٦ ، ١٢١ ، ٢٤٦

الأخفش : ٨٥ ، ٢٦٩ هـ

أذربيجان : ١٨٣ هـ

أردشير : ٦٨

الأردن : ٣٣

إرمينية : ٣٣

الأزارقة : ٧٨ هـ

الأزد : ٢٣٥

الأزهرى : ٦٧ هـ ، ١٧٠ هـ

أسامة بن أبي عطاء : ١٨٦

إسحق بن إبراهيم الطاهري : ١٦٩ هـ

- إسحق بن إبراهيم المصعبى : ١٠٥ هـ
 إسحق بن إبراهيم الموصلى : ٩٩ ، ١٤٤ هـ
 أسلم (قبيلة) : ٨٤
 إسماعيل عليه السلام : ١٥٣
 الأسود بن يعفر الإيادى : ٧٠
 الأشاعرة : ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٨٣
 أشجع السلمى : ١١٥
 ابن الأشعث : ٢٩٣ هـ
 الأشعث بن قيس الكندى : ٩٠ هـ
 الأشهب بن رُميلة : ١٧٤
 أصحاب رسول الله : ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ٢٩٢
 إصطخر : ٣٣
 أصمّ باهلة : ٩٠ هـ
 الأصمعى : ٧٠ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٩٩ ، ١١٦ ، ١٦٠ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ٢١٢
- ابن الأعرابى : ٩٠ هـ ، ١١٤ هـ ، ١٣٥ هـ ، ٢٢٢ هـ
 الأعرابى : ٧٧ ، ١٠٢ ، ١٠٢ هـ ، ١٢١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ هـ ، ٢٨١
 أعشى تغلب : ٩١ هـ
 الأفوه الأودى : ٨١
 أبو أمامة : ١٨٦
- امرؤ القيس : ١٩ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٥٤ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٠ هـ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ٢١١ هـ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٩٥
- الأمين : ٢٤٢
 أنس بن أبى شيخ كاتب البرامكة : ٢٣٨ هـ
 أنس بن مالك الأنصارى : ٢٩٣ هـ
 أنوشروان : ٦٨
 الأنصار : ٨١
 أوس بن خلفاء : ٩١ هـ

إياد (قبيلة) : ١٥٣

الإياسي القاضي : ٢٤١ هـ

باب الأبواب : ٣٣

باقل : ٢٧٥

الباقلاني : ٤٩٠ هـ ، ٥٥٢ هـ ، ٥٥٧ هـ ، ٥٦٨ هـ ، ٥٨٦ هـ ، ٥١٥٨ هـ ، ١٩٢ هـ

باهلة بن أعصر : ٩٠

البحترى : ٣٨ ، ٦٠ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١١٦ هـ

١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ هـ ، ٢٢٠ هـ

٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ هـ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٧٨ هـ

٢٨٤ ، ٣٠٠

البحرين : ٣٣

البخارى : ١٨٦ هـ

أبو البخترى الطائى : ١٨٥

بدر : ٢٩٢ هـ

البراء بن عازب : ٢٩٣

براقة : ١٥٠ هـ

براكويه الزنجاني : ٢٨١

البرامكة : ٢٣٨ هـ

البراهمة : ٥

أبو بردة : ٢٩٣ هـ

ابن برى : ١٦٩ ، ٥٧١ هـ ، ٢١٤ هـ

بزر جمهر : ٣٢

بشار بن برد : ٧٢ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٤ هـ ، ١١٦ هـ

بشر بن عبد الوهاب : ١٨٥ ، ١٨٦ هـ

بشر بن نمير القشيري : ١٨٦ هـ

البصرة : ٦٧ ، ١٤٦ ، ١٦٤ هـ

البيعت : ١٢١

بغداد : ١١٦ هـ ، ١٠٥ هـ

أبو بكر (ابن الأنباري) : ٢١٤

أبو بكر الصديق : ٣٣ ، ٤٨ ، ٦٧ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٥٧ ، ٢٨١

أبو بكر بن مقسم : ٢٥٦

بكر بن النطاح : ٥٩٢ هـ ، ٩٤ هـ

البكري : ٥٧٣ هـ ، ٨٥ هـ

بلخ : ٣٣

بلعنبر : ٨٩

بوزع (بشعر جرير) : ١٧٧

البيت الحرام : ١٥٣

أبو البيداء الرياحي : ١٠٢ ، ٢٠٦ هـ

(ت)

تأبط شرًا : ٣٩ ، ٧٧ ، ٨٨

تُجيب (قبيلة) : ٨٣

تدمر (بشعر أبي تمام) : ١٠٤

الترك : ١١٣

الترمذي (صاحب السنن) : ٢٤٦ هـ

تُستسر : ١٣٣

أبو تمام : ٧٠ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ٩١ هـ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٩ هـ ،

١١٠ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٨١ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ هـ ، ٢٢٦

٢٢٩ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٨٤

بنو تميم (بشعر جرير) : ٢٣٥

تميم بن أبي مُقبل : ٨٤ هـ

توضيح (بشعر امرئ القيس) : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٢١

التوزي : ٨٥

تم (قبيلة : في شعر) : ٧٩

(ث)

ثعلب : ٤٦ ، ١١٦ ، ١٦١ ، ١٧٠ ، ٢١٤ هـ ، ٢٢١ هـ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ هـ

إعجاز القرآن

ثعلبة بن صعير المازني : ٢٥٧ هـ
ثمود : ١٥٣

(ج)

الجاحظ : ٥ ، ٥٤ ، ٩٧ هـ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٧ هـ ، ١٤٩ ، ٢٠٦ هـ ،
٢٤٧ ، ٢٤٨

جبير بن مطعم : ٢٧

جدود (موضع) : ٨٤ هـ

جرير : ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢١ ،
١٢٣ ، ١٧٧ ، ٢٣٥ هـ ، ٢٤٦

جعفر بن محمد : ١٥١

جعفر بن يحيى البرمكي : ٢٣٤

جليح بن شميذ : ٨٦ هـ

الجن : ١٧ ، ٢٣ ، ٣٨ ، ٤١ ، ١٨٥ ، ٢٥٠ ، ٢٦٩ ، ٣٠٢

جندل بن جابر الفزاري : ٨٧

أبو جهل بن هشام : ٢٧ ، ١٠٤ هـ

الجوهري : ١٣٥ هـ ، ٢١٤ هـ ، ٢٥٧ هـ

أبو الجويرة عيسى بن أوس : ٩١ هـ

جيحون : ٣٣

(ح)

ابن أبي حاتم الرازي : ١٨٥ هـ

أبو حاتم السجستاني : ١٠٣ ، ١٥٣ هـ

حاتم الطائي : ٢٣٢

حاجز السروي : ٣٩ هـ

الحارث الأعور : ١٨٥

الحارث بن شريك الشيباني : ٨٤ هـ

الحارث بن هشام : ١٠٤

الحجاج بن يوسف : ٦٨ ، ٧١ ، ١٥٠ ، ٢٩٣ هـ

ابن حجر الحافظ : ١٥١ هـ ، ٢٤٦ هـ ، ٢٩١ هـ

الحديبية : ١٣٤

حرب بن أمية (في شعر) : ٢٦٩

حزم بن أبي راشد : ١٥٣ هـ

ابن حزم الظاهري : ٢٩١ هـ

حسان بن ثابت : ٩٢ هـ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ٣٠٤

أبو الحسن الأشعري : ٥٧ ، ٦٥ هـ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩

الحسن (البصري) : ٩٨

الحسن بن أبي بكر الباقلائي : ٣٠٥ هـ

أبو الحسين التميمي : ١٠٢ هـ

الحسن بن عبد الله (بن سهل) بن سعيد العسكري : ٥٧ ، ٨٧ هـ

٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٥١ ، ٢٨٧ ، ٢٩٩

الحسن بن علي بن أبي طالب : ٨٣

أبو الحسن علي بن محمد الأنباري : ١٠٥ هـ

حسن بن محمد بن علي الشريف : ٣٠٥ هـ

الحسين بن الضحاك : ١٥١

الخطيبة : ١٠٢ ، ١٠٨ هـ

حماد (الراوية) : ٧٠

حمار باهلة : ٢١١

حماد وبنه الأحول (بشعر البحري) : ١٠٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠

حميرى الحنظلي (بشعر امرئ القيس) : ٢١٢

آل حنظلة (بشعر امرئ القيس) : ٢١٢

حنظلة الغسيل : ١٥١

بنو حنيفة : ١٥٧

أبو حنيفة (الدينوري) : ٨١ هـ ، ٢٨٠ هـ

حومل (بشعر امرئ القيس) : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٢١

أم الحويرث (بشعر امرئ القيس) : ١٦٢

أبو حيان التوحيدى : ١٣٤ هـ ، ١٦٨ هـ

أبو حية التميمي : ٨٥ هـ ، ٢١٥ هـ ، ٢٦٩ هـ

(خ)

- خالد بن عبد الله القسري : ٢٩٣ هـ
 خالد بن محبث : ٨٩ هـ
 خالد بن الوليد : ٦٨
 الخبز رزمي (أبو القاسم نصر بن أحمد البصري) : ١٦٤
 خديجة بنت خويلد : ١٥٣
 الخطّ (جزيرة) : ٢١٤ هـ
 خلف الأحمر : ١١٥ ، ١١٩ ، ٢٠٦ هـ
 خليد : ٨٩ هـ
 الخليلع = الحسين بن الضحاك .
 الخليل بن أحمد : ٨٠ ، ٨٣ ، ٢٧٠ هـ
 الخنساء : ٩١ ، ٩٧
 الخوارج : ٦٨
 الخيف : ١٣٢

(د)

- دارم (في شعر) : ٩١ هـ
 الدارمي (صاحب السنن) : ٢٤٦ هـ
 ابنا دُحان = غنيّ وباهلة
 الدخول (بشعر امرئ القيس) : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٢١
 ابن دريد : ٥٧ ، ١٠٣
 دعبل بن علي الخزازي : ١١٦
 أبو دلف العجلي : ٧٥ هـ ، ٩٢ هـ
 ابن الدمينة : ٧٤ ، ٨٩ هـ
 أبو دُوَاد الأسدي : ٨١ ، ١٠٢ ، ٢٠٨
 دير الجماجم : ٢٩٣ هـ

(ذ)

- ذُوَابُ بن ربيعة الأشتر : ٢٠٨ هـ
 أبو ذُوَيْب الهذلي : ٨٩ هـ

الذَّهَبِي الحافظ : ١٨٦ هـ
 ذهل (قبيلة) : ١٠٧ هـ
 ذو الرمة : ٤٠ ، ٩٢ هـ ، ١٧٣
 ذو طلوح (بشعر جرير) : ٩٩

(ر)

رُؤْبَةُ بن العجاج : ٦٩
 الرَّاعِي النميري : ٥٨٥ ، ١١٠
 أم الرباب (بشعر امرئ القيس) : ١٦٢
 الرَّبَابُ (قبيلة : في شعر زيد الخيل) : ٩٠
 الرَّبِيعُ بن حَمَوْتَرَةَ : ٢٢٥ هـ
 رَبِيعَةُ الْأَشْتَرُ : ٢٠٨ هـ
 رَبِيعَةُ بن الحارث بن عبد المطلب : ١٣١
 رَبِيعَةُ الخابور (قبيلة : في شعر البحري) : ٢٣٥
 رَبِيعَةُ بن مَقْرُومِ الضَّبِّي : ١٠٣ هـ
 الرَّسْتَمَانُ (بشعر البحري) : ٢٢٨
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ٣ ، ٤ ، ٨ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ،
 ١٨ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٨ ، ٤٩ هـ ، ٥١ هـ ،
 ٥٨ هـ ، ٦٥ هـ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٩١ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
 ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،
 ١٤٧ ، ١٥٠ هـ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٨ هـ ، ١٨٨ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ هـ ، ٢٩١ هـ ،
 ٢٩٨ هـ ، ٢٩٢ هـ

آل رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ٣ ، ٢٧٨
 الرشيدي : ٢٤١ هـ

الرَّمَانِي (أبو الحسن علي بن عيسى) : ٢٦٢ ، ٢٧٥ هـ ، ٢٨١ - ٢٨٢ هـ
 رَمِيمُ (بشعر أبي حنيفة) : ٢٦٩
 الرَّوْحُ الْأَمِينُ (جبريل عليه السلام) : ٩ ، ١٥١ هـ ، ١٩٦ ، ٢٩٦
 الرَّوْمُ : ٤٨ هـ ، ٤٠ هـ
 ابن الرومي : ٩٦ ، ١٢١ ، ١٧٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٤٢

(ز)

زَرَادُشْت : ٣٢

زُهَيْرُ بنِ أَبِي سُلَيْمٍ : ٣٦ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٦ ،

٨٩ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،

١٢٣ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ٢١٤ ، ٢٤٦

زِيَادُ الْأَعْجَمُ : ٨١

أَبُو زِيَادِ اللَّغَوِيِّ : ١٦١ هـ

زَيْدُ بنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ : ١٣٢ ، ١٣٣ هـ

زَيْدُ الْخَيْلِ : ٩٠

(س)

سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حَنْدَيْفَةَ : ١٨٠ هـ

سَجَّاحُ بِنْتُ الْحَارِثِ بنِ عَقْبَانَ : ١٥٧

سَجِسْتَانُ : ٣٣

سَحْبَانَ وَائِلُ : ٢٨٧

سَحِيمٌ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ : ١١٤ ، ١١٤ هـ

السَّدِيُّ (إِسْمَاعِيلُ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) : ٢٩٣

السَّرِيُّ الرَّفَاءُ : ١٠٥

سَطِيحُ الْكَاهِنِ : ٢٨٧

سَعَادُ (بِشْعَرِ الْبَحْرِيِّ) : ٢٢٣

بَنُو سَعْدِ (بِشْعَرِ الْبَايِغَةِ الْجَعْدِيِّ) : ٩٩

سَعْدُ بنِ أَبِي وَقَاصٍ : ٣٣

أَبُو سَعِيدِ (بِشْعَرِ الْبَحْرِيِّ) : ٢٣٥

سَعِيدُ بنِ جَبْرِ : ٢٩٣

أَبُو سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ : ١٣٣ ، ٢٤٦ هـ

سَعِيدُ بنِ الْعَاصِ : ٢٤١ هـ

أَبُو سَفْيَانَ بنِ حَرْبٍ : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٦٩ هـ

سَقَطُ الْوَلِيِّ (بِشْعَرِ امْرِئِ الْقَيْسِ) : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٢١

السَّقِيفَةُ : ١٣٨

ابن السكيت : ٢٥٧ هـ

- سَلَمُ "الخاسر" : ٧٦ ، ٢٤٢ هـ
 سَلَمَةُ بن عاصم النحوي : ٢٥٦
 سَلُول (قبيلة : في شعر السموأل) : ١٠٤
 سَلِيمِي (بشعر جرير) : ٩٩
 سَلِيَان عليه السلام : ٨٣ ، ١٩١ ، ٣٠٣
 السموألُ بن عدى : ٨٣ ، ١٠٤
 أبو سنان : ١٢٠
 سهيل بن عمرو : ١٣٤
 سَوَّار بن حيَّان المنقري : ٨٤ هـ
 سُوَيْد بن صَمِيع المرثدي : ٧٩ هـ
 أخو سُوَيْد بن صَمِيع : ٧٩ هـ
 سُوَيْد بن أبي كاهل اليشكري : ٨١
 سُوَيْد بن كراع : ١٢٢
 ابن السَّيِّد البظليوسي : ٨٤ هـ ، ٩٨ هـ ، ١٠٣ هـ
 ابن سيده اللغوي : ١٣١ هـ ، ١٩٢ هـ
 سيف الدولة الحمداني : ٢٢٧ هـ ، ٢٣٠ هـ ، ٢٣٣ هـ
 سَيْفُ بن ذِي يَزَن الحميري : ٦٠
 السيوطي : ٢٦٤ هـ

(ش)

- الشام : ٣٣
 شُجَاع بن محمد الطائي : ٢٣٧ هـ
 شرحبيل عم امرئ القيس : ٢١٢ هـ
 الشريف الرضي : ٦٦ هـ ، ١٤٩ هـ
 شُعْبَةُ بن الحجاج : ١٨٦ هـ
 الشعبي : ١٥١
 شَقِيَّ الكاهن : ٢٨٧
 الشَّمَاع : ٨٦ هـ
 الشَّمِيدُ الحارثي : ٨٠ هـ
 شُمَيْرُ بن الحارث الضبي : ٤٠ هـ

شهابٌ (بشعر امرئ القيس) : ٢١٣
شَيْبَةُ بن ربيعة : ٢٧

(ص)

الصاحب (إسماعيل بن عباد) : ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٣٣ ، ٢٥٦ ، ٢٨١
صالح بن جناح اللخمي : ٩٥ هـ
صحراءُ الغمير (في شعر) : ٨٠
صخر بن الشريد (أخو الخنساء) : ٩١ هـ
أبو صخر الهذلي : ٩٣ هـ
الصنوبري : ١٢٩
الصول = محمد بن يحيى .

(ط)

أبو طالب : ٦٠ ، ١٥٣
الطبري : ٢٣٧ هـ
طرفة بن العبد : ٥٤ ، ٧٢ هـ ، ٧٣ ، ٩٠ ، ٢٢٥
الطرماح : ٢١٤
طُفَيْلُ الغنوي : ٩٨ هـ
آل طلحة (بشعر البحري) : ١٦٨
طلحة بن عبيد الله التيمي : ١٢٩
الطهوي : ١٦١ هـ
الطور : ٤٩ ، ٩٦

(ع)

عائشة : ٢٩٢
عاد : ١٥٣
أبو العاص : ٢٠٦ هـ
عاصم (بشعر امرئ القيس) : ٢١٣
عامر (قبيلة : بشعر السموأل) : ١٠٤
عباد بن سليمان : ٦٤ ، ٦٥ هـ

- العباس بن عبد المطلب : ١٣١
العباس بن محمد بن علي العباسي : ٨٩ هـ
العباس بن يزيد الكندي : ٢٣٥ هـ
عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر : ٨٣ هـ
عبد الحميد الكاتب : ١١٥
عبد الرحمن بن عوف : ١٣٨
عبد الرحمن بن يزيد النخعي : ٢٩١ هـ
عبد الصّمد [بن المعذل] : ٢١٨
عبد القادر البغدادي : ١٧٣ هـ ، ١٧٥
ابن عبد الله (بشعر السري الرفاء) : ١٠٥
أبو عبيد الله التميمي : ٣٠٥ هـ
عبد الله بن الحسين : ١١٥
عبد الله بن داود بن عبد الرحمن العمري : ١٥١
عبد الله بن سعيد : ٧٥
عبد الله بن سليم الأزدي : ٨٨ هـ
عبد الله بن عباس : ٦٧ ، ٨٤ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ٢٩٣
عبد الله بن عتبة بن مسعود : ٢٩٣ هـ
عبد الله بن عمر : ٢٩٣
عبد الله بن عياش المتوفى : ٩٧ هـ ، ١٥٠ هـ
عبد الله بن قيس = أبو موسى الأشعري
عبد الله بن مسعود : ١٤٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ هـ ، ٢٩٢
عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر : ١٥١
عبد الله بن المعتز : ٨٠ ، ٨٦ ، ٩٦ ، ٩٩ هـ ، ١٧٣ - ١٧٤ ، ١٧٦ ،
٢٧٥ ، ٢٧٨
عبد الله بن وهب الراسبي : ٦٨
عبد المطلب : ٦٠ هـ
عبد الملك بن عُخير : ١٥١ هـ
عبد يغوث بن وقاص الحارثي : ٧٩ هـ
عبيد بن الأبرص : ١٠٦ هـ ، ٢٢٦ هـ
عبيد بن أيوب : ٣٩

- أبو عبيد : ٦٧ هـ ، ١٣٥ هـ
 عبيد الله بن الضحاك : ١٥٢
 عبيد الله بن طاهر : ١١٦
 عبيد الله بن قزعة : ١٠٤
 عبيدة بن الأسود بن سعيد الهمداني : ١٨٥
 أبو عبيدة بن الجراح : ١٩٩
 أبو عبيدة : ٧٠ ، ٥٧٩ هـ ، ٥٩١ هـ ، ١٠٣ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٣
 ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٨٠ ، ٢١٢ هـ
 عتبة بن ربيعة : ٢٧
 عتبة بن أبي سفيان : ١٤٦
 عتبة بن هارون : ٦٩
 عتيبة بن الحارث بن شهاب : ٢٠٨
 عثمان بن إدريس السامي : ١٠٤
 عثمان بن عفان : ١٨ ، ١٤٢ ، ٢٩٢
 أبو عثمان المازني : ٧٥
 عثمان بن مظعون : ٢٧
 العجم : ١١٣ ، ٥٤٠ هـ
 عندس الحنظلي (بشعر امرئ القيس) : ٢١٢
 ابن عدي : ١٥١ هـ
 عدي بن الرقاع العاملي : ١٢٢
 العراق : ٢٩٣ هـ
 عروة بن حزام : ٩٤
 عروة بن الزبير : ١٥٢
 عريقة بن مسافع العبسي : ١٠٧ هـ
 عسل بن ذكوان : ٧٥
 عصبية (وقيلة) : ٨٣
 عطية العوفي : ٢٤٦ هـ
 عضد الدولة : ٣٠٥ هـ
 عقبة بن كعب بن زهير : ٢١٥ هـ
 عكاظ : ١٥١
 أبو العلاء المعري : ٢٢٥ هـ ، ٢٣٢

علقمة (الفحل) : ٧٣ ، ٩٢ هـ

علي بن إبراهيم : ١٥١

علي بن إبراهيم التنوخي : ٢٣٦ هـ

علي بن جبيلة : ٧٦

علي بن الجهم : ١١٥

علي بن الحسين بن إسماعيل : ١٥١

علي بن صالح الروذباري : ٢٣٧ هـ

علي بن صلاة : ٢٤٦

علي بن أبي طالب : ٦٨ ، ٦٩ هـ ، ٧٦ هـ ، ١٤٢ - ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦

١٨٦ ، ١٨٥ هـ ، ١٤٩ هـ

علي بن العباس : ١١٦

علي بن محمد الأنصاري الحنظلي : ١٥١

علي بن مرّ الأرمني : ٢١٢ هـ

علي المنجم : ٩٨

عمر بن الأيهم التغلبي : ٩١ هـ

عمر بن الخطاب : ١٨ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٤٨ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٩٧ ، ١١٣ ،

١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢

عمر بن ذرّ : ٩٧

عمر بن أبي ربيعة : ٥٧١ هـ

عمر (صاحب امرئ القيس) : ٣٩

عمر بن عبد العزيز : ١٤٩

عمر بن العلاء : ٩٧ هـ

أبو عمر (غلام ثعلب) : ٦٣

عمرو بن برة أمة الهمداني : ١٥٠

عمرو بن جندب (بشعر الطهوي) : ١٦١ هـ

أبو عمرو (ابن العلاء) : ٧٠ ، ٧٥ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٣٥ هـ ، ١٧٣ ،

٢٠٣ ، ٢١١

عمرو بن كلثوم : ٢٧٢

عمرو بن مرة : ١٨٥

عمرو بن معدى كرب : ٧٩ ، ٩٣ ، ٢٤١ هـ ، ٢٤٢

عمرو بن هند : ٢٢٥ هـ

عمورية : ٣٣

أبو العميثل : ٨٩ هـ

ابن العميد (أبو الفضل) : ١٢١ ، ٢١٩ ، ٢٣٣ ، ٢٤٨

عمير بن الأيهم : ٩١ هـ

عميرة (بشعر سحيم) : ١١٤ هـ

عميرة بن الأهم التغلبي : ٩١ هـ

أبو العنيس = محمد بن إسحق بن إبراهيم

عنيرة بن شداد العبسي : ٧٧

عنيرة (بشعر امرئ القيس) : ١٦٦

بنو عوف (بشعر امرئ القيس) : ٢١٢

عوف بن عطية بن الخرع الربابي : ١٠٦ هـ

عون بن محمد الكندي : ٧٥

عوير بن شحنة العوفي : ٢١٢

عيسى بن مريم عليهما السلام : ١٣٤ ، ٢٥٢ ، ٣٠٢

(غ)

الغار : ١٤٤

غفار (قبيلة) : ٨٣

غني (قبيلة) : في شعر زيد الخيل والفرزدق) : ٩٠ ، ٩١ هـ

أبو الغول التميمي : ٢٤٢ هـ

الغيلان : ٣٩

(ف)

فارس : ٣٣ ، ١٢٢٨

الفراء : ٢٥٦

الفترات : ٣٣

أبو فراس الحمداني : ٢٧٨

الفراعة : ٣٤

أبو الفرج الأصفهاني : ٧٤ هـ

الفرزدق : ٧٥ ، ٨٢ ، ٩١ هـ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ٢٤٦

الْفُرْسُ : ٣٢ ، ٤٨

فرعون موسى : ١٠٣ ، ١٩٣ ، ٢٤٤

فَزَارَةُ (قبيلة : في شعر عوف الرباعي) : ١٠٦

فُسطاطُ مصرَ : ٣٣

فلسطين : ٣٣

(ق)

أبو القاسم الزعفراني : ٢٩٩

القاسم (بن عبد الرحمن) : ١٨٦

القاسم بن مَهْرَوَيْه : ١٠٩ هـ

أبو القاسم نصر بن أحمد البصري : ١٦٤ هـ

ابن قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِي : ٥٩٠ ، ١٠٣ هـ ، ٢١١ هـ ، ٢٢٢ هـ ، ٢٥٧ هـ

قُدَامَةُ بن جعفر : ٧٠ ، ٧١ هـ ، ٧٨ ، ٨١ هـ ، ٨١ هـ

قُدَارَانُ (موضع : في شعر امرئ القيس) : ٧٥ هـ

قُرَيْشٌ : ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٨٦ هـ

قُرَيْظُ بن أنيف : ٨٢ هـ

ابن قُرَيْعَةَ القاضى : ١٠٢ هـ

قُسَّ بن ساعدة الإيادي : ١٥١ ، ١٥١ هـ ، ١٥٢ - ١٥٣ ، ٢٨٧ هـ

قُشَيْرٌ (قبيلة : بشعر زيد الخيل) : ٩٠ هـ

القصر (بشعر ابن المعتز) : ٨٦

القطامي : ٨٦

قَعْنَبُ بن مُحَرَّر : ٧٥

قيس بن الخطيم : ٨٣

قيس بن ذُرَيْح : ٧٤ هـ

قيس بن عاصم المقرئ : ٨٤

قيس بن الملوح : ٢١٥ هـ

قيصر : ٣٣

(ك)

- كُثَيِّرَ عَزَّةَ : ٩٩ ، ٢٢١ هـ
 كَرْمَانُ : ٣٣
 كَسْرَى : ٣٣ ، ١٣٣
 كَشَاجِمُ (محمودُ بن الحسين بن السندی) : ٢٢٣
 كَعْبُ (قبيلة : في شعر بشار) : ١٠٤
 كَعْبُ بن زُهَيْرٍ : ٣٠٤
 كَلَابُ (قبيلة : في شعر زيد الخيل) : ٩٠ هـ
 كَنْدَةَ (قبيلة : في شعر عبيد بن الأبرص) : ١٠٦
 كَهَانَ العَرَبِ : ٨٦ - ٨٥
 كَوْرُ الأَهْوَازِ : ١٢٣ هـ

(ل)

- لَيْدُ بن رَبِيعَةَ العَامِرِيِّ : ٢٢٦ هـ ، ٢٥٧ ، ٣٠٤
 أَبُو هَلْبٍ : ٥٤ هـ
 بَنُو لَيْثٍ : ١٣١
 لَيْلِي (بشعر امرئ القيس)

(م)

- مَسْأَلُ (موضع : بشعر امرئ القيس) : ٢١٣
 المَأْمُونُ : ١٠٥ هـ
 مَالِكُ (بشعر امرئ القيس) : ٢١٣
 مَالِكُ بنُ أَسْنَاءَ بنِ خَارِجَةَ : ٩٨ هـ
 مَانِي : ٣٢
 المَبْرَدُ : ٨٥ ، ١٠٢ هـ - ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ هـ ، ٢٦٩ هـ
 المتكلمون : ٧ ، ١٥٤ ، ١٨٠
 المتنبي : ٨٧ ، ١٢٣ ، ١٣٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،
 ٢٩٩ ، ٢٦٥

مجالد بن سعيد الهمداني الكوفي : ١٣٧ هـ ، ١٥١

- مجنون ليلي : ٧٤ هـ
المجوس : ٣٢
محمد بن أحمد الكاتب : ٢٢١ هـ
محمد بن إسحق بن إبراهيم بن أبي العنيس : ٢٤٦ هـ
محمد بن حجاج اللخمي : ١٥١
محمد بن حزم الباهلي : ٩٥ هـ
محمد بن حسان السمي البغدادي : ١٥١
محمد بن داود بن الجراح أبو عبد الله : ١٠٩ هـ ، ٢٤١
محمد بن راشد : ١٩٨ هـ
محمد بن زكريا : ١٥٢
محمد بن سلمة : ١٨٥
محمد بن عبد الله الصولي : ٩٨ هـ
محمد بن عبد الملك الزيات : ١١٥ هـ
محمد بن علي الأنباري : ١٠٤
محمد بن علي الأنصاري : ١٥١
محمد بن علي بن موسى القمي : ٢١٩ هـ
محمد بن عمر (ممدوح البحري) : ٦٠ هـ
محمد بن عمر أبو عبيد الله المرزباني : ٢٢١ هـ
محمد بن القاسم بن مسهرويه : ١٠٨ هـ
محمد بن وهيب الحميري : ٩٥ هـ
محمد بن يحيى الصولي : ٧٤ هـ ، ٧٥ ، ٨٣ هـ ، ٩٨ ، ١٠٢ هـ ،
١٠٤ ، ١١٥ ، ٢٧٨
محمود محمد شاكر : ١٨٠ هـ
محمود بن مروان بن أبي حفصة : ١٠٢ هـ
المدينة : ١٤٣
مسرّابة الفرس : ٦٨
مرید البصرة : ٢٥٠ هـ
المرزباني : ١٠٢ هـ
المرزوقي : ٧٧ هـ ، ٧٩ - ٧٩ هـ
مروان بن محمد الأموي : ٧٨
أبو مروان يحيى بن مروان : ١٠٢ هـ

- مَرُورُ الرَّوْذِ : ٣٣
 مَرُورُ الشَّاهِجَانِ : ٣٣
 مَرَّيْمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ عَلَيْهَا السَّلَامُ : ١٣٤
 الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى : ٢٠٩
 الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ : ٤٨ ، ٢٠٩
 أَبُو مُسْلِمِ الرَّسْتَمِيِّ : ٢١٩
 مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ : ١٠٩ هـ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ٢٣٨ هـ
 الْمَسِيبُ بْنُ شَرِيكَ : ١٨٥ - ١٨٦
 مُسَيْلِمَةُ الْكُذَّابُ : ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٨١
 مِصْرُ : ٨٦ هـ
 مُضَرُّ الْجَزِيرَةِ (بِشْعَرِ الْبَحْرِيِّ) : ٢٣٥
 الْمَطِيرَةُ (بِشْعَرِ ابْنِ الْمُعْتَزِ) : ٨٦
 مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : ١٣٩
 الْمُعَاوِيُّ بْنُ زَكْرِيَّا : ٢٤٢ هـ
 مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ : ٨٤ ، ١٤٧ ، ١٤٩ هـ
 الْمُعْتَزَلَةُ : ٦٤ هـ ، ٢٥٤
 الْمُغِيرَةُ بْنُ شَعْبَةَ : ٨٨
 الْمُفَضَّلُ الضَّبِّيُّ : ١١٦
 ابْنُ مُقْبِلٍ : ٨٦
 الْمُقْرَأَةُ (مَوْضِعٌ فِي شِعْرِ امْرِئِ الْقَيْسِ) : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٢١
 ابْنُ الْمُقَفَّعِ : ٣٢
 الْمُقَفَّعُ الْكَنْدِيُّ : ٩٤
 مَكَّةُ : ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٥٣ ، ٢٩٣ هـ
 مَكْرَانُ : ٣٣
 الْمَلَانِكَةُ : ١٠ ، ٢٢ ، ٤١ ، ١٠٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩
 الْمَمْزِقُ الْعَبْدِيُّ : ١٤٣ هـ
 مَنَى : ١٣٣ ، ٢١٤ ، ٢٢١
 الْمَنْصُورُ : ٩٧ ، ١١٦
 مَنْظُورُ بْنُ مَرْثَدِ الْأَسَدِيِّ : ١٧٢ هـ
 أَبُو الْمُنْهَالِ (بِقَبِيلَةِ الْأَكْبَرِ الْأَشْجَعِيِّ) : ٨٠ هـ
 الْمَهْدِيُّ : ٢٤١

ابن مَهْرَوَيْه : ٢١٧ هـ
 المهلبُ بن أبي صفرة : ٧٨
 الموصلُ : ٢٣٥

موكل : (في شعر البحري) : ٢٢٨
 موسى بن إبراهيم الرافعي : ٢٢٦ هـ

أبو موسى الأشعري : ١٤٠ ، ١٤٦
 موسى عليه السلام : ١٠ ، ١٥ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٦١ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،
 ١٩٥ - ٢٠٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٣٠٢ .
 ابن مَيَّادة : ١٠٠

(ن)

النابعةُ الجعدى : ٨٧ ، ٩١ ، ٩٩ ، ١٠٧
 النابعةُ الذبياني : ٣٦ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ١٠٦ ، ١١١ ،
 ١١٤ ، ١٢١ ، ١٨١ ، ٢٤٦

ذافعُ بن خليفة : ٩٥

النجاشي : ١٣٤

نزَّارُ (قبيلة : في شعر ابن المعتز) : ٢٩٣ .

نَبْصَرُ بن منصور بن بسام أبو العباس : ١٠٩ هـ

نَضِيبُ : ٧٧ ، ٩٣

النظامُ : ٦٤ ، ٦٥ هـ

النعمانُ بن المنذر : ١١٠ هـ ، ١٤٣ هـ ، ٢٢٥ هـ

النمرُ بن تَوَلْب : ٧٧ ، ٩٣ هـ

النوارُ : ١١٦

أبو نُوَّاس : ٥٢ ، ٨٦ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٣ ،

١٢٤ ، ١٦٦ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ هـ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠

نوحُ عليه السلام : ٣٤

النووي : ٢٩١ هـ

(ه)

الهادي : ٢٤١ هـ ، ٢٤٢

هارونُ عليه السلام : ٥٧ ، ٦١

هاشم (قبيلة : بشعر ابن المعتز) : ٢٧٨

بنو هاشم : ٨٤

أبو هاشم بن أبي عليّ الجبائيّ : ٢٩٦

هَبْنَقَةُ : ٢١١

ابن هُبيّرة : ٢٩٣ هـ

هَرَمُ بن سنان (بشعر زهير) : ١٠٤

ابن هَرَمَةَ : ١٠١ ، ١١١

هَرِيرَةُ (بشعر الأعشى) : ٢٨٠

هَذَيْلُ (قبيلة) : ١٣١

هشامُ بن عُبيد الله : ١٨٦

هشامُ (بن عروة) : ١٥٢

هشامُ الفوطيّ : ٦٤ ، ٦٥ هـ

أبو هَشَّان : ٢٤١ هـ

أبو هلال العسكِر = الحسن بن عبد الله

هلالُ بن يزيد : ٢٨٠

هَمْدَانُ (قبيلة : في شعر ابن بَرّاقة) : ١٥٠

الهندُ : ١٢٧ هـ

هند بنت النعمان : ٨٨

هند بنت حُجر : ٢١٢ هـ

أبو الهول الحميريّ (عامرُ بن عبد الرحمن) : ٢٤١ ، ٢٤٢ هـ

الهيثمُ بن عديّ : ١٣٧ هـ ، ١٥٠ هـ ، ١٧٥ هـ

(و)

الواحديّ : ٢٧٧ هـ

الوَلَيْدُ بن عبد الملك : ٢٩٣ هـ

(ي)

ابن يامين البصريّ : ٢٤١ ، ٢٤٢ هـ

يَحْيَى بن سعيد القمطانُ : ١٨٦ هـ

يَحْيَى بن العلاء : ١٨٦ هـ

- يحيى بن علي المنجم : ٩٨
 يزيد بن الطرية : ١٠١ هـ
 يزيد بن عمرو بن الصمق : ٩١
 يزيد بن الوليد الأموي : ٧٨
 بنو يشكر : ٨١ هـ
 أبو يوسف الصيدلاني : ١٠ ، ٨٣
 يوسف بن عبد العزيز اللخمي : ٣٠٥ هـ
 يوسف عليه السلام : ١٠ ، ٨٣
 يونس (بن حبيب) : ١١٦

٥ - فهرس الكتب الواردة بكتاب الإعجاز

(أ)

الإنجيل : ٣١ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٦٠ ، ٢٠١ ، ٢٦٠

(ب)

البيان والتبيين للجاحظ : ١٢٦

(ت)

التوراة : ٣١ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٦٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥

(ح)

الحماسة لأبي تمام الطائي : ١١٦

(د)

الدرة لابن المقفع : ٣٢

(ص)

الصحف : ٣١

(ك)

كتاب الأجناس : ٢٨٤

كتاب الأصول للباقلاني : ٤٦

كتاب بُزْرُجْمَهْرُ فِي الْحِكْمَةِ : ٣٢

كتاب خبر الواحد للجاحظ : ٢٤٧

كتاب الردّ على النصارى للجاحظ : ٢٤٧

كتابُ زَرَّادُشت : ٣٢
 كتابُ العين (للخليل بن أحمد) : ٢٨٤
 كتابُ ماني : ٣٢

(م)

معاني القرآن للباقلاني : ٢٠٨ ، ٢٤٦

(ن)

نظم القرآن للجاحظ : ٥ ، ٢٤٧

(و)

الوحشيات لأبي تمام الطائي : ١١٦
 اليتيمة لابن المقفع : ٣١ - ٣٢

٦ - فهرس المراجع

(١)

- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (حجازي ١٣٦٠ هـ)
أخبار أبي تمام للصولي (لجنة التأليف ١٣٥٦ هـ)
أخبار أبي نواس لابن منظور (الجزء الثاني . بغداد)
أدب الكاتب لابن قتيبة (الرحمانية ١٣٥٥ هـ)
أساس البلاغة للزمخشري (دار الكتب المصرية ١٣٤١ هـ)
أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (المنار)
الإصابة في أسماء الصحابة لابن حجر (السعادة ١٣٢٣ هـ)
الأصمعيات (ليسك ١٩٠٢ م)
الأضداد لابن الأنباري (الحسينية ١٣٢٥ هـ)
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (بولاق ١٢٨٥ هـ)
الاقتضاب لابن السيد البطليوسي (الآداب بيروت ١٩٠١ م)
أمالى القالي (دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ)
أمالى المرتضى (السعادة ١٣٢٥ هـ)
إمتاع الأسماع للمقريزي (لجنة التأليف ١٩٤١ م)
الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي (لجنة التأليف ١٩٤٢ م)

(ب)

- البداية والنهاية لابن كثير (السعادة ١٣٥١ هـ)
البديع لابن المعتز (مصطفى الحلبي ١٣٦٤ هـ)
البصائر والذخائر للتوحيدي (لجنة التأليف ١٣٧٣ هـ)
بغية الوعاة للسيوطي (السعادة ١٣٤٩ هـ)
البيان والتبيين للجاحظ (لجنة التأليف ١٣٦٩ هـ)

(ت)

- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (عيسى الحلبي ١٣٧٣ هـ)
تاريخ الإسلام للذهبي (القدسي ١٦٧ هـ)

- تاريخ الأمم والملوك للطبرى (الحسينية ١٣٢٣ هـ)
 تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (السعادة ١٣٤٩ هـ)
 التاريخ الكبير للبخارى (حيدر آباد)
 التشبيهات لابن أبى عون (لندن ١٩٥٢ م)
 تفسير ابن جرير الطبرى (بولاق ١٣٢٩ هـ)
 التمهيد للباقلانى (دار الفكر العربى ١٣٦٦ هـ)
 تهذيب التهذيب لابن حجر (حيدر آباد ١٣٢٥ هـ)

(ج)

- الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى (حيدر آباد)
 جمهرة أشعار العرب لأبى زيد (بولاق ١٣٠٨ هـ)
 جمهرة أنساب العرب لابن حزم (المعارف ١٩٤٨ م)
 جمهرة اللغة لابن دريد (حيدر آباد ١٣٥١ هـ)

(ح)

- حماسة البحترى (الكاثوليكية بيروت ١٩١٠ م)
 حماسة ابن الشجرى (حيدر آباد ١٣٤٥ هـ)
 الحيوان للجاحظ (مصطفى الحلبى ١٣٦٤ هـ)

(خ)

- خاص الخاص للثعالبي (الخانجى ١٩٠٨ م)
 خزانة الأدب لابن حجة الحموى (الخيرية)
 خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي (بولاق ١٢٩٩ هـ)
 الخصائص لابن حنى (دار الكتب المصرية)
 خلاصة تذهيب الكمال للخزرجى (الخيرية ١٣٢٢ هـ)

(د)

- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى (المنار ١٣٦٧ هـ)
 دلائل النبوة لأبى نعيم الأصبهاني (حيدر آباد . أولى)

- ديوان الأخطل (بيروت ١٨٩١ م)
ديوان الأعشى (فينا ١٩٢٧ م)
ديوان الأفوه الأودي (ضمن الطرائف الأدبية . لجنة التأليف ١٩٣٧ م)
ديوان امرئ القيس (الرحمانية ١٩٣٠ م)
ديوان البحترى (بيروت ١٩١١ م)
ديوان أبي تمام (بيروت)
ديوان جرير (الصاوى ١٣٥٣ هـ)
ديوان حسان بن ثابت (الرحمانية ١٣٤٧ هـ)
ديوان الحطيئة (التقدم ١٣٢٥ هـ)
ديوان الحنساء (الكاثوليكية ببيروت ١٨٩٦ م)
ديوان ابن الدمينية (القاهرة ١٣٣٧ هـ)
ديوان أبي ذؤيب الهذلى (ضمن شعر الهذليين . دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ)
ديوان ذى الرمة (كمبردج ١٩١٩ م)
ديوان ابن الرومى (القاهرة ١٩١٧ م)
ديوان زهير بشرح الأعلام الشنتمرى
ديوان زهير بشرح ثعلب (دار الكتب المصرية ١٣٦٣ هـ)
ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس (دار الكتب المصرية ١٩٤٩ م)
ديوان السرى الرفاء (القدسى)
ديوان الشماخ (السعادة ١٣٢٧ هـ)
ديوان طرفة بن العبد (فازان ١٩٠٩ م)
ديوان عبيد بن الأبرص (ليدن ١٩١٣ م)
ديوان علقمة الفحل (الحمودية ١٣٤٣ هـ)
ديوان عمر بن أبى ربيعة (التجارية)
ديوان الفرزدق (الصاوى ١٣٥٤ هـ)
ديوان كثير عزة (الجزائر ١٩٢٨ م)
ديوان كشاجم (بيروت)
ديوان المتنبى بشرح البرقوقى (الرحمانية ١٣٤٨ هـ)
ديوان المعانى لأبى هلال العسكري (القدسى ١٣٥٢ هـ)
ديوان ابن المعتز (بيروت ١٣٣٢ هـ)
ديوان النابغة الذبياني (بيروت ١٣٤٧ هـ)
ديوان أبي نواس (واصف ١٢٩٣ هـ)

(د)

الذخائر والأعلاق (القاهرة)

ذيل أمالي القالى (دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ)

(ر)

الرياض النضرة فى مناقب العشرة للمحب الطبرى (الخانجى ١٣٥٧ هـ)

(ز)

زهر الآداب للحصرى (الرحمانية ١٩٢٥ م)

الزهرة لابن أبى داود

(س)

سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى (الرحمانية ١٣٥٠ م)

سنن الدارى (دمشق)

سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى (المصرية)

سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى (المؤيد ١٣٣١ هـ)

(ش)

شرح أدب الكاتب للجوالقى (القدسى ١٣٥٠ هـ)

شرح الحماسة للتبريزى (التجارية ١٣٥٧ هـ)

شرح الحماسة للمرزوقى (لجنة التأليف ١٣٧١ هـ)

شرح سنن الترمذى للمباركفوزى (الهند)

شرح شواهد الشافية للبغدادى (حجازى ١٣٥٩ هـ)

شرح شواهد المعنى للسيوطى (البهية ١٣٢٢ هـ)

شرح القصائد العشر للتبريزى (السلفية ١٣٤٣ هـ)

شرح المعلقات لازوزنى (الرافعى)

شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (الحلبى ١٣٢٩ هـ)

الشعر والشعراء لابن قتيبة (عيسى الحلبى ١٣٧٠ هـ)

(ص)

الصاحبي لابن فارس (السلفية ١٣٢٨ هـ)
الصناعتين لأبي هلال العسكري (الآستانة ١٣٢٠ هـ)

(ط)

طبقات الشافعية للسبكي (الحسينية)
طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (المعارف ١٩٤٢ م)
الطبقات الكبرى لابن سعد (ليدن ١٣٢٢ هـ)

(ع)

عبث الوليد للمعري (الترقى بدمشق ١٣٥٥ هـ)
العقد الفريد لابن عبد ربه (لجنة التأليف ١٣٥٩ هـ)
العمدة لابن رشيق (التجارية ١٣٤٣ هـ)
عيون الأثر لابن سيد الناس (القدسى ١٣٥٦ هـ)
عيون الأخبار لابن قتيبة (دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ)

(غ)

غرر الخصائص الواضحة للوطواط (الأدبية ١٣١٨ هـ)

(ف)

الفائق للزحشرى (عيسى الحلبي ١٣٦٦ هـ)
فتح الباري لابن حجر (بولاق)
فهرست ابن النديم (التجارية ١٣٤٨ هـ)

(ك)

الكامل للمبرد (مصطفى الحلبي ١٣٥٦ هـ)
الكتاب لسبويه (بولاق ١٣١٧ هـ)

(ل)

اللاآلى شرح الأمالى للبكرى (لجنة التأليف ١٣٥٤ هـ)
لسان العرب لابن منظور (بولاق ١٣٠٨ هـ)

(م)

المؤتلف والمختلف للآمدى (القدسى ١٣٥٤ هـ)
ما اتفق لفظه واختلف معناه فى القرآن الكرىم للمبرد (السلفية ١٣٥٠ هـ)
مبادئ اللغة للخطيب الإسكافى (الخانجى ١٣٢٥ هـ)
المجازات النبوية للشرفى الرضى (مصطفى الحلبى ١٣٥٦ هـ)
مجمع الأمثال للميدانى (القاهرة ١٣٥٢ هـ)
مجمع البيان للطبرىسى (صيدا ١٣٥٤ هـ)
مختارات ابن السجرى (الاعتماد ١٩٢٥ م)
مروج الذهب للمسعودى (السعادة ١٣٦٧ هـ)
مصارع العشاق للسراج (الجوائب ١٣٠١ هـ)
مفردات غرىب القرآن للراغب الأصفهانى (الميمنية ١٣٢٤ هـ)
المفضليات (المعارف ١٩٥٢ م)
المعارف لابن قتيبة (القاهرة ١٣٥٣ هـ)
المعانى الكبرى لابن قتيبة (حيدر آباد ١٣٦٨ هـ)
معاهد التنصيص للعباسى (السعادة ١٣٦٧ هـ)
معجم الأدباء لياقوت (رفاعى ١٣٥٧ هـ)
معجم البلدان لياقوت (الخانجى ١٣٢٣ هـ)
معجم الشعراء للمرزبانى (القدسى ١٣٥٤ هـ)
المعمرىن لأبى حاتم السجستانى (السعادة ١٣٢٣ هـ)
مقالات الإسلامىين لأبى الحسن الأشعرى (الأول . السعادة ١٣٢٣ هـ)
المنتظم لابن الجوزى (حيدر آباد ١٣٥٨ هـ)
الموازنة بين أبى تمام والبحترى للآمدى (حجازى ١٣٦٣ هـ)
الموشح للمرزبانى (السلفية ١٣٤٣ هـ)
ميزان الاعتدال للذهبى (السعادة ١٣٢٥ هـ)
المىسر والقداح لابن قتيبة (السلفية ١٣٤٣ هـ)

- نثار الأزهار لابن منظور (الجوائب)
- نزهة الألبا في طبقات الأدبا لابن الأنبارى (حجر ١٢٩٤ هـ)
- نظام الغريب للربيعى (أمين هندية)
- النقائض بين جرير والفرزدق (ليدن ١٩٠٥ م)
- نقد الشعر لقدامة بن جعفر (الجوائب ١٣٠٢ هـ)
- النكت في إعجاز القرآن للرماني (دهلي ١٩٣٤ م)
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للفخر الرازى (الآداب والمؤيد)
- نهج البلاغة جمع الشريف الرضى (الاستقامة)
- نوادر أبى زيد (بيروت ١٨٩٤ م)
- نوادر القالى (دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ)
- (٥)

يتيمة الدهر للثعالبي (حجازى)

٧ - فهرس الموضوعات

- مقدمة المؤلف : ٧ - ٣
- بيان شرف القرآن الكريم ، وأن البحث فيه والكشف عن معانيه
من أهم ما يجب على المسلمين . السبب في خوض الملحددين في
أصول الدين وتشكيكهم أهل الضعف ، في كل يقين - أقوال
الملاحدة في القرآن - موازنة بعض الجهال القرآن بالشعر وتفضيله
الشعر على القرآن . ٥ - ٣
- تقصير المؤلفين في معاني القرآن في بيان وجه إعجاز القرآن ،
وما نجم عنه . تقصير الجاحظ في كتاب « نظم القرآن » .
سبب تأليف الكتاب ، وبيان منهج المؤلف فيه . ٦ - ٥
- فصل : في أن القرآن معجزة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . ١٥ - ٨
- بيان أن القرآن معجزة عامة للإنس والجن ، في سائر العصور . ٩ - ٨
- تخطئة زعم : أن عجز أهل العصر الأول عن معارضة القرآن
كاف في الدلالة على النبوة ، وغير مستلزم عجز أهل الأعصر
التالية .
- بيان أن كثيراً من الآيات والسور - : كسورة المؤمن ، وسورة
فصلت : يدل على أن الله لما ابتعث النبي جعل القرآن
معجزته ، وبني أمر نبوته عليه ، كما جعله حجة لازمة عامة ،
وبين وجه إعجازه . ١٤ - ٩
- بيان مفارقة حكم القرآن حكم غيره من الكتب المنزلة السابقة . ١٥ - ١٤
- فصل : في تبين كيفية الدلالة على كون القرآن معجزاً . ٣٢ - ١٦
- نقل الباقلاني عن العلماء : أن الأصل في ذلك هو علم كون
القرآن المرسوم في المصاحف ، هو الذي جاء النبي به ، والذي
تلاه من في عصره . وبيان الطريق إلى معرفة ذلك ، والدليل على
عدم حدوث تحريف فيه ، أو كتمان شيء منه . ٢٠ - ١٦

- ١٧ - ١٨ إبطال زعم أنه لا يمكن علم وحدانية الله بالقرآن .
- ١٨ - ٢٠ اختلاف الدواعي إلى ضبط البشر القرآن ، وحفظهم إياه .
- ١٩ - ٢٤ إثبات أن النبي قد تحدى العرب بالقرآن ، وأنهم لم يأتوا بمثله ، وعجزوا عنه .
- ٢٤ - ٢٩ ذكر بعض الاعتراضات التي ترد على ذلك ؛ ودفعها .
- ٢٧ سبب إسلام جبير بن مطعم ، وعمر بن الخطاب .
- ٢٧ بعث وجوه قريش بعتبة بن ربيعة ، إلى النبي ، ليجادله ؛ وما حدث منه .
- ٢٧ - ٢٨ بيان أن الله جعل سماع القرآن حجة على بعض المشركين ؛ وأن ذلك لا يستلزم أن يسلم الجميع عند سماعه .
- ٢٨ مجيء أبي سفيان بن حرب إلى النبي - عام الفتح - ليسلم ؛ وما كان منه .
- ٢٩ - ٣١ القول بالصرقة ، والرد عليه .
- ٣١ - ٣٢ الاعتراض بإنزام كون الكتب السماوية الأخرى معجزة ؛ ودفعه .
- ٣٢ الرد على زعم المجوس أن بعض كتبهم معجزة ، وعلى زعم : أن ابن المقفع قد عارض القرآن .
- ٣٣ - ٤٧ فصل : في جملة وجوه إعجاز القرآن .
- ٣٣ - ٣٥ نقل الباقلاني عن الأشاعرة ، ثلاثة أوجه .
- ٣٣ - ٣٤ الوجه الأول : تضمن القرآن الإخبار عن الغيب . الاستدلال له
- ٣٤ - ٣٥ الوجه الثاني : إتيان القرآن بجمل ما حدث - : من عظيما الأمور ، ومهمات السير - من بدء الخليقة إلى حين بعثة النبي ، مع كونه صلى الله عليه وسلم أمياً ، لا يعرف شيئاً من كتب السابقين وأنبأهم . والاستدلال له .
- ٣٥ ✓ الوجه الثالث : بديع نظم القرآن ، وعجيب تأليفه ، وتناهيه في البلاغة .
- ٤٧ بيان الباقلاني الوجوه والمعاني التي يشتمل عليها نظم القرآن ، وتأليفه ، وبلاغته .
- ٣٥ المعنى الأول : ما يرجع إلى جملته .

- ٣٦ المعنى الثاني : كون كلام العرب غير مشتمل على فصاحة القرآن وغرابته ، ولطيف معانيه ، وغزير فوائده وما إلى ذلك .
- ٣٦ - ٣٨ المعنى الثالث : عدم التفاوت والتباين في عجيب نظم القرآن ، وبديع تأليفه .
- ٣٨ المعنى الرابع : كون كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً ظاهراً في الفصل والوصل ، والعلو والنزول ؛ وغير ذلك .
- ٣٨ - ٤١ المعنى الخامس : كون نظم القرآن - من حيث البلاغة - خارجاً عن عادة كلام الثقلين . ودفع ما قد يرد على ذلك .
- ٣٩ - ٤١ لامية تأبط شراً في مقابلة الغيلان ؛ وأبيات لامرئ القيس وغيره في مخاطبة الجان .
- ٤٢ المعنى السادس : اشتغال القرآن على جميع أنواع الخطاب عند العرب ؛ مع تجاوزه حدود المعتاد بينهم .
- ٤٢ المعنى السابع : تضمن القرآن ما يمتنع على البشر من المعاني في أصل وضع الأحكام والقواعد ، والاحتجاج في العقائد ، والرد على المعاند .
- ٤٢ - ٤٤ المعنى الثامن : كون الكلمة من القرآن يتمثل بها خاصة في تضاعيف كلام كثير .
- ٤٤ - ٤٦ المعنى التاسع : كون الحروف التي بنى عليها كلام العرب : تسعة وعشرين حرفاً ؛ مع أن عدد سور القرآن - المفتحة بذكر الحروف - : ثمان وعشرون سورة ؛ وجملة الحروف المذكورة في أوائل السور أربعة عشر حرفاً . وشرح ذلك .
- ٤٦ - ٤٧ المعنى العاشر : سهولة سبل القرآن ، وخروجه عن الوحشى المستكره ، والغريب المستنكر ؛ وبعده عن التصنع والتكلف ؛ وقربه إلى الفهم .
- ٤٧ عدم موافقة الباقلاني ، بعض الأشاعرة في جعله كون الأحكام الشرعية معللة بعقل موافقة لمقتضى العقل - : وجهاً من وجوه الإعجاز .

- ٤٧ بيان الباقلافي كون إعجاز القرآن ليس من جهة كونه حكاية لكلام الله النفسى القديم ، أو كونه عبارة عنه ، أو قديماً في نفسه .
- ٤٨ - ٥٠ فصل : في شرح وجوه إعجاز القرآن المتقدمة :
- ٤٨ - ٤٩ شرح الوجه الأول .
- ٤٩ - ٥٠ شرح الوجه الثاني
- ٥٠ شرح الوجه الثالث .
- ٥١ - ٥٦ فصل : في نفي الشعر من القرآن .
- ٥١ - ٥٣ بيان ادعاء أن في القرآن شعراً كثيراً .
- ٥٣ - ٥٦ الجواب عن هذا الادعاء .
- ٥٦ بيان أن ليس في القرآن كلام موزون كوزن الشعر ، وإن كان غير مقفى .
- ٥٧ - ٦٥ فصل : في نفي السجع من القرآن .
- ٥٧ - ١٠٠ بيان أقوى أدلة مثبتى السجع ، ونقضها .
- ٦٢ - ٦٤ اختلاف العلماء في الشعر كيف اتفق للعرب ؟
- ٦٤ - ٦٥ إلزام الباقلافي مجوزى السجع في القرآن بالقول بالصرقة ، وبوقوع الحبط في طريقة نظمه ، وبلاستهانة بعجيب تأليفه .
- ٦٦ - ١١٢ فصل : في ذكر البديع من الكلام .
- ٦٦ - ٦٩ تصدير الباقلافي ، الجواب عن كون إعجاز القرآن : هل يمكن معرفته من جهة أنواع البديع التى تضمنها - : بذكر ألفاظ من الكتاب والسنة وكلام البلغاء ، تضمنت بعض أنواع البديع .
- ٦٩ - ١٠٧ نقل الباقلافي جملة من طريق البديع الكثيرة ، التى اشتمل عليها الشعر ؛ مع بيان معانيها ، وذكر شواهد لها أيضاً من القرآن وكلام البلغاء .
- ٦٩ - ١١٢ الاستعارة البليغة أو الإرداف .
- ٧٢ - ٧٧ التشبيه الحسن ، وبعض أنواع الاستعارة .
- ٧٧ - ٧٨ الغلو والإفراط في الصنعة .
- ٧٨ - ٨٠ التمثيل أو المماثلة .
- ٨٠ - ٨٣ التضاد أو المطابقة .
- ٨٣ - ٨٧ التجنيس أو المجانسة .

. المقابلة .	٨٧ - ٨٨
. الموازنة .	٨٨ - ٨٩
. المساواة .	٨٩ - ٩٠
. الإشارة .	٩٠ - ٩١
. الغلو والمبالغة .	٩١ - ٩٢
. الإيغال .	٩٢
. التوشيح .	٩٢
. رد عجز الكلام على صدره .	٩٣ - ٩٤
. صحة التقسيم .	٩٤ - ٩٥
. صحة التفسير .	٩٥
. التكميل والتنميم .	٩٥ - ٩٦
. الترصيع وأنواعه .	١٤٤ - ١٤٦
. المضارعة .	٩٧
. التكافؤ .	٩٧
. التعطف .	٩٨
. السلب والإيجاب ، والكناية والتعريض .	٩٨
. العكس والتبديل .	٩٨ - ٩٩
. الالتفات .	٩٩ - ١٠١
. الاعتراض والرجوع .	١٠١ - ١٠٢
. التذليل .	١٠٢ - ١٠٣
. الاستطراد .	١٠٣ - ١٠٦
. التكرار .	١٠٦
. الاستثناء .	١٠٦ - ١٠٧
. رد الباقلاني على من زعم إمكان استفادة إعجاز القرآن ، من أنواع البديع المتقدمة .	١٠٧ - ١١٢
. بعض لامية أبي تمام : (متى أنت عن ذهلية الحى ذاهل) ؛ ونقده مع نقد أبيات أخرى له .	١٠٨ - ١٠٩
. بيان أن البحترى لا يرى في التجنيس ما يراه الطائي ، ويقل التصنيع له .	١١٠

- ١١١ - ١١٢ رجوع الكلام إلى أنه لا سبيل إلى إمكان استفادة الإعجاز ،
من أنواع البديع .
- ١١٣ - ١٥٤ فصل : في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن .
- ١١٣ - ١١٤ معرفة إعجاز القرآن لا تنهياً إلا للعربي المتناهي الفصاحة .
- ١١٣ - ١١٧ اختلاف أدل الصنعة في اختيار الكلام .
- ١١٥ بعض دالية البحترى في مدح ابن الزيات .
- ١١٥ شرح قول علي بن الجهم - عن شعر أشجع السلمى - :
إنه يخلى .
- ١١٦ الخلاف في التفصيل بين أبي نواس ومسلم بن الوليد ، ثم بين
المرزوق وجريز .
- ١١٧ بيان أن اختيار أبي تمام - في كتابيه : الحماسة ، والوحشيات -
أعدل اختيار .
- ١١٨ - ١١٩ بيان وجه تفضيل العربية على غيرها .
- ١١٨ - ١٢٠ بيان أن الكلام أحق بأن يكون شريفاً ؟
- ١٢٠ - ١٢٦ بيان أن المتقدم في صنعة الفصاحة ، لا تخفى عليه وجوه الكلام ،
ولا تشبه عليه طرقه ؛ بل يستطيع نقدها ، ومعرفة المتائل منها ،
والتمييز بين شعر الشعراء ، وبين رسائل البلغاء ؛ وإدراك الفرق
بين الكلام العلوى ، واللفظ السوقى ؛ وإدراك التابع من المتبوع .
وبيان أن معرفة البليغ انعلو شأن القرآن وعجيب نظمه أمر
يستحيل غيره ، ولا يشتمه على ذى بصيرة .
- ١٢٦ - ١٤٦ ذكر الأمثلة ، وعرض الأساليب ، وتصوير صور النثر والسلم :
التي تفسح أمام البليغ الطريق ، وتفتح له الباب لإدراك إعجاز
القرآن ، ومعرفة الفرق الواضح بينه وبين سائر الكلام .
- ١٢٦ - ١٢٧ ما حكاك الجاحظ - في حد البلاغة - عن بعض الأمم والجماعات .
- ١٢٧ ما ذكره أهل اللغة عن حد البراعة ، واختلافهم في معنى الفصاحة .
- ١٢٧ - ١٢٨ شروع الباقلاني في ذكر شيء من كلام النبي ، لإظهار الفرق
بين كلام الله . وتلام البشر .
- ١٢٩ خطبة النبي : « توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا . . . » .
- ١٢٩ خطبة النبي : « . . . إلكم معالم ، فاسهوا إلى معالمكم . . . » .

- خطبة النبي : « . . . نعوذ بالله من شرور أنفسنا . . . » . ١٣٠
- خطبة النبي في أيام التشريق : « . . . أتدرون في أي شهر أنتم ؟ . . . » . ١٣٠ - ١٣٢
- خطبة النبي يوم فتح مكة : « لا إله إلا الله وحده ، صابق وعده » . ١٣٢
- خطبة النبي بالحيف : « نصر الله عبداً سمع مقاتلي فوعاها » . ١٣٢ - ١٣٣
- خطبة النبي : « ألا إن الدنيا خضرة حلوة . . . » ١٣٣ - ١٣٤
- كتاب النبي : إلى كسرى ملك فارس . ١٣٤
- كتاب النبي : إلى النجاشي ملك الحبشة . ١٣٤
- نسخة عهد الصلح مع قريش عام الحاءية . ١٣٥ - ١٣٧
- بيان أن من كان له حظ في الصنعة ، وقسط من العربية ؛ لا يشتبه عليه الفرق بين القرآن وكلام النبي . ١٣٥ - ١٣٧
- شروع للباقلاني في ذكر جملة من كلام الصحابة والبلغاء ، زيادة في تبين الفرق بين القرآن وغيره . ١٣٧ - ١٣٧
- خطبة أبي بكر الصديق : « أما بعد : فإني وليت أمركم ، ولست بخيركم . . . » . ١٣٧
- عهد أبي بكر الصديق إلى عمر بن الخطاب . ١٣٧ - ١٣٨
- كلام أبي بكر الصديق - في علته التي مات فيها - مع عبد الرحمن بن عوف . ١٣٧ - ١٣٩
- كتاب أبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، إلى عمر بن الخطاب ، في نصيحته . ١٣٩
- رد عمر عليهما . ١٣٩ - ١٤٠
- عهد عمر إلى أبي موسى الأشعري ، في شأن القضاء . ١٤٠ - ١٤٢
- خطبة عثمان بن عفان : « إن لكل شيء آفة . . . » . ١٤٢
- كتاب عثمان بن عفان - وهو محصور - إلى علي بن أبي طالب . ١٤٣
- رثاء علي أبا بكر . وقد تضمن بعض الأحاديث الشريفة التي تعلقت بوصفه . ١٤٣ - ١٤٥
- خطبة علي : « أما بعد : فإن الدنيا قد أدبرت . . . » . ١٤٥ - ١٤٦
- خطبة علي : « . . . اتقوا الله ؛ فما خلق امرؤ عبثاً . . . » . ١٤٦
- كتاب علي إلى عبد الله بن عباس ، وهو بالبصرة . ١٤٦
- كلام لابن عباس ، يبين فيه المانع من إرسال علي إياه يوم . ١٤٦

- ١٤٧ خطبة عبد الله بن مسعود : « أصدق الحديث كتاب الله ... » .
- ١٤٨ - ١٤٩ خطبة علي - المنسوبة إلى معاوية بن أبي سفيان - « . . . إنا قد أصبحنا في دهر عنود . . . » .
- ١٥٠ خطبة عمر بن عبد العزيز : « أيها الناس : إنكم ميتون . . . » .
- ١٥٠ خطبة الحجاج بن يوسف : « يا أهل العراق ، ويا أهل الشقاق والنفاق . . . » .
- ١٥١ - ١٥٢ الخطبة المنسوبة إلى قس بن ساعدة : « أيها الناس ، اجتمعوا . . . »
- ١٥٢ - ١٥٣ الخطبة الأخرى المنسوبة إليه أيضاً ، والتي صدرت بأبيات أولها : « يا ناعي الموت والأموات في حدث . . . » .
- ١٥٣ خطبة أبي طالب في شأن زواج النبي من خديجة .
- ١٥٣ - ١٥٤ بيان أن من تأمل الخطب المتقدمة ونحوها ، سيقع له الفصل بين كلام الآدميين ، وكلام رب العالمين .
- ١٥٥ - ٢٤٩ باب : في بيان ما إذا كان الشعر أفصح من الخطب ، وأبرع من الرسائل - : فيحتاج إلى الموازنة بين نظمه وبين القرآن - أو أن النثر يتأق فيه من الفصاحة والبلاغة ؛ مالا يتأق في الشعر ، ثم نقد بعض القصائد الكثيرة ، لبيان عظيم شأن القرآن .
- ١٥٥ ما حكى من أن المتنبي أنكر نظره في المصحف الشريف .
- ١٥٦ - ١٥٨ ذكر شيء من كلام مسيلمة الكذاب ؛ وبيان أنه أحقر من أن يهتم به ، وأسخف من أن يفكر فيه .
- ١٥٨ - ١٨٣ الكلام على جودة شعر امرئ القيس ؛ ثم نقد معلقته ؛ وبيان أن شعره لا يصح أن يوازن بين القرآن وبينه .
- ١٧٣ - ١٧٥ أبيات بديعة في وصف الثريا .
- ١٨٠ - ١٨١ التفاضل بين أبيات امرئ القيس ، وأبيات انبأغة الديقاني ؛ في وصف الليل .
- ١٨٣ - ٢١١ بيان الباقلاني أن نهج القرآن ونظمه ، وتأليفه ورففه ؛ تنبيه العقول في جهته ، وتضل دون وصفه ، واستشهاده لذلك بأبيات كثيرة ، في القصص والأخبار ، والعقائد والأحكام ؛ وما إلى ذلك . مع توضيح ما تضمنته توضيحاً جليلاً شافياً .
- ٢٠٨ بيان أن من القرآن ما لا يمكن إظهار البراعة فيه ، وإبانة الفصاحة

عليه ، وأن المعتبر في مثله تنزيل الخطاب ، وظهور الحكمة في الترتيب والمعنى .

٢٠٨ - ٢٠٩ بيان أن الآيات الأحكاميات -- التي لا بد فيها من أمر البلاغة - يعتبر فيها من الألفاظ ، ما يعتبر في غيرها .

٢٠٩ - ٢١٠ بيان أن من آيات القرآن ، ما زاد الإفهام بد على الإيضاح ، أو ساوى مواقع التفسير والشرح ؛ فكان النهاية في معناه .

٢١١ - ٢٢١ تصريح الباقلاني بأن الذى عارض القرآن بشعر امرئ القيس ، لأضل من حمار باهلة ، وأحمق من هبنقة . واستدل له لذلك .

٢١٥ - ٢١٨ بيان الباقلاني أن جنس الشعر عامة -- رديئه وجيده - لا يصح موازنته بالقرآن ؛ وأن تخلف شعر امرئ القيس عن ذلك ، يستلزم تخلف شعر غيره ؛ وأن الجيد - من الأشعار - إنما يعدل بمثله ، لا بالقرآن ، وأن الشعراء يغير بعضهم على بعض .

٢١٦ - ٢١٧ إغارة أبي نواس ، على معنى للضحاك ، في وصف شارب الخمر ؛ وأبيات جيدة لابن الرومي في ذلك .

٢١٩ - ٢٢٠ نقد الباقلاني لامية البحرى : (أهلا بذلكم الخيال المقبل . . .) التي تعتبر أجود شعره .

٢٤١ - ٢٤٣ قطعة أبي الهول الحميرى ، أو ابن يامين البصرى ، في وصف السيف .

٢٤٣ بيان أن شعر البحرى إنما يوازن بشعر شاعر من طبقتة ؛ وأن نظم القرآن عال عن أن يعلق الوهم به ؛ أو يسمو الفكر إليه .

٢٤٤ - ٢٤٥ ذكر بعض أقسام الوصف الصادق ، والتمثيل لها من القرآن الكريم .

٢٤٥ السبب في اقتصار الباقلاني ، على نقد قصيدة البحرى ، دون شعر غيره من المحدثين .

٢٤٥ - ٢٤٦ بيان نباقلاني أن الغرض من تصنيف كتابه هذا ، هو الكشف عن إعجاز القرآن ؛ دون الرد على مطاعن الملاحدة عليه .

٢٤٧ بيان الباقلاني أن ذكر الأشعر والأبلغ من الشعراء ، خارج عن غرض الكتاب .

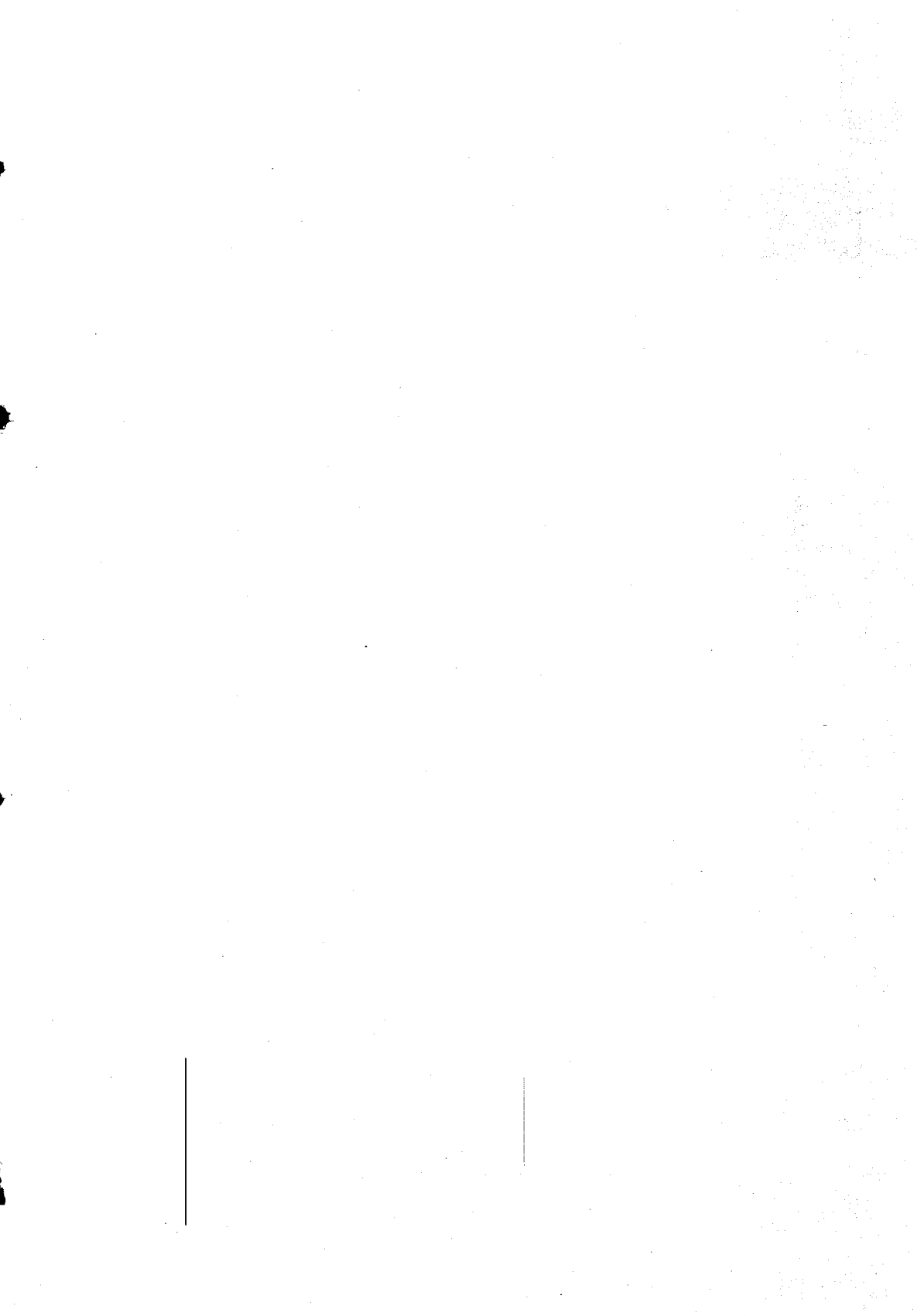
- ٢٤٧-٢٤٨ رد الباقلائي غلى من يزعم أن سلامة بعض الكلام من العوارض والعيوب ، وبلوغه الأمد في الفصاحة والنظم العجيب - يقتضى إعجازه .
- ٢٤٧-٢٤٨ انتقاد الباقلائي أسلوب الجاحظ وطريقته ؛ وبيانه أن بعض متأخري الكتاب - كابن العميد - قد نازعه فيها ، وساواه أو تقدم عليه .
- ٢٤٨-٢٤٩ بيان أن ليس في مقدور البشر معارضة القرآن بحال .
- ٢٥٠ فصل : في الرد على من زعم أن عجز أهل عصر النبوة ، عن معارضة القرآن والإتيان بمثله - لا يستلزم عجز أهل الأعصر التالية .
- ٢٥١-٢٥٣ فصل : في التحدى ، وبيان أنه قد يكون ضرورياً في معرفة كون القرآن معجزاً ؛ وقد يكون استدلالياً .
- ٢٥٤-٢٥٨ فصل : في قدر المعجز من القرآن ؛ وبيان الخلاف - بين الأشاعرة والمعتزلة - في ذلك .
- ٢٥٤-٢٥٦ اختيار الباقلائي مذهب الأشعري ، واستدلاله له ، ودفعه ما يرد عليه .
- ٢٥٥-٢٥٦ بيان الباقلائي أن زعم الملاحدة أنه لا يقع العجز عن الإتيان بسورة قصيرة أو آيات بقدرها ، يخالفه الواقع ؛ ولا يستقيم مع زعمهم أن ليس في القرآن كله إعجاز .
- ٢٥٦ بيان أن الإعجاز يتفاوت ظهوراً وغدوضاً ، بسبب اختلاف حال الكلام .
- ٢٥٦-٢٥٧ نقل الفراء عن العرب : مبي يسمى الشعر يتيمساً ، أو ننفة ، أو قطعة ، أو قصيداً ؟
- ٢٥٧ بيان أن اشمال الكلام على البيت النادر ، أو المثل السائر ، أو المعنى الغريب - سببه الغزارة في أصل الصنعة .
- ٢٥٩ فصل : في أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة ؟ أو استدلالاً ؟ وأنه استدلالى في حق الأعجس ، ضرورى في حق المحيظ بمذاهب العربية ، وغرائب الصنعة .
- ٢٦١ فصل : فيما يتعلق به الإعجاز : أهو الحروف المنظومة ؟

أو الكلام القديم القائم بالذات ؟ أو غير ذلك ؟ - وبيان الخلاف فيه .

فصل : في وصف وجوه من البلاغة ؛ مع التمثيل لها	٢٦٢ - ٢٨٧
نقل الباقلاني عن بعض أهل الكلام والأدب - وهو أبو الحسن الرماني . - : أن البلاغة على عشرة أقسام . وبيانه لها .	٢٦٢ - ٢٨٣
الكلام عن الإيجاز وأقسامه .	٢٦٢ - ٢٦٣
» » الإطناب ؛ والفرق بينه وبين التطويل .	٢٦٣
» » التشبيه .	٢٦٣ - ٢٦٦
» » الاستعارة .	٢٦٦ - ٢٦٩
» » التلاؤم وأضرابه ؛ والفرق بينه وبين التنافر .	٢٦٩ - ٢٧٠
» » الفواصل ؛ والفرق بينها وبين الأسجاع .	٢٧٠ - ٢٧١
» » التجانس ووجوهه .	٢٧١
» » المناسبة .	٢٧٢
» » التصريف .	٢٧٢
» » التضمين ووجوهه .	٢٧٢ - ٢٧٣
» » المبانعة ووجوهها .	٢٧٣ - ٢٧٤
» » حسن البيان ؛ وذكر أقسام البيان ومراتبه ، والفرق بينه وبين العي .	٢٧٤ - ٢٨٣
بيان فساد زعم أن إعجاز القرآن يؤخذ من جميع وجوه البلاغة المتقدمة . وبيان أن الذي لا يستوفى بالتعلم والتعمل منها ، هو الذي يؤخذ ذلك منه .	٢٧٥ - ٢٨٦
بيان أن الإعجاز يتعلق بالبيان ؛ وأن القرآن أعلى منازل .	٢٧٦ - ٢٨٣
شعر جيد لابن المعتز في الفخر .	٢٧٨
قطعة من رائية لأبي فراس في الفخر ؛ أولها : (ولا أصبح الحى الخلوف بغارة . . .) .	٢٧٩
أبيات لأبي نواس في وصف الطلول : (دع الأطلال تسفيها الجنوب . . .) .	٢٨٠
معارضة هلال بن يزيد ، بيت الأعشى : (ودع هريرة إن الركب مرتحل . . .) .	٢٨١
الاستدلال على أن بيان القرآن أشرف بيان وأعلاه .	٢٨٢ - ٢٨٣

- ٢٨٣ - ٢٨٤ بيان أن المبالغة لا يتعلق بها الإعجاز : دون التضمين ،
والفواصل ، والتلاؤم ، والتصرف في الاستعارة البديعة ، والإيجاز ،
والبسط .
- ٢٨٤ - ٢٨٥ بيان أن كل ما لا يضبط حده ، ولا يقدر قدره - كالاستعارة
والبيان - يتعلق الإعجاز به ، وأن كل ما يمكن تعلمه ، ويستدرك
أخذه - كالسجع والتجنيس والتطبيق - لا يجب أن يطلب وقوع
الإعجاز به .
- ٢٨٤ - ٢٨٥ الرد على من زعم أن البيان قد يتعلم .
- بيان متى يمكن أن يدعى في كلام البشر الإعجاز ؟ وبيان
أنه يمكنهم استدراك كلمة شريفة ، دون نظم نحو السورة ؛ وأن
البلاغة لا تتبين بأقل من مقدار السورة أو أطول آية .
- ٢٨٦ - ٢٨٧ بيان أنه لا يوجد شاعر أو ناثر جميع كلامه اعجيب شارد ،
مخالف للمألوف الطبع ، وغير معروف سببه في التفصيل . وإن
اتفق وقوع شيء من ذلك في كلامه .
- ٢٨٨ - ٢٩٠ فصل : في بيان حقيقة المعجز ؛ وانفراد الله تعالى بالقدرة
على المعجز الدال على صدق النبي ؛ وأنه خارج عن عادة
البشر .
- ٢٨٩ - ٢٩٠ نقل الباقلائي عن الأشاعرة أن الله تعالى يقدر على نظم هيئة
أخرى تزيد على القرآن في الفصاحة . ونقله عن مخالفيهم أن
بعض نظم القرآن يجوز أن يكون قد بلغ الرتبة التي لا مزيد عليها
ورده على ذلك .
- ٢٩١ - ٢٩٧ فصل : في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمور تتصل
بالإعجاز .
- ٢٩١ - ٢٩٤ بيان أن القرآن ليس من نظم النبي ؛ وإن كان قادراً في الفصاحة ،
على مقدار لا يباغته سواه من البشر . ودفع ما اعترض به على ذلك ،
من أن ابن مسعود اشتبه عليه الفصل بين المعوذتين وغيرها من
القرآن ؛ كما اشتبه دعاء القنوت على أبي بن كعب . وبيان أن نحو
ذلك إنما هو تخليط الملاحظة .
- ٢٩٣ - ٢٩٤ الاختلاف في أول القرآن نزولاً ، وآخره .
- بيان أنه لا يلزم من كون نظم القرآن خارجاً من جنس أوزان

- العرب ، أن تكون معروفة إعجازه ضرورية .
- ٢٩٤ - ٢٩٦ بيان أنه لا يلزم من اختلاف أهل الملة في إعجاز القرآن ،
عدم إعجازه .
- ٢٩٦ - ٢٩٧ الرد على ما ذهب إليه أبو هاشم الجبائي ، من أن إعجاز القرآن
إنما تحقق بسبب أن جبريل أنزله .
- ٢٩٦ - ٢٩٧ بيان المذاهب في أن التأليف له نهاية ، أم لا .
- ٢٩٨ فصل : في بيان أن شرط المعجز أن يعلم أنه أتى به من
ظهر عليه .
- ٢٩٩ - ٣٠٠ فصل : في بيان أن ما تقدم - من الإبانة عن كون القرآن
معجزاً - كاف ومقنع مع وجازته . وأن الإسهاب في ذلك ، يكون
نوعاً من العي الذي لا فائدة منه .
- ٢٩٩ بيان بعض الحكماء متى يكون البليغ عيباً ؟
- ٢٩٩ وصف أعرابي القمر ، بسبب اهتدائه في السير به .
- ٣٠٠ - ٣٠٥ كلمة ختامية للباقلاني ، تضمنت وصف القرآن الكريم ، وسرد
أنواع البلاغة والبديع التي تحققت فيه ؛ ثم وصف الشعر
والفرق بينهما .



تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية

تحت رقم ٤٣٤٥ / ١٩٧١

مطابع دار المعارف بمصر

١/٧٤/٧٨

